

إدارة الدعوة والتعليم
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكَّم

الخُوافُ الإسْلامِيُّ
Islam Phobia
بين الحقِيقَةِ والتَّضْلِيل

إعداد:
عطيّة فتحي الويشي

السنة الثالثة والعشرون العدد: (٢١٩) العام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م









الخُـــــوافُ الإسْــلامِيُّ

Islam Phobia

بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالتَّضْلِيـــل

عطيّة فتحـي الويشـــيّ

أبيض



أبيض

مُقَدِّمَــــة

غَيْرُ خافٍ عَلَى كُلِّ مُتَحَسِّسٍ أحوالَ الْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ وَمُتَتَبِّعٍ صَيْرُورَتِها التَّارِيخِيَّةِ، وَعارِفٍ بِنَزْعَتِها الدَّارْوِينِيَّةِ وَثَقافَتِها الصِّراعِيَّةِ : أنَّ الْمُجْتَمَعاتِ الاسْتِعمارِيَّةَ مِنْها بِصِفَةٍ خاصَّةٍ : لَيْسَتْ بَعِيدةً فِي تَرْكِيبِها النَّفْسِيِّ عَنْ حالَةِ ذَلِكَ اللِّصِّ الَّذِي يَشْعُرُ دائمًا أنَّ هَواجِسَ الآثامِ تُلاحِقُهُ، وَأنَّهُ مُرَاقَبٌ، وَأنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلثَّأرِ مِنْهُ!.. وَأنَّ الرَّفَاهِيَةَ وَحَياةَ « النَّعِيـمِ» الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيها تُوشِكُ أنْ تَتَبَدَّدَ وَتَزُولَ وَتَتَبَدَّلَ...؟! وَقَدْ أدَّى ذَلِكَ بِدَوْرِهِ إلَى الْتِماسِ كُلِّ سَبَبٍ وَتَوَسُّلِ أيَّةِ وَسِيلَةٍ يُمْكِنُ أنْ يَتَلاشَى بِها هَذا الشُّعُورِ، الَّذِي أخَذَ يَتَنامَى وَتَتَصاعَدُ وَتِيرَتُهُ فِي سِياقِ التَّداعِياتِ الهائلَةِ لِنِهايَةِ ما يُعْرَفُ بِـ« الحَرْبِ البارِدَةِ» مَطْلِعَ تِسْعِينِيَّاتِ القَرْنِ العِشْرِينِ، حَيْثُ نَشأتْ حالَةٌ مِنَ الفَراغِ الاسْتِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ الَّذِي جَلَبَ مَعَهُ مَزِيدًا مِنَ القَلَقِ الوُجُودِي وَالتَّوَجُّسِ وَالخَوْفِ والتَّرَقُّبِ إزاءَ مَجْهُـولٍ ما؟.. يُمْكِنُ أنْ يأتِي عَلَى حِينِ غِرَّةٍ فَيَذْهَبُ بِأمَلِهِ فِي الحَياةِ الهانِئَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ أدْراجَ الرِّياحِ!... ما أدَّى بِدَوْرِهِ إلَى تَضَخُّمِ الهاجِسِ الأمْنِيِّ الغَرْبِيِّ بِصُورَةٍ فِيها مُبالَغَةٌ شَدِيدَةٌ!...

فالغَرْبُ لَمْ يَألَفْ قَطُّ أنْ عاشَ بِهَذِهِ الطَّفْرَةِ الأمْنِيَّةِ الْمُتَفَرِّدَةِ، تِلْكَ الطَّفْرَةُ الَّتِي مِثْلَما كانَتْ مَبْعثَ إحساسٍ طاغٍ بالقُوَّةِ المادِّيَّةِ الجَدِيرَةِ بِتَتْوِيجٍ إمْبِراطُورِيٍّ عالَمِيٍّ مَهِيبٍ وَعَظِيمٍ... كانَتْ مَبْعَثَ تَوَجُّسٍ غَرْبِيٍّ مِنْ شَيءٍ ما كامِنٍ فِي مَطاوِيَ الأقْدارِ قَدْ يَقْطَعَ مِنْ لَذَةِ تَجَلِّياتِ هَذا الحُلْمَ الواقِعِيَّ الفَرِيدِ فِي لَحْظَةٍ ما...؟!!

وَلَعَلَّنا نُلاحِظُ أنَّه فِي الوَقْتِ الَّذِي بَشَّرَ فِيهِ « فَرانْسِيس فُوكُوياما» بِفَجْرِ القُوَّةِ الكَوْنِيَّةِ الجَدِيدَةِ... سادِلاً السِّتارَ التَّارِيخِيَّ عَلَى الفارِسِ الغَرْبِيِّ وَهُوَ مُتَّشِحٌ لأمَةَ اللِّيبْرالِيَّةِ الحُرَّةِ، وَمَسْكُونٌ بِنَشْوَةِ الانْتِصارِ وَبِحُلْمِ السِّيادَةِ الَّذِي بَدا وَكَأَنَّهُ حَقِيقةً لا مِراءَ فِيها..! نَجِدُ أنَّ « هنتينجتون» يُقَرِّر بِأَنَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ مَحْضُ أوهامٍ وَأضْغاثُ أحْلام!.. فَما زالَتْ هُناكَ تَيَّاراتٌ حَضارِيَّةٌ تُغَذِّيها العَقِيدَةُ وَيُحَرِّكُها التّارِيخُ... تَتَدافَعُ خَلْفَ سِتارِ الأحْداثِ لِتَقْطَعَ عَلَى الفارِسِ الغَرْبِيّ نَشْوَةَ الانْتِصارِ.. مُشِيرةً إِلَيْهِ بِأنَّ مَعْرَكَةَ « نَهايَةِ التَّارِيخِ» لَمْ تُحْسَمْ بَعْدُ، بَلْ لَمْ تَزَلْ فِي مُتَوالِيَةِ « الصِّراعِ الحَضارِيِّ» جَولاتٌ أُخْرَى!... الأمْرُ الَّذِي كَرَّسَ مِنْ حالَةِ الخَوْفِ هاتِهِ، لِتَتَخَلَّقَ وَتَتَطَوَّرَ فِي اللاَّوَعْي الغَرْبِيِّ مِنْ جَدِيدٍ بِصُورَةٍ حَثِيثَةٍ وَخَبِيثَةٍ، حَيْثُ بَدَا ذلِكَ الخَوْفُ مَوْهُومًا وَمُفْتَعَلاً أكْثَرَ مِنْهُ حَقِيقَةً وَواقِعًا.. بل أضْحَى لازِمَةً وَضَرُورَةً مِنْ ضَرُوراتِ الحَياةِ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ!.

وَلَقَدْ كانَ عَجِيبًا أنْ يَتَحَبَّبَ الغَرْبِيُّونَ إلَى هَذا الخَوْفِ بِاعْتِبارِهِ أحَدَ الرَّوافِدِ الإيجابِيَّةِ لِتَحْقِيقِ حياةٍ آمِنَةٍ، فَهُوَ الباعِثُ عَلَى التَّسَلُّحِ وَالتَّأَهُّبِ وَالمُرابَطَةِ الدَّائمَةِ فِي مُواجَهَةِ الأعْداءِ القائمِينَ أو المُحْتَمَلِينَ... وَهُوَ الدّافِعُ إلَى خَلْقِ المَزِيدِ مِنْ فُرَصِ التَّنْمِيَةِ المُرْتَكِزَةِ عَلَى السَّطْوِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَاللُّصُوصِيَّةِ الحَضارِيَّةِ للاسْتِزادَةِ مِنْ فائضِ القِيمَةِ الرَّأسِمالِيِّ، الَّذِي يُؤَمِّنُ فُرَصًا أفْضَلَ لِلْحِياةِ الدُّنْيَوِيَّةِ!... وَبِدُونِ هَذا الخَوْفِ : يَخْلُدُونَ إلَى الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطُّمَأنِينَةِ الجالِبَةِ لِمَزِيدٍ مِنَ الأخْطارِ... وَالمُؤْذِنَةِ بدخُولِ الغَرْبِ فِي دَوْرَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ المُشْكلاتِ السِّياسِيَّةِ والاقْتصادِيَّةِ والحضارِيَّةِ والاجْتِماعِيَّةِ وَغَيْرِها!...

فَمِنَ الْمُسَلَّماتِ اليَقِينِيَّةِ، أنَّ الحَيَاةَ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ : « لا يُمْكِـنُ أنْ يَحْياها البَشَرُ وَتَسْتَمِرَّ إلاَّ عَلَى حِسابِ حَيَـاةِ بَشَرٍ آخَرِين»!. ذَلِكَ، بِأنَّ الحَيَاةَ كما يَراها « فِريدريك نِيتشَه» مَثَلاً، هِيَ : النُّمُـوُّ؛ وَهِيَ : الرَّغْبَةُ فِي الاقْتِناءِ؛ وَهِيَ : إرادَةُ السَّيْطَرَةِ عَلَى الآخَرِينَ»!؛ وإنَّ الطّابَعَ الْمُمَيِّزَ لَهَذِهِ الحَياةِ هُوَ : سَهُولَةُ هَضْـمِ ما لِلآخَرِينَ مِنْ حُقُوقٍ...! وَإِيذاءُ مَشاعِرِهِمُ وَتَشْوِيهُ عَقائِدِهِمُ وَهَـدْمُ آمالِهِمُ وَتَعْمِيقُ آلامِهِمُ وَتَحْطِيمُ أَحْلامِهِمُ وَإِفْناءُ وُجُودِهِمُ وَإذهابُ أثَرِهِمُ...! وَلا يُمْكِـنْ أنْ تُفْهَمَ الحَيَاةُ عَلَى غَيْرِ هَذَا النَّحْوِ العُدْوانِيِّ؛! ثُمَّ إنَّ هَذَا العُدوانَ سيَجِدُ مُقَاوَمَةً مِنْ أُولَئِكَ الآخَرِينَ بِطَبِيعَةِ الحالِ، وَحَيْثُ يَصْطَدِمُ هَؤلاءِ بِأُولَئِكَ... تَزِيدُ الْمُقَاوَمَةُ وَتَشْتَدُّ الخُصُومَةُ وَتَتَصاعَدُ وَتِيرَةُ العُنْفِ والصِّراعِ.. كُلَّما زَادَ الإحْساسُ الحَقِيقِيُّ بِقِيمَةِ الحَيَاةِ!؛ وَلَمَّا كانَ فِي الْمُقَاوَمَةِ أخْطـارٌ.. فإنَّ الحَيَاةَ تَنْشُدُ الأخْطارَ؛ فَكَأنَّ إرادةَ الحَياةِ لَدَى « نِيتشَه»، هِيَ فِي الوَقْتِ ذاتِهِ : إرادَةُ الخَطَـرِ؛ وَلِذا نَراهُ يَقُولُ : « لِكَي تَجْنِيَ مِنْ الوُجُـودِ أسْمَى ما فِيهِ : عِشْ فِي خَطَـرٍ». وَلَقَدْ كانَ الإيعازُ بِالاسْتِخْدامُ الفاحِشُ لِلقُوَّةِ شَيئًا بَدِيهِيًّا فِي سِياقِ مُواجَهَةِ أيِّ خَطَرٍ أو تَهْدِيدٍ يُمْكِنُ أنْ يَعْرِضَ لِلْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ بَيْنَ يَدَي أيَّةِ تَغَيُّراتٍ مُحْتَمَلَةٍ فِي مَوازِينِ القُوَى الدَّوَلِيَّةِ!...

وَفِي مُحاوَلَةٍ لإعادَةِ إنتاجِ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ فِي اللاَّوَعْي الغَرْبِيِّ، انْبَرَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ مُنَظِّري الـ« سِي آي إيه» فِي التَّحْضِير لِجَولاتٍ قادِمَةٍ مِنَ الصِّراعِ الَّذِي تَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ النَّفْسِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ مُنْذُ قَدِيمٍ!... وَلَقَدْ كانَ مِنَ الْمُؤْسِفِ أنْ تُوضَعَ الحضارَةُ الإسْلامِيَّةُ فِي مُقابِلِ مُتَوَالِيَةٍ هُجومِيَّةٍ غَرْبِيَّةٍ مُحْتَدَمَةٍ... تُعِيدُ

إنتاجَ القَوالَبِ التّارِيخيَّةِ وَالصُّوَرِ الذِّهْنِيَّةِ المَغْلُوطَةِ وَالمُزَيَّفَةِ عَنِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ!... وَتَرَى فِي الإسْلامِ العَدُوَّ التَّقْلِيدِيَّ، وتَنْظُرُ إلَى عَقِيدَةِ التَّوحِيدِ وَإلَى القِيَمِ الإسلامِيَّةِ عَلَى أنَّها بِمَثابَةِ جَبْهَةٍ تُمَثِّلُ المَوْقِفَ الإيمانِيَّ الرّافِضَ- بكُلِّ ثِقَةٍ واقْتِدارٍ- لِجَمِيعِ البَدائِلِ العَالَمانِيَّةِ المَطْرُوحَةِ مَعَ مَوجَةِ المَدِّ العَولَمِيِّ الغَرْبِيِّ الَّتِي تَجْتاحُ العالَمَ المُعاصِرَ...!

وَمِنْ ثَمَّ، فَإنَّ هَذِهِ الدِّراسَةَ تَنْطَلِقُ مِنَ الاعْتِقادِ الإيجابِيِّ الصّارِمِ بِأنَّنا عَلَى القَدْرِ الَّذِي نَبْدُو بِهِ رافِضِينَ لِكُلِّ ظُلْمٍ يُمْكِن أنْ يَقَعَ عَلَينا أو عَلَى غَيْرِنا، فَإنَّنا مِنْ خِلالِ هَذِهِ السُّطُورِ : نُحاوِلُ إزالَةَ الألْغامِ الأيْدُيُولُوجِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ كُلِّ سالِكٍ دَرْبَ الحَقِيقَةِ وَكُلِّ مُلْتَمِسٍ سُبَلَ الهِدايَةِ إلَى صِراطِ اللهِ المُسْتَقِيمِ لِيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ!... وَفِي هَذا تَأكِيدٌ لِحَقِّنا فِي تَفْنِيدِ الشُّبَهِ وَرَدِّ المُفْتَرَياتِ وَتَرْشِيدِ كُلِّ اجْتِراءٍ يَطالُ كُلَّ غايَةٍ مِنْ أجْلِ بِلُوغِها خَلَقَنا اللهُ ﷻ فِي هَذا الوُجُودِ- والَّتِي مِنْ أهَمِّها : تَحَرِّي التَّعَرُّفِ إلَى الدِّينِ الحَقِّ وَمَنْطِقِ الفِطْرَةِ وَالمِيزانِ الَّذِي تَنْتَصِبُ فِي ضَوئِهِ علاقاتُ النّاسِ مَعَ بَعْضِهِمُ البَعْضِ وَتَتَأكَّدُ أواصِرُهُم وَمَساعِيهِم الاسْتِخلافِيَّةَ التَّي تُثْرِي وَجْهَ الحَياةِ... ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ الحُجُراتِ/ ١٣. بَلِ انْتَدَبَ الإنْسانِيَّةِ المُؤمِنَةَ بِرسالَةِ التَّوحِيدِ لِتَأكِيدِ هَذِهِ الغاياتِ المُحَقِّقَةِ رِضاءَ اللهِ وَسَعادَةِ الإنسانِ فِي الدُّنيا وَالآخَرَةِ!... ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ النحل/ ٩٧.

وَلَمَّا كانَ التَّخْوِيفُ الغَرْبِيُّ مِنَ الإِسْلامِ داخِلاً فِي إِطارِ الدَّجَلِ وَالافْتِئاتِ بِإِصْدارِ الأَحْكامِ المُسْبَقَةِ وَتَسْوِيقِ المُغالَطاتِ وَخارِقًا لِسُنَنِ وَقَوانِينِ التَّعارُفِ بَيْنَ البَشَرِ وَقاطِعًا طَرِيقَ الحَياةِ الطَّيِّبَةِ وَالسَّعادَةِ عَلَيْهِم... فَإِنَّ مِنَ الضَّرُورَةِ بِمَكانٍ : اسْتِدْعاءُ الجُهُودِ المُخْلِصَةِ المَعْنِيَّةِ بِتَجْلِيَةِ المَعالِمِ الحَضارِيَّة لِلإِسْلامِ.. وَالمَنُوطُ بِها الكَشْفِ المَنْهَجِيِّ الأَمِينِ عَنْ مَواطِنِ العَظَمَةِ وَالعَبْقَرِيَّةِ الإِيجابِيَّةِ الفاعِلَةِ فِي مَشْرُوعِنا الحَضارِيِّ الإِسلامِيِّ... تَحَرِّيًا لِما يُمْكِنُ أَنْ تَفِيدَهُ البَشَرِيَّةُ مِنْ رِسالَةِ الإِسْلامِ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ وَمُتَكامِلَةٍ... تَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى كُلِّ ذِي غايَةٍ رَخِيصَةٍ وَمَقْصِدٍ شَرِّيرٍ غَيْرِ شَرِيفٍ... يُحاوِلُ النَّيْلَ مِنَ الإِسْلامِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ التَّخْوِيفِيَّةِ الخَبِيثَةِ!...

إِنَّ هَذِهِ الدِّراسَةَ مُحاوَلَةٌ لِتَأْكِيدِ وَتَكْرِيسِ- بَلْ وَتَكْثِيفِ الثِّقَةِ المُطْلَقَةِ بِصَلاحِيّاتِ المَنْهَجِ الإِسْلامِيِّ لانْتِظامِ حاضِرِ الإنسانية وَمُسْتَقْبَلِها بِلا تَعَسُّفٍ وَلا ابْتِسارٍ وَلا مُزايَدَةٍ... وَبِما لا يَدَعَ مَجالاً لِشَكِّ الشَّاكِّينَ أو لأَباطِيلِ المُرْجِفِينَ أو لِتَرَدُّدِ المُتَرَدِّدِينَ أو لِغَفْلَةِ الغافِلِين...؛!

إِنَّ هَذِهِ الدِّرَسَةَ تَضَعُ فَرَضِيَّةَ «الإِسْلامِ فوبيا» فِي مُخْتَبَرٍ عِلْمِيٍّ نَزِيهٍ مَعْنِيٍّ بالحَقِيقَةِ المُجَرَّدَةِ فَحَسْبُ، تَعْتَمِدُ مَنْهَجِيَّةً وَسَطِيَّةً، وَتُتِيحُ لِلمَعْنِيِّينَ رُؤْيَةً دَقِيقَةً مُتَوازِنَةً لِحَقائِقِ الأَشياءِ وطبائِعِ الظَّواهِرِ الماثِلَةِ في ذَلِكَ الواقِعِ الإنسانِيِّ الساخِنِ!... فَلَرُبّما كانَ ثَمَّةَ تَوَرُّعٌ عَنْ هَذِهِ الحَمْلَةِ الظّالِمَةِ عَلَى الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ.! لَعَلِّي أكونُ قَدْ وُفِّقْتُ إِلَى ذَلِكَ؛!

وَعَلى الله قَصْـدُ السَّبِيـلِ..!

عطية فتحي الويشي

قرية دفرية- مركز كفر الشيخ من أعمال الدلتا المصرية- رَمَضان ١٤٢٦هـ.

أبيض

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الخَوْفُ الغَرْبِيِّ مِنَ الآخَرِ

أمْراضٌ تارِيخِيَّةٌ.. وَأوهــامٌ لا تَزُول

غَيْرُ خافٍ عَلَى كُلِّ مُلِمٍّ بِطَبِيعَةِ التَّطَوُّرِ التَّارِيخِيِّ لِلمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ، أنَّ إلْفَ هَذِهِ المُجْتَمَعاتِ : دائِرٌ دائِمًا عَلَى ألاَّ تَنْفَعِل حَرَكَةُ حَياتِها إلاَّ إذا انْتَصَبَ الخَوْفُ مِن الآخَرِ فِي لاوَعِيها!... مُنْذرًا بِخَطَرٍ ما يَتَهدَّدُها..! وَهَذِهِ القَضِيَّةُ هِيَ : بِمثابَةِ طَقْسٍ تَقْلِيدِيٍّ تارِيخِيٍّ مأخوذٍ بِجِدِّيَّةٍ وَدَأبٍ وَقُوَّةٍ، وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَشاعِرَ فَلْسَفِيَّة وَلا خَيالٍ أدَبِيٍّ عارِضٍ..! إنَّ « إيمانوِيل كانط» يَرَى : أنَّ «النّاسَ فِي حالِ الفِطْرَةِ يَشْعُرُونَ بِأنَّ مُجَرَّدَ حُضُورِ الآخَرِ، سَواءً كانَ فَرْدًا أو شَعْبًا : يَتَضَمَّنُ فِي حَدِّ ذاتِهِ تَهْدِيدًا»[1]!. وَلَقَدْ كانَ ذَلِكَ كَفِيلاً بِجَعْلِ آلَةِ الحَرْبِ فِي حالةِ تَحَفُّزٍ وَاسْتِنْفارٍ دائِمَيْنِ؛ باِعْتِبارِ الحَرْبِ وَالقِتالِ : عِمادَي النَّهْضَةِ الغَرْبِيَّةِ وَمَوْرِدَها الأساس...! وَلَعَلَّ هَذا ما يَدْعُونا إلَى أنْ نَكُونَ أكْثَرَ وَعْيٍ وَيَقَظَةٍ وَفِطْنَةٍ لِمَغْزَى ذَلِكَ الزَّخْمِ التَّنَموِيّ الهائلِ الَّذِي يَتَأسَّسُ عَلَى أسْلابِ الحُرُوبِ، وَيَتَغَذَّى عَلَى غاراتِ الكاوبُوي الأمْرِيكِيِّ فِي مَشارِقِ الأرضِ وَمَغارِبِها...! إنَّهُ اقْتِصادٌ يَنْهَضُ ويَنْمُو وَيَنْتَعِشُ عَلَى صِناعَةِ الخَوْفِ الإيجابِيِّ الجالِبِ لِلسُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ في آنٍ واحِدٍ...!!

---

١) إيمانويل كانط- مشروع السلام الدّائمِ- ترجمة : عثمان أمين- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٧٦- ط :٢- ٣٠.

وَالُملاحَظُ، أنَّ ثَمَّةَ قوىً ذاتَ قُدْراتٍ تأثِيرِيَّةٍ هائلَةٍ- وَعَلَى قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الوَعْي بِتَطَوُّراتِ الصَّيرُورَةِ التّارِيخِيَّةِ الغَرْبِيَّة... وَبِمَدَى تَداعِياتِها فِي الُمحِيطِ الاجْتِماعِيِّ وَالسِّياسِيِّ وَالاقْتِصادِيّ الغَرْبِيّ الُمعاصِرِ... هَذِهِ القُوَى : تَسْعَى إلَى تَضْخِيمِ حَجْمِ المَخاطِرِ الَّتِي يُمْكِنُ أنْ تُحْدِقَ بِالُمجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ مِنْ قِبَلِ الآخَرِ الحَضارِيِّ بِطَرِيقَةٍ إسْتراتِيجِيَّةٍ تَخْدُمُ الأهْدافَ العامَّةَ لِحَياةِ الُمجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ فِي هَذا العالَمِ عَلَى نَحْوٍ لائقٍ بِما تَدَّعِيهِ مِنْ أنَّها : الُمجْتَمَعاتِ صَاحِبَةُ الحَقِّ الدِّسْتُورِيِّ فِي مَتاعِ هَذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا مِنْ دُونِ النَّاسِ!.

فالواقِعُ يَقُولُ : بِأَنَّ النُّخْبَةَ فِي الوِلاياتِ، وَمَعَها قاعِدةٌ شَعْبِيَّةٌ عَرِيضَةٌ، شِبْهُ مُسْتَقِرّةٍ عَلَى لُزُومِ القُوَّةِ وَوُجُوبِ الحَرْبِ تَحْتَ أيَةِ ظُرُوفٍ، فَهِيَ تَجْسِيدٌ لِحَضارَةٍ «لا تَسْتَطِيعَ أنْ تَعِيشَ بِدُونِ عَدُوٍّ، يضْمَنُ تَماسكَها، واستِمْرارَها، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ لها عَدُوٌّ، فَلْتَصْنَعَ عَدُوًّا، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ صناعَةَ الأعداءِ، لاسْتِمرارِ التَّعْبِئَةِ وَالُمواجَهَةِ، تَرُدُّ سهامُها إلَى ذاتِها، فَتَتآكَلُ منْ دَاخِلها،! أو يَتَحوَّل عُدوانُها إلَى الدَّاخِلِ»[٢]. وَيَقُولُ الُمفَكِّرُ الأمْرِيكيُّ الُمحافِظُ «كريستول» : إنَّ « القُوَّةَ وَحْدَها هِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أنْ تَقِفَ فِي وَجْهِ الخُصُومِ؛ وإنَّ الطريقةَ الوَحْيدةَ لِبَقاءِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ اللِّيبْرالِيَّةِ قَوِيةً : هيَ فِي دَوامِ وُجُودِ عَدوٍّ خارِجِيٍّ لَها»[٣].

---

٢) عمر عبيد حَسَنَة- مِن مقدمته لكتاب : أحمد القَديدي- الإِسْلام وصِراع الحَضارات- سِلْسِلَة كتاب الأُمَّة- الدوحة -١٩٩٦م- ص ٢٧.

3) www.w3.org/tr/rec-html40

وَيأتِي كُلُّ ذَلِكَ فِي سِياقِ التَّوَهُّمِ الغَرْبِيِّ إزاء ما يَعَدُّونه العَقَبَةَ الوَحِيدَةَ الباقِيَةَ أمامَ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ اللَّتَيْنِ تَسْعَيانِ مَعًا لِلْهَيْمَنَةِ عَلَى العَالَمِ سِياسِيًّا واقْتِصادِيًّا وثَقَافِيًّا، وَقَدْ اتَّضَحَ ذَلِكَ بِشَكْلٍ حادٍّ ومُتَصاعِدٍ بَعْدَ انْهِيارِ الاتِّحادِ السُّوفْيِتِيّ فِي أَوَاخِرِ الثَّمانِينِيّاتِ...! وَقَدْ اتَّهَمَ « روبرت نيومان»(*) إسرائيلَ وَأصْدِقاءَها بِقِيادَةِ حَرَكَةِ العَداءِ الغَرْبِيِّ وَالأمْرِيكِيِّ غَيْرِ المُبَرَّرِ لِلإسْلامِ؛ وَتَهْدِفُ إسرائِيلُ مِنْ خِلالِ نَشْرِ الرُّعْبِ مِنَ الإسْلامِ بِاعْتِبارِهِ خَطَرًا عَلَى العالَمِ، أنْ تُحَقِّقَ التِفافَ العالَمِ حَوْلَهَا وَدَعْمَها مادِّيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَسِياسيًّا دَعْمًا غَيْرَ مَشْرُوط.!

وَعَلَى هَذِهِ الوَتِيرَةِ قُدِّرَ لِلإسْلامِ أنْ يَكُونَ مادّةَ التَّحَدِّي لِمُتَوالِيَةِ الصِّراعِ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ المُعاصِرِ - عَلَى اعْتِبارِ أنَّ هَذا الإِسْلامَ هُوَ : تَعْبِيرٌ عَنْ « كُلّ ما لا يروق لِلغَرْبِيِّينَ مِنْ أنماطٍ دِينِيَّةٍ وَحَضارِيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ واجتماعِيَّةٍ واقْتِصادِيَّةٍ جَدِيدَةٍ فِي هَذا العَالَمِ». وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ العُقَلاءِ قَدْ يَتَساءلُونَ بِكُلِّ عَفْوِيَّةٍ: كَيفَ بِهَذا الأسِيرِ العانِي الَّذِي يَرْسُفُ فِي القيود الَّتِي أحْكَمَتْها الحُكُوماتُ العالَمانِيَّةُ حَوْلَ خِناقِهِ.. وَأقْسَمَتْ عَلَى مُنابَذَتِهِ بِقَطِيعَةٍ لا يَبْدُ مِنْها أنَّها سَتَحْنَثُ فِيها؟! كَيْفَ بِهَذا الأسِيرِ العانِي أنْ يَحْتَلَّ مَواقِعَ التَّحَدِّي فِي مُواجَهَةِ غَرْبٍ فِي أوُجّ قُوَتِهِ؟ كَيفَ يَخافُ الغَرْبُ مِنْه؟! إنَّهُ لأمْرٌ عُجابْ!..

(*) مُفَكِّرٌ ودبلوماسي أمريكِيٌّ سابقٌ، مِن مُحاضَرَةٍ له بواشنطن- نقلاً عن مَجلة المجتمع الكويتية- العدد:١٢٤٣- ١٩٩٧/٣/٢٥م – ص٣٤.

وَهُنا يُؤَكِّدُ « إدوارد سَعِيد» عَلَى ضَرُورَةِ قراءةِ الوضع السِّياسِيّ وَالاقْتِصادِيّ وَالفِكْرِيّ لِلغَرْبِ فِي نَظْرَتِهِ لِلإسْلامِ؛ فَنَجِدُه يُرَكِّزُ عَلَى أَنَّ الغَرْبَ- مِنْ وُجْهَـةِ نَظَرِهِ، لا النَّصْرانِيَّة، هُوَ الَّذِي بَقِيَ دَائِمًا فِي مَوْضِعِ التَّنَافُسِ وَالعِداءِ مَعَ الإِسْلامِ؛ فالغَرْبُ ظَلَّ يَرْقُبُ بِاستِمْرارٍ قُوّةَ الإِسْلامِ المُؤَهَّلَةِ لإِزْعاجِهِ المَـرَّةَ تِلْوَ المَـرَّةِ، وَلَمْ تَتِمّ أَبَدًا تَهْدِئَةُ الإِسْلامِ أو هَزِيمَتُهُ.. فَهَل يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ الإِسْلامَ ضِدَّ الغَرْب؟!»[٤]. أَمْ أَنَّ الغَرْبَ بِنَصْرانِيَّتِهِ الجَوفاءِ هُوَ الَّذِي ضِدَّ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِلا أَدْنَى مُبَرِّرٍ مَعْقُولٍ.!

وَمِنَ المُهِمِّ هُنا، أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ عِدَّةِ افتراضاتٍ أَسَاسِيَّةٍ :

الأَوَّل : أَنَّ تَعْبِيرَ « العَرَبِ» مُرادِفٌ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ لِـ« المُسْلِمِينَ». كَما أَنَّنا سَنَعْتَمِدُ عَلَى تَعْرِيفِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» عَلَى ما وَرَدَ بِمُعْجَمِ « الاحْتِرامِ المُتَبادَلِ» بِأَنَّهُ عِبارَةً عَنْ « كَراهِيَةٍ وَرَفْضٍ لِنَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الإِسْلامِ يَتِمُّ تَقْلِيصُهُ فِي ماهِيَةِ الشَّرِّ.. إِنَّ الإِسْلامَ حَدَثٌ اجْتِماعِيٌّ وَجُغْرافِيٌّ وَثَقافِيٌّ، وإِنَّ هَذِهِ الكَرَاهِيَةَ تَتَغَذَّى بِتَصَوُّراتٍ سَلْبِيَّةٍ وَجامِدَةٍ تَخْلِطُ بَيْنَ مَفاهِيمِ الإِسْلامِ وَالإرهابِ وَالتَّطَرُّفِ، كَما تَخْلِطُ بَيْنَ الدِّينِ وَالثَّقافَةِ»[٥].

الافْتِراضُ الثَّانِي : أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ « آخَـرٌ» صامِدٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ التَّقْلِيدِيِّ سِوَى الإِسْلامِ؛! حَيْثُ قَدْ تَمَّ تَشْوِيهُ صُورَتِنا والتَّشْهِيرُ بِنا مُنْذُ أَمَدٍ

---

٤) نقلاً عن: زكي الميلاد، تركي الرَّبيعُو- الإِسْلام والغَرْب، الحاضر والمُسْتَقْبَل - دار الفِكر- دِمشق- ١٩٩٨م- ص ١٠٨.

٥) معجم الاحترام المتبادل- مِنْ مَنشوراتِ مركز التساوى فِي الحظوظ- بلجيكا- نقلاً عَن : http://www.almotamar.com/2002/32/663.html.

بَعِيدٍ.. « وَيَعُودُ العامِلُ الأساسِيُّ فِي وُجُودِ هَذا التَّشْوِيهِ إلَى : المَفاهِيم الأمْرِيكِيَّةِ الخاطِئةِ عَنْ عَرَبِ مِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ، تِلْكَ المَفاهِيمُ وَالصُّوَرُ الَّتِي عانَتْ الكَثِيرَ مِنَ التَّحَيُّزِ عَلَى مَدارِ تارِيخِ الثَّقافَةِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَعامَلَتْ مَعَ مُواطِنِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ عَلَى أنَّهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ « الآخَرُ »[٦]. وَالحَقِيقَةُ، أنَّ أيّ نَسَقٍ حَضارِيٍّ يُحاوِلُ أنْ يَكُونَ «الآخَرَ» عَلَى خَرِيطَةِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ : فَمَصِيرُهُ- حَسْبَ الشَّواهِدِ التَّارِيخِيَّةِ : كانَ مَعْرُوفًا، **!** فَمِنْ خِلالِ وَسائِلَ عَدِيدَةٍ... قَدْ أَمْكَنَ احْتِواءُ هَذا الآخَرِ- إمّا بِإغْرائِهِ وتَحْيِيدِه.. وإمّا بِتَهْمِيشِهِ أو نَفْيِهِ وَإقْصائِهِ وَإمّا الإيقاع بِهِ والقَضاءُ عَلَيْهِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْه بِصُورَةٍ او بِأُخْرَى...![*]

أمَّا الافْتِراضُ الثّالِثُ، فَهُوَ : أنَّ غايَةَ قَضِيَّةِ «الإسْلامُ فُوبْيا» : إمَّا تَخْوِيفُ المُسْلِمِينَ، وإمَّا التَّخْوِيفُ مِنْهُمْ وَمِنَ الإسْلامِ بالجُمْلَةِ. وَأنَّ المُحَصِّلَةَ النَّهائِيَّةَ، هِيَ : حَسْمُ الصِّراعِ مَعَ الآخَرِ الإسْلامِيّ بِأقَلِّ جَهْدٍ وَأدْنَى تَكالِيفٍ؛ فَإذا انْحَسَمَ هذا الصِّراعُ بِالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ بِاسْتِعْراضِ العَضَلاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَغَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ.. فَلَيْسَ ثَمَّةَ داعٍ- عَلَى الأقَلّ فِي الأجَلِ القَصِيرِ لاسْتِخْدامِ القُوَّةِ؛ وَقَدْ يَنْحَسِمُ بِالزَّاجِرِ وَالتَّأدِيبِ بِالعُقوباتِ..**!** أو مِنْ خِلالِ الرَّدْعِ

---

٦) العِبارَةُ لِعابدين جابر، رَئِيسِ اللَّجْنَةِ الأمْرِيكِيَّةِ العَرَبِيَّةِ لِمُعاداةِ التَّمْيِيزِ عامَ ١٩٨٩م- نَقْلاً عَنْ : أحمد رأفت بهجَت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةُ في السِّينِما العالمِيَّةِ- الهَيئةُ العامة لِقُصُور الثَّقافَةِ- القاهرَةِ- ٢٠٠٢م- ص ٨- بِتَصَرُّف.

(❖) لَدَينا عَلَى سبيل المِثال : « الصِّيْن» كَنَموذَجٍ للاحتِواء الغربي. و « روسيا» كَنموذج للتَّحْييد. وَ « كُورِيّا الشَّمالِيَّة» و« إيران» و « فنزويلاّ» كموذج لِلتَّهْمِيشِ وَالنَّفْيِ وَفَرْضِ العُزْلَةِ عَلَيْها. و «أفغانِستانَ » و« العراق» كَنَموذج للموقوعِ بهِمُ المَذبوحِين. «الهُنود الحُمْرِ» و«الأزتيك» كَنَموذج للاستئصالِ والإفناء...!

النّاعِمِ الَّذِي يُمارِسُهُ الغَرْبُ تُجاهَ الشُّعُوبِ النّامِيَةِ الَّتِي تَعِيشُ تَحْتَ عَرْشِ الوِصايَةِ الغَرْبِيَّة..! وَقَدْ تَنْحَسِمُ المُشْكِلاتُ بِالتَّبَعِيَّةِ السِّياسِيّةِ وَالإذلالِ وَالقَهْرِ الاقْتِصادِيّ وَالذَّيْلِيَّة الحَضارِيَّة...! إذْ العِبْرةُ هُنا بِتَحَقُّقِ المَصْلَحةِ الَّتِي يُحَدِّدُها غالِبًا الطَّرَفُ الأقْوَى وَالأقْدَرُ عَلَى بَثِّ دَعايَتِهِ وَمُمارَسَةِ سُلْطانِهِ السِّياسِيِّ وَالاقْتِصادِيِّ وَالعَسْكَرِيِّ بِطَرِيقَةٍ تُمَكِّنُهُ مِنْ إنْجازِ قَضاياهُ المُعَلَّقَةِ وُفْقَ قَواعِدِ اللُّعْبَةِ الَّتِي يَبْتَدِعُها هُوَ...!

لَمحاتٌ تارِيخِيَّةٌ عَنِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»:

تَسْتَنِدُ ظاهِرَةُ «الإِسْلامُ فُوبْيا» إلَى خَلْفِيَّةٍ تارِيخِيَّةٍ مُتَمَثِّلَةٍ فِي ذَلِكَ الرُّكـامِ الهائلِ مِنَ الانْطِباعاتِ الخاطِئةِ وَالتَّصَوُّراتِ المُشَوَّهَةِ وَالرُّؤَى المُشَوَّشَةِ حَوْلَ واحِدَةٍ- هِيَ رائدَةُ رِسالاتِ الله إلَى أهْلِ الأرْضِ عَبْرَ تارِيخِهِمُ الطَّوِيلِ... وَهِيَ أكْمَلُها وَأشْمَلُها وَأتَمُّها وَأعَمُّها، وَوارِثَتُها وَالمُهَيْمِنَةُ عَلَيْها، وَالنّاسِخَةُ لها، وَالباقِيَةُ دُونَها بِلا تزيِّيفٍ وَلا تَحْرِيفٍ وَلا زِيادَةٍ وَلا نُقْصانٍ، وَالمَوكُولُ حِفظُها إلَى اللهُ ﷻ، الَّذِي أرْسَلَ بِها النَّبِيَّ مُحَمَّدًا هِدايةً لِلناسِ جميعًا... وَحِمايةً وَأمْنًا فِيما يَتَعَلَّقُ بِمَعاشِهِمُ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ... يَقُولُ تَعالَى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ سُورَةُ الأنبياء / ١١٧. بَلْ جاء هَذا النَّبِيُّ لِيؤَكِّدَ عَلَى القِيَمِ وَالمُثُلِ العُلْيا النَّبِيلَةِ الَّتِي تَواتَرَتْ بِها رِسالاتُ الله ﷻ إلَى مَنْ خَلَوْا مِنْ الرُّسل وَالأنبياء... ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذِي أَوَحينَاإِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا**

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ سُورَةُ الشورى/ ١٣.

وَعَلَى الصَّعِيدِ التّارِيخِيِّ، قَدْ أدَّى امْتِدادُ نَشاطِ الفَتْحِ الإسْلامِيِّ إلَى أطْرافِ غَرْبِ أُورُوبّا، وَشَمالِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، وَإلَى أفْرِيقيا وَالأنْدَلُسِ غَرْبًا، وَإلَى مُعْظَمِ قِطاعاتِ أُورُوبّا الشَّرْقِيَّةِ وَآسْيا الوُسْطَى شَرْقًا، أدَّى إلَى مِيلادِ أفْكارٍ مُشَوَّهَةٍ وانْفِعالِيَّةٍ عَنِ الإسْلامِ لَدَى بَعْضٍ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَعْصَوا عَلَى التَّجاوُبِ مَعَ حَرَكَةِ الفَتْحِ الإسْلامِيّ، فَنَظَرُوا إلَيْها بِشَيْءٍ مِنَ الرِّيبَةِ وَالتَّوَجُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ، وَتَمَثَّلُوها فِي وَعْيِهِمُ المَوهُومِ : خَطَرًا مُخِيفًا..! مِمَّا خَلَقَ جَوّاً مُلَبَّدًا بِالحَساسِيَّةِ والعَداءِ، وَلا سِيَّما هُنالِكَ عِنْدَ الحُدُودِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي أمْسَتْ مَثارًا لِلاحْتِكاكِ وَالتَّصادُمِ وَسَفْكِ الدِّماءِ.!

وَلَئِنْ ظَلَّ الغَرْبُ جاهِلاً بِالإسْلامِ جَهْلاً حَمَلَهُ عَلَى الخَوفِ غَيْرِ المُبَرَّرِ وَالعَداءِ « فَلانَّ الغَرْبَ ذاتَهُ كانَ إذْ ذاكَ جاهِلاً مُتَخَلِّفًا كَمُجْتَمَعٍ وَحَضارَةٍ»[٧]؛ تلك الحالَةُ الَّتِي وَلَّدَتْ اتِّجاهًا سَلْبِيًّا نَحْوَ الإسلامِ قَدْ أعاقَ الفَهْمَ الحَقِيقِيَّ لِما كانَ يَرْمِي إلَيْهِ الإسْلامَ مِنْ خَيْرٍ لِلْبَشَرِيَّةِ... وَكانَ مِنَ المُحَتَّمِ أنْ تُخْتَلَقَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأخْطاءِ وَالتَّشْوِيهاتِ وَالصُّوَرِ القائمَةِ عَلَى قَوالبَ ذِهْنِيَّةٍ ثابِتَةٍ يَسْهُلُ الرُّجُوعُ إلَيْها»[٨].

٧) هشام جعيط - أوروبا والإسلام - نقلاً عن : أبو بكر باقادر - الإسلام والغرب- مجلة مستقبل العالم الإسلامِيِّ- مالطا- العدد الرابع- خريف ١٩٩١م- ص ١٢٨ .

٨) حِلْمِي خَضْر سارِي- صُورَةُ العَرَبِ فِي الصُّحافَةِ البَرِيطانِيَّةِ- ت : عَطا عبد الوهاب- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ١٩٨٨م- ص ٥٩.

وَلَقَدْ اسْتُغِلَّ ذَلِكَ الجَهْلُ مِنْ جانِبِ سَدَنَةِ الكَنِيسَةِ الغربيَّةِ أَبْشَعَ اسْتِغْلالٍ،! فَكانَ مِنَ الفُرَصِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي تَهْيِيجِ هَواجِسِ الخَوفِ وتأجِيجِ نارِ الغَضَبِ الأَحْمَقِ وَالحِقْدِ الأسوَدِ تُجاهَ الإسلامِ وَالمُسْلِمِينَ وَتُجاهَ الرَّسُولِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، أنْ عَمَدَ « بُطْرُسُ النّاسِكُ» إِلَى رَسْمِ صُوَرٍ مُشِينَةٍ عَنِ المَسيحِ وَرَوَّجَها عَلَى أوسَعِ نِطاقٍ أُوروبِيٍّ، مُدَّعِيًا أنَّ المُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ رَسَمُوها عَلَى قَبْرِ المَسيحِ(*)! هَذِهِ الرُّسُومُ المَكْذُوبَةُ المُفْتَراةُ : كانَتْ أحَدَ أوراقِ اللَّعِبِ الكَنَسِيِّ بِعَواطِفِ الأُورُبِيِّينَ المائجَةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ صَوْبَ الشَّرْقِ الاسْلامِيِّ أربَعَ عَشْرَةَ حَمْلَةٍ صَلِيبِيَّةٍ أُرِيقَتْ فِيها أرواحُ المَلايِين مِنَ البَشَرِ.

ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَصْرُ الإصْلاحِ الدِّينِيِّ بِأَقَلِّ مِنْ سَابِقِهِ فِي نَظْرَتِهِ المَرَضِيَّةِ إِلَى الإسْلامِ... لِدَرَجَةِ أَنَّ الرّائدَ البُرُوتِستانتِيَّ « مارتنْ لُوثر» كانَ يَنْظُرُ إِلَى الإسْلامِ باعْتِبارِهِ « حَرَكَةً عَنِيفَةً تَخْدُمُ أعْداءَ المَسِيحِ لا يُمْكِنُ جَلْبُها لِلمَسِيحِيَّةِ لأَنَّها مُغْلَقَةٌ أمامَ المَنْطِقِ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ فَقَطْ مُقاوَمَتُها بِالسَّيْفِ»[٩].

وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُزْعَمَ مِنْ تَحَرُّرٍ عالَمَانِيٍّ غربِيٍّ مُبَكِّرٍ مِنْ أفكارِ الكَنيسةِ وَقيُودِ اللاّهُوتِ، بَيْدَ أَنَّ هَذا التَّيَّارَ العالَمَانِيَّ قَدْ أَخْفَقَ إِخْفاقًا فاضِحًا فِي الحَدِّ مِنْ نَوباتِ الحِقْدِ وَالظُّلْمِ وَالإجْحافِ الَّتِي كانَتْ تَنتابَ الغربِيِّين تُجاهَ الدِّينِ الحَنِيفِ، إذ كانَ مُنْتَظَرًا مِنْ ذَلِكَ التَّيارِ الغَرْبِيِّ المَنْسُوبِ إِلَى العَقْلانِيَّةِ

(*) فِي الحَقِيقَةِ، لا يُوجَدُ قَبْرٌ لِلمَسيحِ عليه السلام ، وإنَّما هُوَ مَحْضُ اعْتِقادٍ فاسِدٍ... وَمُجَرَّدُ خِيالٍ بابَوِيٍّ مَرِيضٍ بالشِّرْكِ والوَثَنِيَّةِ...!

٩) جُون اسْبُوزيتو- التَّهْدِيدِ الإسْلامِيِّ.. حقيقة أم أسطورة؟- ترجمة : عادل المعلم- دار الشُّرُوقِ- القاهرة- ١٩٩٥م- ص٤٣.

المَوضُوعِيَّةِ أنْ يُقَدِّمَ تَحْرِيرًا عِلْمِيًّا نَزِيهًا لِلمَسْأَلَةِ الإسْلامِيَّةِ لَدَى دَوائِرِ تأثيرِهِ فِي مُحِيطِ المُجْتَمَعِ وَالفِكْرِ الغَرْبِيَّيْن، فَقَدْ كانَ بِمَقْدُورِ ذَلِكَ التَّيَّارِ أنْ يُقَدِّمَ إسْهامًّا إيجابيًّا يَرَى فِي الدِّينِ الإسْلامِيِّ جُزْءًا مُتَمِّمًا وَهامًّا مِنَ التَّارِيخ الإِنْسَانِيِّ... هَذا عَلَى أقَلِّ فُرُوضِ الاستِقامَةِ العِلمِيَّةِ الَّتِي يَزْعُمُونَها.!

وَبِالرَّغْمِ مِنْ « أنَّ العُثمانِيِّينَ كانُوا يُسْتَقْبَلُونَ كَمُحَرِّرِين أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِمْ غُزاةً غاصِبِين»[١٠]، بَيْدَ أنَّ تِلْكَ الفُتُوحاتِ- رَغْمَ تَسامُحِها الشَّدِيدِ- لَمْ يَعُدْ يُنْظَرُ إلَيْها مِنْ جانِبِ الغَرْبِيِّينَ، وَلا سِيَّما فِي إنْجِلِتْرا وَفِرَنْسا، وَحَتَّى أسْبانيا، عَلَى أنَّها طَوْقُ النَّجاةِ؛! بَلْ إنَّهُ- كَما يَقُولَ مُحَمَّدُ أَسَدُ :- « بِسقُوطِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ انْفَتَحَ بابُ أُورُوبّا عَلَى مِصْراعَيْهِ لِلسَّيْلِ الإسْلامِيِّ؛ وَفِي القُرُونِ الَّتِي تَلَتْ، وَالَّتِي امْتَلأتْ بِالحُرُوبِ... لَمْ تَبْقَ عَداوَةُ أُورُوبّا لِلإسْلامِ ذاتَ أَهَمِّيَةٍ ثَقافِيَّةٍ وَحَسْبُ، بَلْ ذاتَ أهَمِّيَةٍ سِياسِيَّةٍ أيْضًا؛ وَقَدْ زادَ مِنْ اشتِدادِ تِلْكَ العَداوَةِ عِنْدَما كانَتْ البَغْضاءُ تَغْمُرُ الشُّعورَ الشَّعْبِيَّ كُلَّما ذُكِرَتْ كَلِمَةُ «مُسْلِمٍ»[١١].

وَلَقَدْ كانَ لِكُتُبِ وَمَدْوناتِ الرَّحَّالَةِ الغَرْبِيِّين دَوْرٌ خَطِيرٌ فِي تَكْرِيسِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»؛ فَبَعْدَ رِحْلاتِهِمُ المَشْرِقِيَّةِ الَّتِي لاقَى فِيها أُولَئِكَ الرَّحَّالَةِ كُلَّ أشكالِ الكَرَمِ وَالضِّيافِةِ وَالمُعامَلَةِ الحَسَنَةِ... بَيْدَ أنَّهُمْ رَجعُوا بِقَناعاتٍ عُنْصُرِيَّةٍ جَعَلَتْ بَعْضَهُمْ يُصَوِّرُ العَرَبَ وَكَأَنَّهم «قَومٌ يُمارِسُونَ السَّلْبَ

---

١٠) بـول كـولز - العثمـانيون فِـي أوروبـا - ت : عبـد الـرحمن عبـد الله الـشيخ - الهيئـة المصرية العامة للكتاب – القاهرة- ١٩٩٣- ص ١١٩.

١١) محمد أسد- الإسلام عَلَى مفترق الطريق- نقـلاً عـن : جريـدة الرائـد الهنديـة – ٦ / ١١/ ١٤١٧ هـ .

وَالنَّهْبَ، وَالعَرَبُ «كُفَّارٌ» وَيَنْبَغِي عَدَمُ الثِّقَةِ بِهِمُ، وَهُمُ مُمْتَلِئون كُرْهًا لِلْمَسِيحِيِّين»(١٢). وَيَصِفُ أَحَدُهُمُ الإسْلامَ بِأَنَّ لهُ « تأثِيرًا مُعْدِيًا»(١٣). يَقُولُ الرَّحَّالَةُ « تَشارلز إم. دوتِي» واصِفًا الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ : « أَشْرارٌ وَعَلَى طِباعٍ سَيِّئةٍ وَيَتَعَبَّدُونَ بِدِيانَةٍ شائنَةٍ»(١٤).

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فإِنَّنا نَقْرأُ فِي صَفْحاتِ الماضِي القَرِيبِ : عـدَاءً وَاسْتِعْداءً لا مَثِيلَ لَهُما مِنْ جَانِبِ الصَّهْيُونِيَّةِ العالَمِيَّةِ وَاليَهُودِيَّةِ مَعًا ضِدَّ العَرُوبَةِ وَالإسلامِ...، وَنَقْرَأ تأسِيسًا لِظُلْمٍ مُسْتَمِرٍّ مِنَ الغَرْبِ الاسْتِعْمارِيِّ كُلِّهِ لِلأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ وَتَطْلُعاتِها التَّارِيخِيَّةِ وَحُقُوقِها المَشْرُوعَةِ، وَتَوافُقًا بَيْنَ المَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيِّ وَالاستِعْمارِ الحَدِيثِ. وَمِنَ الْمُؤْسِفِ، أَنْ يُوصَفَ الإِسْلامُ اليَوْمَ مِنَ جانِبِ الصَّهايِنَةِ وَالأَمْرِيكِيِّين- الَّذِينَ يُشَكِّلُونَ خُلاصَةَ الاستِعْمَارِ وَالاسْتِغلالِ الحَدِيثَيْنِ- بِالإرْهابِ!؛ وَلَقَدْ « اتَّسَمَتْ الصُّورَةُ الغَرْبِيَّةُ الحَدِيثَةُ بِالازْدِراءِ الواضِحِ لِلمُسْلِمِينَ، بِاعتِبارِهِمُ شَبَكاتٍ مِنَ التَّنْظِيماتِ الخَطِرَةِ يُغَذِّيها حِقْدٌ عَلَى الحَضارَةِ»(١٥).!

12) Sari J. Nasir, The Arabs and the English,London :Longman, 1976, p. 27.

13) Peter Malcolm holt, Studies in the History of the Near East,London : Frank Cass,1973, p. 76.

14) Zahra Dickson Freeth and H. V. F Winstone, Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era,London; Boston: Allen and Unwin; New York : Holmes and Meier, 1978, p.225.

١٥) محمد عمارة– شهاداتٌ غربية فِي الافتِراء عَلَى الإسـلام- مقـال بمجلة الأزهـر- الجـزء الرابع – السنة (٧٨)- ربيع الآخَر ١٤٢٦هـ- ص:٥٩٩. وانظُر كَذَلِكَ : إدوارد سـعيد – الاستشراق- نقلاً عن: www.u-of-islam.net/asdaa/08/makal5.htm

وَبِمُحاوَلَةِ النَّظَرِ فِي أَوْراقِ أَجْهِزَةِ الْمُخابَراتِ الغَرْبِيَّةِ، وَجَدْنا أَنَّهُ فِي عامِ ١٩٤٦م، قَدْ أُعِدَّتْ دِراسَةٌ سِرِّيَّةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ صَفْحَةٍ، قَدْ تَمَّ إِلْغاءُ تَصْنِيفِها كَوَثِيقَةٍ سِرِّيَّةٍ فِي عامِ ١٩٧٩م، مِنْ قِبَلِ إِدارَةِ الاسْتِخْباراتِ العَسْكَرِيَّةِ التّابِعَةِ لِوَزارَةِ حَرْبِيَّةِ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ. وَمِنَ الْمُثِيرِ لِلاهْتِمامِ أَنَّ الفَصْلَ الخاصَّ بالعالَمِ الإِسْلامِيِّ يَقَعُ فِي إِحْدَى عَشَرَ صَفْحَةً، حَيْثُ يَتَناوَلُ الإِسْلامَ بِاعْتِبارِهِ « تَهْدِيدًا لِلاسْتِقْرارِ العالَمِيِّ» حَيْثُ يَرَى أَنَّ العالَمَ الإِسْلامِيَّ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُعانِيهِ مِنْ مُشْكِلاتِ الفَقْرِ وَالجَهْلِ وَالرُّكُودِ!... بَيْدَ أَنَّهُ مَسْكُونٌ بِـ« مَشاعِرِ عَدَمِ الرِّضا وَالإِحْباطِ، إِلاَّ أَنَّهُ مازالَ حَيًّا واعِيًا بِدُونِيَّتِهِ وَعازِمًا عَلَى تَحْقِيقِ نَوْعٍ ما مِنْ تَحْسِينِ أَوْضاعِهِ»[١٦]. وَيَقُولُ « بِنْ جُورِيُون»[*] : « إِنَّ أَخْشَى ما نَخْشاهُ أَنْ يَظْهَرَ فِي العالَمِ العَرَبِيِّ مُحَمَّدٌ جَدِيدٌ»[١٧]؛ وَيُشِيرُ « هاتُوتو»[**] إِلَى أَنَّهُ « لا يُوجَدُ مَكانٌ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ إِلاَّ وَاجْتازَ الإِسْلامُ حُدُودَهُ وَانْتَشَرَ فِيهِ؛ فَهُوَ الدِّينُ الوَحِيدُ الَّذِي يَمِيلُ النّاسُ إِلَى اعْتِناقِهِ بِشِدَّةٍ تَفُوقُ أَيَّ دَينٍ آخَرٍ. إِنَّ الخَطَرَ لا يَزالُ كامِنًا فِي أَفْكارِ الْمَقْهُورِينَ الَّذِينَ أَتْعَبَتْهُمُ النَّكْباتُ الَّتِي أَنْزَلْناها بِهِمُ، لَكِنَّها لَمْ تُثَبِّطْ مِنْ عَزائِمِهِم »[١٨].

---

16) Military Intelligence Division. war Department, D. C. Islam : Athreat to world stability. Washington, On 26 January 1946, Lt. p.24-35.

(*) أوَّلُ رَئيسٍ لِوُزَراءِ حُكُومَةِ الكَيانِ الصَّهْيُونِي الغاصِبِ فِي فِلَسْطِينِ الْمُحْتَلَّةِ.

١٧) نَقْلاً عَنْ : جريدة الكفاح الإسلامي الفلسطينية- في عددها الصادر في الأسبوع الثاني من شهر نيسان أبريل ١٩٥٥م.

(**) وَزِيرُ خارِجِيَّةِ فِرَنْسا الأَسْبَقُ.

١٨) نَقْلاً عَنْ : محمد البَهِيّ- الفِكْرُ الإِسْلامِيُّ الحَدِيثُ وَصِلَتُهُ بالاستِعمارِ الغَرْبِيِّ- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٨٥م- ص ص ١٨، ١٩.

وَيَقُولُ أحَدُ المَسئولِينَ فِي وَزارَةِ الخارِجيَّةِ الفِرَنْسِيَّةِ عامَ ١٩٥٢م: «إنَّ الخَطَرَ الحَقِيقيَّ الَّذِي يُهدِّدُنا تَهْدِيدًا مُباشِرًا وَعَنِيفا هُوَ: الخَطَرُ الإسْلامِيُّ... فَلْنُعْطِ هَذا العالَمَ ما يَشاءُ، وَلْنُقَوِّ فِي نَفْسِهِ عَدَمَ الرَّغْبةِ فِي الإنْتاجِ الصِّناعِيِّ وَالفَنِّيِّ، فَإذا عَجَزْنا عَنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الخُطَّةِ، وَتَحَرَّرَ العِمْلاقُ مِنْ عُقْدَةِ عَجْزِهِ الفَنِّيِّ وَالصِّناعِيِّ : أصْبَحَ خَطَرَ العالَمِ العَرَبِيِّ وَما وَراءَهُ مِنَ الطّاقاتِ الإسلامِيَّةِ الضَّخْمَةِ : خَطَرًا داهِما يَنْتَهي بِهِ الغَرْبُ، وَيَنْتَهِي مَعَهُ دَوْرُهُ القِيادِيِّ فِي العالَمِ»[١٩].

وَيَتَساءلُ « ألبير مشادو»[*] : « مَنْ يَدْرِي؟ رُبَّما يَعودُ اليوْمُ الذِي تُصْبِحُ فِيهِ بِلادُ الغَرْبِ مُهَدَّدَةً بِالمُسْلِمِينَ.. يَهْبِطُونَ إلَيْها مِنَ السَّماءِ لِغَزْوِ العالَمِ مَرَّةً ثانِيَةً، وَفِي الوَقْتِ المُناسِبِ. »[٢٠]. وَيَقُولُ « لورانس» بِنَبْرَةٍ تَحْرِيضِيَّةٍ خَبِيثَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ مَدَى القَلَقِ تُجاهَ الإسلامِ وَالمُسْلِمِينَ : « إذا اتَّحَدَ المُسْلِمُونَ فِي إمْبراطورِيَّةٍ عَرَبِيةٍ : أمْكَنَ أنْ يصْبِحُوا لَعْنَةً علَى العالَمِ وَخطَرًا أو أمْكَنَ أنْ يُصْبِحُوا أيْضًا نِعْمَةً لَهُ، أمّا إذَا بَقَوا مُتَفَرِّقِينَ، فإنَّهُمُ يَظَلُّونَ حِينَئذٍ بِلا وَزْنٍ وَلا تَأثِيرٍ مُباشر»[٢١].

---

١٩) نَقْلاً عَنْ : سعيد حَوِّي- جُنْدَ الله تَخْطِيطًا- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٨٣- ص٢٢.

(*) وزير المستعمرات الفرنسي عام ١٩٦٢م.

٢٠) نَقْلاً عَنْ : http://www.alseraj.net/ar/s/11/index

٢١) نَقْلاً عَنْ : عبد الله التَّلّ- جذور البلاء- المكتب الإسلامي – بيروت- ١٩٨٧م- ط٢- ص ٢٠٢.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أَنَّهُ فِي عامِ ١٩٦٨م، كَتَبَ «إينوك باول»(*) قائلاً :
«إِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مِنَ الخَبَلِ وَالجُنُونِ أَنْ تَعْتَمِدَ بَرِيطانيا خُطَّةً لاسْتِقْدامِ خَمْسِينَ أَلفًا مِنَ العُمَّالِ الْمُهاجِرِينَ إِلَيْها سَنَوِيًّا» وَقَدْ جاءَ ضِمْنَ اسْتِقْراءَاتِهِ الصّائبَةِ لِنَتائجَ هَذِهِ الخُطَّةِ : أَنَّها سَوْفَ تُسْفِرُ عَنْ بُلُوغِ نِسْبَةِ الْمُهاجِرِينَ مِنْ إجْمالِي عَدَدِ السُّكَّانِ بَرِيطانيا بِحُلُولِ نَهايَةِ القَرْنِ العِشْرِين رَقْمًا يُقارِبُ العَشْرَةَ بِالْمَائةِ. وَمِنْ وُجْهَةِ نَظَرِ « باول»، فَإِنَّ وَاقِعًا كَهَذا : سَوْفَ يُسْفِرُ حَتْمًا عَنْ نِزاعاتٍ اجْتِماعِيَّةٍ جامِحَةٍ تَتَعَذَّرُ إدارتُها وَالسَّيْطَرَةُ عَلَيْها؛ وَسَوْفَ تَكُونُ هَذِهِ ظاهِرَةٌ جَدِيدَةٌ وَغَيْرُ مَسْبُوقَةٍ فِي تارِيخِ الْمُجْتَمَعِ البَرِيطانِيِّ. وَما إنْ قَرأَ اليَمِينُ البَرِيطانِيُّ هَذِه الأَفْكارَ، حَتَّى اتَّخَذَ مِنْها ذَرِيعَةً وَمُسَوِّغًا لِلتَّرْوِيجِ لأَيْديُولُوجِيَّةِ كَراهِيَةِ الأَجانِبِ[٢٢]!. وَلَقَدْ تَصادَفَ ذَلِكَ مَعَ بُرُوزِ ظاهِرَةِ الْمَدِّ الإسلامِيِّ مَطْلَعَ السَّبْعِينِيّاتِ، واهتِمامِ الإعلامِ وَالدَّوائرِ الاستراتِيجِيَّةِ الغَربيَّةِ بِها...! وَبِنَتائجِ حَرْبِ العاشِرِ مِنْ رَمَضان ١٣٩٣هـ/ تشرين أكتوبر ١٩٧٣م، فَضْلاً عَمّا صاحَبَ قِيامَ الثَّورَةِ الثَّوْرَةِ الإيرانِيَّةِ مِنْ تَداعِياتٍ إقْلِيمِيَّةٍ... انْتَشَرَتْ فِي عُمُومِ الغَرْبِ ما سُمِّيَ آنذاكَ بِـ « فوبيا العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ» أُولَئكَ الَّذِينَ يُزْعَمُ أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا إلَى جانِبِ ما يَمْلِكُونَ مِنَ النِّفْطَ- الَّذِي حِينَ حَظَرُوه تَعَرَّضَتْ حَياةُ

(*) سياسي وكاتب بريطاني محافظ مخضرم- تُوفِّيَ ١٩٩٨م.

٢٢) نَقْلاً عَنْ : ويليام فاف- أُورُوبّا وَخَطَرُ الحِجابِ المُهاجِرِ- نَقْلاً عَنْ : www.jeel-libya.com/horizons/articleslist.asp - ٢٠٠٦/١٠/١٩م. يُشار هنا إلى أن النسبة التقريبية المعلنة لعدد المهاجرين الأجانب بين إجمالي السكان البريطانيين لعام ٢٠٠١ هي ١٠ بالمائة بالفعل. إلى ذلك يضاف: إن إجمالي تعداد المهاجرين المسلمين في المجتمع نفسه، تبلغ نسبته ٢,٨ في المائة .

الغَرْبيِّين لِلْخَطَرِ- فإنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الْمُقاتِلِينَ الشِّدادَ الَّذِينَ تَمَكَّنُوا مِنْ إلحاقِ هَزِيمَةٍ ثقيلَةٍ بِدَولَةِ الاحتلالِ الصَّهْيُونِي الغاصِبِ فِي فِلَسْطِينِ الْمُحْتَلَّةِ. ثُمَّ إنَّ العرَبَ كَذَلِكَ، يَمْتَلِكُونَ رَأسَ المالِ الَّذِي يَصِفُهُ الغَرْبِيُّونَ بِأَنَّهُ « هُجومٌ عَرَبِيٌّ عَلَى الغربِ»!!؟.

وَفِي سَنَةَ ١٩٨٣م، أَكَّدَ « ج. ب. ميروتسيل هُوغوز»، فِي كِتابِهِ «عَوَّامَةُ مُحَمَّدٍ»، بنَبْرَةٍ مُخِيفَةٍ، أنَّ الخَلَلَ الدِّيمُغرافِيَّ الَّذِي يَتَقَوَّى فِي الحَوْضِ الْمُتَوَسِّطِ لِفائِدَةِ الضَّفَّةِ الجَنُوبِيَّة، يُمْكِـنُ أنْ يَجْعَلَ نَظَرِيَّةَ عَودَةِ الإِسْلامِ القَوِيَّةِ إلَى أُورُوبّا فِي القَرْنِ القادِمِ شيئًا مُمْكِنًا»(٢٣).

وَالحَقِيقَةُ، أنَّ البِدَايَات الحقيقيَّةَ لِدَوَّامَةِ الخُوَافِ الإِسْلامِيِّ فِي واقِعِنا الْمُعاصِرِ، كانَتْ عِنْدَمَا تَفَرَّدَتْ الرَّأْسِمَالِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ بِمَقالِيدِ السُّخْرَةِ الكَوْنِيَّةِ بَعْدَ انْتِصارٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا بِهَذِهِ « الدِّراماتِيكِيَّةِ»..! وَلَقَدْ كانَ ذَلِكَ إيذانًا بِبُزُوغِ فَجْرِ اللِّيبْرالِيَّةِ الحُـرَّةِ فِي عَالَمٍ جَدِيدٍ خالٍ مِنَ الْمُنافَسَةِ أو الْمُضارَعَةِ وَالنِّدِّيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ؛ الأَمْرُ الَّذِي أَحدَثَ حالَةً مِنَ الفَراغِ العارِضِ فِي مَنْظُومَةِ الأَمْنِ الغَرْبِيِّ بِطَرِيقَةٍ مُرْبِكَةٍ نِسْبِيًّا، وَلاسِيَّما أنَّ طَبِيعَةِ النَّفْسِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ تَتَعامَلُ مَعَ هَذِهِ الحالَةِ بِمَنْطِقٍ يَفْتَرِضُ أنَّ « ما يُثِيرُ الرُّعْبَ : هُوَ ضَخامَةُ كُلِّ حَدَثٍ جَدِيدٍ مَعَ وُجُودِ ضَعْفٍ فِي الصَّدَى الَّذِي يَعْكِسُهُ»؛! وَالحَقِيقَةُ، أنَّ الغَرْبَ وَالصَّهْيُونِيَّةَ العالَمِيَّةُ قَدْ «وَجَدَتَا بُغْيَتَهُما فِي اخْتِراعِ عَدُوٍّ جَدِيدٍ عَلَى حِسابِ الإِسْلامِ

---

٢٣) نقلاً عن : فانسن جيسير- الإسلاموفوبيا الجَدِيدَة- «لاديكوفيرت» - ٢٠٠٣م- ص ٤٦، نقلاً عن: www.almostaqbal.com/Mostaqbale153/Reporter/rep2.htm

وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ فِي عامِ ١٩٩١م، كَتَبَتْ صَحِيفَةُ « واشنطن بوست» أنباءً عَن دِرَاسَةٍ مُسْتَمِرَّة تَعُدُّها وَزارَةُ الدِّفَـاعِ الأمْرِيكِيَّةِ وَالْمُخابَراتِ عَنِ الحاجَةِ إِلَى التَّوافُرِ عَلَى عَدُوٍّ جَدِيدٍ!؛ وَكَانَ الإِسْلامُ فِيما يَبْدُو : هُوَ الْمُرَشَّحَ لِذَلِكَ!. وَمِنْ ثَمَّ، كانَتْ العَدِيدُ مِنَ النَّدْواتِ وَالكِتاباتِ تَدُور حَوْلَ الإِسْلام، وَكَيْفِيَّةِ التَّحْرِيضِ عَلَيْهِ وَإِلصاقِ التُّهَمِ بِهِ(*)!... وَلَقَدْ بَدا الغَرْبُ مِنْ خلالِ دِيباجاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَسِياسِيَّةٍ : مَغْرُورًا وَمُمْتَلِئًا بِوَهْمِ التَّسَيُّدِ الكَونِيِّ الْمُطْلَقِ- وَكَأَنَّهُ غالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ!...

ذَلِكَ، وَلَمْ تُراعَ أَيَّةُ أَبْعادٍ أَخْلاقِيَّةٍ أو اعْتِباراتٍ مَنْهَجِيَّةٍ فِي تَحْلِيلِ وَتَقْيِّيمِ تَجْرِبَةِ الصَّحْوَةِ الإسلامِيَّةِ الْمُعاصِرَةِ، فَقَدْ تَمَّ اخْتِزالها فِي قَوالَبَ مُشَوَّهَةٍ وَنَماذِجَ مُبْتَسَرَةٍ بَعِيـدَةٍ تماما عَنِ الجَوْهَرِ الإسلامِيِّ الحَنِيفِ- وَبِطَرِيقَةٍ مُغْرِقَةٍ فِي السَّطْحِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَسُوءِ الظَنِّ وَخُبْثِ الطَوِيَّةِ... ذلكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ ما يبَرِّرَهُ سوَى الحِقدُ والكَراهِيةِ وَالحساسِيَّةِ الْمُمْتَزِجةُ

(*) وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أنَّهُ مِنْ بَيْنَ مائةٍ وَتِسْعٍ وَسِتِّينَ عَمَلاً إرْهابِيًّا أحْصَتْها « F. B. I» مُنْذُ عـامِ ١٩٨٢م وَحَتَّـى الرُّبُـعَ الأوَّلُ مِـنْ عـامِ ١٩٩٥م، ثَبُـتَ ارْتِكـابُ مُتَطَـرِّفِينَ يَهُـود هُجُومًـا إرْهابِيًّا اسْتُخْدِمَتْ فِيها الأسْلِحَةُ النّارِيَّـةُ وَالْمُتَفَجِّراتُ المَوقُوتَـةُ، بَيْنَمـا نَفَذَّتْ عَناصِرُ عَرَبِيَّـةٌ وَشَـرْقِيَّةٌ ثَـلاثُ هَجْمـاتٌ مُـسَلَّحَةٌ فَقَـطْ، وَارْتَكَبَـتْ جَماعـاتٌ يَمِينِيَّـةٌ مُتَطَرِّفَـةٌ مائـةً وَتِسْعَةً وَعِشْرِينَ عَمَلاً إرْهابِيًّا مُقارَنَةً بِواحِدٍ وَعِشْرِينَ حادِثًا ارْتَكَبَتْها جَماعاتٌ يَسارِيَّةٌ. وَقَدْ كـانَ انْفِجارُ « أوكلاهوما سيتي» فِي ١٩ أبريل ١٩٩٥م : واحِدًا مِنْ أسْوأ الأعْمالِ الإرْهابِيَّةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهـا الوِلايـاتُ الْمُتَّحِـدَةُ- عَلَـى يَـدِ أمْرِيكِـيٍّ- مُخَلِّفًـا مائـةً وَسِتَّةً وَثَمـانِينَ قَتِيلاً وأرْبَعْمائـةَ جَرِيحـًا. وَفِـي إحْصائِيَّةٍ أمْنِيَّـةٍ بَلَغَتْ قِيمَـةُ خَسائِرِ الوِلاياتِ الْمُتَّحَدِةِ مِنَ العَمَلِيّاتِ الإرْهابِيَّةِ عام١٩٩٣م وَحْدَهُ خَمْسِمائةَ وَسِتًّا وَعِشْرِينَ مَلِيونًا وأرْبَعْمائـةَ ألْفِ دُولارٍ، وَسَقَطَ فِيها ألْفٌ وَأَرْبَعْمائةٌ وَخَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ بَيْنَ قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ.

بِالخَوْفِ المَرَضِيِّ منَ الإسلامِ!؟! وَلَقَدْ تَمَّ اْخِتصارُ التَّجْرِبةَ الحضارِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ الفَرِيدَةِ فِي واقِعِ المُسْلِمِينَ المُتَداعِي، الذِي زادَ منْ حدَّةِ إغراءِ الغَرْبِ بِالمُسْلِمِينَ بِطَرِيقةٍ قَطَعتْ علَى الغرْبِ مرَّةً أُخرَى أيَّ أملٍ فِي الاسْتِفادَةِ مِنْ التَّجْرِبَةِ الحَضارِيَّةِ الإسلامِيَّةِ!..

وَلَعَلَّ المُتابعَ لِتَطَوُّراتِ مَوازِينِ القُوَى العالَمِيَّةِ... لَيَلْمَسَ أنَّ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةَ الأمْرِيكِيَّةَ- لَئنْ تَفَوَّقَتْ عَسْكَرِيًّا وَبَدَتْ كَقُوَّةٍ صاعِدَةً فِي القَرْنِ العِشْرِينَ، لَكِنَّها وَرِثَتْ عَنِ الغَرْبِ التَّقْلِيدِيِّ الرُّؤْيَةَ المُشَوَّهَةَ والانْطِباعاتِ الخاطِئةَ وَالشُّعُورِ بِالحَذَرِ مِنَ الإسْلامِ!؟

فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ العالَمَ الغَرْبِيَّ قَدْ التَقَطَ أنْفاسَهُ لأوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ نَهايَةِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ وحَتَّىَ تلاشِي الحَرْبِ البارِدَةِ بِسقُوطِ المَنْظُومَةِ المَارِكْسِيَّةِ فِي شَرْقِ أُورُوبّا وَوَسَط آسيا مَطْلِعَ التِّسْعِينِيّاتِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، حَيْثُ انْتَشَى القادَةُ السِّياسِيُّونَ وَالخُبَراءُ الاسْتِراتِيجِيُّونَ نَشْوَةً لَمْ يَسْبِقْ لَها مَثِيلٌ، وَأعْلَنَ «جُورْجُ بُوش «الآب» عَنْ وِلادَةِ النِّظَامِ الدَّوَلِيِّ الجَدِيدِ؛ وكَما انْتَشَى القادَةُ العَسْكَرِيُّونَ وَالسِّياسِيُّون، كَذَلِكَ « انْتَشَى المُفَكِّرُونَ حِينَ أعْلَنُوا أنَّ الحَضارةَ الغَرْبِيَّةَ هِيَ نَهايَةُ التَّارِيخِ؛وأنَّ كُلَّ حَضارَةٍ أُخْرَى عَلَيْها أنْ تَكْتُبَ بِيَدِها شَهادَةَ وَفاتِها»[٢٤]!؛ وَلَكِنَّ مُجَرَّدَ هَزِيمَةِ المَارِكْسِيَّةِ لَدَى غِيابِ النِّدِّ الحَضَارِيِّ المُعْتَبَرِ عَنْ دائرةِ المُنَافَسَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ لِيَعْكِسَ فِي الحَقِيقَةِ إلاَّ نِصْفَ

---

٢٤) خضير جعفر- نحن وفوكوياما ونهاية التَّاريخ - مَجَلَّة المُجْتَمَع الثَقافِيّ - بيروت – عدد: ١٣١٣- ربيع الآخر ١٤١٩ هـ - ص ٤٥.

مُعَادَلَةِ السُّقُوطِ الماركْسِيِّ أو النُّهُوضِ الرّأسِمالِيِّ اللِّيبْراليِّ... الأَمْـرُ الَّذِي أوْحَى بِبَعْضِ القَلَقِ إزاءَ تِلْكَ القُوَى الَّتِي تَتَدافَعُ خَلْفَ سِتارِ الأَحْدَاثِ... مُحاوِلَةً الإفْصاحَ عَنْ نَفْسِها، وَالإعلانَ عَنْ وُجُودِها بِشَيءٍ مِنَ الثِّقَةِ وَالجَدارَةِ!... وَهُوَ جَعَلَ حالَةَ الانْتِشاءِ هَذِهِ لَمْ تَكُنْ باعِثًا عَلَى الاطْمِئنانِ الرَّاسِخِ!، إذْ سَرعانَ ما تَبَدَّلَتْ بِنَوعٍ مِنَ الوَحْشَةِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ، وَلا سِيَّما حِينَ بَدَت السّاحَةُ الإنْسانِيَّةُ مُقْفِرةً مِنْ الخَصْمِ اللَّدُودِ وَالعَدُوِّ الَّذِي يُحَرِّكُ الخَوْفُ مِنْهُ وَالحَذَرُ حِيالَهُ الإحْساسَ الغَرْبِيَّ الحَقِيقِيَّ بِمَعْنَى الحَياةِ وَبِقِيمَةِ الوُجُودِ...!

حينئذٍ، قُدِّرَ لِتِلْكَ الحالَةِ أنْ تَخْتَلِطَ بِحَالةٍ أُخْرَى مِنَ التَّفَرُّسِ الغَرْبِيِّ عَلَى امْتِـدَادِ السَّاحَةِ الإِنْسَانِيَّةِ لاصْطِيادِ ما يُشْبِعَ غَرِيزَتَهُ العُدوانِيَّةِ وَنَهَمَهُ الشَّرِهِ... ذَلِكَ الَّذِي باتَ- بَعْدَ انْهِيَارِ الشُّيُوعِيَّةِ- غَيْرَ ذِي طاقَةٍ بِالتَّحَكُّمِ فِيهِ وكِتْمانِهِ أو حَتَّى تَرْشِيدِهِ...! الأَمْـرُ الَّذِي تَطَلَّبَ التَّرْوِيجَ وَالدِّعايَةَ الغَرْبِيَّـةَ الْمُكَثَّفَةَ لِفَلْسَفَةِ الصِّراعِ مِنْ خِلالِ الاسْتِفْزازِ وَالإثارَةِ اللاَزِمَةِ لِتَهْيِّيجِ الإحَنِ العَقَدِيَّةِ وَالأحقادِ الحَضارِيَّةِ وَتَحْرِيكِ العَداواتِ بِذَرائعِ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ الَّذِي قَدْ يَصْحَبُ مَعَهُ خَطَرَ المَوْتِ دائمًا، يقول الْمُفَكِّرُ الاسْتِراتِيجِيُّ « صاموئيل. ب هَنْتِينْجِتُون» فِي مَقالَةٍ لَـهُ : « إنَّ عَدَمَ التَّجَانُسِ وَالاخْتِلافِ وَتَعَدُّدَ الثَّقافاتِ وَالانْقِسامَ إلَى أجْناسٍ وأعْراقٍ.. قَدْ يَجْعَل الوَلاياتِ الْمُتَحِدَةَ تَحْتاجُ رُبَّمَا أكْثَرَ مِنْ بِلدانٍ أُخْرَى إلَى طَرَفٍ آخَرٍ

تُعارِضُهُ، لِكَي تَحْتَفِظَ بِوَحْدَتِها»[٢٥]. وَلذَلِكَ، يُؤَكِّدُ « هَنْتِينْجِتُون»، وَبِصراحَةٍ، أَنَّ الحاجَةَ الآنَ : لَيْسَتْ فِي البَحْثِ عَن قُوَّةٍ تَخْدُم الإِغْرَاضِ الَّتِي تَسْعَى إلَيْها أمْرِيكا، وَلَيْسَتْ هُناكَ حاجَةٌ لِلتَّوازُنِ القَدِيمِ بَيْنَ القُدْرَاتِ وَالالْتِزامات- كَما يَقُولُ « وَالتر ليبمان»، إنَّما الحاجَةُ الآنَ مَحْصُورَةٌ فِي البَحْثِ عَنْ مَصَارِفِ لِفائِضِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ الُمتَوَفِّرَةِ الآنَ لَدَى أمْرِيكا».

وَلَقَدْ كانَ منَ الأُمورِ الُمثيرَةِ لِلتَّعَجبِ وَالدَّهشَةِ : أنْ يسْتَدْعَى الإِسْلامُ قَسْرًا وَتَعَسُّفًا إلَى ساحَةِ الأَحدَاث، وَأنْ تُثَارَ منْ حَوْلهِ هَالَةٌ مُتَكَاثِفَةٌ مِنَ التَّرْهِيَبِ وَالتَّخْوِيفِ والتَّفْزِيـعِ وَالتَّرْوِيـعِ!... وَذَلكَ منْ خِلالِ اسْتِحْداثِ نَظَرِيَّةِ العَدُوِّ البَدِيلِ أو الخَطَرِ الأخضَرِ الذِي حلَّ مَحَلَّ الشُّيُوعِيَّةِ الحَمْراءِ- عَلَى حَدِّ قَوْلِ «وِيلي كلاس»(*) وَذَلكَ قُبَيلَ مُغادَرَتهِ سِكَرْتارْيَةِ الحِلْفِ بَعْدَ مُدَّةِ خِبْرَةٍ تَقَلبَ خِلالها فِي مَناصبَ هامةٍ دَاخلَ الحِلْفِ : إنَّهُ « بِانْهِيارِ الاتِّحادِ السُّوفيتِي، وَانْحلالِ حِلفِ وارسو : لَمْ يَعد الشَّرْقُ مَصْدَرَ خَوْفٍ، بَلْ الجَنُوبُ، لأِنَّ الإِسْلامَ أَصْبَحَ يُمَثِّلُ اليَوْمَ الخَطَرَ الرَّئيسَ الَّذِي يُهَدِّدُ الغَرْبَ»[٢٦].

---

٢٥) نقلاً عن: عبد الكريم آل نجف - القَوْمِيّ والعَالَمي فِي حَياةِ أوربا الحَدِيثة - مرجع سابق - www.darislam.com/home/alfekr/data/feker8/14.htm.

(*) أمين عام حِلف شمال الأطلنطي مطلع التِّسْعِينِيّاتِ مِنَ القرن العشرين.

٢٦) نقلاً عن : طه محمد كُسبة – وهل يخاف الغَرْب حَقّاً مِن الإِسْلام ؟ - مقال بجريدة «العَالَم الإسلامي » السعودية – وما تَحْتَ يدي، هُوَ قصاصة مِن الجريدة، و لَيْسَ فِيها رقم العدد وَلا التَّارِيخ.!

وَلَقَدْ كانَتْ إسْتِراتِيجِيَّةُ التَّعامُلِ مَعَ ما اعْتُبِرَ خَطَرًا إسْلامِيًّا، تَتِمُّ بِصُورةٍ نَفْعِيَّةٍ وابْتِزازِيَّةٍ خَبِيثَةٍ...؟! حَيْثُ تَلَخَّصَتْ فِي التَّحَرُّكِ المَبْدَئِيِّ مِنْ خِلالِ دِوَلِ شَمالِ أفْرِيقيا وَإسْرائيلَ لِمُواجَهَةِ ما يُسَمَّى بـ«تأثير الأصولِيَّةِ الإسلامِيَّةِ المُسَبِّبُ لِعَدَمِ الاسْتِقرارِ». تِلْكَ الاسْتِراتشيجِيَّةُ الَّتِي تُعَدُّ جُزءًا مِنْ إسْتِراتِيجِيَّةٍ شامِلَةٍ لِمُواجَهَةِ الإسْلامِ تَحْتَ سِتارِ مُواجَهَةِ «الإرْهابِ»(*) ذَلِكَ الَّذِي اختَلَطَ ظُلْمًا بِمَفْهُومِ «الأُصُولِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ »(**). وَكَثِيرًا ما لُوحِظَ أنَّ البَعْضَ قَدْ أصْبَحَ يَرْبِطُ كَلِمَةَ «الأُصُولِيَّةِ» وَيُفَسِّرُها عَلَى أنَّها الإسْلامُ، مِثْلَما فَعَلَ «وِيلي كلاس»؛ وَأنَّ البَعْضَ يُطْلِقُ مُسَمَّى « الإسْلامِ» وَهُوَ يَقْصِدُ « الأُصُولِيَّةَ» المُقْتَرِنَةَ بـ«العُنْفِ» وَ«التَّطَرُّفِ» وَ«الإرْهابِ»[٢٧].

(*) لَعَلَّ هَذا ما يُفَسِّر أسباب تَعَكُّرِ الأجواءِ وبَثِّ الفِتَنِ والأسافِين بَيْنَ بَعْضِ حُكُوماتِ بلدانِ العالَمِ الإسلامِيِّ ومُؤَسَّساتِ الصَّحْوَةِ الإسلامية الرَّسْمِيَّةِ والشَّعْبِيَّةِ خلالِ تلك الفترةِ بخاصَّةٍ...!

(**) وَالحَقِيقَةُ، أنَّ الأُصُولِيَّةَ وُفْقَ المَفْهُومِ الغَرْبِيِّ : مُصْطَلَحٌ مِنَ المُصْطَلَحاتِ المُعاصِرَةِ الَّتِي شاعَتْ فِي حَياتِنا الفِكْرِيَّةِ لِلإشارَةِ إلَى أبْعادٍ سَلْبِيَّةٍ مِنْ الدَّلالَةِ. وَالمُصْطَلَحُ فِي هَذِهِ الإشارَةِ السَّلْبِيَّةِ أقْرَبُ إلَى التَّرْجَمَةِ الَّتِي قُصِدَ بِها أداءُ مَعْنَى الكَلِمَةِ الإنْكِلِيزِيَّةِ Fundamentalism. وَهُوَ مَعْنَى لا يُفارِقُ دَلالَةَ التَّعَصُّبِ وَالتَّطَرُّفِ وَالتَّقْلِيدِ وَالإتِّباعِ وَالفَهْمِ الجامِدِ لِنُصُوصٍ أُولَى... وَالنَّظَرِ إلَى المَبادِئ الَّتِي صاغَها السّابِقُونَ بِوَصْفِها مَبادِئَ مُطْلَقَةٍ، لا يُمْكِنُ الخُرُوجُ عَلَيْها أو تَعْدِيلِها أو مُراجَعَتِها أو وَضْعِها مَوْضِعَ المُساءلَةِ. وَمِنَ المُهِمِّ جِدًّا الإشارَةُ إلَى أنَّ هَذا التَّعْرِيفَ مُجافٍ تَماما لِحَقِيقَةِ مَفْهُومِ الأُصُولِيَّةِ فِي الفِكْرِ الإسلامِيِّ.

٢٧) فؤاد عبد السلام القارسي- الحقيقة والتَّجَنِّي على الإسلام في إعلان ويلي كلايس- مَقالٌ بجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ١٨ /١٩٩٥/٤م. وَلَعَلَّ المُتابِعَ لِكِتاباتِ وَمَقُولاتِ كُلٍّ مِنَ الرَّئيسُ الأمْرِيكِيُّ الأسْبَقُ « ريتشارد نيكسون»، وَرَئيسَةُ وُزاراءِ بَرِيطانيا السَّابِقَةِ « مارجريت تاتشر»، وكَذا «صمويل. ب. هَنْتِينْجِتُون» أسْتاذُ العُلُومِ السِّياسِيَّةِ في جامِعَةِ هارفارد وَغَيْرِهِم... يَلْمَسُ تِلْكَ المُغالَطاتِ الفاحِشَةَ!...

وَفِي إِثْرِ انْهِيارِ الاتِّحادِ السُّوفْيتِي، أَلَحَّتْ المُؤَسَّساتُ الغَرْبِيَّةِ وَالمُنَظَّماتُ اليَهُودِيَّةِ الدِّوَلِيَّةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى مُواجَهَةِ خَطَرِ الأُصُولِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، باعْتِبارِهِ العَدُوِّ الفِعْلِيِّ المُقْبِلِ الَّذِي يُهَدِّدُ حَضارَةَ الغَرْبِ، وَأَنَّ «إِسْرائيلَ هِيَ الدَّوْلَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي تَعْلَمُ عَنِ الإِرْهابِ الإِسْلامِيِّ ما لا يَعْلَمُهُ غَيْرُها، وَهِيَ الأَقْدَرُ عَلَى التَّعامُلِ مَعَهُ، وَمُواجَهَتِهِ، وَتأمِينِ مَصالِحِ أَمْرِيكا فِيهِ»[28].

وَلَقَدْ بَدا أَمْرُ المُداوَلاتِ الغَرْبِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ غامِضًا وَمُرِيبًا عِنْدَما تَحَوَّلَتْ حَرَكَةُ العَلاقاتِ الدِّوَلِيَّةِ وَتَفاعُلاتُها مِنْ مُجَرَّدِ النَّظْرَةِ الاعْتِيادِيَّةِ لِلإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالمَدْفُوعَةِ بِالكَراهِيَةِ وَالتَّحْقِيرِ وَالازْدِراءِ وَالتَّعْرِيضِ وَالتَّهْوِينِ... إِلَى حَالَةٍ خُوافِيَّةٍ جَدِيدَةٍ نِسْبِيًّا مَمْزُوجَةٍ بِالتَّهْوِيلِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ وَهْمِ « الخَطَرِ الإِسْلامِيِّ...! وَذَلِكَ إِنَّما يأتِيَ «اسْتِجابَةً لِهَدَفٍ اسْتِراتِيجِيٍّ هامٍّ جِدًّا، هُوَ : «إِعادَةُ صِياغَةِ عَلاقاتِ الهَيْمَنَةِ الدِّوَلِيَّةِ عَلَى أُسُسٍ تُعَوِّضُ ذَلِكَ الفَراغَ النّاشِئَ عَنْ انْهِيارِ الاتِّحادِ السُّوفيتِي.. بِحَيْثُ تَنْشَأُ حاجَةٌ جَدِيدَةٌ إِلَى عَدُوٍّ جَدِيدٍ يُبَرِّرُ لِلْغَرْبِ اسْتِمْرارَ سِياساتِهِ العُدْوانِيَّةِ.. وَتَبْقَى تَرْسانَتُهُ الحَرْبِيَّةِ وَالعَسْكَرِيَّةِ فِي حَالَةِ عَمَلٍ دائِبٍ وَنَشاطٍ واسْتِنْفارٍ مُسْتَمِرّ»[29]. وَلَقَدْ تَمَّ- وَفْقًا لِذَلِكَ : صَبُّ الحَالَةَ الإِسْلامِيَّةَ فِي قَوالِبَ مُتَشَيْطِنَةٍ مُخِيفَــةٍ...! وانْبَرَت الدِّعايَةُ الغَرْبِيَّةُ تَقُصُّ عَلَى العَالَمِ مُغَامَراتِ ذَلِكَ العِفْرِيتِ الشِّرِّيرِ، وأَخَذَت جَوْقَةُ الحُواةِ

---

٢٨) عاطف الغمري - أصحاب المصلحة في هذا الإرهاب- مقال بجَريدَةِ الأهرامِ المَصرية- ١٩٩٣/٤/٢٢م- نقلاً عَنْ : أحمد زين- هوليود.. صهاينة يرسمون للأمريكان صورة العرب!!- 2001/09/25- www.islamonline.net

٢٩) طه محمد كُسبة – وهل يخاف الغَرْب حَقّاً مِن الإِسْلام ؟ - مَرْجِعٌ سَابِقٌ – بِتَصَرُّف.

الغَشَّاشِينِ مِنْ مُثَقَّفِي الغَرْبِ وَالصَّهايِنَةِ فِي « العَزْفِ عَلَى وَتَرِ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيبِ لِخَلْقِ أَجْواءٍ مُلائِمَةٍ لِتَبْرِيرِ أيِّ سُلُوكٍ عُدوانِيٍّ يُمْكِنُ أَنْ يُمارِسَهُ الغَرْبُ النَّصْرانِيُّ العَالَمِيُّ! ضِدَّ الإِسْلامِ وَشُعُوبِهِ حِينَ يَكُونُ ذَلِكَ مُناسِبًا لِمصالِحِ الغربِ وَمَطْلُوبًا»!

وَلَعَلَّ مِنْ آخِرِ ما يُرَوَّجُ لَهُ الآنَ فِي أَلمانيا، كِتابٌ يُباعُ فِي الأسواقِ بِسِعْرٍ زَهِيدٍ، عُنوانُهُ «مُساعِدُو هِتْلَر»، حَيثُ يتَّهِمُ مُؤَلِّفهُ الرَّسولَ ﷺ بالعداءِ لِلسَّامِيَّةِ؛ وَيزْعُمُ هذا المُخَرِّفُ أَنَّ «هِتْلَرَ» دَرَسَ التّارِيخَ الإسلامِيَّ، واسْتَفادَ منْ تَجْرِبَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ مَعَ اليَهودِ» وَيذْهَبُ الكِتابُ إِلَى أَنَّ «عُلَماءَ مُسْلِمِينَ قد ساعَدُوا «هِتلرَ فِيما فَعَلَهُ فِي اليَهودِ»!، وَأضافَ المُؤَلِّفُ أَنَّ « هِتلَر كانَ مُسْلِمًا»[٣٠]!!.

وَفِي إشارَةٍ لِتِلْكَ النَّغَمَةِ الأُصُولِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ، الَّتِي باتَتْ تَغْلُبُ عَلَى خِطاباتِ السَّاسَةِ الغَرْبِيِّينَ وَالصَّهايِنَةِ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ... يَقُولُ « بنْيامِين نِتنياهُو» : « ظَلَّ العالَمُ الإسْلامِيُّ خاضِعًا تَمامًا لِلْغَرْبِ بِنُفُوذِهِ الاسْتِعْمارِيِّ وَالحَضارِيِّ.. وَالآنَ تَتبَلْوَرُ صَحْوَةٌ إسْلامِيَّةٌ مُتَعاظِمَةٌ لِقَلْبِ الوَضْعِ بِاسْتِعادَةِ تَفَوُّقِ الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ عَلَى الغَرْبِ حَضارِيًّا». وَيَدْعُو « نِتِنْياهُو » إِلَى ضَرْبِ التَّنْظِيماتِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي وَصَفَها بِـ« الرَّادِيكالِيَّةِ» دُونَ تَرَدُّدٍ وَدُونَ رَحْمَةٍ فِي حَرْبٍ غَرْبِيَّةٍ شامِلَةٍ طَوِيلَةَ المَدَى»[٣١].

---

(٣٠) نَقْلاً عَنْ : صَحِيفَةِ الرّائِدِ الهِنْدِيَّةِ- السنة ٣٩- العدد ٢٣- ٥ صفر ١٤١٩هـ.

(٣١) أحمد عمرابي- مقال بجريدة البيان الإماراتيَّةِ- ٢٠٠١/٩/٢٣م- نقلاً عَنْ: http://www.aljazeera.net

وَمِنَ المُهِمِّ هُنا القَوْلُ بِأَنَّهُ : لَمَّا كانَتْ « الثَّقافَةُ الصَّهْيُونِيَّةُ تَنْطَوِي عَلَى عُقْدَةِ القَلَقِ وَعَدَمِ الأمانِ، جَرّاءَ الإحْساسِ بِالجَوْرِ الَّذِي تَرَتَّبَ عَلى تَنْفِيذُ المَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيُّ فِي أَرْضِ العَرَبِ، أَصْحابِ البِلادِ الأَصْلِيِّينَ»[٣٢]... فَإِنَّ وَسَائِلَ الدِّعايَةِ وَأَدواتِ التَّأْثِيرِ الصَّهْيُونِيَّةَ اسْتَطاعَتْ- عَلَى صَعِيدٍ آخَرَ : أَنْ تَزِيدَ مِنْ ضَغْطِ حالَةِ الخَوْفِ التَّارِيخِيِّ المُلازِمَةِ لِلْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ، بل وَاسْتَطاعَتْ تَكْيِّفَها عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُحَقِّقُ أَقْصَى فائدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ مِنْ هَذا الخَوْفِ!. وَيَخْلُصُ الخُبَرَاءُ فِي هَذا السِّياقِ إلَى حَقِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ، تُفِيدُ بِأَنَّ «عامِلَ التَّوَتُّرِ المُسْتَمِرِّ، الَّذِي يُعْطِي الخَوْفَ مَساحَةً كَبِيرةً فِي الثَّقافَةِ الإسْرائيلِيَّةِ، هو: عامِلُ التَّوْحِيدِ الأساسِيُّ فِي هَذا المُجْتَمَعِ»، ذَلِكَ بِأَنَّ المُجْتَمَعَ « يَبْقَى فِي حالَةِ قَلَقٍ وُجُودِيٍّ!»؛ فالأَيْديُولُوجِيَّةُ الصَّهْيُونِيَّةُ تَقُومُ عَلَى الافْتِعالِ، الَّذِي « اتَّخَذَ مِنَ المَقُولاتِ الدِّينِيَّةِ المُؤَدْلَجَةِ قَوْمِيًّا وَسِيلَةً لِجَذْبِ بَعْضِ الفِئاتِ الَّتِي تَدْعَمُ بَقاءَ المُجْتَمَعِ الصَّهْيُونِيِّ مُتَمَيِّزًا؛ وَلَقَدْ تَحَوَّلَ ذَلِكَ الافْتِعالُ إلَى « ثَقافَةٍ داخِلَ المُجْتَمَعِ الصَّهْيُونِيِّ لا يَبْرَأُ مِنْها أَيُّ طَرَفٍ!... ثَقافَةٍ تَحْفِزُ بِاسْتِمرارٍ لِلبَحْثِ عَنْ حالَةِ اسْتِفزازٍ، تَلِيها حالَةُ اسْتِنْفارٍ عُدْوانِيَّةٍ، تَدَّعِي الدِّفاعَ عَنِ النَّفْسِ»[٣٣].

---

٣٢) وليد أبو بكر في مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجَمَةِ كِتابٍ مِنْ إعْدادِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ خُبَراءِ الصَّهايِنَةِ بِعُنْوانِ : العودة إلى الصحراء- ترجمة : محمد حمزة غنايم- مركز أوغاريت للنشر والترجمة- القدس- ٢٠٠٤- ص ٧.

٣٣) وليد أبو بكر في مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجَمَةِ كِتابٍ مِنْ إعْدادِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ الخُبَراءِ الصَّهايِنَةِ بِعُنْوانِ: العودة إلى الصحراء- نَقْلاً عَنْ : المرجع السّابق- ص ٧.

وَبَعْدَ مَسْرَحِيَّةِ الحادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُول(*)، تُجْرِي الإدارَةُ الأمْرِيكِيةُ الصَّهْيُونِيَّةُ- بِدَعْمٍ غالِبِيَّةِ مَجْلِسَي النُّوابِ وَالشُّيُوخِ وَمُعْظَمِ المُؤَسَّساتِ فِي حُدُودِ العالَمِ الغَرْبِيِّ تَقْرِيبًا بِدَرَجاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ- حَمْلاتٍ لِلتَّثْقِيفِ السِّياسِيِّ المُوَجَّهِ حَوْلَ فَلْسَفَةِ الحَرْبِ عَلَى الإرْهابِ مِنْ خِلالِ تَصْوِيرِ الإسْلامِ ذاتِهِ كَدِيانَةٍ وَثَقافَةٍ وَحضارَةٍ مصْدَرُها مشْتَمِلاً عَلَى العُنْفِ وَالإرهابِ وَشَعائِرِ الكَراهِيَّةِ...؟! فَبِمُناسَبَةِ الذِّكْرَى الأُولَى لِتَفْجِيراتِ سبْتِمْبِر ٢٠٠١م، أبْدَتْ الحُكُومَةُ الأمْرِيكِيَّةُ حِرْصًا مِنْ خِلالِ قَنَواتها عَلَى بثِّ لَقْطاتٍ تَشْهِيرِيَّةٍ تُفِيدُ بِأنَّ «حُرِّيَّةَ المَسِيحِيِّينَ مُهَدَّدَةٌ حَتَّى فِي أمْرِيكا ذاتها مِنْ قِبَلِ مُتَطَرِّفِينَ مُسْلِمِينَ»!.

(*) لِتِلْكَ المَسْرَحِيَّةُ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ لا مَجال هُنا لِذِكْرِها، وَلكِنَّ الناقِدَ البَصِيرَ يُدْرِكُ الخَدِيعَةَ كَمًّا وَنَوعًا بالنَّظَرِ إلَى تأثير الإرهاب الإعلامي الواسع والناشط باسم محاربة الإرهاب، والذي يهدف إلَى تعطيل - أو التأثير عَلَى - تعقل الأمور، ومن ثم: الاندفاع خلف عاطفة غوغائية غير متزنة وقائمة عَلَى حجب الحقائق لتصب فِي تحقيق أهداف معدة سلفاً... ونحن حين نقوم بذَلِكَ، لا نقوم به من منطلق عاطفة الدفاع عن إسلاميين بحق أو بباطل بقدر ما نقوم به بحثاً عن حقيقة قَدْ تغيب وسط التراشق الإعلامي والألاعيب السياسية. فَإنَّ أيَّ مُنْصِفٍ وَمُتابِعٍ لِلأحداثِ ولَتسريبات وَسائِلِ الإعلامِ الَّتِي جاءت عَلَى شَكْلِ سَيْلٍ مِنَ الأخْبارِ والمَعْلُوماتِ: يُدْرِكُ أنَّ الغُمُوضَ يَكْتَنِفُ كَثِيراً مِنْ جَوانِبِ هَذِهِ الحَوادِثِ، وَيُدْرِكُ أيضًا أنَّ لائحَةَ الاشْتِباهِ والأدَلَّةِ الَّتِي قُدِّمَتْ عَلَى تَوَرُّطِ الجِهَةِ الَّتِي حَدَّدَتْها السُّلْطاتُ الأمريكية.. إنَّما هِي أدَلَّةٌ - مِن الناحية القضائية العدلية - من الدرجة الثالثة يستطيع أي محام تحت التدريب أن يفندها بسهولة؛ فهي فِي حقيقتها لَيْسَتْ أدلة للإثبات بقدر ما هي أدلة للإقناع.. إقناع الرأي العام الأمريكي أولاً، والعالمي ثانياً.. بخطر الإسلام (الأصولي) عَلَى المدنية والحضارة(لِمَزِيدٍ مِنَ المعلوماتِ. (حَولَ قِصَّةِ الحادِي عَشَرِ مِنْ سِبْتَمْبرِ – راجع عَلَى سَبِيلِ المِثالِ : خالد محمد حامد- الإسلام فوبيا والعدالة الأمريكية- .http://islamselect.com/conts/new1/6_1425/21_30/3506.htm

عِنْدِ هَذِهِ الصُّورَةِ الخُـوَافِيَّةِ الاخْتِزَالِيَّةِ المَغْلُوطَةِ، أُخِذَتْ التَّدابِيرُ المُلائِمَةُ لاسْتِيلادِ ذَلِكَ الخَطَـرِ الجَديدِ القَدِيم، وَبِمُرورِ الوَقْتِ أَصْبَحَ الخَوْفُ مِنَ الإسْلامِ لازِمةً يَوْمِيّةً، وفَرَضِيَّةً مَقْبولةً فِي الأَوْساطِ الغَرْبِيَّةِ، بَيْدَ أنَّ فِكْرةَ الخَوْفِ هَذِهِ لم تُولَدْ مِنْ عَدَمٍ، وَلَمْ تَأتِ مِنْ فَراغٍ؛ فَقَدْ بَدأ التَّحْذيرُ بِصُورَةٍ مُنْتَظمَةٍ فِي الأَوْساطِ السِّياسِيَّةِ وَالإعْلامِيَّةِ الغَرْبِيَّة... مُنْذُ بَدَتْ تُحَلِّقُ فِي آفاقِ هَذَا الكَوْنِ بَشائِرُ تَيَّارَاتِ الصحوة الإِسْلامِيَّة مُنْذُ مَطْلِعَ السَّبْعِينِيّات مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، وَأَصْبَحَتْ مَحِلَّ دِراسَةِ مُؤَسَّساتٍ وَمَراكِزَ بَحْثِيَّةٍ وَمَراصِدَ عالَمِيَّةٍ وَإِقْلِيمِيَّةٍ... بَلْ أَصْبَحَتْ وَجْبَةً شَهِيَّةً عَلَى مائدَةِ العَلاقاتِ الدِّوَلِيَّةِ!؟

عَـوْدٌ عَلَى بِـدءٍ :

إنَّ « الغَرْبَ مَهْما بَلَغَ مِنَ القُوَّةِ وَالجَبَرُوتِ، سَتَبْقَى عُقْدَةُ الخَوْفِ مُسَيْطِرةً عَلَيْهِ لِتَبْرِيرِ سُلُوكِيّاتِ التَّوَتُّرِ وَالعُنْفِ وَالحُرُوبِ بِذَرِيعَةِ مُلاحَقَةِ الأعْداءِ فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكان...! وَمَهْما فَعَلَ الغَرْبُ وَتَجَبَّرَ واحْتَكَرَ مَصادِرَ رِزْقِ الشُّعُوبِ، فإنَّهُ سَيَبْقَى كَيانًا خائِفًا ومُخِيفًا...! خائفًا لأنَّ عُقْدَةَ الذَّنْبِ « حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ بِوُجُودِها، فإنَّها تُلاحِقُهُ وَتُسَيْطِرُ عَلَيْهِ وتَسُدّ أمامَهُ طُرُقَ الانفتاحِ وَالتَّفاهُم وَالتَّعاطِي مَعَ الآخَرِ وكَسْبِ ثِقَتِهِ...! أمّا فالآخرُ فَقَدْ يَخافُ الغَرْبَ، بَيْدَ أنَّه لا يَحْتَرِمَهُ مَهْما تَشَدَّقَ بِالدِّيمُوقْراطِيَّةِ وَحُقُوقِ الإنسانِ وَنَشْرِ مَبادِئِ العَدالَةِ وَما إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَخَفٍ وَهُراءٍ وافْتِراء»[٣٤].

٣٤) وليد نويهض- تبديل الأقنعة– مقال بمجلة الوسط اللندنية – ٢٠٠٤/٦/٣٠م - بتصَرُّف.

وَفِي الواقِعِ، أَنَّنا إذا نَظَرنا إلَى المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ، وَجْدناه يَنْقَسِمُ تُجاهَ قَضِيَّةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» إلَى فَرِيقَينِ، الأولُ : مُؤَسَّساتٌ استراتِيجِيَّةٌ تُحَضِّرُ لِـ «الإِسْلامُ فُوبْيا» وَتُنْتِجُه وَتُسَوِّقُهُ...! وَالفريقُ الثَّانِي : يَسْتَهْلِكُ «الإِسْلامُ فُوبْيا» فَيَسْتَهْلِكَهُ «الإِسْلامُ فُوبْيا»...! بِحَيْثُ تَحْصُلُ حالَةٌ مِنَ التَّكَيُّفِ وَالتَّعايُشِ مَعَ هَذا المَرَضِ الخَبِيثِ وَهَكذا يَبْدُو لنَا أنَّ الغَرْبَ أَمَّةٌ تَعْرِفُ كيف تَعِيشُ رُعْبًا مَنْهَجِيًّا مُنَظَّمًا يَمْنَحُها الأَمْنَ وَالسُّلْطَةَ وَالسِّيادَةَ وَالثَّرْوَةَ...!

وَهَكَذا، فإنَّ الخَوْفَ مِنَ الإِسْلامِ لَيْسَ تِرْتِيبًا غَرْبِيًّا مَبْنِيًّا عَلَى فُرُوضٍ تارِيخِيَّةٍ وَهْمِيَّةٍ فَحَسْبُ، وَلَيْسَ حتَّى «تكتيكًا» مَرْحَلِيًّا كَرَدِّ فِعْلٍ لأَزْمَةٍ سِياسَيَّةٍ أو اقْتِصادِيَّةٍ أو اجْتِماعِيَّةٍ أو أَيْدُيُولُوجِيَّةٍ سَواءً مَعَ العالَمِ الإسلامِيِّ أو غَيْرِهِ أو حَتَّى داخِلَ المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ ذاتِهِ... بِقَدْرِ ما هُوَ عَرَضٌ مَرَضِيٌّ خَبِيث.. قَدْ شاءَ اللهُ ﷻ أنْ يَطْفَحَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الصّارِخَةِ فِي سِياقِ إرْهاصاتِ التَّداعِي الحَضارِيِّ العَرَبِي وَالإِسْلامِيِّ المُعاصِرِ...! فَكانَ الجَوُّ مُناسِبًا لِدَفْعِ شَحْنَةِ هَذا الشُّعُورِ الخُوافِيِّ تُجاهَ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ بِكُلِّ قُوَّة!... ولكنَّ هَذِهِ الحَقائِقَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ تَوافُرِ جُمْلَةٍ مِنَ الأَسْبابِ المَوضُوعِيَّةِ الَّتِي كَرَّسَتْ مِنْ تلك الحالَةِ المَرَضِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ...! نَذْكُرُها تالِيًا بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى!.



أبيض

الفصل الثَّـانِي

التَّخْوِيف الغَرْبِيّ مِنَ الإسلامِ

مَحـــــاوِر ... وَتَرتِيبـــــــات

فِي الَغْربِ القَدِيمِ كانَ كافِيًا أنْ يَخْتَلِطَ بِالخَوْفِ وَالتَّوَجُّسِ قَلِيلٌ مِنَ الغَيرَةِ وَالحِقْدِ وَالحَسَدِ... لِتَخْلِيقِ مُعْطَياتِ الصِّراعِ مَعَ الآخَرِ المُخِيفِ دَفْعًا لِضَرَرٍ واقِعٍ أو دَرْءًا لِخَطَرٍ مُتَوَقَّعٍ!... فَفِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ يُمَثِّلُ « الخَوْفُ المُتَبادَلُ- الَّذِي هُوَ السِّمَةُ المُمَيِّزَةُ لِحالَةِ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ: الوَسِيلَةَ الَّتِي تَدْفَعُ النّاسَ لِتَلافِي هَذِهِ الحالَةِ»(٣٥)؛ وَمِنْ ثَمَّ، إذا « شاعَ الحَذَرُ بَيْنَ جانِبَيْنِ فَيُؤَدِّي بَيْنَ الآوِنَةِ وَالأُخْرَى إلَى انْدِلاعِ الحَرْبِ بَيْنَهُما»(٣٦)؛ وَمِمَّا يَنْبَغِي ألاَّ يُنْسَ فِي هَذا السِّياقِ أنَّ فَلْسَفَةَ الصِّراعِ الَّتِي شَيَّدَها فَلاسِفَةُ الغَرْبِ وَمُفَكِّرُوهُ مُنْذُ العُصُورِ القَدِيمَةِ... تِلْكَ الفَلْسَفَةُ لَمْ تَزَلْ تُلْقِي بِظِلالِها عَلَى كُلِّ جِيلٍ وَرَعِيلٍ غَرْبِيٍّ مُنْذُئِذٍ : كانَتْ قائمَةً عَلَى الخَوْفِ وَالحَيْطَةِ وَالحَذَرِ مِنَ الآخَرِ بِصُورَةٍ مُلْفِتَةٍ وَمُبالَغٌ فِيها!...

وَلَعَلَّنا مِنْ مُجَرَّدِ اسْتِقراءِ الواقِعِ العالَمِيِّ... نُدْرِكُ كَيْفَ تَمَّتْ مَسْرَحَةُ هَذِهِ القَضِيَّةِ وإخْراجُها إعْلامِيًّا وَفَنِّيًّا وَسِياسِيًّا واقْتِصادِيًّا وعَسْكَرِيًّا.. وَذَلِكَ مِنْ

---

35) Leo Strauss : The Political Philosophy of Hobbes p 104 Eng. Trans.by Elsa, M. Sinclair.

٣٦) س. م . بُورا- التِّجْرِبَةُ اليونانيةُ- ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٨٩م- سلسلة الألْفِ كِتاب الثاني (٦٧)- ص ٢٧٧.

خِلالِ أدوارٍ مُوَزَّعَـةٍ بِشَكْلٍ لا يَدَعُ مَجالاً لِوجُـودِ هَذا الآخَرِ، سَواءً عَلَى مَسْرَحِ الأَحْداثِ أو فِي وَعْي وَإدْراكِ الجَماهِيرِ إلاَّ بِصُورَةٍ سَلْبِيَّةٍ.. تَخْدِمُ صانِعَ القَرارَ «المُخْرِج» الغَرْبِيّ الَّذِي لا تُحَرِّكهُ سِوَى المَصْلَحَةُ، المَصْلَحَةُ وَحَسْبُ.!!

وَهَذا بِدَوْرِهِ قَدْ يَدْفَعُ بِصانِعِ القَرارِ الغَرْبِيِّ إلَى الاعْتِمادِ فِي السِّياقِ العامِّ لِسِلُوكِهِ الحَضارِيّ عَلَى مَبْدأ ازْدِواجِيَّةِ المَعايِيـرِ وقَلْبِ المَوازِينِ وَتَبْدِيلِ المَقاساتِ.. وَهَنْدَسَةِ التُّهَمِ وَالمُشْكِلاتِ...!

وَلَقَدْ أصْبَحَتْ تَرْتِيباتُ الأجِنْدَةِ الغَرْبِيَّةِ مَبْنِيَّةً عَلَى اْفتِراضاتٍ صِناعَةِ الوَهْمِ وَصِياغَةِ الخَوفِ بِصُورَةٍ مَرَضِيَّةٍ فَرِيدَةٍ!... وَلَقَدْ كانَ لابُدَّ لِمِثْلِ هَذِهِ الحالَةِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ تَبْرِيرٍ يَحْفَظُ لِتَمَثِّلِ الخَوْفِ ذاتَهُ مِنَ السُّقُوطِ، وَيَدْفَعَهُ دَفْعًا لِلمُواجَهَةِ تَأمِينًا لِلذَّاتِ مِنَ الخَوْفِ والخَطَرِ... حَتَّى لَقَدْ أصْبَحَتْ الدِّبْلُوماسِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ مَعَ الخارِجِ مُرادِفةً نِسْبِيًّا لِتَحْرِيرِ العالَمِ الغَرْبِيِّ مِنْ الخُوافِ الإسْلامِيِّ « القاعِدِيِّ»!. وَالذِي بِسَبَبِهِ : يُمْكِنُ تَجاوُزُ أيَّةِ اعْتِباراتٍ قانُونِيَّةٍ أو أخْلاقِيَّةٍ أو إنْسانِيَّةٍ!... حَيْثُ كانَتْ الحَرْبُ ضِدَّ المُسْلِمِينَ تُصَوَّرُ فِي المُخَيِّلَةِ الغَرْبِيَّةِ وَكَأنَّها حَرْبٌ « ضِدَّ الظَّلامِ قَصْدَ إشاعَةِ الأنْوارِ» [٣٧]!. وَالحَقِيقَةُ، أَنَّ صِيَاغَةَ مُسَلْسَلِ الصِّراعِ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ وَفْقَ النَّمُوذَجِ الذَّرائعِيِّ، تَدْعَمُ تِلْكَ القَناعاتِ القاطِعَةِ بِوُجُودِ قُوًى فِكْرِيَّةٍ فاعِلَةٍ تَنْفُخُ فِي نِيرانِ الفِتْنَةِ عَلَى أوْسَعِ نِطاقٍ مِنَ العالَمِ الغَرْبِيِّ!...

---

37) W. Montgomery Watt ،L'influence de l'Islam sur l'Europe medievale ،Ed. Librairie orientaliste Paul Genthner, 1974, Paris ،p. 97.

وَبِصِفَةٍ عامَّةٍ، اعْتادَ الْمُفَكِّرُونَ السِّياسِيُّونَ فِي الغَرْبِ دَقَّ ناقُوسِ الخَطَرِ «كُلَّما ازْدادَتْ مَخاوِفُهُمُ مِنْ مُجَرَّدِ بِزُوغِ قُوىً جَدِيدَةٍ تُنافِسُها، لِيُبَرِّرُوا لأَنْفُسِهِم وشُعُوبِهِم أعمالاً تَتَنافَى مَعَ الْمُعْلَنِ مِنْ مَنْظُومَةِ أَخْلاقِيّاتِ وقِيَمِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ نَفْسِهِ»[٣٨]. لَكِنَّ فَيْلَسُوفَ الحَرْبِ الأَكْبَرِ «جورج كينان» يَسْتَبْطِنُ أَحَدِ مُرْتَكَزاتِ تِلْكَ المَنْظُومَةِ فَيَقُولُ : « لَنْ يَكُونَ بَعِيدًا ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي نَضطَّرُ فِيهِ لِلتَّعامُلِ بِمَنْطِقِ القُوَّةِ بَعِيدًا عَنْ رَفْعِ الشِّعاراتِ...»؛ إنَّ مِثْلَ هَذا التَّفْكِيرِ : هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ أَمْرِيكا تَخُوضُ حُرُوبًا استِباقِيّةً وَهُجوماتٍ وَقائِيَّةً أو إجْهاضِيَّةً فِي أيِّ مَكانٍ فِي العالَمِ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ يُشَكِّلُ مَوْئلاً أو مَخْبأً أو مَمَرًّا لِخَطَرٍ ما رُبَّما يَسْتَهْدِفُ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةَ»[٣٩].

فَحَيْثُما لاحَ وَهْمُ الخَوْفُ الْمُسْتَحْكِمِ مِمَّا يَعْتَبِرَهُ الغربُ «تَهْدِيداتٍ إرْهابِيَّةً» فَإِنَّهُ « يُؤَدِّي إِلَى تَحَوُّلٍ عَمِيقٍ فِى السِّياسَةِ الخارِجِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَتَرْتِيباتِها العَسْكَرِيَّةِ..»[٤٠]. وَلَعَلَّنا نُلاحِظُ أَنَّ دِوَلَ حِلْفِ النَّاتُو مُنْذُ مُنْتَصَفِ التَّسْعِينِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ الماضِي، وَهِيَ تُقِيمُ فَعالِيّاتِها السِّياسِيَّةِ وَنَشاطَاتِها الإِسْتراتِيجِيَّةِ وَسْطَ أَجْواءٍ غالِبًا ما تَصِفَها بِـ « إجْراءاتٍ أَمْنِيَّةٍ اسْتِثْنائيَّةِ»، وَقَدْ

---

٣٨) انظر نشرة « المنتدى » - عمان - كانون الأَوَّل ١٩٩٣- ص ١٣. نقلاً عن : www.alwelayah.net/maktabah/book/khomaini/003/2.htm

٣٩) بسام العلي- الهيمنة تحت المجهر- نقلاً عن:
www.rassid.com/newsite/?action=showMaqal&mid=1919 - ٢٠٠٥/٢/١٢.

٤٠) والدن بللو- العسكرة والحرب .. هَلْ تنفصم عرى حلف الاطلنطى؟!- ترجمة : احمد زكى- نقلاً عَنْ: www.kefaya.org/znet/020915Bello.htm- سبتمبر ٢٠٠٢- بتصرُّفٍ يسيرٍ جدًّا.

بُحِثَتْ جملةٌ مِنَ القَضايا السّاخِنَةِ فِي إطارِ ما تَدَّعِيهِ مِنْ مَخاوِفَ مُسَيْطِرَةٍ عَلَيْها...؟! ويُرَجَّحُ أنْ تكون مَخاوِفُ هَذِهِ الدِّوَلِ نَفْسِيَّةً مَحْضَةً- كَتَعْبِيرٍ عَنْ عُقْدَةِ المُجْرِمِ الَّذِي ارتكَبَ جَرِيمَتَهُ وَيُرِيدُ تَغْطِيَتَها، وَيَشْعُرُ دائمًا أَنَّ الكُلَّ يَعْرِفُ ويَعْلَمُ الجَرِيمَةَ وَفاعِلَها، وَيَنْتَظِرُ اللَّحْظَةَ المُناسِبَةَ لإلقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ وَمُحاكَمَتِهِ...! كما يُلاحَظُ أنَّ الدِّوَلَ الأطْلَسِيَّةَ لَيْسَتْ بَعِيدةً- فِي سلُوكِها السِّياسِيِّ الخارِجِيِّ- عَنْ حالةِ الاضطِّرابِ الدّاخِلِيِّ وَالقَلَقِ الدّائِمِ وَالتَّوَتُّرِ المَشْحُونِ بِمَشاعِرِ الحَساسِيَّةِ الخَبِيثَةِ الَّتِي يُبْدِيها ذَلِكَ المُجرِمُ تجاهَ ضحِيَّتِهِ بِكُلِّ الوَسائلِ.... فالتَّصَرُّفاتُ مُتَشابِهَةٌ لأنَّ الأسْبابَ مُتَشَابِهَةٌ!...

وَلَيْسَ بِخافٍ أنَّ غايَةَ ما يُمْكِنُ أنْ تُؤَدِّيَ إلَيْهِ عَقِيدَةُ الخَوْفِ : هُوَ شَنُّ الحَرْبِ، وَإشْعالِ فَتِيلِ الصِّراعاتِ، وَمُمارَسَةُ الابْتِزازِ الحَضارِيِّ بِحَقِّ الآخَرِ الحَضارِيِّ غَيْرِ الغَرْبِيِّ!... حَيْثُ إنَّ الإنْسَانَ حِينَ يُرِيدَ الحَرْبَ، فَإِنَّ ذكاءَهُ المُعاقِ ومَكْرَهُ السَّيِّئ ومَنْطِقَ الحُـواةِ يَتَطَلَّبُ الحِرْصَ عَلَى التَّظاهُرِ بِالسَّلامِ لِبَعْضِ الوَقْتِ،! ثُمَّ الشُّرُوعِ فِي التَّعْرِيضِ بِالخَصْمِ واسْتِفْزازِهِ واسْتِدراجِهِ لِمَنْطِقَةِ الخَطأ... ثُمَّ يَبْدَأ بِلَمْزِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُحِبًّا لِلسَّلامِ أو حَرِيصًا عَلَيْهِ..! وَلا يُبْدِيَ أيَّ تَفَهُّمٍ لِلحُوارِ وَالتَّعايُشِ ضِمْنَ أُكْذُوبَةِ ما يُسَمَّى بـ« المُجْتَمَعِ الدِّوَلِيِّ»!(*) وَهَذِهِ هِيَ بالحَرْبِ الدِّعائيَّةِ، الَّتِي قَدْ تَنْتَهِي عَمَلِيًّا إمَّا بِتَسْوِيَةٍ مُجْحِفَةٍ مُفَخَّخَةٍ فَتَنْتَهِي بِحَرْبٍ، وإمّا بِحَرْبٍ اسْتِباقِيَّةٍ وَقائِيَّةٍ بِزَعْمِ خَشْيَةِ

(*) وَهَذا ما حَدَثَ مَعَ العِراق، وَما يُرَتَّبَ الآنَ مع السودانِ وَالصُّومالِ وَإيرانَ وَسُورِيَّةَ....!

«الغَدْرِ» وَمَخافَةِ« العُدْوان المُبَاغِت» مِنَ الآخَرِ غَيْرِ المَعْلُومِ عَلَى وَجْهِ اليَقِينِ، وَالَّذِي غالِبًا ما يَكُونَ عَرَبِيًّا أو مُسْلِمًا.!

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ، تَتَعَرَّضُ المُجْتَمَعَاتُ الغَرْبِيَّةُ لاجْتِياحاتِ تَيّاراتٍ مُتَضَارِبَةٍ.. « تؤدي بِهَا عَنْ وَعْيٍ أو عَنْ غَيْرِ وَعْيٍ إِلَى تَصْدِيقِ تَحْلِيلاتٍ مَشْكُوكٍ فِيها أَحْيَانًا حَوْلَ الهِجْرَةِ بِصِفَـةٍ عَامَّةٍ، وَحَوْلَ السُكَّانِ ذَوِي الثَّقافَةِ المُسْلِمَةِ بِصِفَـةٍ خَاصَّةٍ. وَتَمِيلُ مَقَاصِدُ بُحُوثِهِمُ نَحْوَ الهَاجِسِ الأَمْنِيِّ، وَبَدَلاً مِنْ تَرْشِيدِ الانْفِعالاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَتَصْوِيبِها يُسَارِعُونَ إِلَى بِنائها وَتَوْجِيهِها»[٤١].

وَفِي سِياقِ الاعْتِقادِ السَّائِدِ لَدَى فَلاسِفَةِ الغَرْبِ المُعَاصِرِين، وَما تَرْفَدَهُ مَقُـولاتُهُم مِنْ أَنَّ : تَقَدُّمَ أو صعودَ إِحْدَى الحَضارَتَيْنِ- الغَرْبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ، إِنَّما هُوَ مَشْرُوطٌ بِتَراجُعِ الأُخْرَى أو سُقُوطِها وَإِزالَتِها...! وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَطأِ المُعْطَيَـاتِ المَعْلُوماتِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ حِينَ تَخْتَزِلَ كُلَّ ما لَدَيْها عَنِ الإِسْلامِ مِنْ أَفْكارٍ ومَعارِفَ فِي سُلُوكِ بَعْضِ المُنْحَرِفِينَ مِنَ المُنْتَسِبِين إِلَيْهِ، فَإِنَّها تَسْتَخْدِمُ كَافَّةَ الوَسائِلِ لِلنَّيْلِ مِنَ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ابْتِداء، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ صِياغَةِ كُلِّ ما هُوَ إِسْلامِيٍّ عَبْرَ المَقالاتِ وَالدِّراساتِ وَالأَبْحاثِ وَالتَّحْقِيقاتِ الصُّحَفِيَّةِ صِياغَةً كُلّها انْفِعال يَطْفَحُ بِالحِقْدِ وَالكَراهِيَةِ الشَّدِيدَةِ..! ومُرُورًا بِالحَمْلاتِ الإِعْلامِيَّةِ المُغْرِضَةِ كُلَّما جَدَّتْ بَعْضُ الظَّـوَاهِرِ وَالحَوادِثِ الَّتِي تَجْرِي فِي إطارِ

---

٤١) فانسن جيسير - الإسلاموفوبيا الجَديدَة – مَرْجِعٌ سَابِقٌ – نقلاً عن :
www.almostaqbal.com/Mostaqbale153/Reporter/rep2.htm

ما يُمارِسَهُ بَعْضٌ مِنَ المُنْتَسِبين إلَى الإِسْلامِ...! وانْتِهاءً بِالتَّشْوِيهِ المُنَظَّمِ عَبْرَ مُؤَسَّساتِ الإنْتاجِ الإعْلامِيِّ وَالسِّينِمائِيِّ العَالَمِيَّة؛!

وَالمُلاحَظُ، أنَّ هُناكَ إصْرارًا عَجِيبًا- مِنْ جانِبِ غالِبِيَّةِ السّاسَةِ وَالمُفَكِّرِينَ وَالكُتَّابِ وَالصُّحُفِيِّينَ وَرِجالِ الكَنِيسَةِ... عَلَى تَعْمِيقِ القَناعاتِ الغَرْبِيَّةِ بِأنَّ الإسْلامَ دِينُ تَطَرُّفٍ وَعُنْفٍ وَإرْهابٍ.. دِينٌ غَيْرُ قادِرٍ عَلَى التَّلاقِي وَالتَّعايُشِ وَالتَّسامُحِ وَالحُوارِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الافْتِراءَاتِ الَّتِي أعانَهُمْ عَلَيْها قَوْمٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنا مَعَ كُلِّ أسَفٍ وَمَرارَةٍ !...

وَلِكَي يَتَسَنَّى تَكْرِيسُ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ وَتَضْخِيمِهِ وَتَعْمِيمِهِ.. كانَ لِزامًا عَلَى المَعْنِيِّينَ بِإدارَةِ « الإسْلامِ فُوبيا» شَنُّ حَمْلاتٍ دِعائِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ وَمُسْتَمِـرَّةٍ عَلَى مَحاوِرِ مُحِيطِ التَّفاعُلِ الإنْسَانِيِّ كَافَّةِ...! فَنَحْنُ بِصَدَدِ عَصْرٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ فِي تَوْظِيفِهِ كَافَّةِ المُمْكِناتِ المَادِّيَّةِ وَالأدَبِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّة وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَغَيْرِها.. لإعلاءِ وَتِيرةِ التَّوَجُّسِ وَالتَّرَقُّبِ وَالخَوْفِ مِنَ الإسلامِ بِصُورَةٍ لا تُراعِي قِيمًا وَلا اخْلاقًا وَلا اعْرافًا وَلا قَوانِينَ وَلا أيَّ شَيْءٍ يَقِفُ عائِقًا أمامَ الجَرَّافَةِ الحَضارِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ المَنْزُوعَةِ « فَرامِلُها» وَهِيَ فِي طَرِيقِها لإزالَةِ مَا يُسَمَّى « الخَطَرُ الإسلامِيُّ» بِكَافَّةِ الوسائل وَالأساليب!... وَفِيما يَلِي نَعْرِضُ لِهَذِهِ المَحاوِرِ والوَسائلِ وَالأسالِيـب :

أولاً : الكَنِيسَةُ الغَرْبِيَّـةُ... كَراهِيَةٌ مَورُوثَةٌ وَتَشْوِيهٌ حَقُودٌ لا يَنْتَهِي

غَيْرُ خافٍ عَلَى كُلِّ مُتَحَسّسٍ أبعادَ العَلاقَةِ التّارِيخِيَّةِ بَيْنَ الغربِ وَالإسلامِ... أنَّ هَذِهِ العَلاقَةَ قَدْ خَضَعَتْ بِطَبِيعَتِها لِمُؤَثِّراتِ الوَعْي الدِّينِيِّ

المُوَجَّهِ عَلَى صَعِيدَي المُجْتَمَعِ وَالحُكُومَةِ لَدَى الطَّرَفَيْنِ كِلَيْهِما، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَدَى التَّبايُنِ فِي مُؤَشِّراتِ هَذا الوَعْيِ أو مِصْداقِيَّةِ مُحْتَواهُ...؟! بَيْدَ أنَّ حِقْبَةَ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ بِأَحْداثِها المُرَوِّعَةِ وَالمُمْتَدَّةِ إلَى ما يَزِيدُ عَلَى قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمانِ: قَدْ كَشَفَتْ بِوُضُوحٍ عَنْ زَيْفِ ذَلِكَ الوَعْيِ الغَرْبِيِّ بِالآخَرِ الإسْلامِيِّ إلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي كانَ يَعْتَبِرُ المُسْلِمِينَ كُفَّارًا وَمُعادُونَ لِلْنَّصْرانِيَّةِ وَلِلمَسِيحِ...!! وَلَقَدْ كانَ ذَلِكَ بِمَثابَةِ إرْثٍ كَرِيهٍ لَمْ يُقْدَرْ لِلأجْيالِ الغَرْبِيَّةِ التّالِيَةِ أنْ تَتَفادَى تأثِيراتِهِ الضَّارَّةِ وَعَواقِبَهُ الوَخِيمَةِ حَتَّى يَوْمِنا هَذا.!

وَالحَقِيقَةُ، أنَّ أُورُوبّا لَمْ تَشْعُرْ عَلَى امْتِدادِ تارِيخِها الطَّوِيلِ بِأَيَّةِ تَحَدِّياتٍ حَضارِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ تَقْرِيبًا سِوَى مِنْ جانِبِ الإسْلامِ خِلالَ بِضْعِ مُناسَباتٍ مُعَيَّنَةٍ(*) : كانَتْ وَلَمْ تَزَلْ عالِقَةً فِي المُخَيِّلَةِ الغَربِيَّةِ المَنْقُوعَةِ فِي الأوْهامِ بِصُورَةٍ مُعَقَّدَةٍ جِدًّا!؛ بَيْدَ أنَّه لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَحْمِلُ عَلَى خُصُومَةِ الإسْلامِ ومُعاداتِهِ مِنْ دَوافِعَ مَنْطِقِيَّةٍ أو مُبَرِّراتٍ مَوْضُوعِيَّةٍ...! وَمِنْ ثَمَّ، كانَ الجَهْلُ بِالإسْلامِ وَبِرسالَةِ المَسِيحِ عليه السلام إلَى جانبِ العصَبِيَّةِ الرُّومانِيةِ وَقَبَلِيَّتَها الهَمَجِيةِ المَورُوثَةِ... فَضْلاً عَنْ حِقْدِ البابَواتِ الأعَمَى... قَدْ حالَ دُونَ تَوافُرِ فُرَصٍ حَقِيقِيَّةٍ لِلتَّلاقِي وَالتَّفاهُمِ وَالحُوارِ والمُجادَلَةِ بالَّتِي هِيَ أحْسَن، بَلْ اصْطَنَعَ ذَلِكَ الجَهْلُ لَدَى غالِبِيَّةِ الغَرْبِيِّين : أنْماطا مَعْرِفِيَّةً شَوْهاءَ وَخَيالاتٍ مَكْذُوبَةً مُشْبَعَةً بِرَوْحِ الرَّفْضِ الأعْمَى لِلإسْلامِ وَحَضارَتِهِ..! حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ

(*) يأتي فَتْحُ الشامِ (٢٠هـ/ ٦٢٢م) وَمِصرَ (٢١هـ/ ٦٢٣م). ثُمَّ فَتْحُ شبه الجزيرة الأيبيرية (بلاد الأندلس ٩٢هـ/ ٧١١م). ثُمَّ موقِعَةِ « ملاذ كرد» (٤٦٤هـ/١٠٧١م). ثُمَّ فتحُ القُسطَنطينية (٨٥٦هـ/ ١٤٥٣م).. بِمَثابَةِ علاماتٍ فارِقَةٍ فِي الذاكِرَةِ الغربية دائمًا.

ذَلِكَ الجَهْلُ الغَرْبِيِّ فِي أحايِينَ عَدِيدَةٍ حَدَّ « تَصْوِيرِ الأَسْبانِ سِيدَنا مُحَمَّدٍ ﷺ بِاعْتِبارِهِ المَسِيخَ الدَّجّالِ»[٤٢].!

وَلَقَدْ أَبْدَتْ المُؤَسَّساتُ الكَنَسِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ تَخَوُّفًا غَيْرَ مُبَرَّرٍ مِنَ الإسْلامِ...؟! وَسَواءً أكانَ هَذا الخَوْفُ حَقِيقِيًّا أَمْ مُتَصَوَّرًا، فَقَدْ رأتْ فِيهِ «تَهْدِيدًا كَبيرًا وَدِينًا مُنافِسًا لَهَا وَلِلْيَهُودِيَّةِ. بَلْ كانَ الإسلامُ بالنِّسْبَةِ لَهُمُ صَدْمَةٍ»[٤٣]. وَيَكْشِفُ المُفَكِّرُ الفِرَنْسِيُّ « بِرنار سيشير» عَنْ أَحَدِ الأَسْرارِ التَّارِيخِيَّةِ لِـ« الإسلامِ فُوبيا» فَيَقُول فِي مَقالِهِ حَولَ « الحِجابُ.. العَرَبُ.. وَنَحْنُ» : « إِنَّهَا أَعْراضُ « بُواتِيه» المَرَضِيَّةِ! إذا كانَ العَرَبُ قَدْ بَهَرُوا ذاكِرَتَنا القَدِيمَةِ وَأَرْبَكُوها، فَذَلِكَ لأَنَّهُمْ كُشُفُوا عَنْ قُدْرَتِهِمْ عَلَى ابْتِكارِ الحَضارَةِ الأَكْثَرِ أَلقاً وَغِنًى، عِنْدَما كُنَّا لا نَزالُ فِي طَوْرِ التَّخَلُّفِ، وَقَدْ لَعِبَتِ الكَنِيسَةُ فِي إطارِ هذا الكَبْتِ الكَبِيرِ دَوْرًا لا تُحْسَدُ عَلَيْهِ»[٤٤].

وَبِغَضِّ النَّظَرِ عَمّا يُثارُ حَوْلَ الخَلْفِيَّاتِ العَقائِدِيَّةِ لِلحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ مِنْ جَدَلٍ وَشُكُوكٍ غَرْبِيَّةٍ وَعالَمانِيَّةٍ[❖❖]... يُمْكِنُنا أَنْ نُقَرِّرَ بِأَنَّ هَذِهِ الحروبَ قَدْ

---

٤٢) هشام جعيط - أوروبا والإسلام - نقلاً عن : أبو بكر باقادر - الإسلام والغرب - مجلة مستقبل العالم الإسلامى- مَرجعٌ سابق- ص ١٢٨.

٤٣) حِلْمِي خَضْر سارِي- صُورَةُ العَرَبِ فِي الصُّحافَةِ البَرِيطانِيَّةِ- مَرجعٌ سابق- ص٥٨.

٤٤) نقلاً : عماد الدين خليل- المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي- ص ١٢- نقْلاً عَنْ: www.ala7rar.net/navigator.php?pname=topic&tid=597&PHPSESSID=c32bdea13ce46bf66a75179b0de89c32.

(❖❖) هُناكَ مَنْ يُفَسِّر الحروبَ الصَّلِيبِيَّةَ تفسيرًا اقتِصادِيًّا لِلخُرُوجِ مِنْ تَحْتِ طائِلَةِ الفَقْرِ المُحْدِقِ بِأُورِبّا... أو عالَمانِيًّا للانْعِتاقِ مِنْ أسرِ العُصُورِ الكَنَسِيَّةِ المُظْلِمَةِ فِي أُورُبّا... أو أنَّها كانَتْ

اكتَسَبَت زَخْمَها واسْتَكْمَلَتْ عُنْفُوانَها، بَلْ واسْتَلْهَمَت تَوَجُّهاتِها مِنْ وَحْيِ وَإلْهامِ وَتَحْرِيضِ الكَنِيسَةِ، الَّتِي كانَتْ حَرِيصَةً عَلَى تَشْوِيهِ الإسْلامِ وَتَفْخِيخِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ بِبَثِّ إشاراتِ الخَوفِ وَالرُّعْبِ مِنَ الإسْلامِ وَرَسُولِهِ ﷺ كُلَّما لاحَتْ الفُرْصَةُ!؛ فَفِي عَشِيَّةِ الحَمْلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ الثَّالِثَةِ (٥٨٤هـ/ ١١٨٩م): اسْتَنْهَضَ قادَةُ الكَنِيسَةِ هِمَمَ الشُّعُوبِ الأُورُوبِيَّةِ بِتَصْوِيرِ تِمْثالٍ لِلمَسِيحِ وَهُوَ مَذبُوحٌ بِسِكِّينِ «مُحَمَّد»!!!(*).

وَلَقَدْ بَلَغَ حَدُّ التَّعَصُّبِ بِبَعْضِ البابَواتِ فَوَصَفُوا الإسْلامَ فِي مَراسِيمِهِم بِأنَّهُ طاعُونُ The plague of islam؛! وَأنَّ العَرَبَ وَالمُسْلِمِينَ هُمُ « الوَباءُ المُوجِعُ، وَالشَّعْبُ الهائِجُ، الَّذِي عُرِفَ بالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالتَّخْرِيبِ»(٤٥). وَهَكَذا، اقْتَضَتْ مصالِحُ البابواتِ وَالأُمَراءِ وَغَيرِهِمُ مِنْ أصْحابِ الغاياتِ الدِّينِيَّةِ المَحْدُودَةِ وَذَوِي النَّظْراتِ الفِئَوِيَّةِ القاصِرَةِ : تأطِيرَ الإسْلامِ فِي فَزَّاعاتٍ أو خُوَّافاتٍ حَضارِيَّةٍ وَأيْدُيُولُوجِيَّةٍ وَثَقافِيَّةٍ وَاجْتِماعِيَّةٍ وَسِياسِيَّةٍ وَاقْتِصادِيَّةٍ...! ذَلِكَ، وَلَمْ تكُنْ طُمُوحاتُ أصْحابِ المَصالِحِ بِأكثَرِ وَلا أقَلّ مِنْ تحقيقِ المَجْدِ الشَّخْصِيِّ وَالعَرَضِ الدُّنْيَوِيِّ دُونَ أيَّةِ اعْتِباراتٍ خالِصَةٍ لِوَجْهِ اللهِ

مُحاوَلَةٍ للخروجِ بأُرُوبّا مِنْ حالَةِ الشِّقاقِ السِّياسِيِّ والدِّينِيِّ الَّتِي كانَتْ تَعُمّ الغربَ بأسرِهِ...إلخ.!

(*) وهَكذا قامَتْ أُورُبّا وَلَمْ تَقْعُدْ لِمُجَرَّدِ انِ افْتَعَلَ أيضًا رَسَّامٌ غَرْبِيٌّ هَذِهِ الزَّوبَعَةِ أو الأزْمَةِ الفَنِّيَّةِ وَرَوَّجَتْ هَذِهِ الصُّوَرُ عَلَى أوسَعِ نِطاقٍ فِي أُورُوبّا... ما كانَ أحَدُ المُقَوِّماتِ أو الأسْلِحَةِ الدَّعائيَّةِ لِشَنِّ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ....!

٤٥) نقلاً عن : محمد عمارة – شهاداتٌ غربية فِي الافتِراء عَلَى الإسلام- مقال بمجلة الأزهر- الجزء الرابع – السنة (٧٨)- ربيع الآخر ١٤٢٦هـ- ص:٥٩٩.

ﷻ وَلا وَفاءً لِلْمَسِيحِ ﵇...!؛ وَبِمُرُورِ الوَقْتِ، تَحَوَّلَتْ تِلكَ الطُّمُوحاتُ مِنْ مُجَرَّدِ هَوىً مُسْتَحْكِمٍ بِعَقليَّةِ أُولِي الإدارَةِ وَالتَّدْبِيرِ الدِّينِيّ وَالسِّياسِيِّ الغَرْبِيِّ.. إلَى دِيانَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ بِذاتِها عَنِ الكَهَنُوتِ النَّصْرانِيِّ!.

وَفِي مُحَاوَلَةٍ لِرَصدِ مَنْ يَقِفُ وَراءَ تأجِيجِ هذِهِ الرُّوحِ العَدائيةِ لِلإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، تَقُولُ المُفَكِّرَةُ الشَّهِيدَةُ الإسبانِيَّةُ « صَبُورَةُ أورِيبَة»: «قَدْ أعْلَنَ الدَّسَّاسُونَ مِنَ الغَرْبِيِّينَ المُتَلاعِبُونَ بِالضَّمائِرِ عَداوَتَهُم لِلإسْلامِ، لأنَّهُ يَنْزِعُ أَقْنَعَتَهُم، وَيُقاوِمُ شَعْوَذَتَهُمُ الخادِعَةِ»[٤٦]. وَيُضِيفُ السِّيناتُورُ الأمْرِيكِيِّ « بُول فِنْدِلِي» : « هُناكَ الكَثِيرُ مِنْ رِجالِ الدِّينِ النَّصْرانِيِّ فِي أمْرِيكا يَقُومُونَ بِتَشْوِيهِ صوُرَةِ الإِسلامِ!... وَالحَقِيقةُ، أَنَّ الإِسْلامَ لَيْسَ خَطَرًا عَلَى النَّصْرانِيَّةِ أو الحَضَـارِةِ الغَرْبِيَّةِ، وَلَكِنَّ كُتّابًا غَيْرَ مُسْلِمِينَ هُم الَّذِينَ شَوَّهُوا صُورَتَهُ فِي الغَرْبِ»[٤٧].

وَلَنَتَأمَّلْ ما يَقُولَهُ المُنَصِّرُ « لورانس براون» : « لقد وَجْدنا أنَّ الخَطَرَ الحَقِيقِيَّ علينا مَوجُودٌ فِي الإسْلامِ، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَالإخضاعِ وَفِي حَيَوِيَّتِهِ المُدْهِشَةِ.. إذا اتَّحَدَ المُسْلِمُونَ فِي إمْبراطُورِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ، أمْكَنَ أنْ يُصْبِحوا لَعْنَةً عَلَى العالَمِ وخَطَرًا أو أمْكَنَ أنْ يُصْبِحُوا أيْضًا نِعْمةً له. أمَّا إذا بَقُوا مُتَفَرِّقِينَ، فإنَّهُمْ يَظَلُّونَ حِينَئذٍ بِلا وَزْنٍ وَلا تَأثِيرٍ»، ويقول «ألبر مشادور»:

---

٤٦) عبد القادر طاش– أمريكا والإسلام- كتاب الشَّرْق الأوسط- منشورات : الشرِكَةِ السعودِيَّةِ للأبحاثِ والتَّسويقِ- السعودِيَّة- ١٩٩٤م- ص٨٢.

٤٧) مِن كتابه : لا سكوت بعد اليوم – نقلاً عن : مَجَلَّة الفيصل – السعودية - العدد ٢٩١ – ٢٠٠٠م.

«مَنْ يدري ربما يعود اليوم الَّذِي تصبح فِيهِ بلادُ الغَرْبِ مُهَدَّدَةً بِالْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ يَهْبِطُونَ إِلَيْها مِنَ السَّماءِ لِغَزْوِ العالَمِ مَرّةً ثانِيَةٍ، وَفِي الوَقْتِ الْمُناسِبِ» . وَيَقُولُ «مُورُو بِيرجر»: « إنَّ الخَطَرَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي يُهَدِّدُنا مُباشِرًا وَعَنِيفًا : هُوَ الخَطَرُ الإِسْلامِيّ؛ فالْمُسْلِمُونَ عالَمٌ مُسْتَقِلٌّ كُلَّ الاسْتِقلالِ عَنْ عَالَمِنا الغَرْبِيّ، فَهُمْ يَمْلِكُونَ تُراثَهُمُ الرُّوحِيّ الخاصّ بِهِم، وَيَتَمَتَّعُونَ بِحَضارَةٍ تارِيخِيَّةٍ ذاتَ أصالَةٍ... فَهُمْ جَدِيرُونَ أنْ يُقِيمُوا قَواعِدَ عالَمٍ جَدِيدٍ دُونَ حاجَةٍ إِلَى إذابَةِ شَخْصِيَّتِهِمُ الحَضارِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ فِي الحَضارَةِ الغَرْبِيَّةِ. إنَّ الإسلامَ يُفْزِعُنا عِنْدَما نَراهُ يَنْتَشِرُ بِيسُرٍ فِي القارَّةِ الإفْرِيقِيَّةِ»[٤٨].

وَلَقَدْ وَصَفَ اللورد« كيري»[*] الثَّقافَةَ السِّياسِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ بِأَنَّها «ثَقافَةُ تَسَلُّطٍ لا تَتَمَتَّعُ بِالْمُرونةِ»، وَيُضِيفُ « كِيرِي» مُدَلِّلاً عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: إنَّ بَعْضَ الأنظِمَةِ الاسْتِبْدادِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ عَبْرَ مِنْطَقَتَي الشَّرْقِ الأوْسَطِ وَشَمال أفْرِيقيا : قِياداتٌ رَسَّخَتْ جُذُورَها فِي الحُكْمِ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ بِقوَّةِ السِّلاحِ.. وَأَنَّها تَتَمَسّك بِالسُّلطَةِ مِنْ خِلالِ إنفاقِ مَبالِغِ مالِيَةٍ ضَخْمَةٍ عَلَى القُوّاتِ الأمْنِيَّةِ..»[٤٩]!

وَالعَجِيبُ، أنْ يُقالَ هَذا الكَلامُ فِي وَقْتٍ تَئِنُّ فِيهِ قارَّةُ إفْرِيقيا مِنْ وَطْأةِ الجُوعِ والفَقْرِ والجَفافِ وَالأمْراضِ الفَتّاكَةِ- وَفِي مُقَدِّمَتِها الإيْدز، وَمِنَ الجَهْلِ

---

٤٨) نقلاً عن : موقع مركز أبحاث فقيه للمعاملات الإسلامية: www.kantakji.com

(*) كبير أساقفة كانتربري- الكنيسة الأنجليكانية سابقا.

٤٩) نقلاً عن: news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3570000/3570323.stm- 26/٣/ ٢٠٠٤.

وَالأُمِّيَةِ الدِّينِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ وَمِنَ الوَثَنِيَّةِ... بَلْ يُقالُ هَذا الكَلامُ فِي حِينَ مشنَ الدَّهْرِ قَدْ أَتَى عَلَى الكَنِيسَةِ الغَرْبِيَّةِ وَهِيَ مُحَمَّلَةٌ بِأوزارِ الشِّرْكِ وَالتَّحَلُّلِ الخُلُقِيِّ وَالتَّراجُعِ الحَضارِيِّ... بَلْ لا تَلْوِي عَلَى شَيءٍ يُمْكِنُ أَنْ تُقَدِّمَهُ لأَهْلِ هَذِهِ القارَّةِ المَنْكُوبَةِ سِوَى التَّعَصُّبِ وَالكَراهِيَةِ والفِتَنِ وَالحُرُوبِ... المُهِمُّ الاَّ يَدْخُلَها دَينُ التَّوحِيدِ وَلا تُظَلِّلَها حَضارةُ الإسْلامِ وَثَقافَتُه!... بِلْ إِنَّكَ لَتَجِدُ مَنْ يَخْضَعُ لِلتَّغْرِيبِ أو التَّنْصِيرِ فِي أَفْرِيقيا- لا يَتَعَلَّمُ مِنَ النَّصْرانِيَّةِ إلاَّ كَراهِيَةِ الإسْلامِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِهِ... إِنَّها وَجْباتُ الكَراهِيَةِ الجاهِزَةِ حَتَّى مَعَ أَشَدِّ النَّاسِ أُمِّيَّةً وَتَخَلُّفًا وَانْحِطاطًا... فَأَوَّلُ ما يَتَعَلَّمُهُ هَذَا الإفْرِيقِيُّ البَسِيطُ السَّاذَجُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّصْرانِيَّةَ- إنْ تَعَلَّمْها : هُوَ أَنَّ الإسلامَ دِينٌ شِرِّيرٌ، وَأَنَّ رَسُولَهُ لا يُحِبُّ المَسِيحَ... باعْتِبارِهِما نَقِيضانِ وَعَدُوَّانِ لا يَلْتَقِانِ أَبَدًا إلاَّ فِي ساحاتِ الحُرُوبِ!... وَحَوْلَ الإسْلامِ : يُنْسَى كُلُّ حَدِيثٍ عَنِ « المَحَبَّةِ» وَ« التَّسامُحِ وَ« السَّلامِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُفْرَداتِ دَجَّالِي الكَنِيسَةِ الغَرْبِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُون بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمُ المُفْعَمَةِ بِالحِقْدِ الدِّينِيِّ غَيْرِ المُبَرَّرِ أَخْلاقِيًّا وَلا مَوضُوعِيًّا وَلاسِيَّما حِينَ يَكُونَ الحَدِيثُ حَوْلَ الإسْلامِ عَلَى الأَقَلِّ!...

وَلَعَلَّ مِثْلَ هَذا النِّزُوعِ الدِّينِيِّ الجامِحِ الأَحْمَقِ : هُوَ الَّذِي أَجَّجَ نارَ الحِقْدِ فِي قُلوبِ مَنْ يُناصِبونَنا العِداءَ لأَسْباب تافِهَةٍ وَغَيْرِ مَشْرُوعَةٍ وَلا مَعْقولَةٍ...! فِفِي مُحاوَلَةٍ لإذْكاءِ نارِ العَداوَةِ الأوروبية ضِدَّ المُسْلِمِينَ، يُرَكِّزُ الصَّلِيبِيُّونَ الجُدُدُ عَلَى إِثارَةِ النَّزَعاتِ الدِّينِيَّةِ المَكْذوبَةِ فِي نُفوسِ الأُورُوبِّيِّين تُجاهَ الإسلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ لإضفاء الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ عَلَى مُجْرَياتِ الصِّراعِ فِي

البَلْقانِ!... وَحَتَّى يَتَسَنَّى لِتلك الذِّئابِ المُتَوَحِّشَةِ استلهامُ المَدَدِ الكَنَسِيّ واستدرارُ خَزائِنِهِ، لِلحَيْلُولَةِ دونَ إبطاءِ المَسِيرِ نَحْوَ إبادَةِ المُسْلِمِينَ وَاسْتِئصالِ شَأفَتِهِم مِنْ قَلْبِ أُورُوبّا!؛ فَفِي مَعْرِضِ تَعْلِيقِهِ عَلَى الظّاهِرَةِ الإسلامِيَّةِ فِي ألمانيا، يَقُولُ « جُوهانس نيومان»(*) : « إنَّ رَبْطَ الدَّوْلَةِ الألْمانِيَّةِ بِالدِّيانَةِ المَسِيحِيَّةِ عَمِيقٌ فِي عِظامِنا، فَكُلُّ الدِّياناتُ الأُخْرَى تُعْتَبَرُ مُعادِيَةً»(٥٠).

وَفِي مُحاضَرَةٍ ألقاها أمام مَجْمَعِ أساقِفَةٍ فِي الفاتِيكانِ حَوْلَ مسْتَقْبَلِ أُورُوبّا، حَذَّرَ « جُوزيبي برنارديني»(**) مِنْ مَخاطِرِ ما أَسْماهُ « فَتْحًا إسْلامِيًّا جَدِيدًا لأُورُوبّا». وَعَدَّدَ المَراحِلَ التَّمْهِيدِيَّةَ لِهَذا الفَتْحِ بِقَوْلِهِ «إنَّ العالَمَ الإسْلامِيَّ سَبَقَ وأنْ بَدأ باسِطًا سَيْطَرَتِهِ بِفَضْلِ دُولاراتِ النِّفْط.. إنَّ هَذِهِ الدُّولاراتِ لا تُسْتَخْدَمَ لِخَلْقِ فُرَصِ عَمَلٍ فِي الدِّولِ الفَقِيرَةِ فِي أفْرِيقيا الشَّمالِيَّةِ أو فِي الشَّرْقِ الأوْسَطِ، بَلْ لِبناءِ مَساجِدَ ومَراكِزَ ثقافية للمُسْلِمِينَ المُهاجِرِين إلَى دُوَلٍ نَصْرانِيَّةٍ بِما فِي ذَلِكَ رُوما عاصِمَةُ النَّصْرانِيَّة »؛ وَأضافَ : « إنَّ الجَمِيعَ يَعْرِفُ أنَّه يَجِبُ التَّمْيِّزُ بَيْنَ الأقَلِيَّةِ المُتَعَصِّبَةِ وَالعَنِيفَةِ وَالأكثرِيَّةِ الهادِئَةِ وَالمُعْتَدِلَةِ، لَكِنْ عَلَيْنا إلاَّ نَنْسَ بِأنَّ الأكثرِيَّةَ هَذِهِ سَتَقِفُ وَقْفَةَ الرَّجُلِ الواحِدِ وَسَتَسْتَجِيبُ دونَ تَرَدُّدٍ لأوامِرَ بِسْمِ اللهِ أو القُرآنِ»(٥١).

(*) بروفيسور فِي قوانِين الكَنائس بجامِعَةِ مانْهيم الألمانية.

٥٠) مَجَلَّةُ الـ « نيوز ويك » الأمريكية- فِي ٢٠/١/٢٠٠٤م.

(**) أسقف أزمير الكاثوليكي بتركيا.

٥١) جريدة الشعب المصرية – ٢٢/ ١٠/١٩٩٩.

وَفِي سِياقِ حَمْلَتِهِ المُنَظَّمَةِ وَالدَّؤوبَةِ لِلتَّخْويفِ منَ النَّبيِّ ﷺ وَمنَ الإسْلامِ، يَقُولُ رَجُلُ الدِّينِ الصَّهْيُونَصْرانِيُّ الأَشْهَرُ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ « بات روبرتسون» : « كُلُّ ما عَلَيْكَ هُوَ : أنْ تَقَرَأ ما كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ فِي القُرآنِ، إنَّهُ كانَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى قَتْلِ المُشْرِكِين»(٥٢). وَقَدْ أَدْلَى « فَرانْكِلِين جَراهام» بِتَصْرِيحاتٍ إعْلامِيَّةٍ قالَ فِيها « إنَّ الإرْهابَ جُزْءٌ مِنَ التَّيّارِ العامِّ لِلإسْلامِ، وَأنَّ القُرآنَ يَحُضُّ عَلَى العُنْفِ؛!! وَلَقَدْ رَفضَ «جرهام» الاعْتِذارِ عَنْ تَصْرِيحاتٍ أدْلَى بِها بَعْدَ حَوادِثَ أَيْلُول ٢٠٠١م، وَصَفَ فِيها الإسْلامَ بِأَنَّهُ « دِينٌ شِرِّيرٌ»(٥٣)؛ وَفِي كِتابِهِ الجَدِيدِ «The name»، يَقُولُ «جراهام»: «الإسْلام، أَسَّسَ بِواسِطَةِ فَرْدٍ بَشَرِيٍّ مُقاتِلٍ يُسَمَّى مُحَمدًا، وَفِي تَعالِيمِهِ تَرَى تَكْتِيكَ نَشْرِ الإسْلامِ منْ خلالِ التَّوَسعِ العَسكَرِيِّ، وَمِنْ خِلالِ العُنْفِ إذا كانَ ضَرُورِيا، منَ الواضحِ أنَّ هدَفَ الإسلامِ النَّهائِيّ، هُوَ: السَّيْطَرَةُ عَلَى العالَمِ»(٥٤).

هَذا، قَدْ صَرَّحَ مُؤَخَّرًا القَسُّ الأمْرِيكِيُّ «جيري فولويل» فِي حَدِيثِهِ المُتَلْفَزِ ذائعِ الصَّيْتِ : بِأَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا «إرهابيٌّ».! وَقَدْ تَجَاوَزَ «فالويل» كُلَّ حُدُودِ اللِّياقَةِ وَالذَّوْقِ وَالأدَبِ- وَالإيمانِ الَّذِي يدَّعِيه زُورًا وَبُهتانًا وَكَذِبًا

---

٥٢) مِنْ خِلالِ برنامج هانتي وكولمز Hannity and Colmess فِي قناة فوكس الإخبارية Fox Newss- حلقة الخامس مِن آب أغسطس ٢٠٠٢م.

٥٣) انظر: جريس هالسيل - النبوءة والسياسة - الناشر للطباعة – بيروت – ١٩٩٠م – ط:٣ - ص ٥٦ وما بعدها).

٥٤) انظُر: جريس هالسيل- النبوءة والسياسة – المرجع السابق- ص٧١.

وَدَجلاً وَقاحَةً... وَذَلِكَ حِينَ وَصَفَ الرَّسولَ الكَرِيمَ ﷺ بِأَنَّ «لَهُ عَيْنَيْنِ زَائِغَتَيْنِ وَمُتَطَرِّف.. وَأَنَّهُ قَاتِلٌ»؛! ثُمَّ يَعُودُ لِوَقاحَتِهِ وَسَفالَتِهِ فَيَقولُ : «مُحَمَّدٌ رَجُلٌ عَنِيفٌ، وَرَجُلُ حَرْبٍ، بَيْنَمَا المَسِيحِ ضَرَبَ المَثَلَ لِلْحُبِّ، و كَذَلِكَ مُوسَى. مُحَمَّدٌ يَضْرِبُ مِثالاً مُضَادًا»[٥٥].!

وَالحَقِيقَةُ، أَنَّ هَذِهِ نَغَمَةٌ كَنَسِيَّةٌ مُعتادَةٌ فِي الأَوْساطِ الدِّينِيَّةِ بِكَافَّةِ مَذاهِبِها... وَنَحْنُ إِنَّما نُحَمِّلُ الكَنِيسَةَ الغَرْبِيَّةَ مَسْئولِيَّةَ هَذا الهَوَسِ الأَهْوَجِ وَتِلْكَ الجَهالَةِ الحاقِدَةِ الآثِمَةِ الَّتِي تَنْسالُ فِي مُتَوالِيَةٍ هُجُومِيَّةٍ رَعْناءَ بِهَدَفِ إِغْراقِ العالَمِ الغَرْبِيِّ فِي مُسْتَنْقَعاتِ التَّعَصُّبِ الأَعْمَى ما يَقُودُ إِلَى حالَةٍ مِنَ الانْسِدادِ فِي مُجْرَياتِ الحَياةِ الإنسانِيَّةِ وَتَعَثُّرِ مَساراتِها التَّنْمَوِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ لِتَعُودَ الكَنِيسَةُ بِالمُجْتَمعاتِ الغَرْبِيَّةِ سِيرَتَها القُرُوسْطَيَّةِ الأُولَى- وَما فِيها مِنَ التَّخَلُّفِ وَالظَّلامِيَّةِ والاسْتِغْلاقِ الحَضارِيِّ المُشِينِ!... وَلِذَلِكَ فَإِنَّنا نُحَذِّرُ أُورُوبا وَالغَرْبَ مِنْ مَغَبَّةِ الانْسِياقِ الأَعْمَى وَراءَ الكَنِيسَةِ مَرَّةً أُخْرَى فَيَتَيَمَّمَ التَّخَلُّفَ وَالجُمودَ وَالتَّراجُعَ وَالانْحِطاطَ وَالهَلاكَ!...

إِنَّ هَذِهِ الكَنِيسَةَ بدلاً مِنْ أَنْ تتولَّى مُواجَهَةِ الإِلْحادِ وَتِجارَةِ الرَّقِيقِ الأَبْيَضِ وَدَعارَةِ الأَطْفالِ وَالرِّبا وَالجَرِيمَةِ المُنَظَّمَةِ وَالمُخَدِّرات.. وَمُعالَجَةِ الانْهِياراتِ الاجْتِماعِيَّةِ الَّتِي تَتَهَدَّدُ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةَ وتُنْذِرُ بِفَنائها...! وَبَدَلاً مِنْ أَنْ تُوَجِّهَ جُهُودَها التَّنْصِيرِيَّةِ لِلمُجْتَمَعاتِ الوَثَنِيَّةِ.. وَبَدَلاً مِنْ أَنْ تَنْشَغِلَ

---

٥٥) نقلاً عن: محمد إبراهيم – الإسلام فوبيا – مقال بجريدة الأهرام المصرية- ٢٠٠٣/١/١٠م.

بِتَنْصِيرِ الأُورُوبِّيِّين أَنْفُسِهم وَإعادَتِهم إِلَى الكَنِيسَةِ وَحَظِيرَةِ الإيمانِ- إنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ- بَدَلاً مِنْ كُلِّ ذَلِكَ نَراها تَنْشَغِلُ بِأعمالِ التَّنْصِيرِ وَالتَّغْرِيرِ بِالعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ التَّخْوِيف مِنهم وَتَشْوِيه دِينِهِمُ فِي كُلِّ وادٍ وَصَعِيد...!! لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، وإنَّما تَتَغاضَى فتُمَرِّرَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيّ ما يُرَوَّج فِي مُجْتَمَعاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَقُولاتِ التَّأْكِيدِ عَلَى ضَرُورَةِ التَّأَسِّي وَالاقْتِداءِ الأَعْمَى بالنَّمُوذَج الغربي العالَمَانِيِّ- عَلَى طَرِيقَةِ « أَطْفِيء مِصباحَ عَقلِكَ وَاتَّبِعْنِي ».!

وَفِي خِطابِهِ الَّذِي ألقاهُ يَوْمَ ١٢/ ٩/ ٢٠٠٦م أمامَ جَمْعٍ أكادِيمِيٍّ غَفِيرٍ مِنْ مَنْسُوبِي جامِعَةِ «ريجنسبورج» بِمَدِينَةِ « بُون» الأَلْمَانِيَّةِ، أَوْرَدَ بابا الفاتِيكانِ « بنيدكت السَّادِسُ عَشَرَ »(*) طَرَفًا مِنَ حُوارٍ دارَ بَيْنَ إمْبَراطُورٍ بَيزَنْطِيٍّ«مانويل الثَّانِي» وَعالِمٍ فارِسِيٍّ(**) خِلالَ حِصارِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ ما بَيْنَ عامَي ١٣٩٤: ١٤٠٢م(***)، حَوْلَ عِدَّةِ قَضايا- الجِهادُ مِنْ ضِمْنِها؛ حَيْثُ قالَ لَهُ الإمْبَراطُورُ:

(*) اسمه الأصلي جوزيف ألْوَا راتزنجير Joseph Alois Ratzinger، مولود بتاريخ ١٧ أبريل 1927: في « ماركتل»، « بافاريا » بألمانيا. مِنْ عُلَماءِ اللاَّهُوتِ الكاثُولِيك. تَوَلَّى كُرْسِيَّ البابَوِيَّةِ عَقِبَ وَفاةِ البابا « يُوحنا بولس الثاني» في ١٩ أبريل ٢٠٠٥؛ وَلُقِّبَ بِلَقَبٍ بابَوِيٍّ يُنْطَقُ بالإيطالِيَّةِ Benedetto، وَبالإنْجلِيزِيَّةِ « بنيدكت Benedict» وَبالفِرَنْسِيَّةِ « بينويتbenoit »، وَباللاَّتِينِيَّةِ « بينديكتوس Benedictus» بِمَعْنَى :« الْمُبارَك مِنَ اللّه.

(**) ذلك العالِمُ فِي غالِبِ اعْتِقادِ وَتَحْقِيقِ أهْلِ الاخْتِصاصِ... هُوَ : الشيخ « حاجي بيرم وَلَيّ» المَوْلُودُ فِي أرْبَعِينِيَّاتِ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرِ المِيلادِيّ. كانَ إلَى جانِبِ كَوْنِهِ مُدَرِّسًا بِمَدْرَسَةِ « قُرَّه» الَّتِي أَسَّسَتْها « مليكة خاتون» زَوْجُ السُّلْطانِ العُثْمانِيِّ « مُرادِ الأول» بِأنْقَرَةِ : كانَ يَشْغَلُ مَنْصِبَ رَئِيسِ حَرَسِ بَوَّاباتِ القَصْرِ فِي بَلاطِ السُّلْطانِ العُثْمانِيِّ « بايازيد الأَوَّل».

(***) حوار الإمبراطور البيزنطي والعالِم الفارسي مُدَوَّنًا بِيَدِ الإمْبراطُورِ نَفْسِهِ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ تَحْتَ عُنْوانِ « مُحاوَراتٌ مَعَ مُدَرِّسٍ فارِسِيٍّ» ، وَمُحَقَّقًا بواسِطَةِ البرُوفيسور « ثيودور خوري» من جامعة منستر في السِّتِّينِيّاتِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِين.

«أرِنِي إذًا، ما الَّذِي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ جَدِيدٍ؟ إنَّكَ لَنْ تَجِدَ سِوَى أُمورٍ شِرِّيرَةٍ وَغَيْرِ إنْسانِيَّةٍ : مِثْلِ ما أمَرَ بِهِ مِن اسْتِعْمالِ السَّيْفِ لِنَشْرِ العَقِيدَةِ الَّتِي جاءَ بِها»(٥٦). وَاسْتَطْرَدَ البابا عَلَى لِسانِ الإمْبراطُورِ سالِفِ الذِّكْرِ قائلاً : « اللهُ لا يُحِبُّ إراقَةَ الدِّماءِ، كَما أنَّ عَدَمَ اعْتِمادِ العَقْلِ فِي التَّصَرُّفِ شَيءٌ يَتَنافَى مَعَ طَبِيعَةِ اللهِ. إنَّ الإيمانَ مَنْبَعُهُ الرُّوحُ وَلَيْسَ الجَسَدَ. وَكُلُّ مَنْ يُرِيدُ أنْ يَحْمِلَ النّاسَ عَلَى الإيمانِ يَجِبُ أنْ يَمْتَلِكَ القُدْرَةَ عَلَى الكَلامِ المُقْنِعِ وَالاسْتِدْلالِ الصَّحِيحِ، وَيَتَجَنَّبَ العُنْفَ وَالتَّهْدِيدَ»(٥٧).

وَالمُتابِعُ لِخِطابِ البابا الَّذِي نُشِرَ عَلَى مَوقِعِ الفاتِيكانِ عَلَى الشَّبَكَةِ الدَّوَلِيَّةِ لِلْمَعْلُوماتِ Internet يُلاحِظُ أنَّ هَذِهِ العِباراتِ الَّتِي اسْتَعارَها : لا دَخْلَ لَهَذا بِبِنْيَةِ سِياقِ مُحاضَرَتِهِ حَوْلَ « العَقْلِ وَالدِّينِ وَالجامِعَةِ»، وَإنَّما اسْتَدْعاهُ هَواهُ المَخْلُوطُ بِحِقْدٍ دَفِينٍ وَجَهْلٍ أعْمَى وَحَيْدَةٌ عَنِ الحَقِّ مُثِيرَةٌ لِلسُّخْرِيَةِ وَالاشْمِئزازِ!... لِمَ لا وَالبابا سَلِيلُ مُؤَسَّسَةٍ تُعانِي أمْراضًا عَقِيدِيَّةً وَحَضارِيَّةً وَعُقَدًا نَفْسِيَّةً وَمُشْكِلاتٍ دِينِيَّةً وَلاهُوسْتِيَّةً(*)... وَجَهْلاً تارِيخِيًّا مُرَكَّبًا بِالآخَرِ وَلاسِيَّما الإسْلامِ وَأهْلِهِ!.

وَالمُلاحَظُ أيْضًا أنْ البابا حِينَ ساقَ هَذِهِ العِبارَاتِ، فإنَّما ساقَها لِيَعْطِفَ بِها ذاكِرَةِ الأكادِيمِيِّينَ إلَى ملابَسَةِ الظَّرْفِ التَّأرِيخِيِّ الَّذِي قِيلَت فِيها، حَيْثُ

---

٥٦) نقلاً عَنْ : محمد عابد الجابري : خطاب البابا : تفكيك الأصول وتصحيح الفصول- 24/10/2006- http://www.jeel-libya.com/horizons/articlesview.asp?field=content&id=2492

٥٧) نقلاً عَنْ : الجابري : خطاب البابا : تفكيك الأصول وتصحيح الفصول- المَرْجِعُ السّابِقُ.

(*) أعْنِي بها اللاهُوت السِّياسِيِّ.

كانَت الإمْبراطُورِيَّةُ البِيزَنْطِيَّةُ تَلْفَظُ أَنْفاسَها الأخِيرَةُ بِالنَّظَرِ إِلَى مَدِّ الحَضارَةِ الإسلامِيَّةِ وَجَذْرِ النَّمُوذَجِ الكَنَسِيِّ المُتَداعِي!... الأمْرُ الَّذِي يَرْبِطُ سُقُوطَ الإمْبراطُورِيَّةِ البِيزَنْطِيَّةِ بِخَطَرِ الإسْلامِ فَتَتَعَمَّقُ الذَّاكِرَةُ الأكادِيمِيَّةُ المُعاصِرَةُ بِالخَوْفِ مِنَ الإسْلامِ الَّذِي يَرْتَبِطُ بِذَكْرَياتِ سُقُوطِ الغَرْبِ!... فَيَنْعَكِسُ ذَلِكَ عَلَى مَطْرُوحاتِهِمُ الأكادِيمِيَّةِ وَإِنْتاجِهِمُ الفِكْرِيِّ وَمُشارَكَتِهِمُ الإعلامِيَّةِ عَبْرَ المَنابِرِ المُخْتَلِفَةِ... مِمَّا يُفْهَمُ مَغْزاه!!.... وَإِلاَّ فَلِماذا هَذِهِ الإسْقاطاتِ القُرُوسْطِيَّةِ؟!

وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ البابا– الَّذِي يَزْعُمُ النَّزاهَةَ وَالمَوضُوعِيَّةَ وَالتَّسامُحَ وَحُبَّ الحُوارِ وَإِيثارَ السَّلامِ– تِلْكَ المُحاوَراتِ فِي سِياقِها الصَّحِيحِ لِلدَّلالَةِ عَلَى سَماحَةِ الإسلامِ وَسَعَةِ أُفُقِ أَتْباعِهِ وَاسْتِغلالِها بِشَكْلٍ إيجابِيٍّ فِي تَفْعِيلِ المَشْرُوعِ الفاتِيكانِيِّ المَيِّتِ حَوْلَ حُوارِ الحَضاراتِ... بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ: اجْتَزَأَ «الحَبْرُ الأعْظَمُ» مِنَ السِّياقِ ما يَخْدُمُ أَغْراضَهُ الصَّلِيبِيَّةِ وَأَحْقادَهُ الدِّينِيَّةِ الدَّفِينَةِ تَحْتَ ابْتِسامَتِهِ الصَّفْراءِ دُونَ أَنْ يَعْرِضَ لأجْوِبَةِ وَمُداخَلاتِ العالِمِ المُسْلِمِ!... فَحافَ وَغَلَطَ وَتَجاوَزَ حُدُودَ اللِّياقَةِ وَالأدَبِ حِينَما رَفَضَ الاعْتِذارَ مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِأَنَّ كَلامَهُ قَدْ أُسِيءَ فَهْمُهُ؛ الفَرِيدُ فِي المَوضُوعِ : ما تَرَدَّدَ مِنْ أَنَّ البابا قَدْ تَعَرَّضَ لِضُغُوطٍ شَدِيدَةٍ لِكَيْلا يَعْتَذِرَ... فَجاءَ عُذْرُهُ أَقْبَحَ مِنْ ذَنْبِهِ!؛ فَهَذا المَنْهَجُ الانْتِقائيُّ عُمُومًا لَيْسَ غَرِيبًا عَلَى المُؤَسَّسةِ البابَوِيَّةِ مُنْذُ نَشاتِها!...

وَنَحْنُ مِنْ جانِبِنا لا يُمْكِنُ اعْتِبارَ هَذا الهُراءِ : زَلَّةَ لِسانٍ؛ فَلَيْسَ تَصْرِيحًا صُحُفِيًّا، وَلا هُوَ رَدٌّ عَلَى سُؤالٍ مُسْتَفِزٍّ!... كَذَلِكَ لا يُمْكِنُ عَدَّهُ اسْتِشْهادًا

تارِيخِيًّا عابِرًا لأنَّ البابا تَرَكَ سِياقَ الخِطابِ لِيُطْلِقَ لِهَوَى جَهْلِهِ بالإسلامِ عَنانَ الإساءَةِ والتَّجْرِيحِ وَالتَّخْوِيفِ غَيْرِ المُبَرَّرِ بِأسانِيدَ صادِقَةٍ أو بِنَزاهَةٍ عِلْمِيَّةٍ واسْتِقامَةِ ضَمِيرٍ.... إنَّ البابا بِهَذا التَّصْرِيحِ : يُرِيدُ إيصالَ أكْثَرَ مِنْ رِسالَةٍ لأكْثَرِ مِنْ طَرَفٍ :

- يُرِيدُ البابا أنْ يَبْحَثَ لِلْكاثُولِيكِيَّةِ عَنْ دَوْرٍ جَدِيدٍ بِمُحاوَلَةِ اصْطِيادِ الإسلامِ فِي الماءِ العَكِرِ لِتصادُمِ الحَضاراتِ!...
- يُرِيدُ أيْضًا أنْ يُومِئَ إلَى ساسَةِ العالَمِ الغَرْبِيِّ أنَّ النَّصْرانِيَّةَ يُمْكِنُ أنْ تَجْمَعَ بَيْنَ اللاَّهُوتِ وَالحَدَاثَةِ.... وَأنَّ المَشْرُوعَ الصَّلِيبِيَّ لَمْ يَزَلْ مُمْكِنًا فِي ضَوءِ تَصاعُدِ المَدِّ الإسْلامِيِّ لِلْحَدِّ مِنْ خَطَرِهِ الَّذِي يَتَهَدَّدُ التَّيَّارَيْنِ كِلَيْهِما.
- هذا، وَقَدْ عَدَّتْ تَصْرِيحاتُ « بِنِيدِكْتِ» - عَلَى صَعِيدٍ آخَرَ : مُحاوَلَةً لِتَكْثِيفِ الغِطاءِ الدِّينِيِّ لِمَشْرُوعِ الإدارَةِ الأمْرِيكِيَّةِ الإسْتِعْمارِيِّ!.
- إعادَةُ إنتاجِ القَوالَبِ التَّقْلِيدِيَّةِ المُشَوَّهَةِ عَنِ الإسْلامِ فِي الذِّهْنِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ فِي مَعامِلِ البابَوِيَّةِ لِكَي تَكْتَسِبُ الحَمْلَةُ مِصْداقِيَّةً وجِدِّيَّةً بِصُورَةٍ أكْثَرِ عَمَلِيَّةٍ!.
- كَذَلِكَ هِيَ مُحاوَلَةٌ لِجَسِّ نَبْضِ المُسْلِمِينَ وَقِياسَ حَمِيَّتِهُمُ الدِّينِيَّةِ وَرَدَّةِ فِعْلِهِمُ؟...
- أعادَةُ رَسْمِ الصُّوَرِ القَدِيمَةِ فِي الخَيالِ الغَرْبِيِّ بِريشَةِ البابَوِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ...

- عَطْفُ المَنابِرِ الأكادِيمِيَّةِ نَحْوَ الانْزِلاقِ فِي لُعْبَةِ « الإسلام فوبيا» فَتَجْفُو التَّقالِيدَ الأكادِيمِيَّةَ... وَتَتَورَّطُ فِي مُسْتَنْقَعاتِ الصِّراعِ الحَضارِيِّ الَّذِي يَشْفِيَ عَنْدَهُ أمْراضًا وَعُقَدًا تارِيخِيَّةً مُزْمِنَةً!...
- كَذَلِكَ يُرِيدُ البابا لِسِهامَ الانْتِقادِ العالَمِيِّ لِلإخْفاقاتِ الإصلاحِيَّةِ الكَنَسِيَّةِ الدِّينِيَّةِ... وَالتَّراجُعاتِ القِيَمِيَّةِ وَالمَعايَبِ الأخْلاقِيَّةِ المُسَجَّلَةِ عَلَى الكَنِيسَةِ أنْ تَتَحَوَّلَ إلَى مَيْدانٍ آخَرَ...
- أرادَ أنْ يَبْعَثَ إلَى الغَرْبِ البُرُوتِستانْتِيِّ بِرِسالَةٍ تَقُولَ : بِأنَّ الكَنِيسَةَ الكاثُولِيكِيَّةِ تُبارِكُ لَكُمُ ما تُزْمِعُونَ شَنَّهُ مِنْ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّة المُقَدَّسَةِ البارِدَةِ وَالسَّاخِنَةِ... الَّتِي تَخُوضُونَها ضِدَّ العالَمِ الإسْلامِيِّ، الَّذِي يُشَكِّلُ تَحَدِّيًا لِـ« المَسِيحِيَّةِ وَحَضارَتِها»!...
- وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ : أنَّ « بِنِيدِكْت» حِينَ تَوَلَّى مَنْصِبَ البابَوِيَّةِ قامَ بِإلْغاءِ اللَّجْنَةِ المُخَوَّلَةِ بِحُوارِ الحَضاراتِ فِي الفاتِيكانِ. كَما أغْلَقَ صَحِيفَةَ مَعْنِيَّةً بِالعَلاقَةِ بَيْنَ الإسْلامِ وَالغَرْبِ... وَقَدْ أثارَ هَذا التَّصَرُّفُ انْتِباهَ الصُّحافَةِ الإيطالِيَّةَ... الَّتِي اعْتَبَرَتْ هَذِهِ الخُطْوَةَ بِمَثابَةِ « انفصالٍ عَنِ الْتِزامِ البابا الرّاحِلِ « يُوحَنّا بُولِس الثاني» بِتَشْجِيعِ الحُوارِ بَيْنَ الدِّياناتِ».

وَعَلَى جانِبٍ آخَرَ، هُناكَ مَنْ يَذهَبُ إلَى أنَّ البابا لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ بِما قالَ الإساءَةَ فِعْلاً لِرَسُولِ الله ﷺ، وَأنَّ جُزْءًا مِنَ المُشْكِلَةِ تَتَحَمَّلُهُ دَوائرُ الإعلامِ الصَّهْيُونِيَّةِ أو تِلْكَ الواقِعَةُ تَحْتَ التَّأثِيرِ الصَّهْيُونِيِّ... وَالَّتِي عَزَلَتْ الحَدَثَ عَنْ

سِياقِهِ وَعَمِلَتْ عَلَى « تَضْخِيمِهِ» بِشَكْلٍ مُثِيرٍ. وَأَنَّ « هُناكَ عُصْفُورَيْنِ أرادَ الإعْلامُ الغَرْبِيُّ المُسَيَّرُ إسْقاطَهُما بِهَذا الحَجَرِ :

الأَوَّلُ : تأجِيجُ نارِ الحِقْدِ وَالحَرْبِ بَيْنَ الغَرْبِ وَالإسْلامِ.

ثانِيًـــا : دَفْنُ ما قالَهُ البابا عَنْ حَقِيقَةِ فَسادِ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ الحَدِيثِ»[٥٨].

وَالحَقِيقَةُ أَنَّ هَذا الكَلامَ- عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَحْتَمِلَهُ مِنْ صَوابٍ نِسْبِيٍّ، بَيْدَ أَنَّهُ لا يَرْقَى إلَى مُسْتَوى المَسئولِيَّةِ؛ فَـ« بِنِيدِكْت» لَيْسَ طِفْلاً، وَلا يَبْدُو عَلَيْهِ خَرَفُ شَيْخُوخَةٍ... وَلا يُمْكِنُ الاعْتِقادُ بِأَنَّ أحَدًا قَدْ أكْرَهَهُ عَلَى مَا قالَ أو اسْتَدْرَجَهُ إلَيْهِ... حَتَّى وَإنْ كُنَّا لا نُنْكِرُ بِأَنَّ ثَمَّةَ جِهاتٍ مُعَيَّنَةً تَنْفُخُ فِي نارِ الحَرْبِ عَلَى الإسْلامِ تَحْتَ عُنْوانِ « تَصادُمِ الحَضاراتِ»!... بَلْ إنَّ هَذا نَوعٌ مِنَ الإحْساسِ المُزْدَوَجِ بالمُؤامَرةِ...ما يَدْفَعَ إلَى تَحْمِيلِ طَرَفٍ ثالِثٍ مَسْئولِيَّةَ تأجِيجِ نارِ العَداوَةِ بَيْنَنا وَبَيْنَ خُصُومِنا الحَضارِيِّين!... وَهُوَ ما يُوَسِّعَ مِنْ مَساحَةَ الأَعْذارَ لِلْغَيْرِ بِحُجَجٍ واهِيَةٍ دُونَ مُبَرِّرٍ وَبِغَيْرِ حِسابٍ!... لَكِنَّ هَذا يَعْكِسُ فِي كُلِّ الأَحْوالِ غَيْبُوبَتِنا الحَضارِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَنا أنْ يَسْأَلَ فِي غَمْراتِها نَفْسَهُ : ما الَّذِي أغْرَى الغَرْبَ بِنا إلَى هَذا الحَدِّ...؟!

وَإنَّنِي لأَخْشَى أنْ يَأتِيَ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي تُدَبَّرُ فِيهِ لِلْبابا مُحاوَلَةُ اغْتِيالٍ عَنْ طَرِيقِ أيِّ جِهازِ مُخابَراتٍ غَرْبِيٍّ!... وَلاسِيَّما أنَّ البابا غَيْرُ مَحْبُوبٍ فِي أوْساطِ المُحافِظِينَ الجُدُدِ الآنَ فِي عُمُومِ أورُوبّا وَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ العالَمِ... ثُمَّ يَأتِي مَنْ

٥٨) الكَلامِ لِـ حسين العسكري- مِنْ مُقَدِّمَتِهِ لِـ« لينْدِن لاروش» فِي دِراسَتِهِ: خَدِيعَةِ الصُّحافَةِ ضِدَّ البابا : بيرنارْدِ لِوِيس وَجَرائمِهِ- http://www.nysol.se/Arabic.

يَقُولُ : بِأَنَّ الفاعِلَ مُسْلِمٌ ثأرًا وَانْتِقامًا لِتَجاوُزاتِ البابا... وَبِذَلِكَ تَتَصاعَدْ وَتِيرَةُ تَصادُمِ الحَضاراتِ فِي وَقْتٍ نَحْنُ فِيهِ تَقْرِيبًا لَسْنا عَلَى شَيءٍ، وَأَشْبَهُ ما نَكُونُ بِطَواحِينِ هَواءٍ!...

ثانِيًا : « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمُ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون»

مِمَّا يُلاحَظُ : أَنَّ ثَمَّةَ أهدافٌ مَدْرُوسَةٌ بِعِنايَةٍ وَراءَ إظهارِ العَقِيدةِ الإِسْلامِيَّةِ لَدَى دائِرَةِ الفَهْمِ الغَرْبِيّ بِصُورَةٍ تُوَحْي بِالتَّخَلُّفِ وَالجُمُودِ تارَةً.. وبِالعُنْفِ وَالإرهاب تارةً أُخْرَى..،! وَذَلِكَ فِي مُقابِلِ العَقَائِدِ وَالإيديولوجياتِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي يُرادُ إظهارُها فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ مُفْعَمَةٍ بالحَيَوِيَّةِ وَالنُّضْجِ وَالتَّطَوُّر...!

وَالمُلاحَظُ كَذَلِكَ، أَنَّ « مَوَاقِف المُثَقَّفِين الغَرْبِيّين تُجاهَ الإِسْلام. مِنْ «فولتير» وَهُجُومِهِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، إلَى « فُولْويل» مُرُورًا بِرُؤْيَةِ الرَّحَّالَةِ الرُّومانْسِيِّين لِلإِسْلامِ، تلكَ التِي تُعَدُّ أَكْثَرَ ابْتِذالاً مِنَ مَواقِفِ الفَلاَسِفَة، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ « هشام جعيط». وُصولاً إِلَى دِرَاسَاتِ المُشْتَغِلين فِي حَقْلِ «الأَنْثولوجيا» مِنْ« رِينان» إِلَى« لِيفي شِتْراوس» اللَّذَيْنِ يُؤَكِّدانِ عَلَى الكُلِّيَّةِ الشَّامِلَةِ لِلإِسْلامِ... وَذَلِكَ بِهَدَفِ إدانَتِهِ؛! فَهَؤلاءِ جَمِيعًا يُحاوِلُونَ تَصْوِيرَ الإِسْلامِ عَلَى أَنَّهُ بِنْيَةٌ لِلعُنْفِ وَالعَدَاءِ»[٥٩]. وَهَذا ما أَفَضِّلُ تَسْمِيَتَهُ بِـ« الكَذِبِ

٥٩) زكي الميلاد ، تركي الرَّبيعُو– الإِسْلام والغَرْب – مَرْجِعٌ سَابقٌ - ص ١٠٠.

الاسْتِراتِيجِيِّ» الَّذي تُجِيدُهُ غالِبِيَّةُ النُّخْبَةُ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ وَلاسِيَّما المُجْمُوعَةُ المُنْتَمِيَةُ لِلتِّيَّارِ الشِّتْراوسِيِّ في أُورُوبّا وَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ؛!

فَالحَرَكَةُ الشِّتْراوسِيَّةُ(*) الَّتِي تُمَثِّلُ خَلْفِيَّةً أَيْدُويُولُوجِيَّةً لِتِيَّارِ المُحافِظِينَ فِي أمْرِيكا الشَّمالِيَّةِ مِنْ خِلالِ إيمانِها مَثَلاً بِحَقِّ القَوِيِّ لِحُكْمِ الضَّعِيفِ. تَعْمَلُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ لإضعافِ كُلِّ قَوِيٍّ دُونَ أَتْباعِها وَمُناصِرِيها.. وَتَكْرِيسِ ضَعْفِ الضُّعَفاءِ!... وَ«الشِّتْراوسِيَّةُ عِبارَةٌ عَنْ مَزِيجٍ مُرَكَّبٍ مِنْ المَكيافِلِّيَةِ وَالدَّارُوِينِيَّةِ وَالنَّتْشَوِيَّةِ وَالنازِيَّةِ الفاشيَّةِ»[٦٠]... فَهِيَ لا تَقُومُ فَحَسْبُ عَلَى رَفْضِ الآخَرَ، بَلْ لا تُرْيدُ أنْ تَفْهَمَهُ حَتَّى لا تَضطَّرَّ لِلْقَبُولِ بُوُجُودِهِ...! تِلْكَ الحَرَكَةُ الَّتِي كانَ وَلا زالَ هَدَفُها هُوَ: « خَلْقَ وَتَرْوِيجَ عالَمٍ فاشِسْتِيٍّ مِنْ خِلالِ اسْتِعْمالِ أعْضائها لِعِباراتٍ مِثْلَ « التَّهْدِيدِ الإرْهابِيِّ» وَ« الإرْهابِ الدِّوَلِيِّ» وَمُشابَهاتِهِما مِنَ العِباراتِ... لِكَي يُسَبِّبُوا الخَوْفَ وَالهَلَعَ وَيَخْدَعُوا النّاسَ كَي يُطالِبُوا حُكُوماتِهِمْ بِحِمايَتِهِمْ مِنْ هَذا الخَطَرِ الَّذِي يَزْعُمُونَهُ مُخِيفًا!!. وَمُنْذُ الحادِي

(*) نِسْبَةً إلَى كُلُود لِيفِي شِتْراوِس: فَيْلَسُوفٌ وَمُفَكِّرٌ يَهُودِيٌّ ألْمانِيٌّ؛ وُلِدَ فِي ألمانيا سَنَةِ ١٨٩٩م. تَتَلْمَذَ عَلَى يَدِ المُفَكِّرِ النَّازِيِّ « مارْتِنْ هِيدْجَر» وَلَكِنَّهُ كانَ رَبِيبَ وَأسِيرَ إحسانِ الحقُوقِيِّ النَّازِيِّ « كارلْ شِمِيت»؛ وكانَ فِي شَبابِهِ صَهْيُونِيًّا مُتَعَصِّبًا. وَعَمِلَ كَثِيرًا فِي البُحُوثِ اليَهُودِيَّةِ قَبْلَ أنْ يُغادِرَ ألمانيا إلَى فِرَنْسا ثُمَّ انْجِلِتْرا، قَبْلَ أنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ المُقامُ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ. حَيْثُ وَصَلَ جامِعَةَ «شِيكاغُو» فِي وَقْتٍ كانَتْ فِيهِ العُلُومُ الفِيزْيائِيَّةُ تَكْتَسِبُ مَزِيدًا مِنَ الألَقِ وَالجاذِبِيَّةِ هُناكَ.حَيْثُ لَمْ تَكُنْ قَدْ مَضَتْ سِوَى سَنَواتٍ قَلِيلَةٍ عَلَى أحْداثِ أوَّلِ تَفاعُلٍ نَوَوِيٍّ مُتَسَلْسِلٍ تَحْتَ المُدَرَّجِ الغَرْبِيّ لِمَلْعَبِ كُرَةِ القَدَمِ القَدِيمِ فِي «شِيكاغُو». تُوفِّيَ ١٩٤٧م.

٦٠) عَطِيَّةُ الوِيشِي- الصِّراع فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ- دار نَهْضَة مصر- القاهرة- ٢٠٠٦م- ص ٢٣٥.

عَشَرْ مِنْ سِبْتَمْبِرِ : وَبَدأ الخَوْفُ مِنَ التَّهْدِيداتِ الإرْهابِيَّةِ- كما أسْلَفْنا: « يُؤَدِّي إلَى تَحَوُّلٍ عَمِيقٍ فِي السِّياسَةِ الخارِجِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ»[٦١].

وَالذِي يَلُوحُ لِكُلِّ خَبِيرٌ بِالشُّئونِ الغَرْبِيَّةِ : أَنَّهُ « بِدُونِ الاعْتِرافِ بِمَبْدأ الصِّراعِ : يَفْقِدُ العَقْلُ السِّياسِيُّ تَماسُكَهُ؛ وَبِدُونِ وُجُودِ العَدُوِّ الخارِجِيِّ : تُصْبِحُ الإسْتراتِيجِيَّةُ عَمْياءَ!. فَالدَّوْرُ الَّذِي يَلْعَبُهُ مَبْدَأ «العَدُوِّ الخارِجِيِّ» هوَ : دَوْرٌ حاسِمٌ، وَيُغَذِّي دِينامِيكِيَّةَ الحَضارَةِ الغَرْبِيَّةِ، الَّتِي بِدُونِ تَواجُدِ هَذا العَدُوِّ : تَفْقِدُ مُبَرِّرَ وُجُودِها، وَتَتَعَرَّضُ لِلتَّفَسُّخِ وَالانْهِيارِ»[٦٢]!. وَلِذَلِكَ، كانَتْ ضَرُورَةُ التَّوافُرِ عَلَى عَدُوٍّ- وَلَوْ بِالوَهْمِ الاصْطِناعِيِّ : مُحَقِّقَةً الفَوائدَ التَّالِيَةَ :

١- تَوفِيرُ الهَدَفِ وَالدّافِعِ. حَيْثُ يَذْهَبُ « كيسنجر» إِلَى أنَّ « وُجودَ العَدُوِّ يَعْمَلُ عَلَى تَقْلِيلِ مَظاهِرِ الغُموضِ أو الَّتناقُضِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الإسْتِراتِيجِيَّةُ عِنْدَما تَفْتَقِدَ الهَدَفَ الَّذِي يَنْبَغِي أنْ تَتعامَلَ مَعَهُ... إنَّ تَمْيِّيزَ العَدَوِّ أوْلَى مِنْ تَمْيِّيزِ الصَّدِيقِ؛ وأنَّ التَّعامُلَ مَعَ الأوَّلِ وَسِيلَةٌ لِتَوضِيحِ طُمُوحاتِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ وَالحُصُولِ عَلَى الدّافِعِ الأساسَ لِلتَّحَرُّكِ بِشَكْلٍ مُكَثَّفٍ فِي إطارِ السِّياساتِ العالَمِيَّةِ»[٦٣].

---

٦١) وَالدن بللو - العسكرة وَالحرب.. هَلْ تنفصم عرى حلف الأطلنطي؟!- ترجمة : أ- سبتمبر ٢٠٠٢- نَقلاً عَنْ : www.kfaya.net.

٦٢) سعد سلوم- العقل الأمريكي.تَخْيِّيلُ القُوَّةِ- مقال بمَجَلَّةِ النَّبا- بيروت- العدد : ٧٧- يونيو ٢٠٠٤م- http://annabaa.org/nbahome/nba77/005

٦٣) هنري كيسنجر- العقيدة الإستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة- ترجمة: حازم طالب مشتاق- بغداد- دار واسط- ١٩٨٧م- ص ٢٥.

٢- حِفْظُ التّماسُكِ الدّاخِلِيِّ مِنْ خِلالِ الإنْشِدادِ إزاءَ العَدُوِّ الخارِجِيِّ فِي نَوْعٍ مِنَ التَّعْبئةِ العامَّةِ الَّتِي تَدْعَمُ كَيانَ الدَّوْلَةِ الدّاخِلِيَّ وَتَشُدُّ أجْزاءَهُ إلَى بَعْضِها إزاءَ خَطَرٍ خارِجِيٍّ مُحْتَمَلٍ أو مُؤَكَّدٍ... وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ تَجاوُزُ التَّناقُضاتِ الداخِلِيَّةِ المُهَيّأةِ فِي كُلِّ آنٍ لِلانْفِجارِ....! فَفِي كُلِّ الأحوَال – وَفقًا لِلمُفَكِّرِ اللبنانِي « مِيشِيلِ كِيلو »: كانَ « لابُدَّ مِنْ أيْدِيُولُوجِيَّةٍ تَعْبَوِيَّةٍ تَتَّسِمُ بِقَدْرٍ مِنَ العُمُومِيَّةِ.. ما يَجْعَلَها قابِلَةً لِلتَّبَنِّي مِنْ قِطاعاتِ المُجْتَمَعِ الأمْرِيكِيِّ المُخْتَلَفَةِ»[٦٤]؛ هَذِهِ الأيْدِيُولُوجِيَّةُ يُمْكِنُ تَلْخِيصُها فِي العاطِفَةِ الوَطَنِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ الجامِعَةِ وَالمُوَحِّدَةِ... الَّتِي أمْكَنَ اسْتِيلادُها مِنْ رَحِمِ التَّضْحِياتِ المَخاضِيَّةِ حِينَ وُلِدَتْ أمْرِيكا، فأمْرِيكا، كَما يَقُولُ «سيكستو لوبيز» : هِيَ «غايَةُ اللهِ فِي التّارِيخِ» «وَهِيَ القُوَّةُ الَّتِي يَجِبُ أنْ تَكُونَ قادِرَةً عَلَى فَرْضِ شُرُوطِها عَلَى العالَمِ، وَيَجِبُ أنْ تُوَسِّعَ مَفْهُومَ مَصالِحِها الأمْنِيَّةِ لِيَشْمَلَ مَناطِقَ ضَرُورِيَّةً مِنَ النّاحِيَةِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى العالَمِ»[٦٥]. وَلَقَدْ كانَتْ المُبالَغَةُ الشَّدِيدَةُ فِي التَّهْدِيدِ الَّذِي كانَتْ تُشَكِّلَهُ أنْظِمَةٌ وَجَماعاتٌ كَطالِبانَ وَالقاعِدَةِ وإيرانَ وَالحالَةِ البَعْثِيَّةِ فِي كُلٍّ مِنَ العِراقِ وَسُورِيًّا فِي إطارِ عَمَلِيَّةِ «عَمْلَقَةِ عَدُوٍّ خارِجِيٍّ يَجْعَلُ آلِهَةَ الحَرْبِ تَنْتَصِبُ فِي سِياقِ التَّسْوِيقِ لِحَرْبٍ وَقائِيَّةٍ[٦٦] ضِدَّ

---

٦٤) مَجْمُوعَةُ باحِثِين- العَرَبُ فِي عالَمٍ أحادِيِّ القُطْبِيَّةِ- سِلْسِلَةُ « جَدَل- دار كنعان للدراسات والنشر- بَيروت- ١٩٩٢م- ص ١٢٧.

٦٥) مَجْمُوعَةُ باحِثِين- العَرَبُ فِي عالَمٍ أحادِيِّ القُطْبِيَّةِ- المرجع السّابِقُ- ص ١٢٧.

٦٦) سعد سلوم- العقل الأمريكي..تَخْيِّيلُ القُوَّةِ- مقال بِمَجَلَّةِ النَّبا- بيروت- العدد: ٧٧- يونيو ٢٠٠٤م- http://annabaa.org/nbahome/nba77/005

الإرهابِ وَقُوَى الشَّرِّ وَالظَّلامِ... تِلْكَ الَّتِي يُزْعَمُ أَنَّها تَنْطَلِقُ غالِبًا مِنْ قِبَلِ «الشَّرْقِ الإسْلامِيِّ»!.

وَفِي ظَنِّي : أَنَّهُ لَوْ كانَ « شتراوس» حَيًّا بِجَسَدِهِ!، لأَدْهَشَتْهُ هَذِهِ الحَفاوَةُ وَذَلِكَ التَّوَهُّجُ المُنْبَعِثُ مِنْ أفكارِهِ فِي صُوَرٍ عَمَلِيَّةٍ حَقِيقَةٌ بِنَشْوَتِهِ وَفَخْرِهِ بِبَنِيهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ وَهُمْ عَلَى هَدْيِهِ سائِرُونَ وَبِعَقِيدَتِهِ مُؤمِنُونَ.. وَقَدْ صارَتْ لَهُمْ أَعْظَمُ دَوْلَةٍ وَأَبْشَعُ صَولَةٍ!... وَفِي ظَنِّي أَنَّ أَسْلافَ « شتراوس» لا يَتَصَرَّفُونَ وَفْقًا لِرُؤيَتِهِ مِنْ مُنْطَلَقٍ نَفْعِيٍّ حَيْثُ تَتَقاطَعُ المَصالِحُ مَعَ الأَفْكارِ... كَلاَّ، بَلْ يَتَعامَلُونَ مَعَها عَلَى أَنَّها عَقِيدَةٌ دِينِيَّةٌ جَمَعَتْ سِماتِ وَخَصائصَ الفَلْسَفَةِ الغَرْبِيَّةِ بِجَمِيعِ مَدارِسِها فِي رُؤْيَةٍ أو نُبُوءةِ « شتراوس» فَكانَ حَرِيًّا بِهِمْ أَنْ يَدِينُوا لَهُ بِالوَلاءِ وَيتَفانُونَ فِي عِبادَتِهِ وَتَطْبِيقِ شَرِيعَتِهِ وَنَشْرِ مَبادِئِهِ؛!

فَالشِّتْراوسيُّونَ يَنْشُرُونَ المَبادِئَ العامَّةَ لِلحَرَكَةِ فِي كُلِّ الكَياناتِ المُؤَسَّساتِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ أَنْحاءِ العالَمِ مِنْ خِلالِ شَبَكَةٍ مُعَقَّدَةٍ مِنَ المُلْتَزِمِينَ بِالفِكْرِ الفاشِيِّ الشِّتْراوسِيِّ؛ حَيْثُ تَهْدُفُ هذه الشَّبَكَةُ : إِلَى مُحاصَرَةِ الحَقائِقِ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَيْها، وَنَشْرُ الأَكاذِيبِ، وَتَرْتِيب الانْقِلاباتِ وَتَخْلِيقِ الأَزْماتِ وَإِقْحامِ العالَمِ فِي دَوَّاماتٍ مِنَ الحَيْرَةِ وَالقَلَقِ وَالشَّكِّ وَالخَوْفِ!...

وَلِكَي يَبْقَى الشَّتْراوسِيُّونَ مُسَيْطِرِينَ دِوَلِيًّا وَمُحافِظِينَ عَلَى تِلْكَ السَّيْطَرَةِ فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ وَيَسْتَمِرُّونَ بِالكَذِبِ، بَلْ وَيُوفِّرُونَ كُلَّ ما يُمَكِّنَهُمْ مِنْ أَمْوَال لِشِراءِ ذِمَمِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْعَمَ كَذِبَهُمْ وَسَيْطَرَتَهُمْ سَواءً كانُوا أَشْخاصًا أو مُؤَسَّساتٍ أو حُكُوماتٍ أو حَتَّى مَراكِزَ أَبْحاثٍ أو مَنابِرَ رَأيٍ...

فَالكَذِبُ : هُوَ فِي صِلْبِ تَفْكِيرِهِمُ لِتَحْقِيقِ الأَهْدافِ وَإخْفاءِ الحَقِيقَةِ عَنِ الشَّعْبِ لِكَي يَجْمَعُوا القُوَّةَ مِنْ اجْلِ إساءَةِ اسْتِخْدامِها... إنَّهُمُ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أحَدِ المُحَلِّلِينَ : «أطْفالُ الشَّيْطانِ وَالكَذّابُونَ السَّفَلَةُ الَّذِينَ يَقِفُونَ خَلْفَ حُرُوبِ بُوشٍ الَّتِي لَنْ تَنْتَهِي»[٦٧]!، وَلا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، خاصَّةً وَأنَّ مَقُولَةَ «شِتْراوِس» تُؤَكِّدُ عَلَى أنَّ « الإيمانَ بِكَفَاءَةِ الكَذِبِ المُتَعَمَّدِ فِي السِّياسَةِ»[٦٨]؟! إنَّ هَذا الكَذِبَ مِنْ نَوعِ يُسَمِّيهِ « شِتْراوِس» : « الكَذِبَ النَّبِيلَ!»، الَّذِي تُسْتَخْدَمُ فِيهِ أنواعُ الدَّجَلِ وَالسِّحْرِ وَالخَيالاتِ العِلْمِيَّةِ وَالأساطِيرِ بِما يَخْدِمُ رَغْبَةَ النَّخْبَةِ الخَيِّرَةِ القائدَةِ فِي تَوحِيدِ مُجْتَمعاتِهِمُ!... إنَّ لَدَى «شِتْراوِس» تَصَوُّرًا قَوِيًّا عَنْ نَمَطٍ خارِقٍ مِنَ الرِّجالِ يُسَمِّيهِمُ «الأنْبِياءَ الفَلاسِفَةِ»، وَهَؤلاءِ يَعْرِفُونَ جَيِّدًا أيَّ نَوْعٍ مِنَ الدَّواءِ تَحْتاجُه أزْمَتُهُمُ؛ وَهُمُ مُسْتَعِدُّونَ وَقادِرُونَ عَلَى تَوْفِيرِهِ فِي صُورَةِ أُسْطُورَةٍ مَجِيدَةٍ أو كَذِبَةٍ نَبِيلَةٍ أو زَيْفٍ وَرِعٍ[٦٩]!!. وَلِذَلِكَ، كانَ الكَذِبُ وَالبُهْتانُ فِي الإدارَةِ الأمْرِيكِيَّةِ المُعاصِرَةِ: مَسالَةٌ واجِبَةٌ وَلازِمَةٌ قانُونِيَّةٌ وَأخْلاقِيَّةٌ لا غَضاضَةَ فِيها وَلا تَثْرِيبَ عَلَى مَنْ

---

٦٧) هُوَ : لِنْدِون لاروش- محمد العبيدي- الكذب وشريعة الغاب فِي سياسة وقوانين الفاشية الأمريكية- مَقالٌ بِمَجَلَّةِ المُحَرِّر العراقية- العدد :١٩٩- ٢٠٠٤/١٠/٢٢.

68) http://www.al-moharer.net/moh199/m-obaidi199

٦٩) سَمِير كرم- ليو شتراوس واليمين الأمريكي- مَقالٌ بِمَجَلَّةِ المُسْتَقْبَلِ العربي- العدد: ٢٩٥- ٢٠٠٣م- ص ١٧٧.

أتاها[*]!. إنَّ « كِيسِنْجَرَ » يَرَى أنَّ « رَجُلَ السِّياسَةِ يَحْكُمُ عَلَى الأفْكارِ انْطِلاقًا مِنْ فائدَتِها وَلَيْسَ مِنْ صِدْقِها »[٧٠]!.

هَذا، وَمِمَّا يَنْبَغِي ألاَّ تَفُوتَنا الإشارَةُ إلَى مَساعِيهِ الغَيْرِ مُنْصِفَةٍ وُمُغالَطاتِهِ الفاحِشَةِ : رَجُلٌ يُوصَفُ بِأنَّهُ أكْثَرِ المُثَقَّفِينَ الأُورُوبِّيِّينَ الْتِصاقًا بِأَحَدِ كِبارِ الصَّهاينَةِ الأمْريكانِ وَيُدْعَى «دانيال بابيس»، وَهُوَ « شِتْراوِسِيٌّ» عَتِيدٌ عَنِيدٌ فِي كَراهِيَّتِهِ وَحِقْدِهِ عَلَى كُلِّ ما يَمُتُّ إلَى الإسلامِ بِصِلَةٍ!!... وَهُوَ مِنَ كُبَراءِ المُحافِظِين الجُدُدِ، وَالَّذِي يَفُوقُ فِي تَشَدُّدِهِ «بوشَ» وَتْشِينِي» وَ«وُولفِيتز» وَغَيْرَهُمْ مِنْ أشَدِّ المُحافِظِينَ غُلُوًّا وَتَشَدُّدًا، وَيُعْتَبَرُ « بابيس» فِي نَظَرِ الإدارَةِ الحاكِمَةِ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ : مِنْ أهَمِّ المُنَظِّرِينَ الأساسِيِّينَ ضِدَّ الإسْلامِ. كَتَبَ مِئاتِ الدِّراساتِ وَالمَقالاتِ ضِدَّ الإسْلامِ، وَكانَ مِنْ أشْهَرِ مَقالاتِهِ : ما كَتَبَهُ فِي العامِ ٢٠٠٤م : مَقالاً مُطَوَّلاً بِعُنْوانِ « خَطَرُ الإسْلامِ» وَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ

(*) الحَقِيقَةُ أنَّهُ مِنْ خِلالِ التَّصْريحاتِ الصُّحُفِيَّةِ والمُؤتَمَراتِ والخُطَبِ نُلاحِظُ جَمِيعًا أنَّ «بوش» يَكْذِبُ، وَ« دُونالد رامسفيلد» وَ« ديك تِشِينِي» وَ«كُونداليزا رايس» ، وَ« جُون بولتون» وَ«بول وُولفيتز» وَ« وِليام كريستول» وَغَيْرُهُمْ كاذِبُونَ... وتِلْكَ التَّرسانَةُ الإعلامِيَّةُ هائلَةُ... وَالمَعاهِدُ والمَراكِزُ الإسْتِراتِيجيَّةُ وَمُؤَسَّساتٌ وَنُظُمٌ وَتَشْكيلاتٌ... جَمِيعُها تَرْفَعُ شِعارَ « الكَذِبُ = مِنْ أجْلِ الحَياةِ» ، ! فَيَصْدُقُ قَوْلُ اللهِ فِيهِمُ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقِعَةُ/٨٢. وَلَكِنْ عَلَينا ألاَّ نَنْسَ أنْ جُزْءًا مِنْ هَذا الكَذِبِ وَالخِداعِ يُمارَسَ بِحَقِّ شَعْبٍ هُوَ بِطَبِيعَتِهِ مُتَماشٍ مَعَ ذَلِكَ الخِداعُ وَمُتَقَبِّلَهُ وَمُسْتَسيغَهُ طَالَما أنَّ ذَلِكَ سَيُتِيحُ حَياةً أفْضَلَ... وَلَقَدْ أدَّى ذَلِكَ إلَى نِسيانِ عَدالَةِ الرُّوحِ الشَّعْبِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ الَّتِي أكَّدَ الدُّسْتُورُ عَلَيْها ، والَّتِي تَسْتَمِدُّ صُورتَها وَجَوْهَرَها مِنْ مَصْدَرَيْنِ أساسِيَّيْنِ : حِسٌ قَوِيٌ بِالعَدالَةِ الَّتِي يَصُونُها الدُّسْتُورُ وَيُثْبِتُها القانُونُ ، وَحِسٌ دِينِيٌ قَوِيٌ مَصْدَرُهُ الإنْجِيلُ وَفَضِيلَةُ المَحَبَّةِ الَّتِي يُبَشِّرُ بِها.

٧٠) نعُوم تَشُومِسْكِي- حُقُوقُ الإنسانِ وَالسِّياسَةِ الخارِجِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ- ترجمة : عُمَرُ الأيُّوبِيُّ- مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت- ١٩٨٤م- ص ٦٢.

خُلاصَةِ مُدارَسَةٍ حُوارِيَّةٍ أَجْراها مَعَهُ الصُّحَفِيُّ الدَّنْماْركِيُّ « فليمنغ روس »(*).

مِنْ خِلالِ صَحِيفَةِ « جِيُولانْدِز بُوسْتِن » الدّانْماركِيَّةِ(٧١)؛

وَعَبْرَ هَذا اللِّقاءِ : لَمْ يَكُفَّ الرَّجُلانِ خِلالَ الحُوارِ عَنْ مُواصَلَةِ تَشْوِيهِ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَتَّى السُّبُلِ الرَّخِيصَةِ وَالوَسائلِ الخَسِيسَةِ وَالذَّرائعِيَّةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى إعلانِ الحَرْبِ العالَمِيَّةِ عَلَى الإسْلامِ والْمُسْلِمِينَ!... فَالكاتبُ الأمْرِيكِيُّ « دانيال بايبس » يُرِيدُ تَصْوِيرَ ما حَدَثَ مِنْ شَغَبٍ فِي فِرَنْسا عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ «الثَّوْرَةِ» فِي أُورُوبّا، فَهُوَ يَتَبَجَّحُ رافِضًا تَفْسِيرَ الْمُحَلِّلِينَ الفِرَنْسِيِّينَ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ يَعْرِفُ فِرَنْسا أَحْسَنَ مِنْهُمْ!؛ وَلِذَلِكَ، فَهوَ يَرَى أنَّ : «وَسائلَ الإعْلامِ الفِرَنْسِيَّةِ : تَتَجاهَلُ الأيْدُيُولُوجِيَّةَ الإسْلامَوِيَّةَ الْمُعادِيَّةَ لِفِرَنْسا وَطُمُوحاتها لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى فِرَنْسا واسْتِبْدالَ حَضارَتِها بِالحَضارَةِ الإسْلامِيَّةِ»(٧٢)!.

وَيَتَرَكَّزُ النَّشاطُ الأساسُ لِـ«دانيال بايبس» حَوْلَ دَعْمِ المَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيِّ. كَما أَنَّهُ يأخُذُ عَلَى الحُكُومَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْمُحْتَلَّةِ : أَنَّها «لا تُعاقِبُ الفِلَسْطِينِيِّينَ كَما يَجِبَ أَنْ يُعاقَبُوا»!، فَهُمْ فِي نَظَرِهِ « لَيْسُوا إلاَّ قَتَلَةً وَلا بُدَّ مِنْ تَصْفِيَتِهِمْ، لأَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ الخَطَرَ الآتِي».

(*) الصُّحُفِيُّ فِي الصَّحِيفَةِ الدَّانِماركِيَّةِ « جِيُولانْدِز بُوسْتِن»، مَسئولُ الصَّفْحَةِ الثَّقافِيَّةِ، وَصاحِبِ فِكْرَةِ الرُّسُومِ الإثْنَى عَشَرَ المُسِيئةِ لِلنَّبِيِّ الكَرِيمِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

٧١) العَدَدُ الصَّادِرُ فِي ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م- http://dk.danielpipes.org/article/2304

٧٢) ضياء بخيت- على مقهى في الشارع السياسي الأمريكي- نَقْلاً عَنْ: http://www.egypty.com/services/egypty_salon31.asp

وَفِي نُوفِمْبِرِ مِنَ العامِ ١٩٩٠م، كَتَبَ « بابيس» بِأُسْلُوبٍ مُعادٍ وَمُحَرِّضٍ عَلَى المَكْشُوفِ، قَدْ حَمَلَ عُنْوانَ « المُسْلِمُونَ قادِمُونَ... المُسْلِمُونَ قادِمُونَ»، وَتَمَّ نَشْرُهُ بِالمَجَلَّةِ الوَطَنِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ. تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ مَزايا المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ وَمَدَى اخْتِلافِها عَنِ العَرَبِ وَالمُسْلِمينَ!...، لَقَدْ وَصَلَ إِلَى نَتِيجَةٍ تَقُولُ : إنَّ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةَ « غَيْرُ مُهَيَّأةٍ عَلَى الإطْلاقِ لاسْتِقْبالِ المُهاجِرِينَ بِأعْدادٍ كَبِيرَةٍ، خُصُوصًا أُولَئِكَ الَّذِينَ تَكْسُو أجْسادَهُمْ بَشْرَةٌ غامِقَةٌ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مَآكِلَ غَرِيبَةً عَجِيبَةً لَمْ يَعْتَدْ عَلَيْها المُواطِنُ الأُورُوبِّي»[٧٣].

وَيَقُولُ « دانيال بايبس» :« إنَّ أُورُوبّا سَتُصْبِحُ يومًا بَعْدَ يَوْمٍ أقْلِيمًا مِنْ أقالِيمِ الإسْلامِ، أو مُسْتَعْمَرَةٍ إسْلامِيَّةٍ- وَفقًا لِما قالَتْهُ «أوريانا فلاتشي» فِي كِتابِها الجَدِيدِ « قوة المَنْطِقِ»؛ وَلَعَلَّ هَذِهِ الصُّحافِيَّةَ الإيطالِيَّةَ المَشْهُورَةَ عَلَى حَقٍّ؛ إذْ إنَّ الإسْلامَ أخَذَ يَغْزُو مَعْقِلَ المَسِيحِيَّةِ القَدِيمِ « أُورُوبّا»[٧٤].!!!.

وَبِالطَّبْعِ، فَإنَّ هَذا التَّدْلِيسَ الشِّتْراوِسِيَّ يَأْتِي مُوازِيًا لإثارَةِ فَوْضَى البَحْثِ عَنْ مَظانِّ «الإسْلامِ فُوبيا» فِي بَعْضِ البِلادِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ- كَما فِي أفْغانِستانَ وَالعِراقِ وَفِي السُّودانِ وَالصُّومالِ[*]... ذَلِكَ البَحْثُ الَّذِي طالَ وَاسْتَطالَ فَلَمْ يَتْرُكْ سِوَى الحَيْرَةِ تَمُوجُ بِصُدُورِ كُلِّ إنْسانٍ عاقِلٍ فِي العالَمِ

---

٧٣) نَقْلاً عَنْ : سليمان الدقي- معلومات جديدة بخصوص الرسوم المسيئة للرسول- http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣م.

٧٤) فِي مَقالِهِ المَنْشُورِ بِعُنْوانِ « أُورُوبّا المُسْلِمَةُ» - « نيويورك صَن» الأمْرِيكِيَّةِ- ٢٠٠٤/٥/١١م.

(*) أثْبَتَتْ تَقارِيرُ تَدْرِيبَ حَوالَي ألْفِ شَخْصٍ مِنْ دارفُور السُّودانِيَّةِ عَلَى يَدِي قُواتٍ أمْرِيكيةٍ صَهْيُونِيَّةٍ!.

المَنْكُوبِ بِدَجَّالِي المُحافِظِينَ الجُدُدِ وَمَنْ نَحا نَحْوَهُمُ أو أناخَ مَطِيَّةَ عَقْلِهِ لِسَخَفِهِمُ اللَّعِينِ!... وَلِيَتَجَدَّدَ التَّساؤُلُ السُّقْراطِيُّ القَدِيمُ فِي عَفْوِيَّةٍ وَسَذاجَةٍ : « ما هُوَ الخَيْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجْتَمَعِ وَالإِنْسانِ؟» وَبالطَّبْعِ، فإِنَّ الإجابَةَ تَكُونُ دائمًا لَدَى صائغِ السُّؤالِ : لِيبرالِيَّةُ الحَدِيدِ وَالنَّارِ وَدِيمُقْراطِيَّةُ الجُثَثِ الَّتِي تفُوحُ مِنْها رائحَةُ البارُودِ العابِرَةُ لِلقَومِيَّاتِ!!...

ثالِثًا : الجِيلُ الاسْتِشْراقِيُّ الجَدِيدِ... وَمَنْطِقُ الاسْتِفزازِ

الحَقِيقَةُ، أَنَّنا مَهْمَا ذَكَرْنا وَسَنَذْكُرُ حَوْلَ أَسْبابِ وَمَظاهِرِ وَأَعْراضِ «الإِسْلامِ فُوبيا»... بَيْدَ أَنَّهُ وَعَلَى أَيَّةِ حالٍ : لا يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَى كُلِّ هَذِهِ الصُّوَرِ الكَثِيفَةِ الَّتِي تَزْدَحِمُ بِهَا المُخَيِّلَةُ الغَرْبِيَّةُ المُخَصَّبَةِ بِالأوهامِ وَالأراجِيفِ عَنْ الإِسْلامِ والمُسْلِمِينَ- وَالَّتِي تُسَاوِي بَيْنَ العُنْفِ وَالإِسْلامِ- بِمَعْزِلٍ عَنِ الصُّوَرِ النَّمَطِيَّةِ الاسْتِشْراقِيَّةِ القابِعَةِ فِي مُتَخَيَّلِ الغَرْبِ عَنِ الإِسْلامِ!؛

وَيَرَى « مُونْتْغومْرِي واط»[٧٥] : أَنَّ أُورُوبّا الوَسِيطِيَّةِ أَفْرَزَتْ ظاهِرَتَيْنِ لا يُمْكِنُ لأيِّ باحِثٍ جادٍّ أَنْ يَتَعامَلَ مَعَهُما بِلا مُبالاة : تَتَمَثَّلُ الأُولَى فِي الصُّورَةِ الشَّائهَةِ تَمامًا الَّتِي وَلَّدَتْها أُورُوبّا عَنِ الإِسْلامِ. وَتَبْرُزُ الثّانِيَةُ فِي التَّجَذُّرِ الهائلِ الَّذِي تَمَكَّنَتْ الأَيْديُولُوجيا الصَّلِيبِيَّةُ مِنْ تَرْسِيخِهِ فِي قُلُوبِ وَعُقُولِ الأُورُوبِّيِّين عَنِ الذَّاتِ وَعَنِ الآخَرِ. وَلَقَدْ جاءَ الانْطِباعُ الغَرْبِيُّ عَنِ الإِسْلامِ نَتاجًا لِلأَدَبِيَّاتِ الَّتِي وَضَعَها رِجالُ الكَنِيسَةِ، وَعُلَماءُ الكَلامِ، وَالمُؤَرِّخُونَ،

75) W. Montgomery Watt ،L'influence de l'Islam sur l'Europe medievale, Ed. Librairie orientaliste Paul Genthner, 1974, Paris ،p. 67.

بِالدَّرَجَةِ الأُولَى. وَإِنَّ إِحْدَى أَبْرَزِ هَذِهِ الصُّوَرِ النَّمَطِيَّةِ الَّتِي بَلْوَرَها الوَعْيُ النَّصرْانِيُّ فِي الزَّمَنِ الوَسِيطِ عَنِ الإسْلامِ»، وَظَّلَتْ مجَالاً لِلتَّوارُثِ الغَرْبِيِّ عَلَى امْتِدادِ القُرُونِ : أَنَّهُ « عَقَيدَةٌ ابْتَدَعَها مُحَمَّدٌ؛ وَهِيَ تَتَّسِمُ بِالكَذِبِ وَالتَّشْوِيهِ المُتَعَمَّدِ لِلحَقائقِ، إنَّها عَقِيدَةُ الجَبْرِ، وَالانْحِلالِ الخُلُقِيِّ، وَالتَّساهُلِ مَعَ المَلَذَّاتِ وَالشَّهْواتِ الحِسِّيَّةِ... وَإِنَّها دِيانَةُ العُنْفِ وَالقَسْوَةِ... شِعارُها : السَّيْفُ وَالحَرْبُ وَالقِتالُ». فَالمُسْلِمُ « بِاعْتِبارِهِ رَجُلاً مُحارِبًا، شَرِسًا، مُتَوَحِّشًا، يَقُومُ بِكُلِّ أنْواعِ النَّهْبِ وَالتَّنْكِيلِ، خالِقًا بِذَلِكَ وَراءَهُ تَعاسَةً وَشقاءً لا يُوصَفانِ، يُحَرِّكَهُ مَيْلٌ قَوِيٌّ لِلْقَتْلِ».... وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الافْتئاتِ الجاهِلِ وَالبُهْتانِ المُسْتَفِزِّ!... وَلَكِنْ أَلَيْسَ هُناكَ عَقْلٌ يَتَدَبَّرُ وَيُحْكِمُ الأُمُورَ بِصُورَةٍ تُعَزِّزُ الثِّقَةَ فِي تِلْكَ المَطْرُوحاتِ الفِكْرِيَّةِ الَّتِي لا نَرَى فِيها إلاَّ أكاذِيبَ وَمُغالَطَاتٍ وَحِقْدًا أَعْمَى وَكَراهِيَةً تارِيخِيَّةً حَمْقاءَ غَيْرَ مُبَرَّرَةٍ بِبَيِّنَةٍ أو بِقَرِينَةٍ صادِقَةٍ!...

وَإِنَّنا لَنَتساءَلُ : إذا كانَ كَهَنَةُ الفِكْرِ الغَرْبِيِّ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الإسْلامَ هُوَ مَزِيجٌ مِنَ المَسِيحِيَّةِ وَاليَهُودِيَّةِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا تَلَقَّى تَعالِيمَهُ مِنَ القَساوِسَةِ وَالرُّهْبانِ!... إلَى غَيْرِ هَذِهِ التُّرَّهاتِ وَالأكاذِيبِ... فَلِماذا إذًا يُحارِبُونَهُ؟! لِماذا يُخِيفُونَ مِنْهُ العالَمَ وَيُظاهِرُونَ عَلَيْهِ بِالإثْمِ وَالإفْكِ وَالعُدْوانِ؟!... هَذا ما لَمْ يُجَبْ عَنْهُ!. نَحْنُ هُنا بِصَدَدِ حالَةٍ تَتَداخَلُ فِيها إرادَةُ الخَطِيئةِ مَعَ العَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ لِتُشَكِّلَ فِي نَهايَةِ المَطافِ مُعْطًا أَيْدُيُولُوجِيًّا يَفْرِزُ صَيْرُورَةً تارِيخِيَّةً نافِرَةً مِنْ كُلِّ أَشْكالِ التَّفاعُلِ الإيجابِيِّ مَعَ الآخَرِ بِصِفَةٍ عامَّةٍ – وَالإسلامِيِّ بِصِفَةٍ خاصَّةٍ!!.

وَلَعَلَّ الْمُتابِعَ لِتَطَوُّراتِ الحَرَكَةِ الاسْتِشْرَاقِيَّةِ مُنْذُ مَطْلَعَ الثَّمانِينِيّات، يُلاحِظُ مَلامِحَ التَّحَوُّلاتِ فِي تَوَجُّهاتِها العَامَّةِ وَفِي فَلْسَفَتِها الَّتِي أَخَذَتْ تَتَخَلَّى شَيئًا فَشَيْئًا عَنْ مَواقِعِها التَّقْلِيدِيَّةِ لِتُسْلِمَ قِيادَها إِلَى الفِكْرِ الْمُخابَراتِيِّ الغَرْبِيِّ، الَّذِي انْعَطَفَ لِتَوِّهِ نَحْوَ إثارَةِ زَوابِعَ الحِقْدِ وَالكَراهِيَةِ وَالتَّخْوِيفِ الإسْتِراتِيجِيِّ مِنَ الإسْلامِ بِصُورَةٍ أَكْثَرَ شُمُولاً وَاتِّساعًا وَتَرْكِيزًا غَيْرَ مَسْبُوقٍ؛! فَقَدِيمًا كانَتْ الدِّراساتُ الاسْتِشْرَاقِيَّة تُعْنَى فِيمَا تُعْنَى بِـهِ مِنْ بَحْثٍ فِي العُلُومِ الاجْتِماعِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ.. وَتَحْقِيقٍ لِلتُّراثِ العَرَبِيِّ وَالإسلامِيِّ، أو وَضْعِ تَرْجَماتٍ لِمَعانِي القُرْآن الكَرِيـم.. وَالتِي كانَتْ تَنْطَلِقُ بِطَبِيعتِها مِنْ تَصَوُّرِها لِلاَّهوتِ الكَنَسِيِّ أو الفَلْسَفَةِ الغَرْبِيَّةِ بِصِفَةٍ عامَّة؛! وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ هُنا التَّقْرِيرُ بِأَنَّ «الاسْتِشْراقُ الأمْرِيكِيُّ- بِصِفَةٍ خاصَّةٍ : قد جاء امْتِدادًا وَاسْتِمرارًا لِلاسْتِشْراقِ الأُورُوبِّيِّ، وَارِثًا مُجْمَلِ تَصَوُّراتِهِ الجاهِزَةِ عَنِ العالَمِ العَرَبِيِّ والإسْلامِيِّ»[٧٦]، فَلا فَرْقَ إِذًا بَيْنَ مُسْتَشْرِقِينَ أمْرِيكانٍ وَمُسْتَشْرِقِينَ أُورُوبِّيِّنَ!. وَإِنَ أطرُوحاتِهِمْ حَوْلَ الإسْلامِ بِشَكْلٍ عامٍ حين تَخْتَلِطُ بِبَعْضِها بَعْضًا: فإِنَّما تُحْدِثُ دَوِيًّا وَدَوارًا فِي رَأسِ أيِّ مُجْتَمَعٍ غَرْبِيٍّ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ!... فانْظُرْ مَثلاً ما يَقُولَهُ أحَدُ الْمُسْتَشْرِقِينَ التَّقْلِيدِيِّين « جِب» مُشِيرًا إِلَى أَحَدِ مَكامِنِ القُوَّةِ فِي النَّمُوذَجِ الإسلامِيِّ فَيَقُولُ : «إِنَّ الحَرَكاتِ الإسْلامِيَّةَ تَتَطَوَّرُ عادَةً بِصُورَةٍ مُذْهِلَةٍ، تَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ، فَهِيَ تَنْفَجِرُ انْفِجارًا مُفاجِئًا

---

٧٦) رشـيد بلحبيـب- رشـيد بلحبيـب- موقـع مركـز المدينـة المنـورة لدراسـاتِ وَبحـوث الاستشراق- http://www.madinacenter.com

قَبْلَ أنْ يَتَبَيَّنَ المُراقِبُونَ مِنْ أماراتِها ما يَدْعُوهُم إلَى الاسْتِرابَةِ فِي أمْرِها؛ فَالحَرَكاتُ الإسْلامِيَّةُ لا يَنْقُصُها إلاَّ وُجُودُ الزَّعامَةِ، لا يَنْقُصُها إلاَّ ظُهُورُ صَلاحِ الدِّينِ جَدِيد»[٧٧]. وَيَسْتَدْرِكُ المُسْتَشْرِقُ وَالمُنَصِّرُ « لورانس بروان» عَلَيه فَيَقُولُ : «كانَ قادَتُنا يُخَوِّفُونَنا بِشُعُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَكِنَّا بَعْدَ الاخْتِبارِ لَمْ نَجِدْ مُبَرِّرًا لِمِثْلِ تِلْكَ المَخاوِفِ.. كانُوا يُخَوِّفُونَنا بِالخَطَرِ اليَهُودِيِّ، وَالخَطَرِ اليابانِيِّ الأَصْفَرِ، وَالخَطَرِ البُلْشُفِيِّ... لَكِنَّهُ تَبَيَّنَ لَنا : أنَّ اليَهُودَ هُمُ أصْدِقاؤنا، وَأنَّ البَلاشِفَةَ الشُّيوعِيِّينَ حُلفاؤنا، أمَّا اليابانِيُّون، فإنَّ هُناكَ دِوَلاً دِيمُقراطِيَّةً كَبِيرَةً تَتَكَفَّلُ بِمُقاوَمَتِهِمُ. لَكِنَّا وَجَدْنا أنَّ الخَطَرَ الحَقِيقِيَّ عَلَينا مَوجُودٌ فِي الإسْلامِ، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَالإخْضاعِ، وَفِي حَيَوِيَّتِهِ المُدْهِشَةِ»[٧٨].

وَيَكْشِفُ «سالازارُ» عَنْ طَبِيعَةِ جُرْثُومَةِ الخَوْفِ المُعَقَّدَةِ الَّتِي سَرَتْ مِنَ الغَرْبِيِّينَ مَسْرَى الدِّماءِ فِي العُرُوقِ فَيَقُولُ : «إنَّ الخَطَرَ الحَقِيقِيَّ عَلَى حَضارَتِنا: هُوَ الَّذِي يُمْكِنُ أنْ يُحْدِثَهُ المُسْلِمُونَ حِينَ يُغَيِّرُونَ نِظامَ العالَمِ... فَهمُ الخَطَرُ الَّذِي يُهَدِّدُنا بِعُنْفٍ بِصُورَةٍ مُباشِرَةٍ، فَالمُسْلِمُونَ عالَمٌ مُسْتَقِلٌّ كُلَّ الاسْتِقْلالِ عَنْ عَالَمِنا الغَرْبِيِّ؛ فَهُمُ يَمْلِكُونَ تُراثَهُمُ الرُّوحِيَّ الخاصَّ بِهِمُ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِحَضارَةٍ تارِيخِيَّةٍ ذاتَ أصالَةٍ، فَهُمُ جَدِيرُونَ أنْ يُقِيمُوا قَواعِدَ عالَمٍ جَدِيدٍ دُونَ الحاجَةِ إلَى إذابَةِ شَخْصِيَّتِهِمُ الحَضارِيَّةِ

---

٧٧) هاملتون جب- الاتِّجاهاتُ الحَدِيثَةُ فِي الإسْلامِ- نَقْلاً عَنْ : محمد محمد حسين- الاتِّجاهاتُ الوَطَنِيَّةُ فِي الأدَبِ المُعاصِرِ- مكتبة الآداب- القاهرة- ١٩٥٦م- ٢٠٦/٢.

78) Laurence E. Browne, The prospects of Islam,London, 1944, 9/10.

وَالرُّوحِيَّةِ فِي الحَضارَةِ الغَرْبِيَّةِ»(٧٩). وَيَقولُ المُسْتَشْرِقُ «غاردنر»: «إنَّ القُوَّةَ الَّتِي تَكْمُنُ فِي الإسْلامِ هِيَ الَّتِي تُخِيفُ أُورُبّا»(٨٠)

وَيَقُولُ « مُورُو بيرجَر»(*) : «إنَّ الخَوْفَ مِنَ العَرَبِ، وَاهْتِمامَنا بِالأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ، لَيْسَ ناتِجًا عَنْ وُجُودِ النِّفْطِ بِغَزارَةٍ عِنْدَ العَرَبِ، بَلْ بِسَبَبِ الإسْلامِ. يَجِبُ مُحارَبَةِ الإسْلامِ، لِلحَيْلُولَةِ دُونَ وَحْدَةِ العَرَبِ، الَّتِي تُؤَدِّي إلَى قُوَّتِهِمْ، لأنَّ قُوَّةَ العَرَبِ تَتَصاحَبُ دائمًا مَعَ قُوَّةِ الإسْلامِ وَعِزَّتِهِ وَانْتِشارِهِ. إنَّ الإسْلامَ يُفْزِعُنا عِنْدَما نَراهُ يَنْتَشِرُ بِيُسْرٍ فِي القارَّةِ الإفْرِيقِيَّةِ»(٨١).

إنَّ مِثْلَ هَذا المَوْرُوثِ الاسْتِشْراقِيِّ : قَدْ أدَّى بَطِرِيقَةٍ أو بِأُخْرَى إلَى تَفْعِيلِ وَتَكْرِيسِ التَّعَصُّبِ الشّائعِ فِي الغَرْبِ ضِدَّ العَرَبِ وَالإسْلامِ ماضِيًا وَحاضِرًا وُمُسْتَقْبَلاً... وَيَرَى «إدوارد سَعِيدٌ» أنَّهُ «مِمّا يَزِيدُ الأمْرَ سُوءًا : عَدَمَ إقْدامِ أيِّ شَخْصٍ لَهُ اهْتِماماتٌ أكادِيمِيَّةٌ بِالشَّرْقِ الأدْنَى أيّ عَدَمُ إقْدامِ أيّ مُسْتَشْرِقٍ قَطٌّ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ عَلَى التَّعاطُفِ الكامِلِ وَالصّادِقِ ثَقافِيًّا وَسِياسِيًّا مَعَ العَرَبِ. وَلا شَكَّ أنَّ بَعْضَ حالاتِ التَّعاطُفِ قَدْ وُجِدَتْ عَلَى

٧٩) نَقْلاً عَنْ : http://www.alseraj.net/ar/s/11/index

٨٠) نَقْلاً عَنْ : عمر فَرُّوخ، مصطفى خالدي- التبشير والاستعمار في البلاد العربية- المكتبة العصرية- بيروت- ١٩٨٦م- ص ٣٦.

(*) كانَ يَعْمَلُ أستاذًا لِعِلْمِ الاجتماع ودراسات الشرق الأدنى بجامعة « برنستون» الأمْرِيكِيَّةِ. وكان رئيسا لرابطة دراسات الشرق الأوسط. مِنْ أبْرَزِ أعْمالِهِ : « العالم العربي المعاصِر» وتقرير بعُنْوانِ : « دراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: التطور والاحتياجات».

٨١) فِي كِتابِهِ : العالَم العربيّ المُعاصِر- نَقْلاً عَنْ : محمد البَهِيّ- الفِكْرُ الإسْلامِيُّ الحَدِيثُ وَصِلَتُهُ بالاستِعمارِ الغَرْبِيِّ- مكتبة وهبة- ١٩٨٥م- ص ١٩.

مُسْتَوى مِنَ الْمُسْتَويات لَكِنَّ أَيًّا مِنْها لَمْ يَتَّخِذْ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ الصُّورَةَ الْمَقْبُولَةَ الَّتِي يَتَّخِذُها التَّعاطُفُ الأَمْرِيكِيُّ اللِّيبْرالِيُّ مَعَ الصَّهْيُونِيَّةِ»[٨٢].

وَلَعَلَّ أَهَمَّ ما يَلْفِتُ النَّظَرَ فِي هَذا السِّياقِ : وُجُودُ جِيلٍ استشراقيٍّ جديدٍ يَتَكَوَّنُ مِنْ الصُّحَفِيّين وَالكتَّاب وقلِيلٌ مِنْ الْمُفَكِّرِينَ وَالفَلاَسِفَةِ، الَّذِينَ تَتَّسِمُ مَطْرُوحَاتُهُم بِالإِغْراقِ الْمُفْرِطِ فِي الانْفِعالِ وَالتَّعَصُّبِ وَالجُمُوحِ بَعِيدًا حَتَّى عَنِ العَدَالَةِ وَالنَّزاهَةِ وَالاسْتِقَامَة العِلْمِيَّة... جِيلٍ تَوَارَثَ مَنْهَجَ الاجْتِراءِ وَالافْتِراءِ الدِّعائِيِّ الْمُتَشَنِّجِ عَنْ حِقْبَةِ الحَرْبِ البارِدَةِ...! إِنَّهُ جِيلُ الاسْتِشْرَاق السِّياسِيّ- الْمُخَابِرَاتِي، الَّذِي اخْتَلَطَتْ أَفْكارُهُ وَتَوَجُّهاتُهُ بِمَشَارِيعِ وَإِسْتِراتِيجيّاتِ وَزَارَاتِي الخَارِجيَّة والحَرْبِ فِي كُلٍّ مِنْ أُورُوبّا وَالوِلاياتِ الْمُتَّحِدَة؛! وَأَنَّ مَطْرُوحَاتِ ذَلِكَ الجيل« تَنْطَلِقُ دَائِمًا مِن العَداءِ لِلدِّينِ الإِسْلامِيِّ، وَقَدْ كَشَفَتْ بَعْضُ كِتاباتِ الْمُسْتَشْرِقِيـنَ هَذَا الْمَعْنَى بِشَكْلٍ واضِحٍ وَدَقِيقٍ، مِمَّا جَعَلَ الدِّراساتِ الْمُنْصِفَةَ لِلإِسْلامِ وَالحَضارَةِ الإِسْلامِيَّة : قليلةً جِدًا قياسًا عَلَى تِلْكَ الأكثرِ إغْراقًا فِي التَّهَوُّرِ وَالجُمُوحِ وَالجُنُوحِ وَالانْحِرافِ عَنْ مَنْهَجِيَّاتِ العَمَلِ العِلْمِيِّ وَالفِكْرِيِّ وَالفَلْسَفِيِّ النَّزِيهِ الْمُسْتَقِيمِ؛! وَالحَقِيقَةُ، أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ إِنَّما تُعْزَى إِلَى «تأثِيرِ حَالَةِ القُوَّةِ الَّتِي يعيشها الباحِثُ فِي هَذِهِ الْمَسأَلَةِ قِياسًا بِحَالَةِ الضَّعْفِ وَالانْسِحاقِ الَّتِي يَعِيشُها الآخَرُ... وَتأثيرِها عَلَى تَصَوُّرَاتِهِ واسْتِنْتاجاتِهِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا فِي نَفْسِ الْمَجَالِ»[٨٣].

---

٨٢) إدوارد سعيد- الاسْتِشْراقُ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ- ت: محمد عَنانِي- درار رؤية للنشر- القاهرة- نَقْلاً عَنْ: massai.ahram.org.eg/Index.asp? CurFN=kotb1.htm&DID=9042

٨٣) فرانسيس فوكوياما- نهاية التاريخ- مرجع سابق- ص ٥٥.

وَلَئِنْ اخْتَفَى الإسلامُ نِسْبِيًّا مِنْ بُؤرَةِ الاهْتِمامِ الأكادِيمِيّ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، حَيْثُ كانَتْ الفِكْرَةُ الغَرْبِيَّةُ عَنْ الإسْلامِ قَدْ نامَتْ شَيْئًا ما، فَقَدْ كانَ يُنْظَرُ إلَيْهِ نَظْرَةَ اسْتِئناسٍ..! فَفِي الاجْتِماعِ السَّنَوِيِّ الثّانِي وَالعِشْرِينَ لِلجَمْعِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ الكاثُولِيكِيَّةِ التّارِيخِيَّةِ، ألْقَى مارشالُ «و. بولدِين»، بِوَصْفِهِ رَئِيسًا لِلْجَمْعِيَّةِ، خِطابًا جاءَ فِيهِ قَوْلُهُ: «إنَّ الغَرْبَ ما عادَ يَنْظُرُ إلَى الإسلامِ بِاعْتِبارِهِ خَطَرًا عَلَى الحَضارَةِ»[٨٤]. وَهُوَ بِذَلِكَ إنَّما كانَ يَصِفُ وَضْعًا حَدِيثًا كانَتْ فِيهِ البِلادُ الإسْلامِيَّةُ كُلُّها تَقْرِيبًا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الغَرْبِيَّةِ، لأنَّ العالَمَ كانَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ: «مَشْغُولاً بِأُمُورٍ أشَدَّ خَطَرًا مِنَ المَذْهَبِ المُحَمَّدِي»[٨٥]. وَلَكِنْ مَعَ مُرُورِ الوَقْتِ وَتَطَوُّرِ المَواقِفِ وَالأحْداثِ... انْطَرَحَتْ رُؤًى جَدِيدَةٌ وَأُثِيرَتْ قَضايا مُتَجَدِّدَةٌ وَغَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ!...

ذَلِكَ، وَلَمْ يَعُدْ خافِيًا: وُجُودُ تَيّاراتٍ اسْتِشْراقِيَّةً بَدَتْ مُنْهَمِكَةً فِي تَأجِيجِ نِيرانِ الفِتْنَةِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ الَّتِي بَدَتْ مَلامِحُها فِي الاكْتِمالِ بِنُذُرِ وَإرهاصاتِ انْهِيارِ المُعَسْكَرِ الشُّيُوعِيِّ، حَيْثُ أُعْلِنَ رَسْمِيًّا مَطْلَعَ التِّسْعِينِيّاتِ عَنِ الوَفاةِ، وَشُيِّعَتْ الجَنازَةُ فِي عِمُومِ شَرْقِ أُورُوبّا؛! حَيْثُ انْطَلَقَتْ حَمْلاتٌ دِعائِيَّةٌ مُنْظَمَّةٌ جاءتْ نَتِيجَةً لِتَراكُماتٍ ثَقافِيَّةٍ مَدْعُومَةٍ بِزَخْمِ اسْتِشْراقِيٍّ يَرَى الإسْلامَ والشُّيُوعِيَّةَ فِي سَلَّةٍ واحِدَةٍ، بِزَعْمِ أنَّ «هُناكَ الكَثِيرَ في التَّقْلِيدِ الإسْلامِيِّ... ما

---

٨٤) نَقْلاً عَنْ: محمد عصفور- صُورَةُ الإسلامِ وَالمُسْلِمِينَ فِي الأدَبِ الغَرْبِيِّ حَتَّى القَرْنِ الثّامِنِ عَشَرَ- بَحْثٌ مَنْشُورٌ بِمَجالَةِ «عالَمِ الفِكْرِ»- الكويت- المجلد الثّامن- العدد الرابع- يناير، فبراير، مارس ١٩٧٨م- ص١٣٥.

85) Marshal W. Baldwin, Western Attitudes toward Islam, The Catholic Historical Review, 28 (1942), 403.

يَجْعَلُ الفَرْدَ المُسْلِمَ أو الطَّبَقَةَ أو الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ عَلَى اسْتِعْدادٍ لِلتَّخَلِّي عَنْ قِيَمِها وَمُعْتَقَداتِها التَّقْلِيدِيَّةِ، يَجْعَلُها تَمِيلُ إلَى قَبُولِ البَدِيلِ الشُّيُوعِيِّ لا البَدِيلِ الدِّيمُقْراطِيِّ»(٨٦). وَلَقَدْ كانَتْ هَذِهِ المُحاوَلاتُ الاسْتِشراقِيَّةُ الوُقُوعِيَّةُ عارِفَةً أَهْدافَها وَمَرامِيها بِصُورَةٍ تُوحِي بِأَنَّهُ لا مَجالَ لِلإحْساسِ الغَرْبِيِّ بِالرَّاحَةِ وَالاطْمِئنانِ حَتَى وَلَو افْتُرِضَتْ حالاتٌ لِفَراغٍ إسْتِراتِيجِيٍّ فِي مُعادَلَةِ الصِّراعِ الدِّوَلِيِّ بِسُقُوطِ الشُّيُوعِيَّةِ مَثَلاً!؛

وَبَعْدَ تَفَكُّكِ الاتِّحادِ السُّوفِيتِيِّ، انْشَحَذَتْ هِمَمُ باحِثِينَ أَمْرِيكِيِّينَ باتِّجاهِ «اعْتِبارِ أَنَّ الإسْلامَ الَّذِي أَضْفَوا عَلَيْهِ صِبْغَةَ الشَّرْقِ يُمَثِّلُ امْبِراطُورِيَّةَ شَرٍّ جَدِيدَةً»؛ وَمِنْ قَبْلُ كُنَّا بِصَدِدِ أَحَدِ أَكْبَرِ دَجَّالِي المُسْتَشْرِقِينَ وَهُوَ يَنْبَرِي لِعَقْدِ مُقارَناتٍ بَيْنَ الإسْلامِ وَالشُّيُوعِيَّةِ؛ فَـ« بِرنارد لويس»، الَّذِي يَحْمِلُ خَلْفِيَّةً عَدائِيَّةً لِلإسلامِ، حَيْثُ يَعْتَبِرُ « الإسلامَ بِطَبِيعَتِهِ استِبْدَادِيًّا واعْتِدائيًّا وَغَيْرَ دِيمُقراطِيٍّ»(٨٧)... بل إنَّهُ مِنْ فَرْطِ سُوءِ نِيَّتِهِ يَقُولُ : « إنَّنا نَرى إلَى أَيِّ مَدًى يَتَّفِقُ الإسْلامُ مَعَ الشُّيُوعِيَّةِ»(٨٨). وَيُفَسِّرُ إدْوارد سَعِيدُ تِلْكَ الصُّوَرَ

---

86) Bernard Lewis, « Communism and Islam»,» in : Walter Zeev Laqueur, ed., The Middle East in Transition : Studies in contemporary History , New York : Free Port, 1971, P. 125.

٨٧) حِلْمِي خِضْر سارِي- صُورَة العَرَبِ فِي الصُّحافَةِ البَرِيطانِيَّةِ- مرجع سابق- ص٦٩.

88) Bernard Lewis, «communism and Islam»in : Walter Zeev Laqueur, ed., the Midle east in Transition : studies in Contemporary History (New York : Free port, 1971), p.311.

والانْطِباعاتِ النَّمَطِيَّةَ الَّتِي لا تُرَى بَعِيدًا عَنْ الكَسَلِ وَالقَسْوَةِ وَالانْحِطاطِ وَالنَّزْعَةِ الحِسِّيَّةِ كَما « تَحُطُّ مِنَ المِسْلِمِينَ فَتَرْبِطُ بَيْنَهُمُ وَبَيْنَ الإرْهابِ»[٨٩].

إنَّ« برنارد لويس» هُوَ : واحِدٌ مِنْ أشَدِّ رُمُوزِ الحَرَكَةِ الإستِشْراقِيَّةِ عَداءً لِلإسلامِ والمُسْلِمِينَ، وَلَعَلَّهُ يَتَمَيَّزُ عَمَّنْ سَبَقَهُ في هَذا السِّياقِ : أنَّهُ صاحِبُ مَدْرَسَةٍ وَلَهُ تَلامِيذٌ وَأتْباعٌ وَمُرِيدُونَ « تَنْحَصِرُ مُهِمَّتُهُم عَلَى ما يَبْدُو فِي تَنْبِيهِ المُسْتَهْلِكِينَ الغَرْبِيِّينَ إلَى الخَطَرِ الَّذِي يَتَهَدَّدَهُمُ وَالنّابِعُ مِنْ عالَمٍ إسْلامِيٍّ ساخِطٍ، خَلَقَهُ اللهُ غَيْرَ دِيمُقْراطِيٍّ وَمَيَّالاً لِلعُنْفِ». وَيَرَى أنَّ الاهْتِمامَ الأُورُوبِّيَّ بِالإسْلامِ « لَمْ يَنْشأ مِنْ حُبِّ الاسْتِطلاعِ، بَلْ مِنَ الخَوْفِ مِنْ مُنافِسٍ لَلمَسِيحِيَّةِ يَتَمَيَّزُ بِوَحْدَتِهِ وَصَلابَتِهِ وَبِقُوَّتِهِ الجَبَّارَةِ ثَقافِيًّا وَعَسْكَرِيًّا» مُضِيفًا: أنَّ «رَواسِبَ مِنَ القُرُونِ الوُسْطَى لا تَزالُ تُمَثِّلُ مَزِيجًا مِنَ الخَوْفِ وَالعَداءِ فِي الاهْتِمامِ العِلْمِيِّ أو غَيْرِ العِلْمِيِّ بِالإسْلامِ».

وَيُعَدُّ الاسْتِشْراقُ بِاعتْبارِهِ مَذْهَبًا مَعْرِفِيًّا عَنِ الشَّرْقِ بِمَثابَةِ «شَبَكَةٍ مَقْبُولَةٍ تَسْمَحُ مَنافِذُها بِتَسْرِيبِ صُورَةِ الشَّرْقِ إلَى وَعْيِ الغَرْبِيِّينَ... وَذَلِكَ فِي إطارِ الإمْبِريالِيَّةِ السِّياسِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ مَجالاً كامِلاً مِنَ الدِّراساتِ وَالإبْداعِ وَالمُؤَسَّساتِ البَحْثِيَّةِ». وَقَدْ خَلُصَ «إدْوارد سَعِيد» مُنْذُ حَوالَي ثَلاثِينَ عامًا مِنْ كِتابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ إلَى أنَّ «الشَّرْقَ عَدُوٌّ مُفْتَرَضٌ أو أُسْطُورَةٌ خَلَقَها خَيالُ الغَرْبِ»[٩٠].

---

٨٩) إدوارد سعيد- الاسْتِشْراقُ وَالمُسْتَشْرِقُونَ- ترجمة : محمد عَنانِي- رؤية للنشر- مصر- عَنْ : massai.ahram.org.eg/Index.asp?CurFN=kotb1.htm&DID=9042

٩٠) نَقْلاً عَنْ : المرجع نفسه.

وَلَعَلَّنا نُلاحِظُ أَيْضًا، أَنَّ جِيلَ الْمُسْتَشْرِقِيـنَ الْمُعَاصِرِين، وَأَغْلَبَ الاخْتِصَاصِيِّين وَالْمُسْتَشَارِينَ فِي عِلْمِ العَلاقَاتِ الدِّوَلِيَّةِ: قَدْ تَحَوَّلَتْ مَطْرُوحاتُهُم الفِكْرِيَّةِ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلةٍ إِلَى مَشْروعاتٍ حَرْبِيَّةٍ، تَتَّجِهُ بِكُلِّ زَخْمِها الاقْتِصادِيِّ وَالسِّياسِيِّ.. وَبِسَطْوَتِها المَعْلُوماتِيَّةِ وبِجُمُوحِها العَسْكَرِيِّ إِلَى تَفْرِيغِ الأَوْعِيَةِ الحَضارِيَّةِ الأُخْرَى مِنْ مُحْتَواها العَقَدِيِّ وَالقِيَمِيِّ وَالرُّوحِيِّ.. وَمِنْ مَضْمُونِها الفِكْرِيِّ وَالثَّقافِيِّ... وَتَجْرِيدِها مِنْ مَوْرُوثاتِها وَخُصُوصِيّاتِها وَامْتِيازاتِها كافَّةً... وَمَلءِ تِلْكَ الفَراغَاتِ بِبَدائلَ مُلائِمَةٍ لِمُقْتَضَى سِيادَتِها وَمُطْلَقِ هِيَمَنَتِها... وَدُونَ اعْتِبارٍ بِأَيِّ قِيَمٍ أو أَخْلاقٍ...!

وَلَقَدْ كانَ «تَرْدِيدُ بَعْضِ الأكاذِيبِ كافِيًا لإقْناعِ أُمَمٍ كامِلَةٍ بِسِمُوِّ قَضاياها؛ وَأَصْبَحَ اسْتِعْمالُ الطُّرُقِ التِّقَنِيَّةِ المَعْمُولِ بِها لِتَجْرِيدِ الإنْسانِ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ أو رَدِّ فِعلٍ أخلاقِيٍّ كافٍ لإجْراءِ هَدْمٍ شامِلٍ لأَقَلِّياتٍ مُخالِفَةٍ لِمُجتَمَعاتٍ تَعَطَّلَ عِندَها إدراكُ الخَيرِ وَالشَّرِّ»[91]؛ فَفِي مَقالَةٍ لَهُ، اعْتَبَرَ « فَرانْسِيس فُوكُوياما» ما أَسْماهُ بِـ«الأُصولِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ»، الَّتِي وَأَطْلَقَ عَلَيْها أَيْضًا وَصْفَ «الفاشِيَّةِ» : عَدُوًّا لِلغَرْبِ «أَخْطَرَ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ». وَقالَ : « إِنَّ الصِّراعَ الحَالِيَّ لَيْسَ مَعْرَكَةً ضِدَّ الإِرْهابِ وَلا ضِدَّ الاسْلامِ أو حَضارَتِهِ، وَلَكِنَّهُ صِراعٌ ضِدَّ تِلْكَ «الفاشِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ»[92].

---

٩١) تيبـور ماند- خلاص العالَمِ- مرجع سابق- ص٦٥.

٩٢) نَشَرَتْها لَهُ مَجَلَّةُ «نِيُوزوِيك» فِي طبعتها العربية ، فِي (عدد ٢٠٠١/٢٥/١٢م)

وَمِن جِهَتِهِ، يَنْظُرُ « فُوكُوياما» إِلَى الإِسْلامِ فِي سِياقِ التَّحَدِّي الغَرْبِيِّ: باِعْتِبارِهِ « إسلامَ صَدَّامِ حُسَيْن»، ذَلِكَ النَّموذَجُ الإسْلامِيُّ «الصَّدَّامِيُّ»، يَقُولُ عَنْهُ : «وَقَدْ شَهِدَتْ نِهَايَة الحَرْب الباردة فِي أُورُوبّا تَحَدِّيًا سافِرًا لِلغَرْبِ مِنْ قِبَلِ العِراقِ الَّذِي يُشَكِّلُ الدِّينُ الإِسْلامِيُّ عامِلاً هامًّا فِي تَكْوِينِهِ الأَيْدِيُولُوجِيّ»[٩٣]. وَقَدْ جَرَى وَفقًا لِذَلِكَ- مِنْ خِلالِ التَّكْثِيفِ الدِّعائِيِّ الأَجْوَفِ : تَحْوِيلُ «صَدّام حُسَيْن» فِي اللاَّوَعْي الغَرْبِيِّ إلَى عَدُوٍّ خَطِرٍ مَرْهوبٍ وَمُخِيفٍ...! وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ «حَالَةُ البَعْثِ» : هِيَ الواجِهَـةَ الأَيْدِيُولُوجِيَّةَ لِلإِسْلامِ بِزَعْمِ «فُوكُوياما»!؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ مُسْتَغْرَبًا أنْ يَصِفَ الأُصُولِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا تَتَشَابَهُ إِلَى حَدٍّ عَمِيقٍ مَعَ الفاشِيَّةِ..هَكَذَا!؛ وَلَيْسَ بِوِسْعِنَا اعْتِبارُ هَذَا التَّلاعُبِ بِالأَلْفاظِ، وَذَلِكَ التَّمْيِّيعِ الاسْتِراتِيجِيّ ناشِئًا عَنْ سَذاجَةٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ، كَلاَّ، بَلْ إِنَّهُ حالَةٌ مِنَ اللَّمْزِ الحَضارِيِّ،وَالاسْتِنْفارِ التَّحْرِيضِيِّ عَلَى الإِسْلامِ، لإِمْكانِ تَغْطِيَتِهِ وَإِبْطالِ مَفْعُولِهِ، وَتَجْمِيدِ نَشاطِهِ وَإِطْفاءِ تَوَهُّجِهِ الحَضارِيِّ.. وَلَكِنْ أَنَّى لَهُ هَذا!، يَقُولُ تَعالَى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ التَّوبَةُ/ ٣٢، ٣٣.

وَبِالرَّغْمِ مِنِ اعْتِرافِ « فُوكُوياما» بِأَنَّ «الإِسْلامَ يُشَكِّلُ نِظامًا أَيْدِيُولُوجِيًّا مُتَماسِكًا، شَأنَ اللِّيبْرالِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ، وَلَهُ نِظامُهُ الخُلُقِيُّ الخَاصُّ

٩٣) فرانسيس فوكوياما – نِهَايَة التَّارِيخ – مَرْجِعٌ سَابِقٌ – ص ٦١.

وَعَقِيدَتُهُ الخَاصَّةُ فِي العَدَالَةِ السِّياسِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّة» بَيْدَ أَنَّهُ يَعُودُ ثانِيَةً لِيَتَخابَثَ مُقَرِّرًا بِأَنَّ الإِسْلامَ «هَزَمَ الدِّيمُوقراطِيَّةَ اللِّيبْرالِيَّةَ فِي أجزاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ العَالَمِ الإِسْلامِيِّ»، وَأَنَّهُ يُشَكِّلُ فِي الوَاقِعِ الحالِيِّ « تَهْدِيدًا كَبِيرًا لِلمُمارَساتِ اللِّيبْرالِيَّةِ، حَتَّى فِي البُلدانِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعْ اسْتِلامَ السُّلْطَةِ فِيها مُباشَرةً»[٩٤].

وَفِي مُحاضَرَةٍ لَهُ بِمُؤَسَّسَةِ الوَقْفِ القَوْمِي للدِّيمُقْراطِيَّةِ[٩٥]، خَلُصَ «فُوكُوياما» إلى أَنَّ «الدِّيمُقراطِيَّةَ اللِّيبْرالِيَّةَ بِإِمْكانِها أَنْ تُشَكِّلَ فِعْلاً «مُنْتَهى التَّطَوُّرِ الأَيْديولُوجِيِّ لِلإِنْسانِيَّةِ، وَالشَّكْلَ النَّهائِيَّ لأَيِّ حُكْمٍ إِنْسانِيٍّ». وَلَقَدْ جاءَ الحَدِيثُ مِنْ هَذِهِ الوُجْهَةِ مُناسِبًا، لِكِي يَصِلَ « فُوكُوياما» إِلَى ما يُرِيدَهُ، حَيْثُ رَكَّزَ عَلَى ما وَصَفَهُ بِـ« خَطَرِ المُسْلِمِينَ فِي أُورُوبّا»، وَمُشْكِلَةِ «الإِرْهابِ المُتَأَسْلِمِ»!، تِلْكَ الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّها لَيْسَتْ قائمَةً فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّها مُشْكِلَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي أُورُوبّا الَّتِي هِيَ قَلْبُ العالَمِ الغَرْبِيِّ المُتَّسِمِ بِالحُرِّيَّةِ وَالدِّيمُقْراطِيَّةِ؛ وَهُوَ نَفْسُ المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ الَّذِي جَعَلَ هَؤلاءِ الشَّبابِ يُناصِبُونَهُ العَداءِ!.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ الإعجابِ الَّذِي أَبْداهُ « فُوكُوياما» بِـ«الثُّوّارِ المُطالِبِينَ بِالدِّيمُقْراطِيَّةِ»، وَلَكِنَّهُ يَعُودُ فَيُغالِطُ نَفْسَهُ وَالآخَرِينَ قائلاً : بِأَنَّ «المسْلِمِينَ الَّذِينَ يُشْهِرُونَ السِّلاحَ فِي وَجْهِ المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ يَنْتَمُونَ إِلَى سُلالَةٍ مُعَقَّدَةٍ»!، كَما أَنَّ مَنْ سَمَّاهُمُ « إِرْهابِيِّينَ مُسْلِمِينَ : همُ نَتاجُ العُصُورِ الغابِرَةِ، وَأَنَّهُمُ يُشَكِّلُونَ خَطَرًا عَلَى الحَضاراتِ الحَدِيثَةِ»!.

---

٩٤) فرانسيس فوكوياما – نِهَايَة التَّارِيخ – المرجع نفسه– ص ٧١.

٩٥) نَشَرَتْها «واشُنْطُنْ ُوست» في التَّقْرِيرِ الشَّهْرِيِّ الَّذِي أَصْدَرَتْهُ فِي أيار مايُو ٢٠٠٥م.

أمَّا الفَيْلَسُوفُ الفِرنْسِيُّ « آلان فنكيلكروت»، الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ خَطِّ اليَسارِ لَمْ يَتَرَدَّدْ عَنِ التَّصْرِيحِ لِصَحِيفَةِ « هآرتس» الإسْرائيلِيَّةِ أَنَّهُ « بِالرَّغْمِ مِمّا قامَتْ بِهِ الدَّوْلَةُ الفِرَنْسِيَّةُ لِصالِحِ الأَوْلادِ الُمهاجِرِينَ إلاَّ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَها، فَهَذِهِ هِيَ ثَقافَتُهُم. أَمَّا المشْكِلَةُ : فَتَكْمُنُ فِي أنَّ هَؤلاءِ الشَّبابَ السُّودَ وَالعَرَبَ يَدِينُونَ بِالاسْلامِ»[٩٦]!.

وَلَقَدْ جاءَتْ مَطْرُوحَةُ «هَنْتِينْجِتُون» حَوْلَ « صِراعِ الحَضاراتِ»، كَأَوَّلِ دِرَاسَةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ تَضَعُ الإِسْلامَ كإطارٍ لِلخَوْفِ بِشَكْلٍ عَمَلِيٍّ وَعَمِيقٍ مِنَ النّاحِيَةِ الأكادِيمِيَّةِ وَالإِسْتِراتِيجِيَّةِ... بِحَيْثُ أَمْكَنَ أَنْ تَنْحَبِسَ الحَضارَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ كَافَّةُ، وَلا سِيَّما الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ، فِي ذَلِكَ الإطارِ الخُوافِيِّ الخَبِيثِ، الَّذِي اقْتَضَى وَضْعَ الخَطَرِ الإِسْلامِيِّ فِي مُواجَهَةٍ حَتْمِيَّةٍ مَعَ الغَرْبِ، وَكَعَدوٍّ أَوَّلٍ بَعْدَ انْهِيارِ الغُولِ الشُّيُوعِيّ.!

وَبِالرَّغْمِ مِنْ ظُهورِ كِتاباتٍ سابِقَةٍ تَحْدِسُ بِالصَّرَاعِ الُمسْتَقْبَلِيِّ بَيْنَ الإِسْلامِ وَالغَرْبِ لِكُتَّابٍ غَرْبِيِّين، مِثْلَ «آلانَ تُوران» وَ«بِرنارد لويس» وَغَيْرِهِمْ... بَيْدَ أَنَّ ما يُمَيِّزَ دِرَاسَةَ « هَنْتِينْجِتون» : هُوَ بَشَاعَةُ الرُّؤْيَةِ الَّتِي أَضْحَتْ بِمَثَابَةِ النُّبُوءَةِ- مِنْ حَيْثُ إثارَتِها لِشِجُونِ العَامَّةِ، وَإسالَتِها لُعابَ السّاسَةِ الغَرْبيّين، الَّذِينَ لم يَزالُوا مَشْدُودِينَ لِعَقِيدَةِ الصِّراعِ مِنْ أَجْلِ البَقاءِ- وَلاسِيَّما أَنَّ تِلْكَ الدِّرَاسَةَ تَضَعُ الخُطُوطَ الزَّمَنِيَّةَ لِهَذا الخَطَرِ القادِمِ، مُمَثَّلَةً بِالعَقْدَيْنِ الأَوَّلَيْنِ مِنَ القَرْنِ الواحِدِ وَالعشرين؛ ثم لا يكتفي « هَنْتِينْجِتون»

٩٦) نَقْلاً عَنْ : سليمان الدقي- معلومات جديدة بخصوص الرسوم المسيئة للرسول- http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣م.

بِهَذا التَّحْدِيدِ العامّ، وَإنَّمَا يَصِلُ بِحَدْسِهِ وتَوَقُّعَاتِهِ إلَى تَحْدِيدِ العام ٢٠١٠م لِيَكونَ عامًا لِهُجُـومٍ نَوَوِيٍّ مِن قِبَلِ بَعْضِ القُوَىَ الإِسْلامِيَّة الَّتِي يُسَمِّيها بـ«المُتَطَرِّفة» عَلَى إحدى الدُّوَل الغَرْبِيَّة« الكُبْرَىَ». وعَلَىَ إثْرِ هَذَا الهُجُومِ يَتَنَبَّأ الكَاتِبُ بِقِيامِ حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ ثالِثَةٍ، يُمَثِّلُ المُسْلِمُونَ فِيها العَدُوّ الأَوَّل وَالأخطر مِنْ نَوْعِهِ،!«ويأتِي هجوم الحادي عشر فِي أَيْلُول، لِيُعَمِّقَ وَيُعَزِّزَ مِن مَفْهُـومِ الصِّرَاعِ الحَضارِيّ، بِتَمَثُّلِ أمريكا لِعَدُوٍّ وَحْيدٍ وغاشم هُوَ :« الإِسْلام السِّياسِيّ»، الأَمْـر الَّذِي دَفَعَ أمريكا لِشَنِّ حَرْبِها الشَّعْواءِ ضِدَّ الإِسْلامِ»[٩٧].

وَضِمْنَ كتابٍ نُشِرَ مؤَخَّرًا بِعُنْوانِ «فِرَنْسا تَحْتَ خَطَرِ الإِسْلام»، وَالذِي انحاز فِيهِ مُؤَلِّفُهُ «روني مارشان» إلَى الحَلِّ الجِذْرِيِّ بِمَنْطِقِ التَّصْفِيَّةِ أو التَّجْرِيفِ الحَضارِيِّ لِمَا أسْمَاهُ بـ«القَضِيَّةِ المُسْلِمَةِ» أو«المَسْأَلَةِ المُسْلِمَةِ»!، حَيْثُ يرَىَ : وُجُوبَ تَهْجِيرِ كُلِّ المُسْلِمِينَ إلَى دِوَلِهِمُ الأَصْلِيَّةِ... وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ : «مالا يُفَكِّرَ فِيهِ اليومَ الكثيَرَوْنَ، هوَ : عَوْدَةَ المُسْلِمِينَ المُسْتَقِرِّين بفِرَنْسا وَالرافضِين لِلتَّفَرْنُسِ إلَى دِيَار الإِسْلام»[٩٨]. وَلَعَلَّ المُرادَ بِالتَّفَرنُسِ هنا، هوَ: تَرْكُ الإسلامِ دُونَ اشْتِراطِ الدُّخُولِ فِي النَّصْرانِيَّةِ بِالضَّرُورَةِ.!

---

٩٧) هشام سعيد شمسان- صِراع الحَضَارات ولعبة الأقوياء: حوار الحَضَارات، أم صِراع الرُّعْب النووي - جُزْء مِن ورقة مقدمة لمؤتمر حَوْلَ حوار الحَضَارات، انعقد فِي العاصمة اليمنية « صنعاء » فِي منصف عام ٢٠٠٤م.

٩٨) روني مارشان- فِرَنْسَا تَحْتَ خطر الإِسْلام، بَيْنَ الجِهَاد وإعادة الفتح- لوزان- لاج دولـوم- سِلْسِلَة «دوافـع جيوسياسـية» - ٢٠٠٢- نقـلاً عـن : www.almostaqbal.com/Mostaqbale153/Reporter/rep2.htm

وَالحَقِيقَةُ، أَنَّ الحالَةَ الفِرَنْسِيَّةَ لَهَا مَعَ مَسأَلَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» خُصُوصِيَّةٌ، فَالتَّواجُدُ الإِسْلامِيُّ الكَثيفُ هُناكَ :يُمَثِّلُ دائِمًا وَرَقَةً رابِحَةً فِي أَيْدِي المُتاجِرِينَ بِـ«الإِسْلامُ فُوبْيا»!... إِذْ يُوجَدُ فِي فِرَنْسا تَيّاراتٌ فاعِلَةٌ تَكْرَهُ الإِسلامَ وَكُلَّ ما يُذَكِّر بِهِ...! كَما أَنَّ لِلإِعلامِ الفِرَنْسِيِّ دَورًا فاعِلاً فِي مُهاجَمَةِ الإِسْلامِ وَالتَّخْوِيفِ مِنْهُ؛ وَمِنْ ذَلِكَ ما نَشَرَتْهُ صَحِيفَةُ «لُوفِيجارُو» عَمّا تُسَمِّيهُ «الخَطَرَ الإِسْلامِيَّ» عَلَى المُجْتَمَعِ الفِرَنْسِيِّ عَنْ تَقْرِيرٍ تَمَّ تَسْرِيبُهُ مِنَ المُخابَراتِ الفِرَنْسِيَّةِ، يُحَذِّرُ مِنَ انْتِشارِ الإِسْلامِ بِفِرَنْسا؛ حَيْثُ يُسْلِمُ- عَلَى حَدِّ تَقْدِيرِ الصَّحِيفَةِ- ما بَيْنَ عِشرِينَ أَلْفِ إِلَى خَمْسِين أَلْفَ نَسَمَةٍ كُلَّ عامٍ»(٩٩)، وَفِي هَذا مُبالَغَةٌ واضِحَةٌ لَها آثارُها فِي مُجْتَمَعٍ كاثُولِيكِيٍّ كَالمُجْتَمَعِ الفِرَنْسِيِّ.

وَهُنا يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ مَغْزَى بَعْضِ الافْتِراضاتِ وَالتَّحْلِيلاتِ التَّنَبّؤيَّةِ أو التَّخْمِينِيَّةِ الَّتِي يُجْرِيها الباحِثُونَ أو الصُّحافِيُّونَ أو السِّياسِيّونَ فِي الغَرْبِ، وَالتي تَقُولُ مَثَلاً أَنَّهُ « بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةٍ سَيُصْبِحُ رُبُعُ الفِرَنْسِيِّينَ مُسْلِمِينَ، أي ٢٠٪ مِنْهُمْ تَقْرِيبًا؛ وَهَذِهِ المَقُولَةُ الافْتِراضِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الاعْتِقادِ بِأَنَّ ٢٠٪ مِنَ الشَّعْبِ كافٍ لانْتِخابِ رئيس جُمْهُورِيَّةٍ مُسْلِم بِسَهُولَةٍ». إِنَّ النُّخْبَةَ فِي الغَرْبِ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ المُسْلِمِينَ مُتَّحِدُونَ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي سَيَتَمَكَّنُونَ مُسْتَقْبَلاً مِنْ تَعْيِّينِ رَئيسٍ مُسْلِمٍ!. لِذَلِكَ، فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ « الجمهوريةَ الفِرَنْسِيَّةَ مُعَرَّضَةٌ لأَنْ تُصْبِحَ جُمْهُورِيَّةً إسلامِيّةً. يَعِيشُ بَعْضُهُمْ وَهْمًا فِعْلِيًّا، وَهَذا لأَنَّهُمْ يَرْفُضُونَ الإِسْلامَ، وَيَبْنُونَ وَهْمَهُمْ هَذا عَلَى نَظْرَتِهِمُ السَّلْبِيَّةِ لِلإِسْلامِ.!

---

٩٩) نقلاً عَنْ : مَجَلَّةِ البَيانِ اللندنِيَّةِ- العدد ١٩٦- المرجع السابق.

وَهَؤلاءِ الأشْخاصُ هُمُ الَّذِينَ يُثِيرُونَ ضَجّةً كَبِيرةً حَوْلَ مَسألَةِ الإسلامِ المُتَطَرِّفِ»[١٠٠]. إنَّ « مكسيم رودنسون» يَرَى مَثَلاً : أنَّ «الإسلامَ دِينٌ غَرِيبٌ وَمُخِيفٌ يُرْهِبُ العالمَ وَالحَداثَةَ»[١٠١].

وَلَقَدْ وَصَلَ الأمْرُ إلَى حَدِّ أنَّ جِيلَ المُسْتَشْرِقِينَ الجدُدِ أو المُخْبِرينَ الجُدُدِ بِتَعْبِيرٍ أدَقَّ : قَدْ «اعْتَبَرُوا أنَّ جُرْثُومَةَ العُنْفِ عالقَةٌ فِي الإسلامِ مُنْذُ ابْتَدأتْ دَعْوَتُهُ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَةِ قرنًا»[١٠٢]؛ فَمَثَلاً، نَجِدُ أنَّ المُفَكِّرَ الفِرَنْسِيَّ «فرانسوا توَال» فِي كِتابِهِ المُثِيرِ «عَلاماتٌ جِيوبُولِيتكِيَّةٌ»[١٠٣] : يَرَى أنَّ «الأقَلِّياتِ الإسْلامِيّةَ فِي الغَرْبِ نافِرةً مِنَ القَوانِين الغَرْبِيَّةِ رافِضةً التَّعايُشِ مع مُجْتَمَعِها» وَيَتَوَقَّعُ أنْ « تَتَعاظَمَ مَشاكِلُها»[١٠٤]. ثمَّ يأتِي « هنتينجتون» ثانِيَةً لِتأكِيدِ مَقُولاتِ « الإسْلامُ فُوبْيا» مُقَرِّرًا بِأنَّ : « الإسْلامَ مُحَاطٌ بِحِدُودٍ دَمَوِيَّةٍ». وقدأسْهَمَتْ مِثْلُ هَذِهِ الرُّؤَى في خَلْقِ وَتَفْعِيلِ « تَيّارِ الذُّعْرِ المَرَضِيِّ مِنَ الصَّحْوَةِ الإسْلامِيَّةِ

---

١٠٠) نقلاً قناة « العربية» الفضائية- حلقة مِن برنامج: مشاهد وآراء- عنوان الحلقة: «العلمانية والإسلام فِي فرنسا» مرجع سابق - الجمعة ٢٠٠٤/١٠/٢٢.

١٠١) نقلاً عَنْ : مَجَلَّةِ البَيانِ اللندنِيَّةِ- العدد ١٩٦- ذو الحجة ١٤٢٤هـ .

١٠٢) عباس بيضون- الإرهاب بلا و جه لكن العنصرية تخفي وجهها- مقال بجريدة السفير اللبنانية- ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١.

١٠٣) معاون مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ، ومستشار للشؤون الدولية والاستراتيجية فِي مجلس الشيوخ الفرنسي . والكتاب عبارة عن مجموعة مِن الأبحاث والتقارير الَّتِي قدمها الكاتب لمجلس الشيوخ ، وكلها أعمال ذات طبيعة استراتيجية .. أخصها خطورة : ذَلِكَ البحث الَّذِي سماه « إشكاليات حدود ديار الإسلام » .

104) Francois Thual, Repores geopolitiques, Documentation, Frncaise, 1995.

«الإِسْلامُ فُوبْيا» داخِلَ العَدِيدِ مِنَ الدَوَائِرِ الفِكْرِيَّةِ وَالإسْتِراتِيجِيَّةِ فِي الغَرْبِ»[١٠٥].

وَالحَقِيقَةُ أَنَّ الغَرْبَ فَضْلاً عَنْ قِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ وَتَواضُعِ فَهْمِهِ لِلإسْلامِ... بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَسْعَ إِلَى تَدْعِيمِ مَعْرِفَتِهِ بِالدِّينِ الحَنِيفِ، بَلْ إِنَّ هُناكَ مِنَ المَعْنِيِّين بِقَضَايا العَلاقاتِ مَعَ العالَمِ الإسْلامِيِّ فِي الغَرْبِ مَنْ لا يُرِيدُ أن يَفْهَمَ أو يَعْرِفَ أَيَّ شَيءٍ عَنِ الإسْلامِ. فَإِنَّنا نَجِدُ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مَنْ يَذْهَبُونَ إِلَى الاعْتِقادِ بِخَطَرِ الإِسْلامِ لِمُجَرَّدَ أَنَّهُ يُحَرِّمُ أَكْلَ الخَنَازِير؛ هَذَا فِي الوَقْتِ الَّذِي لا يَقِفُونَ المَوْقِفَ ذَاتَهُ مِنَ الهِنْدوسِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّمُ أَكْلَ لُحُومَ البَقَرِ، وَلَمْ نَرَ أَحَدًا يَقُولُ بِأَنَّ تَحْرِيمَ لُحُومِ البَقَرِ : يَضُرُّ بِعَمَلِيَّات التَّبَادُل الاقْتِصادِيّ الدَّوَلِيّ ؟! إنَّ المُهِمَّ لَدَيْهِمْ هُوَ كَيْفِيَّةُ الوُصولِ إِلَى الهَدَفِ النَّهائِيِّ- وَهُوَ تخويفِ وتَنْفِيرِ الغربَيِّينَ مِنَ الإسلامِ بِأَيَّةِ حالٍ- مُتَجاوِزِينَ كُلَّ الاعْتِباراتِ الخُلُقِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ وَالموضُوعِيَّةِ...!

وَنَعْرِضُ فِي هَذا السِّياقِ لِشَهادَةِ البَرِيطانِيِّ «أرسكين تشيلدرز Shlders» فِي كِتابِهِ «الغرب وَالإسلام.. هتك الذاكرة وَالخصام»[١٠٦]. حَيْثُ انْطَلَقَ مِنْ فَرَضِيَّةٍ مُفادُها : أَنَّ الغربَ لَمْ يُحاوِلْ فَهْمَ الإسلامِ فِي أيِّ وَقْتٍ مِنَ الأوقاتِ، لَكِنَّهُ ظَلَّ دائِمًا رافِضًا ومُعادِيًا له...! وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ صُورَتَهُ ظَلَّتْ مُشَوَّهةً بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ فِي الوُجْدانِ العامِّ. وَما يَحْدُثُ الآن مِنْ تَحَيُّزٍ غَرْبِيٍّ ضِدَّ

---

١٠٥) محمد سعدي- الجَنُوب فِي التفكير الاستراتيجي الأمريكي- نشرة : المقتطف الثَّقافِيّ- المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق - بيروت - العدد: ١٩١- ٢٨/١٠/١٩٩٨–ص١١، ١٠.

١٠٦) منشورات مركز الإعلام الإسلامي – الرابطة الماليزية الباكستانية – ١٩٩٢م- ص ٤١.

الإِسْلامِ، ومِنْ حَديثٍ مُعْلَنٍ عَمّا يُسَمَّى « العَدُوُّ الجَدِيدُ»، وَكَيْفِيَّاتُ التَّخْطِيطِ الإِسْتِراتِيجِيِّ لِتَصْدِيرِ الأُصُولِيَّةِ وَصِناعَتِها وَفْقَ الرُّؤْيَةِ الغَرْبِيَّةِ... ذَلِكَ كُلُّهُ لا يُمَثِّلُ مَوْقِفًا جَدِيدًا بِقَدْرِ ما هُوَ : إعلانٌ عَنْ حَقِيقَةِ الكامِنِ وَالَمخْبُوءِ فِي عُمْقِ اللأَّوَعْيِ الغَرْبِيِّ؛ فَفِي تَشْرِينَ الثّانِي ١٩٨٠م، نَشَرَتْ جَرِيدَةُ « نيويورك تايمز» مُلَخَّصًا لِنَدْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ عُقِدَتْ فِي مَدِينَةِ «سانت لويس» الأمْرِيكِيَّة، حَوْلَ «الخَلِيجِ وَالإِسْلامِ» جاءَ فِيها :« إنَّ الإِسْلامَ بِطَبِيعَتِهِ مُعَادٍ لِلْغَرْبِ وَلِلوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ وَضارٌّ بِمَصالِحِها»[١٠٧]. وَلَقَدْ وَجَّهَ أَحَدُ مُراسِلِي شَبَكَةٍ تِلْفازِيَّةٍ أمْرِيكِيَّةٍ سُؤَالاً إلَى البُرُوفسير«ج. س هورفتز» مِنْ جامِعَةِ كُولُومبيا، حَوْلَ ما إذا كانَ الفَرْدُ المُسْلِمُ- شِيعِيًّا كانَ أمْ سُنِّيًّا : هَلْ يَعْنِي أَنَّهُ مُعَادٍ لِلْغَرْبِ وَلأمْرِيكا؟ فَأَجابَ البُرُوفُوسِيرُ المُثَقَّفُ بِـ« نعَم، ذَلِكَ أمْرٌ لا تَرَدُّدَ فِيهِ»[١٠٨]!!. وَفِي العامِ ٢٠٠١م، كَتَبَ الكاتِبُ « ميشيل هولدبيغ» مَقالاً بِمَجَلَّةِ « إقْرأ Lire» الفِرَنْسِيَّة، يَقُولُ فِيهِ : «إنَّ الدِّيانَةَ الأكْثَرَ سُوءًا : هِيَ الاسْلامُ»!!. وَلِلدِّقَّةِ، لا بُدَّ هُنا مِنَ القَوْلِ : بِأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةً أقْبَحَ كَثِيرًا مِنْ كَلِمَةِ «سوءاً»، يَعِفّ اللِّسانُ عَنْ ذِكْرِها صَرِيحَةً، وَمَعَ ذَلِكَ بَرّأتْهُ المَحْكَمَةُ[١٠٩]!.

وَيَزْعُمُ أَحَدُ الكُتَّابِ الغَرْبِيِّينَ أَنَّهُ مِنْ خِلالِ تَحْلِيلِهِ النَّفْسِيِّ لأكْثَرَ مِنْ مائةِ مليونِ إِنْسَانٍ عَرَبِيٍّ عَبْرَ أَلْفٍ وَثَلاثمائةِ سَنَةٍ...! قَدْ خَلُصَ إِلَى أَنَّ: «العَرَبَ

---

١٠٧) نقلاً عن : معالي عبد الحميد حمودة –جريدة العَالَم الإِسْلامِيّ – مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص٧.

١٠٨) المَرْجِع نفسه – ص٧.

١٠٩) نَقْلاً عَنْ : سليمان الدقي- معلومات جديدة بخصوص الرسوم المسيئة للرسول- http://www.aljaml.com/node/2190 - ٢٠٠٦/٦/٣م.

بِطَبِيعَتِهِمُ عُدْوانِيُّونَ يَمِيلُونَ إِلَى الحَرْبِ، وَأَنَّ الانْتِقامَ عِنْدَهُمُ فَضِيلَةٌ، وَهُمُ يَنْزِعُونَ إِلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى الآخَرِينَ.. وَهمُ مُتَحايِلُونَ و« تُبَرِّرُ الغايَةُ الوَسِيلَةَ عِنْدَهُمُ»(١١٠). ذَلِكَ، وَثَمَّةَ أعمالٌ أَدَبِيَّةٌ اسْتِشْراقِيَّةٌ مُفْعَمَةٌ بِرُوحِ التَّعَصُّبِ الَّتِي تُضْفِي عَلَى الآخَرِ الإِسْلامِيِّ سحُبًا قَاتِمَةً مِنْ دُخَانِ الحِقْدِ الأَسْوَدِ،! فَشَاعِرٌ وَأَدِيبٌ مِثْلُ : « ت. س. إليوت»، الَّذِي لَمْ يَحْظَ شاعِرٌ أو أَدِيبٌ غَرْبِيّ بِمِثْلِ شُهْرَتِهِ فِي عَالَمِنا العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ، يَقُولُ :« إِنَّ الغَرْبَ سَيَنْتَهِي لَيْسَ بِانْفِجارٍ بَلْ بِنَشِيجٍ- لَعَلَّهُ نَشِيجُ طِفْلٍ مُسْلِمٍ فِي مَهْدِهِ»(١١١).!

وَفِي دِراسةٍ نُشِرَتْ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ للكاتِبِ الأَمْرِيكِيِّ « مايكل سكوب»، يَقُولُ فِيها :« إِنَّ الصِّرَاعَاتِ الدَّمَوِيَّةَ وَالاغْتِيالاتِ تُعْتَبَرُ مِنْ عَلاماتِ الإِسْلامِ مُنْذُ بِدايَتِهِ. وَهَذِهِ دِيانَةٌ تَبْدُو أَنَّها تُكافِئُ عَلَى العِقابِ أَكْثَرَ مِمَّا تُكافِئُ عَلَى الرَّحْمَةِ، وإذا كانَ تُراثُ الاسْتِعْمارِ الأُورُوبِّيُّ هُوَ : جُزْءًا مِنْ صُورَةِ السُّلُوكِ الحالِيِّ لِلمُسْلِمِينَ، وَمُشْكِلَةِ الفِلَسْطِينِيِّينَ مَعَ «إسرائيل» جزْءٌ آخَر، فَيَبْقَى هُناكَ شَيءٌ أَهَمُّ، وَهُوَ : أَنَّ هَذِهِ عَقِيدةً تَنْزِعُ لِلقِتالِ، وَلا تَرْغَبُ فِي العَيْشِ فِي سَلامٍ وَسْطَ عالَمٍ تَتَعَدَّدُ فِيهِ العَقائِدُ» (١١٢)!. وَيَقولُ «هنتينجتون»: «كُلَّما نَظَرْنا فِي مُحِيطِ الإِسْلامِ، فَسَنَجِدُ أَنَّ المُسْلِمِينَ يَجِدُونَ صُعُوبَةً فِي العَيْشِ

---

١١٠) هارولد غيلدن – العَالَم العَرَبيّ – مقال بالمجلة الأمْرِيكِيَّة للتحليل النفسي– عدد شباط ١٩٧٢م - ص٧٨.

١١١) نقلاً عن : نجيب الكيلاني - الإِسْلامِيَّة والقوى المُضَادّة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٦- ص٣٨.

١١٢) نقلاً عن : الأهرام المصرية – بتَارِيخ ٢٠٠٢/١١/٢٧.

فِي سَلامٍ مَعَ جِيرانِهِمْ، وبينما يُشَكِّلُ المُسْلِمُونَ خُمْسَ سُكّانِ العالَمِ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا فِي فَتْرَةِ التِّسْعِينِيّاتِ، أَكْثَرَ تَوَرُّطًا مِنْ خِلالِ الجَماعاتِ الَّتِي تُمارِسُ العُنْفَ فِي العالَمِ، عَنْ أَيِّ شُعُوبٍ تَنْتَمِي لِحَضاراتٍ أُخْرَى»[١١٣].

وَهُناكَ مِنَ الطَّلْيانِ مَنْ يَذْهَبُ هَذا المَذْهَبَ فِي سِياقِ التَّحْضِيرِ لِعَمَلِيَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ مِنْ نَوْعٍ ما عَلَى خَلْفِيَّةِ «الإِسْلامِ فُوبيا»!؛ فمَثَلاً، نَبَّهَ المُفَكِّرُ الإيطالِيُّ «أمبرتو إيكو» فِي رَسْمِهِ لِما يُسَمَّى «سيناريوهات قِيامِيَّةٍ لِلحَرْبِ الشَّامِلَةِ» إِلَى أَنَّهُ « يُمْكِنُ لاسْتِفْحالِ العَمَلِيَّاتِ الإِرْهابِيَّةِ أَنْ يَبْلُغَ دَرَجَةً لا تُحْتَمَلُ : أَنْ نَدْفَعَ بِجُمُوعِ الغَرْبِيِّينَ إِلَى اعْتِبارِ الإِسْلامِ بِرُمَّتِهِ عَدُوًّا»[١١٤]!. وَهَذا عَيْنُ ما يَراهُ «صمويل هَنْتِينجتون» الَّذِي يُساوِي بَيْنَ «فاطِمَةَ المَرْنِيسِيِّ»[*] وَ«أسامَةَ بْنِ لادِن» فِي المَوْقِفِ مِنَ الغَرْبِ. وَكَذَلِكَ «بِرنارْدِ لِويس» وَ«جُودِيت مِيللر»، هَذِهِ الأَخِيرَةُ الَّتِي «لا تَرَى أَيَّ تَمْيِيزٍ بَيْنَ إِسْلامٍ مُعْتَدِلٍ وَآخَرَ مُتَطَرِّفٍ!، وَأَنَّهُ لا فائِدَةَ مِنْ أَيِّ حُوارٍ مَعَ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ»[١١٦]!.

وَيَأْخُذُ « جُون إسبوزيتو» عَلَى هَذا التَّيَّارِ التَّعْمِيمِيِّ فَيَقُولُ : « هُناكَ عَدَمُ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الحَرَكاتِ الإِسْلامِيَّةِ المُعْتَدِلَةِ وَالمُتَطَرِّفَةِ، وَهُناكَ دَعْوَةٌ إِلَى وَضْعِ جَمِيعِ

---

١١٣) نقلاً عن : الأهرام المصرية- تاريخ ٢٠٠٢/١١/٢٧..

114) www.aljazeera.net/nr/exeres/9acecd4a-7b3e-453b-acc6-295d896e0425

(*) كاتِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَإِحْدَى النّاشِطاتِ اليَمَنِيَّاتِ فِي مَجَالِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ وَحُقُوقِ الإنسانِ. وعضو المجلس البلدي لمحافظة عدن. وَرَئِيسَةُ اتِّحادِ نِساءِ اليَمَنِ.

١١٦) نَقْلاً عَنْ : مُعْتَزِّ الخَطِيبِ- الإِسْلامُ بوَصْفِهِ دِيناً إرهابِيًّا!-
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425

الإسْلامِيِّينَ فِي جانِبِ التَّطَرُّفِ»[١١٧]!. وَلَقَدْ قامَتْ إحْدَى الباحِثاتُ، وَهِيَ «هانا لُوكه» بِرَصْدِ الكِتاباتِ الصَّادِرَةِ بِالألْمَانِيَّةِ بَيْنَ عامِيِّ ١٩٦٧ و١٩٩٠م فَأوْرَدَتْ حَوالِي سِتَّمائةً وَأربَعَةَ عَنوانًا حَوْلَ ظاهِرَةِ ما يسَمَّى بِـ «الأُصولِيَّةِ الإسلامِيَّةِ»، القِسْمُ الأكْبَرُ مِنْها صَدَرَ بَعْدَ قِيامِ الثَّوْرَةِ الإيرانِيَّةِ١٩٧٩م. وفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، تُورِدُ الباحِثَةُ قائمةً تَجْمَعُ المَصادِرَ وَالدِّراساتِ عَنْ المَوضُوعِ نَفْسِهِ الصّادِرَةَ بِاللُّغَةِ الإنْجِلِيزِيَّةِ وَالمَنْشُورَةَ بَيْنَ عامِي ١٩٨٨ و١٩٩٤م، وَتَضُمُّ ألْفًا وَمَائتَيْنِ وستًّا وَأرْبَعِينَ عُنْوانًا. وَهَذا غَيْضٌ مِنْ فِيْضٍ مُسْتَدِيمٍ لِكِتاباتٍ فِي هَذا المَوضُوعِ!....

وَيَعْتَقِدُ المُنْصِفُونَ مِنَ المُحَلِّلِينَ الألْمانِ : أنَّ القارِئَ الألْمانِيَّ يَرْجِعُ إلَى كِتاباتِ الصُّحُفِيِّينَ عَنِ الإسْلامِ بِصِفَتِهِمُ «خُبَراءَ» فِي شُئونِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ وَالإسْلامِ. وَلَعَلَّ مِنْ أشْهَرُ هَؤلاءِ وَأقْدَمُهُم هُوَ « بِيتَر شول لاتور»، الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ الباحِثُ الألمانِيُّ «ألبِرت مِتْسكر» : «إنَّ عَيْبَهُ الأكْبَرَ هُوَ : اعْتِقادُهُ أنَّ كُلَّ مَشاكِلِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ السِّياسِيَّةِ تَعُودُ إلَى مُشْكِلَةٍ واحِدَةٍ هِيَ: الدِّينِ»[١١٨]. وَيَرَى « مِتسِكر» : أنَّ تَأثِيرَ « لاتور» كَبِيرٌ، فَقَدْ بِيعَتْ أعْدادٌ هائلَةٌ مِنْ كُتبِهِ وَذَلِكَ لِقُدْرَتِهِ عَلَى اللَّعِبِ بِمَخاوِفِ القُرَّاءِ، فَهُوَ يُؤَكِّدُ لِلقارِئ ما يَدَّعِي عِلْمَهُ وَمَعْرِفَتَهُ دَوْمًا بِأنَّ «الإسْلامَ دِينُ عُنْفٍ وَيَسْعَى دَوْمًا إلَى تَوْسِيعِ

---

١١٧) نَقْلاً عَنْ : مُعْتَزّ الخَطِيب- الإسلامُ بوَصْفِهِ دِينًا إرهابِيًّا!- المرجع السابق.

١١٨) ألبرت مِتْسكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- منشورات : لاموف- غوتينغن (ألمانيا)- ٢٠٠٠م- نَقْلاً عَنْ :
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BFFF1528-9B41-413A-AA4C-5A5A02E2E2FB

دَائرَةِ نُفُوذِهِ!... وَأنَّ الإسْلامَ لَيْسَ قادِرًا عَلَى الحَياةِ بِسَلامٍ جَنْبًا إلَى جَنْبٍ مَعَ فِئاتٍ غَيْرِ مُسْلِمَةٍ»[١١٩].

وَيَرَى البَعْضُ أنَّ ثَمَّةَ أمْرًا تَغْفَلُهُ مُعْظَمَ الكِتاباتِ الغَرْبِيَّةِ عَنِ الحَرَكاتِ الإسلامِيَّةِ وَعَنْ ظَاهِرَةِ الصَّحْوَةِ بِشَكْلٍ عامٍّ، هُوَ : كَوْنُ ما يُسَمَّى بِالأُصُولِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ « حَرَكَةً مُتَجانِسَةً مُوَزَّعَةً بِشَكْلٍ مُتَساوٍ عَلَى العالَمِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ. فَالأُصُولِيَّةُ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الدَّوْلَةِ الأُخْرَى حَسْبَ الظُّرُوفِ التَّارِيخِيَّةِ وَالسِّياسِيَّةِ وَالجُغْرافِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ الخاضِعَةِ لَهَا... فَلا يُمْكِنُنا أنْ نُطْلِقَ حُكْمًا عامًّا يَقُولُ : بِأنَّ الأُصُولِيَّةَ الإسْلامِيَّةَ : حَرَكَةٌ إرْهابِيَّةٌ أو أنَّ الأُصُولِيَّةَ الإسْلامِيَّةَ خَطَرٌ عَلَيْنا، وَأنَّها تُجاهِدُ مِنْ أجْلِ السَّيْطَرَةِ عَلَى العالَمِ. إنَّنا يُمْكِنُنا أنْ نَحْكُمَ عَلَى هَذِهِ الحَرَكَةِ فَقَطْ إذا وَجَّهْنا الأنْظارَ إلَى خُصُوصِيَّاتِ الحَرَكَةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ أو تِلْكَ...»[١٢٠]، وَهَذا ما يَنْبَغِي التَّوكِيدُ عَلَيْهِ فِي سِياقِ التَّحْلِيلِ الدَّقِيقِ لِواقِعِ هَذِهِ التَّيَّارات؛

وَفِيما يَذْهَبُ نَفَرٌ مِنَ المُثَقَّفِينَ الفِرَنْسِيِّينَ إلَى التَّأكِيدِ عَلَى بَراءَةِ الإسْلامِ وَالحَرَكاتِ الإسْلامِيَّةِ مِنَ ارْتِكابِ أعْمالِ عُنْفٍ... مُؤَكِّدِينَ عَلَى ضَرُورَةِ التَّرَيُّثِ التَّقْيِيمِيِّ والانْضِباطِ بِصَدَدِ تَحْلِيلِ الظَّاهِرَةِ الإسلامِيَّةِ، وَمشِيرِينَ إلَى أنَّ هُناكَ حالَةً مِنَ الغُلُوِّ تَنْتابُ غالِبِيَّةَ المُفَكِّرِينَ وَالمُثَقَّفِينَ فِي مُعالَجَتِهِمُ لِتِلْكَ الظَّاهِرَةِ فِي فِرَنْسا؛ فَحِينَ اعْتَبَرَ الفَيْلَسُوفُ الفِرَنْسِيُّ «جان بودريار» أنَّ «ما

---

١١٩) ألبرت مِشْكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- نَقْلاً عَنْ : المرجع السابق.

١٢٠) ألبرت مِشْكر- الأصولية الإسلامية بين العنف والديمقراطية- نَقْلاً عَنْ : المرجع نفسه.

حَدَثَ فِي سبتمبر/ أيلول هُوَ مُجَرَّدَ : رُعْبٍ مُقابِلَ رُعْبٍ، وَلَيْسَ أيْديُولُوجيا إسْلامِيَّةً أو غَيْرَها!.. رَدَّ عَلَيْهِ الاقْتِصادِيُّ «ألان مينك» ساخِرًا وَمُوَبِّخًا بِقَوْلِهِ: إنَّهُ «لِفَرْطِ نُزُوعِهِ إلَى الشَّعْوَذَةِ : يَمْحُو- بِشارَةٍ مِنْ سِحْرِ عَصاهُ- كُلَّ السِّجالِ حَوْلَ الإسْلامِ : فَلا وَعْدٌ بِالجَنَّةِ... وَلا فَتْوَى... وَلا تَكْفِير...»!.

وَتُشِيرُ إحْدَى الدِّراساتِ إلَى أنَّ «كُلاًّ مِنْ صُنَّاعِ القَرارِ وَالمواطِنِينَ الأمْرِيكِيِّينَ العادِيِّينَ لَدَيْهِمُ صورَةٌ مشَوَّهَةٌ عَنِ الإسْلام»، وَأنَّ «غالِبِيَّةَ الأمْرِيكِيِّينَ يَحْمِلُونَ أفْكارًا مُسْبَقَةً مُعادِيَةً لِلإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، لا تَجِدُ أيَّ أساسٍ مَعْرِفِيٍّ لَهَا»[١٢١].!. فَثَمَّةَ جَهْلٌ فاضِحٌ بِالإسْلامِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ المَقالاتِ وَالأبْحاثِ وَالدِّراساتِ حَوْلَ هَذا الدِّينِ الحَنِيفِ... ما يَدُلُّ عَلَى أنَّ ثَمَّةَ ثَغْرةً أخْلاقِيَّةً فِي هَذا الحَقْلِ الخَطِيرِ!؛ والحَقِيقَةُ، أنَّ هُناكَ « اعْتِقادًا سائدًا بَيْنَ الباحِثِينَ فِي شُئونِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ بِأنَّ الكَثِيرَ مِنَ خبَراءِ الإعْلامِ وَما يُعْرَفُ بِخُبَرَاءِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ المُفَعَمِينَ بِالاسْتِشْراقِ لا يَزالُونَ يَجْهَلونَ الإسْلامَ وَواقِعَ الحَرَكاتِ الإسْلامِيَّةِ وَتَنَوُّعَ الفِكْرِ الإسْلامِيِّ»[١٢٢].

وَيَقُولُ الكاتِبُ النَّرْوِيجِيُّ «داك هيربيورنسريد» : «رَغْمَ مرُورِ ثَلاثَةِ أعْوامٍ عَلَى هَجْماتِ الحادِي عَشَرَ مِنْ أيلول، فَإنَّ نَوْبَةَ الخَوْفِ مِنَ الإسْلامِ تَنْتَشِرُ فِي أُورُوبّا وَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ انْتِشارَ النّارِ فِي الهَشِيمِ، وَأصْبَحَ ذِكْرُ

---

١٢١) الكلامُ لِـ جويس ديفس- نَقْلاً عَنْ : مُعْتَزُّ الخَطِيب- الإسلامُ بِوَصْفِهِ دِينًا إرهابِيًّا!- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425

١٢٢) مُعْتَزُّ الخَطِيب- الإسلامُ بِوَصْفِهِ دِينًا إرهابِيًّا!- المرجع السابق.

الإِسْلامِ وَالُمسْلِمِينَ مُقْتَرِنًا إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ بِمُصْطَلحاتٍ مِنْ قَبِيلِ الإِرْهابِ وَالعُنْفِ وَما شاكَلَهُما»، وَيُضِيفُ : « إِنَّنا نَحْتاجُ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الكَثِيرِ مِنَ الأَساطِيرِ إِزاءَ الُمسْلِمِينَ وَالَّتِي يَصُوغُها مَعَ الأَسَفِ الأَكادِيمِيُّونَ وَأَصْحابُ الرَّأيِ النَّرْوِيجِيُّونَ»[١٢٣]!.

وَغَيْرُ خافٍ عَلَى أَحَدٍ أَنَّ « حَمْلَةَ التَّخْوِيفِ الُمسْتَمِرَّةِ فِي أُورُوبّا وَالغَرْبِ ضِدَّ الإِسْلامِ تُحَبِّذُ عَلَى الدَّوامِ زَجَّ كَلِمَةِ « مُسْلِمٍ» فِي كُلِّ شَيْءٍ لِتَعْزِيزِ الأَجِنْدَةِ الَّتِي يُرَوِّجُ لَها الُمعادُونَ لِلإِسْلامِ هُناكَ. فَفِي أَعْقابِ أَحْداثِ العُنْفِ الَّتِي حَصُلَتْ فِي فِرَنسا ٢٠٠٥م، وَتَورَّطَ فِيها شَبابٌ مُهاجِرُونَ مِنْ شَمالِ أَفْرِيقيا إِلَى فِرَنْسا بِسَبَبِ البَطالَةِ وَالتَّمْيِيزِ!... لاحَظْنا نَفَرًا مِنْ كَتَبَةِ التَّيارِ العُنْصُرِيِّ الَمسَمَّى بِالُمحافِظِ قَدْ أَلْحَقَ نَسَبَ الأَحْداثِ إِلَى الإِسْلامِيِّينَ عَلَى الرُّغْمِ مِمَّا كَتَبَتْهُ الصُّحُفُ.. وَصَرَّحَ بِهِ الُمحَلِّلُونَ الفِرَنْسِيُّونَ مِنْ أَنَّ « بأن ما يَحْدُث لا عَلاقَةَ لَهُ بِالإِسْلامِ، بَلْ إِنَّ هَؤلاءِ الشَّبابَ هُمُ فِي الواقِعِ ضَحايا نِظامٍ عَقِيمٍ تَرَكَهُمُ بِلا وَظائفَ لِسِنِينَ طَوِيلَة».

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ طَنِينِ الحَدِيثِ عَنِ الاسْتِشْراقِ وَضَجِيجِهِ فِي واقِعِنا الُمعاصِرِ، بَيْدَ أَنَّ حالَةً مِنَ البَلادَةِ العِلْمِيَّةِ وَانْعِدامِ الجِدِّيَّةِ قَدْ كَرَّسَ مَنْهَجًا جَدِيدًا فِي عالَمِ الاسْتِشراقِ، وَهوَ : مَنْهَجُ الانْطِباعاتِ الجاهِزَةِ وَالأَحْكامِ الُمسْبَقَةِ وَالتَّعَسُّفِ العِلْمِيِّ وُصُولاً إِلَى مُسَلَّماتٍ مُبْتَسَرَةٍ حَوْلَ القَضايا مَحِلِّ

---

١٢٣) نَقْلاً عَنْ : مُعْتَزِّ الخَطِيبِ- الإِسْلامُ بِوَصْفِهِ دِينًا إِرهابِيًّا!-
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425

الاهْتِمامِ الاستِراتِيجِيِّ... ما يُشْعِرَنا بإنَّنا فِي الحَقِيقَةِ : بإِزاءِ مَوْقِفٍ إيديولوجِيٍّ عَسْكَرِيٍّ غَرْبِيٍّ قَدْ بَلْوَرَتْهُ التَّراكُماتُ التَّارِيخِيّةِ بِما تَطْوِيهِ مِنْ مُتَناقِضاتٍ وأساطِيرَ وَزُيوفٍ وافْتِراءاتٍ فَجَّةٍ تَعُوزُها العَقْلانِيَّةُ وَالإنْصافِ وَالتَّثَبُّتِ... مَوْقِفٍ يَبْدُو فِيهِ المُفَكِّرُ بِبِزَّةِ جِنِرالاتِ الحَرْبِ، الَّذِينَ أغْلَقُوا عُقُولَهُمُ وأعْيُنَهُمُ عَنْ كُلِّ شَيءٍ إلاَّ الغارَةِ- الغارَةُ فَحَسْبُ !

رابِعًـا : ساسَـــةٌ أمْ مُقامِـرُونَ...؟!

عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَتَبَدَّى لَنا مِنْ أنَّ لُغَةَ الخِطابِ الدِّبْلُوماسِيِّ دائمًا ما تَتَلافَى التَّعَرُّضَ مُباشَرَةً لِمَسْالَةِ الأدْيانِ عُمُومًا، وَلا تُحَبِّذَها مِعيارًا لِلتَّفاعُلِ السِّياسِيِّ بَيْنَ الدِّوَلِ وَبَعْضِها البَعْضِ!... وَلَئِنْ أبْدَى البَعْضُ امْتِعاضَهُ إزاءَ بَعْضِ التَّوَجُّهاتِ الَّتِي تَلجَأُ أحْيانًا- وَبِصِفَةٍ اسْتِثنائيَّةٍ إلَى تَوْظِيفِ الدِّينِ فِي خِدْمَةِ السِّياسَةِ أو العكْسِ... بَيْدَ أنَّنا نَعِيشُ حالَةٍ اسْتِثْنائيَّةً حَقًّا... قَدْ تُجُوزَتْ فِيها الأعْرافُ وَالتَّقالِيدُ الدِّبلُوماسِيَّةُ كافَّةً!؛

فَفِي رَبِيعِ عام١٩٩٠م، ألقَى «هِنَرِي كِيسِنْجَر»(*) خِطابًا أمامَ المُؤتَمَرِ السَّنَوِيِّ لِغُرَفِ التِّجارَةِ الدَّوَلِيَّةِ... قالَ فِيهِ : «إنَّ الجَبْهَةَ الجَدِيدَةَ الَّتِي عَلَى الغَرْبِ مُواجَهَتُها هِيَ : العَالَمُ العَرَبِيُّ الإسْلامِيُّ، بِاعتِبارِ هَذَا العَالَمِ : هُوَ العَدُوُّ الجَدِيدُ لِلغْرَبِ». وَعَلَى الصَّعِيدِ ذاتِهِ، دَعَا «كيسِنْجَر»، الَّذِي كانَتْ لَـهُ بَصَماتٌ إيجابِيَّةٌ وَفاعِلَةٌ عَلَى تِلْكَ الجُهُودِ الَّتِي اتَّجَهَتْ فِي سِياقِ حَمْلاتِ التَّخْوِيفِ مِن

(*) يهودي صَهْيُونِيّ أمْرِيكِيّ، تولَّى منصب وزارة الخَارِجِيَّة الأمْرِيكِيَّة فِي عهد الرئيس ريتشارد نيكسون.

اليَقَظَةِ الإِسْلامِيَّةِ، قائلاً :« إن العَالَمَ يَجِبُ أنْ يَسْتَيْقِظَ ويَنْتَبِهَ إلَى الأخْطارِ الَّتِي تُهَدِّدُهُ مِنَ الإِسْلامِ»(١٢٤). بَلْ إنَّ واحدًا مِن أبْرَزِ دُعاةِ النَّصارَى الُمتَصَهْيِنِينَ فِي أمْرِيكا(*)، يَقُولُ : «الإِسْلامُ دِينٌ شِرِّيرٌ وَلا يَتْبَعُ لِنَفْسِ الإِلَهِ- يَعْنِي إِلَهَهُم- أَنَّهُ يُحَرِّضُ عَلَى القَتْلِ وإنَّهُ لَيْسَ دِينُ سَلامٍ»(١٢٥).

وَفِي مُقابَلَةٍ مَعَ صَحِيفَةِ «لوكو تيديان باري» صَرَّحَ السِّياسِيِّ الفِرَنْسِيُّ الُمتَعَصِّبُ «جان كلود بارو» أنَّ : «الدِّيانَةَ الإِسْلامِيَّةَ هِيَ الأكْثَرُ انْغِلاقًا وَتَشَدُّدًا بَيْنَ الدِّيَانات»(١٢٦). كَمَا كانَ هُناكَ مشروع الأكاديمية الأمْرِيكِيَّة لِلفُنُونِ وَالعُلُومِ عَن الأُصُولِيَّةِ « وَقَدْ كانَ الإِسْلامُ فِيهِ هُوَ : الُمرَشَّحَ الوَحْيد لِيَكُونَ «البُعْبُع» الَّذِي تَتَبَنّاهُ وسائِلُ الإعلام، وَتَرْبِطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِرْهابِ»(١٢٧)!. وَقَدْ أَكَّدَتْ «مارجِريت تاتشر»(*) اتِّجاهَ هَذِهِ الُمخَطَّطاتِ فَتَقُولُ : «يَقِفُ الغَرْبُ اليَوْمَ مَعَ الشَّرْقِ الأرْثُوذُكْسِيِّ وَالكاثُولِيكِيِّ فِي خَنْدقٍ واحِدٍ لُمجابَهَةِ العَدُوِّ، وَهوَ الإِسْلام؛ إنَّ الإسلامَ يُمَثِّلُ تَهْدِيدًا عَلَى الُمسْتَوَيَيْنِ العالَمِيِّ وَالَمحَلِّيِّ»(١٢٨).

---

١٢٤) نقلاً عن : جريدة العَالَم الإِسْلامِيّ - العدد ١٣٦٠ – ٤ / ١ / ١٤١٥ هـ - ص٧.

(*) هُوَ (فرانكلين جراهام) رجُلٌ مَشْهُورٌ بِأنَّهُ مؤثر جِداًّ فِي تلك الآلاف الَّتِي تَحْضُرُ محاضراته يَوْم الأحد مِنْ كُلِّ أُسبوعٍ- وَهُوَ صديق شَخْصِيٌّ لجورج بُوش «الآب».

١٢٥) نقلاً عن : قناة الجزيرة الفضائية القطرية – بتاريخ السبت ١٤٢٢/١٠/٧هـ الموافق ٢٠٠١/١٢/٢٢م.

١٢٦) نقلاً عن : جريدة العَالَم الإِسْلامِيّ – العدد : ١٣٦٠- ١٩٩٤/٦/١٣. يعمل هَذا الرجل رئيساً لِمكتب الهجرة الدَّوَلِيّة بفرنسا.

١٢٧) فرانسيس فوكوياما- نهاية التاريخ- مرجع سابق- ص ٤٥.

(*) رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق...

١٢٨) نقلاً عن : محمد سعيد رمضان البوطي – هَذِهِ مُشْكِلاتنا – دار الفارابي – دمشق – د..ت - ص ٦٩.

وَفِي أَثْناءِ حَرْبِ البَلْقانِ عَلَى الإسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ «الإكْسِبْرِيس» الفِرَنْسِيَّةُ تَصْرِيحًا وَرَدَ عَلَى لِسَانِ رئيسِ السُّلْطَةِ الصِّرْبِيَّةِ فِي «كُوسُوفو» يَقُولُ فِيهِ: «افْتَحِي عُيُونَكِ يا أُورُوبّا.. الجِهادُ مَوْجُودٌ عِنْدَنا..»[١٢٩].!

وَلَقَدْ ظَهَرَ «نيك جريفين»[*] فِي فيلمٍ تَسْجِيلِيٍّ أَعَدَّهُ صُحُفِيٌّ مُتَنَكِّرٌ فِي «B. B. C» وَهُوَ يَصِفُ الإسْلامَ بِأَنَّهُ «دِيانةٌ شِرِّيرَةٌ وَعَنِيفَةٌ... انْتَشَرَتْ عَلَى أَيْدِي حَفْنَةٍ مِنَ المَجانِينِ النَّزِقِينَ... وَتَمْتَدُّ الآنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ»[١٣٠]!!.

وَيُؤَكِّدُ تَقْرِيرٌ صَدَرَ عام ١٩٩٨م[١٣١]. عَنْ مَرْكزِ «ساوثرن بوفرتي لوسانتر» الأمْرِيكِيِّ المُسْتَقِلِّ وَالمُتَخَصِّصِ فِي مُراقَبَةِ التَّحَرُّكاتِ المُعادِيَةِ لِلسُّلْطَةِ: أَنَّ المَجْمُوعاتِ الَّتِي تُحَرِّضُ عَلَى الحِقْدِ- «النّازِيَّةُ الجَدِيدَةُ»، «فَرْوَةُ الرَّأسِ»، «المُدافِعُونَ عَنْ تَفَوُّقِ العِرْقِ الأَبْيَضِ»، «الهُوَيَّةُ المَسِيحِيَّةِ»... قَدْ ارْتَفَعَ ما بَيْنَ عامَي ١٩٩٦م، ١٩٩٧م بِنِسْبَةِ ٢٠٪ لِيَصِلَ إِلى خَمْسِمائةِ مَجْمُوعَةٍ تُضافُ إِلَى ثَمانِمائةٍ وَخَمْسِينَ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَى- مِنْها أَرْبَعْمائةُ مِيلِيشيا مُسَلَّحَةٌ مُنْتَشِرَةٌ فِي أَرْجاءِ البِلادِ الأمْرِيكِيَّةِ.

وَيُؤَكِّدُ «مارك بوتوك» مَسْئُولُ المَرْكَزِ المَذْكُورِ أَنَّ «مُعَدَّلَ المُؤامَراتِ الإرْهابِيَّةِ الجِدِّيَّةِ يَبْلُغُ واحِدَةً كُلَّ شَهْرٍ»، وَتَتَعَلَّقُ هَذِهِ المُؤامَراتُ- وَفْقَ التَّقْرِيرِ ذاتِهِ- بِعَمَلِيَّاتِ نَسْفِ جُسُورٍ أو مَبانٍ أو اغْتِيالِ شَخْصِيَّاتٍ رَسْمِيَّةٍ وَاقْتِحامِ

---

١٢٩) فِي عددها الصادر: صباح الجمعة ١٩٩٢/١٢/٤.

(*) زعيم الحزب القومي البريطانيBNP.

130) news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3896000/3896529.stm - ٢٠٠٤/٧/١٥م.

131) http://www.shrooq2.com/vb/showthread.php?t=8112

قَواعِدَ عَسْكَرِيَّةٍ وَسَرِقَةِ مِصارِف... وَذَكَرَ التَّقْرِيرُ، أَنَّهُ فِي ١٨ مارِس مِن العام ١٩٩٨م : أَلْقَتْ قُوّاتُ الأَمْنِ القَبْضَ عَلَى ثَلاثَةِ أَشْخاصٍ تابِعِينَ لِمِلِيشْيا «ميتشيجن» -أَخْطَرُ المِلِيشياتِ المُسَلَّحَةِ- وَهُمْ يُخَطِّطُونَ لِتَفْجِيرِ مَبانٍ فِيدْرالِيَّةٍ وَمَحَطَّةِ تِلِيفِزْيُونٍ وَأَحَدِ الجُسُورِ الكَبِيرَةِ!...

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَطاعَتْ دَوائِرُ الفِكْرِ الإِسْتِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ- طُوَالَ الفَتْرَةِ مِنْ ١٩٩١م : ١٩٩٨م : الوُصُولَ إِلَى فَرَضِيّاتٍ مُهَيْمِنَةٍ، مُؤَدّاها : أَنَّ الأَمْنَ الغَرْبِيّ أَصْبَحَ عُرْضَةً لِلتَّهْدِيدِ المُحْتَمَلِ مِنْ جَانِبِ «الخَطَرِ الأَخْضَرِ»، مُتَمَثِّلاً فِي بَعْضِ الدُّوَلِ الإِسْلامِيَّةِ...! وَيَقُولُ « بُوش» : «سَتَقُومُ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ بِالتَّحَرُّكِ ضِدَّ مِثْلِ هَذِهِ التَّهْدِيداتِ النّاشِئَةِ قَبْلَ أَنْ تَتُشَكَّلَ بِالكامِلِ. إِنَّ المَنْطِقَ وَالدِّفَاعَ عَنِ النَّفْسِ يَسْتَدْعِيانِ قِيَامَ أَمْرِيكا بِالتَّحَرُّكِ ضِدَّ الأَخْطارِ المُحْتَمَلَةِ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ أَخْطارًا حَقِيقِيّةً»(١٣٢).

وَإِمْعانًا فِي تَكْرِيس الاسْتِعْدادِ الدَّائِمِ لِحالَةِ الضَّرْبِ الاسْتِباقِيِّ الغَرْبِيِّ – العُدْوانِيِّ بِطَبِيعَتِهِ : اتَّجَهَتْ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ وَدِولُ الاتِّحادِ الأُورُوبِيَّةُ، وبَعْضُ دِولِ شَرْقِ أُورُوبّا، إِلَى ضَرْبِ المُؤَسَّساتِ الدَّعْوِيَّةِ وَالإِغاثِيَّةِ وَالجَمْعِيّاتِ الخَيْرِيَّةِ، وَقِطاعاتِ العَمَلِ الأَهْلِيِّ التَّطَوُّعِيّ فِي عُمُـوُمِ الرُّقْعَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ... وَتَصْفِيَتُها بِحُجَّةِ أَنَّهَا تُمَوِّلُ أو تَعْمَلُ عَلَى تَفْرِيخِ الإِرْهابِ...!؟! الأَمْرُ الَّذِي مِنْ شَأنِهِ أَنْ يَزِيدَ مِنْ مُعاناةِ شُعُوبِ تِلْكَ

---

١٣٢) ميساء أسعد - الأمن القَوْمِيّ الأمْرِيكِيّ، تحَوْلَات نوعية فِي المَفَاهِيم والتوجهات– نقلاً ع : www.qudsway.com/Links/almujahed/358/358-18.htm

البِلْدانِ، وَيُوَطِّنُ السَّخَطَ الشَّعْبيَّ، وَيُقَوِّي مَوجاتِ العِـدَاءِ لِلغَرْبِ لَيْسَ فِي هَذِهِ البلدانِ وَحَسْبُ، وَإِنَّمَا فِي تِلْكَ البِلاَدِ الَّتِي تُؤثِرُ الاحْتِماءَ بِخُصُوصيّاتِها الحَضارِيَّةِ فِي مُوَاجَهَـةِ المَـدِّ التذويبي العَوْلَمِي... وَلا تَرَى لُزُومًا لِتِلْكَ المُساوَماتِ الرَّخِيصَةِ عَلَى العَقائدِ وَالقِيَـمِ وَالهُوِيّاتِ الحَضَـارِيَّةِ...! بَلْ مِنْ شأن ذَلِكَ أنْ يُكَرِّسَ القَطِيعَةَ بَيْنَ الحَضاراتِ الإِنْسَانِيَّةِ عَلَى اخْتِلافِها!...

وَفِي السِّياقِ ذاتِهِ، طالَبَ زُعَماءُ حِزْبِ التَّقَدُّمِ النّروِيجِيِّ- وَهُوَ حِزْبٌ يَمِينِيٌّ مُتَطَرِّفٌ : بِحَظْرِ الإسلامِ كَفِكْرٍ فِي أُورُوبّا، وَمُعاقَبَةِ مَنْ يُمارِسُون شَعائرَهُ، زاعِمِينَ أَنَّهُ دِينٌ غَيْرُ قانُونِيٍّ، تَنْبَغِي مُعاقَبَةُ مَنْ يَعْتَنِقهُ مِثْلُ النّازِيَّةِ تَمامًا؛! وأنَّ القرآنَ الكَرِيمَ لا يَخْتَلِفَ فِي شَيءٍ عَنْ كِتابِ «كِفاحِي» لِـ« أدولف هتلر».! وَنَسَبَتْ صَحِيفَةُ «داجيلاديت» النَّروِيجِيَّةُ إِلَى رَئِيسِ الحِزْبِ فِي مَدِينَةِ «كريستيان ساند» النَّروِيجِيَّةِ « هالفور هولاس» قَولَهُ : « لَسْنا وَحَدَنا الَّذِينَ نُطالِبُ بِحَظْرِ الإسلامِ. إنَّها فِكْرَةٌ راسِخَةٌ فِي البلدانِ الاسْكِنْدِنافِيَّةِ قاطِبَةً. إنَّنا الآنَ نَسْتَوْرِدُ أشخاصًا يُمارِسُونَ دِيانَةً بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِها الَّتِي مُورِسَت بِها شَعائرُها عِنْدَ ظُهُورِها لِلمَرَّةِ الأُولَى سَنَةَ سِتِّمائةٍ مِيلادِيَّةٍ». وأضافَ، أنَّ «الحُرِّيَّةَ الَّتِي نَتَمَتَّعُ بِها فِي النَّرْوِيجِ قَدْ تُسْلَبُ مِنّا إذا لَمْ نَبْدأ تَقْدِيمَ بَعْضِ المَطالِبِ المُتَعَلِّقَةِ بِهؤلاءِ المُهاجِرِين- فِي إشارة إِلَى المُسْلِمِينَ المقيمين فِي النرويج».! وَيَعُودُ «هولاس» ثانِيَةً لِيَقُولَ : «إنَّ مُساواةَ الإسلامِ بِالنّازِيَّةِ تَحْظَى بِتأييدٍ واسعٍ مِنْ قِبَلِ أعضاءِ الحِزْبِ»[١٣٣].

---

١٣٣) نقلاً عن : جريدة الخليج الإماراتية- ٢٠٠٤/٨/٢م.

وَمُنْذُ عِقْدِ التِّسْعِينِيّاتِ، وَحِزْبُ الشَّعْبِ الدَّانْمارْكِيُّ يَنْظُرُ إلَى الْمُسْلِمِينَ- الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أرْبَعَةً بِالمائةِ مِنْ عَدَدِ السُّكّانِ- بِاعْتِبارِهِمْ « مُشْكِلَةً مُقْلِقَةً»!، وَلَكِنْ بَعْدَ أحْداثِ أيلُول سِبْتَمْبر، انْضَمَّتْ إلَى هَذا الحِزْبِ أحْزابٌ أُخْرَى... وَأصْبَحَتْ مَسْألَةُ «وُجُودِ الْمُسْلِمِينَ» فِي الدَّانْمارِكِ قَضِيَّةً انْتِخابِيَّةً وَرَكَّزَ الإعْلامُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ عَلَى مَشاكِلِ الْمُهاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ لِيَلْصَقَ بِالإسْلامِ صِفَةَ « العُنْفِ» وَ« التَّطَرُّفِ» وَ« الْمُحَرَّماتِ»... وَتَتِمُّ مُناقَشَةُ مَشاكِلَ اجْتِماعِيَّةً لِلْهِجْرَةِ مِنْ زاوِيَةٍ دِينِيَّةٍ بَحْتَةٍ؛ وَلَقَد انْضَمَّتْ مَلِكَةُ الدَّانْمارِكِ إلَى جَوْقَةِ الكَراهِيَةِ بِتَعْبِيرِها عَنِ القَلَقِ مِنَ الْمُشْكِلَةِ الَّتِي يُمَثِّلُها بَعْضُ رَعاياها مِنَ الْمُسْلِمِينَ!؟...

وَلَقَدْ نالَ حِزْبُ الشَّعْبِ الدَّانْمارْكِيُّ جَماهِيرِيَّةً مِنَ خِلالِ تَوْجِيهِ إهاناتٍ مُتَواصِلَةٍ لِلمُسْلِمِينَ... حَيْثُ وَصَفَتْهُمْ إحْدَى مُرَشَّحاتِ الحِزْبِ لِمَجْلِسِ بَلَدِيَّةِ كُوبِنْهاجِن « لِويس فيريفريت» بِأَنَّهُمْ « مَرَضٌ سَرَطانِيٌّ فِي الْمُجْتَمَعِ الدَّانْمارْكِيُّ »[١٣٤].. كَما قالَ النّاطِقُ بِاسْمِ حِزْبِ الشَّعْبِ «مارْتِنْ هِنْرِكْسِنْ» : «إنَّ الإسْلامَ مُنْذُ بِدايَتِهِ : كانَ حَرَكَةً إرْهابِيَّةً»، مُحَذِّرًا «مِنَ السَّماحِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالتَّرَشُّحِ لِعُضْوِيَّةِ البَرْلَمانِ أو المَجالِسِ البَلَدِيَّة»[١٣٥]؛ وَوَصَفَ « هِنْرِكْسِنْ » مَنْ يَعْتَنِقُ الإسْلامَ مِنَ الدَّانْمارْكِيِّينَ : بِأَنَّهُمْ « مُجْرِمُونَ وَلا أخْلاقِيُّونَ». هَذا، وَيَحْفُلُ مَوْقِعُ « هِنْرِكْسِنْ» بِالعَداءِ لِلإسْلامِ وَإهانَةِ الْمُسْلِمِين!؛ وَلَقَدْ تَمَّ

---

١٣٤) نَقْلاً عَنْ : بُثَيْنَة شَعْبان- جَرِيدَةِ الشَّرْقِ الوَسَطِ- ٢٠٠٦/٢/٦م.

١٣٥) من افْتِتاحِيَّةِ صَحِيفَةِ « اكزكتف انتلجنس ريفيو » بِعُنوانِ : مَنْ يُنَظِّمُ جوقة صراع الحضارات؟- نَقْلاً عَنْ : جريدة الثورة السُّورِيَّةِ- الاثنين ٦/٣/ ٢٠٠٦ - http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=7482696620060304131532

اسْتِجْوابُ «هِنرِكْسِنْ» فِي مُناقَشَةٍ بَرْلَمَانِيَّةٍ حَوْلَ مُحْتَوى هَذا المَوقِعِ؟ فَأَفادَ بِأَنَّ «انْتِقادَ الإِسْلامِ : يُمَثِّلُ السِّياسَةَ الرَّسْمِيَّةَ لِحِزْبِهِ»[١٣٦]...

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَلَقَدِ انْساقَ ساسَةٌ كِبارٌ فِي مُسْتَوى « رَئيسِ دَولَةٍ» وَراءَ تِلْكَ الحَمْلَةِ المَشْبُوهَةِ عَلَى الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ في العالَمِ؛ فَالرّئيسُ الفِرَنْسِيُّ « جاكَ شِيراك» فِي أَعْقابِ اسْتِفْزازٍ مُخابَراتِيٍّ أَمْرِيكِيٍّ مُفَبْرَكٍ... نَراهُ فَجاَةً يَطْلُعُ عَلَينا مُعْلِنًا «تَهْدِيدَهُ بِاللُّجُوءِ إِلَى الخَيارِ النَّوَوِيِّ ضِدَّ قُوًى إِقْلِيمِيَّةٍ، حَتَّى لَو امْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى مَخْزُونِ فِرَنْسا الاسْتِراتِيجِيِّ مِنَ هَذا السَّلاحِ. لأَنَّ هُناكَ اسْتِفْزازًا « إرهابيا» يَتَهَدَّدُ مَصالِحَ فِرَنْسا الحَيَوِيَّةِ أو مَصالِحَ حُلَفائها أَيْضًا»[١٣٧]. وَيَبْدُو أَنَّ إيرانَ هِيَ المَسْئولَةُ عَنْ هَذا الإِرْهابِ بِنَظَرِهِمُ!. ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ رَئيسُ وُزَارءِ استُراليا لِيُشِيرَ إِلَى ما وُصِفَ هُناكَ عَلَى أَنَّهُ «رِيبَةٌ فِي الإِسلامِ» مُعْتَبِرًا أَنَّ «المُسْلِمِينَ قَدْ يُشَكِّلُونَ الخَطَرَ الأَكْبَرَ فِي سِياقِ الإِرْهابِ العالَمِيِّ» مُضِيفًا : «إِنَّهُ لَمِنْ دَواعِي الأَسَفِ أَنَّ غالِبِيَّةَ الإِرْهابِيِّينَ فِي العالَمِ مِنَ المُسْلِمِينَ»[١٣٨]!.

وَلَقَدْ بَدا عَجِيبًا أَنْ يَسْتَرْسِلَ الرَّئيسُ « بُوش الابْنُ» في زَلاَّتِهِ الَّتِي لا تَنْتَهِي عَلَى طَرِيقِ عَلاقَتِهِ بِالإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ!.. إِذْ اسْتَخْدَمَ هَذِهِ المَرَّةِ عِبارَةَ «الإِسْلام الفاشِيّ»؛ وَحاوَلَ الإِعلامُ الأَمْرِيكِيُّ تَحْرِيفَ وَتَحْرِيكَ العِبارَةِ

---

١٣٦) نَقْلاً عَنْ : بُثَيْنَةَ شَعْبان- جَرِيدَةِ الشَّرْقِ الوَسَطِ- ٢٠٠٦/٢/٦م.

١٣٧) جاك شوميناد- فوهررية أم بونابرتية؟!- مقال بصَحِيفَةِ « اكزكتف انتلجنس ريفيو»- ترجمة : منير الموسى- الأحد ٢٠٠٦/٢/١٢م.

١٣٨) نَقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- ٢٠٠٦/٩/٦م.

لِتُصْبِحَ « الإِسْلامِيِّينَ الفاشِيِّينَ»... وَلَكِنَّ هَذا لَمْ يَمْنَعْ مِنَ التَّقْرِيرِ بِأَنَّ الإدارَةَ الأَمْرِيكِيَّةَ دَأَبَتْ مُنْذُ الحادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُول عَلَى اعْتِبارِ الإِسْلام كَدِينٍ وَعَقِيدَةٍ هُوَ : الخَصْمُ وَلَيْسَ فِئَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُمْ خُصُومُها!.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أَنَّ اسْتِخْدامَ مُصْطَلَحَي «الفاشِي الإِسْلامِيِّ» وَ«الإسلام فاشِسْت» حالِيًا أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا كانَ الأَمْرُ سابِقًا، وَيُمْكِنُ التَّأَكُّدُ مِنْ ذَلِكَ بِالبَحْثِ عَنْ هَذَيْنِ الْمُصْطَلَحَيْنِ فِي أَيِّ مَوقِعٍ أو صَفْحَةِ شَبَكَةِ المَعْلُوماتِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ حَوْلَ ما يُسَمِّيهِ «دانيال بايبس» «الإسلامُ الْمُتَطَرِّفُ هُوَ العَدُوُّ»!.

وَمِنْ أَبْرَزِ الأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ : الحَدِيثُ القَوِيُّ الَّذِي أَلْقاهُ السِّيناتُورُ «رِيك سانْتُورم» فِي العِشْرِينَ مِنْ تَمُّوز ٢٠٠٦م، وَالَّذِي اسْتَخْدَمَ فِيهِ مُصْطَلَحَ «فاشِيّ» أو « فاشِيَّة» تِسْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً لَدَى حَدِيثِهِ عَنِ الإِسْلام!؛

وَعَلَى امْتِدادِ أُسْبُوعٍ كامِلٍ- ابْتِداءً مِنَ الثَّامِنِ وَالعِشْرِينَ آب ٢٠٠٦م وَحَتَّى الثَّالِثِ مِنْ أَيْلُولَ سِبْتَمْبِرَ : ظَلَّتْ صَحِيفَةُ «لوُس أَنْجِلِيس تايمز» تَجْتَرُّ التُّهَمَ وَتُجْرِي الحُواراتِ وَالتَّحْقِيقاتِ الصُّحُفِيَّةَ حَوْلَ ما صَرَّحَ بِهِ «جورج بوش» «وَنائِبِهِ» «دِيك تِشِينِي» مِنْ أَنَّ الاعْتِقالاتِ الأَخِيرَةَ الَّتِي يَسْمَعُ عَنْها الآنَ رِفاقُنا الْمُواطِنُونَ هِيَ : تَذْكِيرٌ واضِحٌ بِأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِي فِي حالَةِ حَرْبٍ مَعَ الفاشِيِّينَ الإِسْلامِيِّينَ، الَّذِينَ سَوْفَ يَسْتَخْدِمُونَ أَيَّةَ وَسِيلَةٍ لِتَدْمِيرِ كُلِّ مَنْ يُحِبُّ الحُرِّيَّةَ مِنّا، وَلإِيذاءِ أُمَّتِنا وَإِنْزالِ الضَّرَرِ بِها»(١٣٩). هَذا، وَقَدْ جاءَ هَذا التَّصْرِيحُ عَلَى خَلْفِيَّةِ مَعْلُوماتٍ اسْتِخْباراتِيَّةٍ حَوْلَ ما وُصِفَ فِي الصُّحافَةِ

---

١٣٩) مِن تَصْرِيحٍ لِـ« بُوش» فِي العاشِرِ مِنْ آبْ أُغُسْطُس ٢٠٠٦م.

الأمْرِيكِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ «حالَةُ الرُّعْبِ الَّتِي أعْقَبَتْ إحْباطَ المُخَطَّطِ الإرْهابِيِّ الكَبِيرِ لِتَفْجِيرِ الطَّائراتِ فِي لَنْدن»[١٤٠]!.

وَهَذِهِ شِهادَةُ واحِدٍ مِنْ أَشَدِّ ما دَفَعَتْهُمْ أرحامُ الكَراهِيَةُ الغَرْبِيَّةِ لِلآخَرِ العَرَبِيِّ وَالإسلامِيِّ إلَى دُنيا النَّاسِ؛ إنَّهُ « دانيال بايبس» يَقُول: «يُعْجِبُنِي هَذا المَيْلُ فِي النَّظَرِ إلَى إحْدَى صُورِ الإسْلامِ بِوَصْفِها العَدُوِّ؛ لَكِنِّي أَجِدُ كَلِمَةَ «فاشي» مُضَلِّلَةً فِي هَذا السِّياقِ. فَلا تُوجَدُ إلا القَلِيلُ مِنَ الصِّلاتِ التّارِيخِيَّةِ أو الفَلْسَفِيَّةِ بَيْنَ الفاشيَّةِ وَالإسلامِ المُتَطرِّفِ. الفاشيَّةُ تُمَجِّدُ الدَّوْلَةَ، وَتُؤَكِّدُ عَلَى أَهَمِّيَةِ «النَّقاءِ» السُّلالِيِّ، وَتَدْعُو إلَى الدّارونِيةِ الاجْتِماعِيَّةِ، وَتَنْتَقِدُ العَقْلَ وَلا تَحْتَرِمُهُ، وَتَمْتَدِحُ الإرادَةَ وَتَحْتَفِي بِها، وَتَرْفُضُ الدِّينَ كَمُؤَسَّسَةٍ وَمُنَظَّمَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ... وَكُلُّها خصائصُ وَمَظاهِرُ يَبْغُضُها وَيُدِينُها الإسْلامِيُّونَ المُتَطَرِّفُونَ»[١٤١]..

وَلَعَلَّنا نُلاحِـظُ ما تَسْعَى إلَيْهِ تِلْكَ المَجْمُوعاتُ المُتَدَيِّنَةُ بِهَذِهِ الرُّوحِ العَدائِيَّةِ.. المُشْبَعَةِ بِتِلْكَ الفِكْرَةِ الصِّراعِيَّةِ المُلْتَهِبَةِ فِي وُجْدانِها الدِّينِيّ وَالثَّقافِيّ وَالشُّعُورِيّ..! حَيْثُ تُحاوِل بَثَّ رُوحِ الرُّعْبِ وَالتَّرَقُّبِ وَالخَوْفِ وَالتَّوَجُّسِ وَالحَذَرِ فِي رَوْعِ العَامَّةِ دَاخِل المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ... لإمكانِ تَعْيِّيشِهِمُ فِي خِضَمِّ هَذِهِ الحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ بِصُورَةٍ فِيها انتِهازِيَّةٌ مُثِيرةٌ لِلدَّهْشَةِ؛! وَلْنأخُذْ، مَثَلاً، تِلْكَ التَّحْذِيراتِ مِمَّا يَدَّعُونَهُ : «هَجَماتٍ مُرْتَقَبَةً».. «تَفْجِيراتٍ مُتَوَقَّعَة»..

---

١٤٠) هَـذِهِ العِبـارَةُ المَـشْدُودَةُ الإيقـاعِ لِـ« دانيـال بـايبس» فِـي مَقـالٍ لَـهُ- نَقْـلاً عَـنْ : http://ar.danielpipes.org/article/3911

141) http://ar.danielpipes.org/article/3911

«ضَبْطُ وثائقَ وَخُططٍ لِخَطْفِ رَهائِنٍ..».. «تَحْذيراتٌ بِعَدَمِ التَّواجُدِ بالأماكِنِ المُزدَحِمَةِ فِي أوْقاتِ الذِّرْوَةِ».. «إنْذاراتٍ إلَى السِّفاراتِ بِإجلاءِ الرَّعايا تَحَسُّبًا لِوُقوعِ هَجَماتٍ»...؟! أَمْثِلَةٌ عَدِيدَةٌ... بِهَدَفِ إعاشَةِ تِلْكَ المُجْتَمَعاتِ حَالةً مِنَ التَّوَتُّرِ وَالقَلَقِ وَالتَّحَفُّزِ وَالاستعداء تُجاهَ هَذَا الآخَرِ الَّذِي لم يَزَلْ- عَلَى وَجْهِ الحَقِيقةِ- يَلُوحُ فِي آفاقِ التَّخْمِينِ الاسْتِخْباراتِي بِمَلامِحَ عَرَبِيَّةٍ إسْلامِيَّةٍ..؟!

ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّهُ، عَلَى الصعيد التَّارِيخِيّ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مُبَرِّرٌ مَنطِقِيٌّ ومَعْقُولٌ لِلإحْساسِ بِأَيِّ خَطَرٍ يُمْكِنُ أنْ يَتَهَدَّدَ الغَرْبَ مِنَ الإسْلامِ، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا وُضِعَتْ الفُتوحاتُ الإِسْلامِيَّةُ- الَّتِي حَرَّرت بَعْض البِلاَدِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ قَهْرِ الرُّومَانِ، بَلْ حَرَّرَت الغَرْبَ مِنْ ذاتِهِ البُدَائِيَّةِ الجاهِلَةِ الهَمَجِيَّةِ المُتَوَحِّشَةِ.. وَفَتَّحَتْ عَيْنَيْهِ عَلَى قِيَمِ العِلْمِ وَالحَضارَةِ... وَأَمَدَّتْهُ بِزادِ تَفَوُّقِهِ وَبِسِرِّ وُجُودِهِ- فِي مَنْظُورِ التَّعَصُّبِ الأعْمَى وَالحَساسِيَةِ الحَمْقاءِ..!!

وَلَقَدْ غَدا الإسْلامُ فِي مُخَيِّلَةِ الإنْسانِ الغربِيِّ المُنْهَكَةِ هُوَ : «الوَحْشَ الأسْوَدَ»، وَغَدا مِنَ المُمْكِنِ استراتِيجِيًّا إشباعُ النَّعْرَةِ العُنْصُرِيَّةِ وإرواءُ غَلِيلِ النَّزْعَةِ الصِّراعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ ضِدَّ الإسْلامِ بِغَيْرِ حَرَجٍ أو تَرَدُّدٍ... وَلَقَدْ تَمَّ تَصْوِيرُ «مِلْيارَي مُسْلِمٍ مِنَ البَشَرِ، وَكَأَنَّهُمْ كائناتٌ أُخْرَى، وَجِنْسٌ آخَرَ «شيءٌ كالغُزاةِ الفَضائيِّين»، وَكَانَ السَّعْيَ إلَى ضَرْبِ هَؤلاءِ لا يَعْدُو إلاّ أنْ يَكونَ دِفاعًا عَنْ سُكَّانِ الكَوكَبِ الأرضِيِّ مِنْ خَطَرِ البرابِرَةِ الغُزاةِ القادِمِينَ مِنْ خارِجِ التارِيخِ أو مِنْ خارِجِ هَذا العالَمِ. وَلَقَدْ وُجِدَتْ عِباراتٌ مُعادِيَةٌ لِلإسْلامِ مَكْتُوبَةً عَلَى الجُدْرانِ فِي أماكِنَ عامَّةٍ ظاهِرَةٍ فِي وِلايَةِ «أيوا» الأمْرِيكِيَّة. وَحَسْبُ صَحِيفَةِ «أيوا ستات دايلي» فإنَّ مَجْهُولِين كَتَبُوا عِباراتٍ تَهْدِيدِيَّةً عَلَى جُدْرانِ الجامِعاتِ

وَالمَعاهِدِ، مِثْلِ : «سَنُبِيدُ الإسلام مِنْ أَجْلِ السَّلامِ العالَمِيِّ»، «القرآن يُرِيدُ قَتْلَك». وَلَقَدْ بَلَغَ التَّشْوِيهُ حَدَّ وَصْمِ دِينَ الإسْلامِ بِالإرْهابِ فِي مُلْصَقٍ كُتِبَ فِيهِ : «الإسْلامُ هُوَ الإرْهابُ»[١٤٢]!. وَلِذَلِكَ، نَرَى اليَوْمَ : أَنَّ صورَةَ العَرَبِيِّ عِنْدَ الآخَرِ : هِيَ صورَةٌ مُشَوَّهَةٌ، غَيْرُ واضِحةِ المَعالِمِ، تَعْكِسُ ضَياعَ الهُوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ الجَماعِيَّةِ فِي النِّظَامِ العالَمِيِّ الجَدِيدِ... وَأصبحَ يُنْظَرُ إِلَيْنا فِي مُعْظَمِ الأَحْيانِ كَمُسْلِمِينَ «مُتَعصّبين» نَكْرَهُ الغَرْبَ بِفِعْلِ التَّعَصُّبِ الدِّينِيِّ وَعُدوانِيَّةٍ غَيْرِ مَنْطِقِيَّةٍ تُجاهَ قِيَمِ الغَرْبِ اللِّيبْرالِيَّةِ- وَكأَنَّنا أولُ مَنْ كَرِهَ وَيكْرَهَ هَذا القِيَمَ العالَمانِيَّةَ الَّتِي سَقَطَتْ فِي مُجْمَلِ اخْتِباراتِها عَلَى السَّاحَةِ البَشَرِيَّةِ.!

وَلَعَلِّي لا أَكُونُ مُبالِغًا أو مُتَجاوِزًا الحَقائقَ حِينَ أَذْهَبُ بِشُكُوكِيَ تجاهَ مِصْداقِيَّةِ النَّوايا الغَرْبِيَّةِ فِيما تَزْعُمَهُ مِنَ القَضاءِ عَلَى أُسطُورَةِ الإرْهابِ فِي اللاَّوَعْي الغَرْبِيِّ وَالعَالَمِيِّ!، إِذْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعَجِّلَ بِحَرْقِ وَرَقَةِ ما يُسَمَّى بِالإرْهابِ الإسْلامِيِّ فِي اللُّعْبَةِ الغَرْبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ الخَبِيثَةِ... الَّتِي تَعُودُ بِمَكاسبَ تارِيخِيَّةٍ وَجُغْرافِيةٍ- مادِّيَّةٍ وَمَعْنَوِيةٍ هائلَةٍ عَلَى الغَرْبِ...! وَبِالتَّالِي، لَيْسَ الغَرْبِيُّونَ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الغَباءِ السِّياسِيِّ والإسْتِراتِيجِيِّ بَحَيْثُ تُفَوِّتُ عَلَى نَفْسِها فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً لِلتَّشَفِي التَّارِيخِيِّ فِي الإسْلامِ... وَلِلتَّعَيُّشِ الواقِعِيِّ وَالمُسْتَقْبَلِيّ عَلَى حسابِ المُسْلِمِينَ مادِّيًّا وَمَعْنَوِيا.. مدَنِيًّا وَحَضارِيًّا؛! يَقُولُ « ستِيفِن كِليمنس- المَسْئولُ الإستِراتِيجِيُّ فِي الحِزْبِ الجُمْهورِيِّ الأمْرِيكِيِّ : « إِنَّ الخَوْفَ منَ العالَمِ

---

١٤٢) نقلاً عن : جريدة العالم الإسلامي–السعودية - العدد ١٨٦٠- الإثنين ١٣ شعبان ١٤٢٥ هـ.

العَرَبِيِّ لِسَنَواتٍ عَدِيدَةٍ قادِمَةٍ : قَدْ أَصْبَحَ ضَرُورَةً لازِمَةً لِلحَياة»[١٤٣] ؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ البَلاهَةِ حَتَّى يُغْلَق هَذَا الملَفُّ دُونَ أنْ يسْتَنْفِدَ أهدافَهُ وغاياتِهِ، الَّتِي تَتَجاوَزُ حكوماتٍ ونُظُمًا وتَحالُفاتٍ تَشَكَّلَتْ عَلَى خَلْفِيَّةِ وَهْمِ التَّواصلِ بَيْنَ الشَّرْق وَالغَرْب.! فَحَقِيقَةُ الهَدَفِ الاستِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ : تَنْصَبُّ باتِّجاهِ «الإبْقاءِ عَلَى دائِرَةٍ مِنْ العَداواتِ الْمُسْتَدِيمَةِ خارِجَ حُدُودِ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ لِتَبْرِيرِ انْتِشارِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ، وَتَهْدِيدِ مَصالِحِ الآخَرِينَ، فَضْلاً عَنْ تأمينِ مَصالِحِها الخَاصَّةِ»[١٤٤].

وَلَقَدْ جاءتْ أحداثُ أيلُولِ لِتُحَوِّلَ حَالَةَ الحساسِيَّةِ وَالقَلقِ الغرْبِيِّ تُجاهَ ظاهِرَةِ الصَّحْوَةِ الإسلامِيَّةِ مِنْ مُجَرَّدِ كَوْنِها عَدُوًّا مُفْتَرَضًا نِسْبِيًّا إلَى عَدُوٍّ حَقِيقِيٍّ عَلَى خَرِيطَةِ الوَعْي الإسْتِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ؛ وَلِيَتَغَيَّرَ شَكْلُ الصِّراعِ مِنَ الطَّوْرِ البارِدِ إلَى طَوْرٍ آخَرَ اتَّسَمَ بِطابَعِ العُنْفِ وَالمُواجَهةِ المسَلَّحَةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِيها أَشَدُّ الأسْلِحَةِ فَتْكًا وَتَدْمِيرًا!... بَلْ وَسُخِّرَتْ فِيها أقْوَى طاقَةٍ أَمْنِيَّةٍ إعلامِيَّةٍ لِوَصْمِ الإسْلامَ بالتَّطَرُّفِ وَالإرْهابِ فيما يَعُدُّهُ عالِمُ الأنْثَرُوبُولُوجيا البُرُوفيسُورُ «أكبر أحمد» حصارًا؛! وَهوَ حصارٌ تَفْرِضهُ رُؤَى سِياسِيَّةٌ وَإستِراتِيجِيَّةٌ وَإعْلامِيةٌ وَأيْدُيُولُوجِيةٌ مُعادِيَةٌ لِلإسلام. وَيَعِيبُ « أكبرُ أحمد»عَلَى دارِسِي الإسْلامِ- خاصَّةً بَعدَ الحادِي عَشَرْ منْ أيْلُول : نَزْعَتَهُمُ الانْتِقائيَّةَ فِي قِراءَةِ الإسْلامِ، وَخاصَّةً فِي حَقلِ الإعْلامِ؛ وَيَقُولُ : «إنَّ خُبَراءَ الإعْلامِ الجاهِزِينَ عَلَى الفَوْرِ، كُلُّهُمْ مُذْنِبُونَ فِي مِثْلِ هَذا

---

١٤٣) مِنْ تَصْرِيحٍ لَهُ بِقَناةِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ- أواخِرَ تِشْرِين أوَّل أُكْتُوبَر ٢٠٠٦م.

١٤٤) نقلاً عن : trif.nashiri.net/rands.htm - بتَصَرُّف يسير.

الاسْتِخْدامِ الانْتِقائيِّ لِلإسلامِ عُمُومًا وَلِلقُرآنِ الكَرِيمِبِخاصةٍ لِتَدْعِيمِ وُجْهاتِ نَظَرِهِمُ الجاهِزَةِ»[١٤٥].

وَفِي مُحاوَلَةٍ لِتَكْثِيفِ أَحْداثِ أَيْلولِ وَإعادَةِ إنتاجِ تأثيراتِها فِي اللاوَعْي الغرْبِيِّ بِصِفَةٍ عامَّةٍ مُجَدَّدًا، تَسْعَى الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ إِلَى تَفْخِيخِ العَقْلِ وَالضَّمِيرِ الأُورُوبِّيِّيْن بِـ «الإِسْلامُ فُوبْيا» حَيْثُ أَكَدَّ التَّقْرِيرِ الرِّسْمِيِّ الصَّادِرِ عَنْ وَزارَةِ الأمْنِ الدّاخِلِيِّ ما وَرَدَ فِي التَّقارِيرِ الإعْلامِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ أَنَّ تَنْظِيمَ القاعِدَةِ كانَ يُخَطِّطَ لاخْتِطافِ طائراتٍ مِنْ مَطارِ « هيثرو» فِي « لندن» وَالاصْطِدامِ بِإِحْدَى ناطِحاتِ السَّحابِ المَوْجُودَةِ فِي مِنْطَقَةِ «كاناري وارف» فِي العاصِمَةِ البَرِيطانِيَّةِ. وَيُضِيفُ التَّقْرِيرُ : إنَّ القاعَدَةَ كانَتْ تُخَطِّطُ لاخْتِطافِ الطّائراتِ وَالاصْطِدامِ بِها فِي أَهْدافِ تَقَعُ عَلَى السَّاحِلِ الشَّرْقِيِّ لِلوَلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَ« أُسْتُرَاليا» وَ«بَرِيطانيا» وَ«إيطاليا». وَيُفِيدُ التَّقْرِيرُ : إنَّ وَزارَةَ الأمْنِ الدّاخِلِيِّ «مازالت تَتَلَقَّى مَعْلُوماتٍ بِشَأنِ تَعَرُّضِ صِناعَةِ الطَّيَرانِ فِي العالَمِ لِتَهْدِيداتٍ إرْهابِيَّةٍ»[١٤٦].

وَيَبْدُو لِي أَنَّ القادَةَ الغَرْبِيِّنَ فِي مَحافِلِهِمْ السِّياسِيَّةِ والإِسْتِراتِيجيَّةِ: يَتَعامَلُونَ مَعَ مَرَضِ الخوافِ الإسلامِيِّ بِنَوْعٍ مِنَ الانْهِزامِيَّةِ الإرادِيَّةِ أمامَ كَذِبَةٍ هُمُ الَّذِينَ حَبَكُوها وَفِرْيَةٍ اخْتَلَقُوها فَصَدَّقُوها!، وَيُرِيدُونَنا أَنْ نُصَدَّقَها نَحْنُ أَيْضًا!، بِلْ يَجِبْ أَنْ يُصَدَّقَها العالَمُ فِي مُحاوَلَةٍ لِتَصْدِيرِ «الإسْلامِ فُوبيا» خارِجَ

---

١٤٥) نَقْــلاً عَــنْ : مُعْتَــزِّ الخَطِيــب- الإســلامُ بوَصْــفِهِ دِينًــا إرهابِيًّــا!-
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9ACECD4A-7B3E-453B-ACC6-295D896E0425

146)news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_5106000/5106454.stm.

نِطاقِ العالَمِ الغَرْبِيِّ!... فَعَلَى صَعِيدِ الأخْبارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالمَوضُوعِ نَفْسِهِ : نَشَرَتْ صِحِيفَةُ الاتِّحادِ الإماراتِيَّةِ[١٤٧] حَوْلَ ما تُبْدِيهِ الوِلاياتُ الْمُتَّحِدَةُ مِنْ مَخاوِفَ حِيالَ ما اعْتَبَرَتْهُ هَجْماتٍ كِيماوِيَّةً وَبَيُولُوجِيَّةً وَشِيكَةً.. بِاسْتِخْدامِ طائراتٍ لِرَشِّ المُبِيداتِ، فَكَتَبَتْ الصَّحِيفَةُ- نَقْلاً عَنْ وَكالَةِ « جيجي» اليابانِيَّةِ لِلأنْباءِ- أنَّ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةَ حَذَّرَتْ حُلفاءها طِبْقًا لِمَصادِرَ مَوْثُوقَةٍ مِنْ مَوْجَةِ هَجْماتٍ إرْهابِيَّةٍ جَدِيدَةٍ أشَدَّ مِنْ تِلْكَ الَّتِي اسْتَهْدَفَتْها فِي أحْداثِ أيلُولٍ، قَدْ تَكُون هَجْماتٍ كِيماوِيَّةً أو بَيُولُوجِيَّةً بِاسْتِخْدامِ طائراتٍ لِرَشِّ المُبِيداتِ!؟؛ وَأنَّهُ وَفْقًا لِمَعْلُوماتٍ حَصَلَتْ عَلَيْها اليابانُ عَنْ طَرِيقِ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ، فإنَّ ما أسْمَتْهُ «الوَسائلَ الإرْهابِيَّةَ» : سَتَكُونَ أكْثَرَ وَحْشِيَّةٍ وَسَتُسَبِّبَ صَدْمةً أكْبَرَ...؟! وَأنَّ الأهْدافَ الْمُحْتَمَلَةَ لِلهَجْماتِ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ، إلاَّ أنَّ هُناكَ إمْكانِيَّةَ أنْ تَشْمَلَ الدِّوَلَ الأعْضاءَ فِي حِلْفِ شَمالِ الأطْلَسِيِّ وَباكِسْتانَ. وَذَكَرَتْ مَصادِرُ حُكُومِيَّةٌ يابانِيَّةٌ : أنَّ الهَجْماتِ عَلَى اليابانِ لَيْسَتْ مسْتَبْعَدَةً!، إذْ إنَّ طُوكيُو أعْرَبَتْ عَنْ مُسانَدَتِها لِلرَّدِّ الأمْرِيكِيِّ عَلَى الهَجْماتِ!... وَهُوَ مَا نَعُدَّهُ : عَوْلَمَةً لِـ« الإسْلامِ فُوبيا»!...

وَلَعَلَّ الْمُتابعَ لِخِطابِ ما يُسَمَّى « تَنْظِيمُ القاعِدَةِ»، لا تُخْطِئهُ العَبَثِيَّةُ وَاللاَّمَسئولِيَّةُ الَّتِي تُوَظَّفُ لِتَخْدُمُ النَّزْعَةَ الذَّرائعِيَّةَ الغَرْبِيَّةَ الَّتِي تُخَوِّلُ لِلْمُؤَسَّساتِ الغَرْبِيَّةِ تَعْمِيقَ الإحساسِ الشَّعْبِيِّ الغَرْبِيِّ بِـ« الإسْلامِ فُوبيا»!... فَتارَةٌ يَأتِي حَدِيثُ الظَّواهِرِي مُتَوَعِّدًا الغَرْبَ بِـ« غَزواتٍ» فِي العُمْقِ الغَرْبِيِّ مِنْ

١٤٧) العدد الصادر في ٢٠٠١/٩/٢٣م.

خِلالِ تَعاوُنِ مَنْ «بايَعُوه» مِنْ «أفْرادٍ» أو «جَماعاتٍ» أو «مُنَظَّماتٍ» قَدْ تَكُونْ مَوجُودَةً عَلَى شَبَكَةِ «الإنْتَرنت» أو فِي بِلادٍ عَرَبِيَّةٍ وَإسلامِيَّةٍ... أو عَلَى خَرِيطَةِ الـ «سِي آي إيه»!... الأمْرُ الَّذِي يُصَعِّدُ مِنْ حالَةِ الحَذَرِ وَالتَّرَقُّبِ وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِنْفارِ الأمْنِيِّ القُصْوَى... فَيَأتِي ذَلِكَ وَبالاً عَلَى الجالِياتِ المُسْلِمَةِ فِي صُورَةِ مُضايَقاتٍ وَإساءاتٍ وَإيذاءٍ وَضَرَرٍ نَفسِيٍّ وَأدَبِيٍّ بالِغٍ!... وَلَقَدْ أعْلَنَ رَئيسُ الوُزَراءِ الفِرَنْسِيِّ «دومينيك دو فيليبان» مُؤَخَّرًا[148] : أنَّ الوَضْعَ فِي بِلادِهِ يَنْطَوِي عَلَى مَخاطِرَ كَبِيرَةٍ، داعِيًا إلَى تَوَخِّي اليَقَظَةِ، خَاصَّةً بَعْدَ التَّهْدِيداتِ الأخِيرَةِ المَنْسُوبَةِ إلَى الرَّجُلِ الثّانِي فِي تَنْظِيمِ القاعِدَةِ ضِدَّ فِرَنْسا؛ وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى تِلْكَ الإجْراءاتِ مَزِيدٌ مِنْ الاعْتِقالاتِ وَتَوْسِيعِ دَوائرِ الاشْتِباهِ وَالمُلاحَقاتِ الأمْنِيَّةِ وَالتَّعامُلُ مَعَ المُسْلِمِينَ بِمَنْطِقِ التَّفْتِيشِ فِي النَّوايا!...

وَمِنْ جِهَتِها أعْلَنَتْ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ مُؤَخَّرًا عَنْ تَمْدِيدِ حالَةِ الطَّوارِئ الوَطَنِيَّةَ الَّتِي سَبَقَ وَأنْ أعْلَنَها «جورج بوش الإبْنُ» بَعْدَ هَجَماتِ سِبْتِمْبِر/ أيلول٢٠٠١م، حَيْثُ حَذَّرَ «بُوشُ» فِي بَيانٍ رَسْمِيٍّ مِنْ أنَّ ما سَمّاهُ

---

١٤٨) نقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الخَمِيس الموافق١٤/٩/٢٠٠٦م. وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أنَّ مَحْكَمَةً فِرَنْسِيّةً قَدْ أدانَتْ مَجْمُوعَةً تَضُمُّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إسْلامِيًّا بَعْدَ أنِ اتَّهَمَتْهُمُ بِالتَّخْطِيطِ لِشَنِّ هَجْماتٍ عَلَى عِدَّةِ مَصالِحَ وَطَنِيَّةٍ وَأجْنَبِيَّةٍ فَوْقَ الأراضِي الفِرَنْسِيَّةِ عامَي ٢٠٠١ و٢٠٠٢م، وَذَلِكَ فِي إطارِ ما نُسِبَ إلَيْهِمُ مِنْ دَعْمِهِمُ لِلمُقاتِلِينَ فِي الشِّيشانِ. وَقَدْ انْتَقَدَ مُحامُو الدِّفاعِ بِشِدَّةٍ الأحْكامَ الصَّادِرَةَ بِحَقِّ مُوَكِّلِيهِمُ، حَيْثُ اعْتَبَرَ أحَدُهُمُ أنَّ تِلْكَ الأحْكامَ تَأتِي « لِصالِحِ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَرُوسْيا..» وَأنَّ « فِرَنْسا مُكَلَّفَةٌ بِإدانَةِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُزْعِجُونَ هَذِهِ القُوَى». هذَا ، وَقَدْ تَحَدَّثَ بَعْضُ المَوقُوفِينَ خِلالَ جَلْساتِ المُحاكَمَةِ، عَنِ العُنْفِ الَّذِي تَعَرَّضُوا لَهُ أثْناءَ التَّحْقِيقِ مِنْ أجْلِ انْتِزاعِ اعْتِرافاتٍ مِنْهُمُ تَراجَعُوا عَنْها كُلِّها فِيما بَعْدُ!! (نقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ الخَمِيس الموافق١٥/٦/٢٠٠٦ م).

التَّهْدِيدَ «الإرْهابِيَّ» لا يَزالُ قائمًا... وَقالَ « بُوش» : إنَّ الإجْراءاتِ الَّتِي اتُّخِذَتْ فِي إطارِ حالَةِ الطَّوارِئ يَجِبُ أنْ تُطَبَّقَ إلَى ما بَعْدَ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٦. وَأضافَ الرَّئيسُ الأمْريكِيُّ أنَّ « رِجالَ القاعِدَةِ بِلا ضَمِيرٍ، لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا مجانِينَ، وَأنَّ لَدَيْهِمْ مَشْرُوعًا لإقامَةِ دَوْلَةِ الخِلافَةِ، وَيَدْعَمَهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَطَرِّفُونَ مِنَ السُّنَّةِ». وَاتَّهَمَ مَنْ وَصَفَهُمْ بِـ« المُتَشَدِّدِينَ الإسْلامِيِّينَ بِمُحاوَلَةِ الحُصُولِ عَلَى أسْلِحَةٍ نَوَوِيَّةٍ وَغَيْرِها مِنَ الأسْلِحَةِ غَيْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنْ أجْلِ ما ادَّعاهُ « ابْتِزازَ العالَمِ الحُرِّ وَنَشْرِ عَقائدِ الكَراهِيَةِ الَّتِي يَعْتَنِقُونَها، وَزِيادَةِ خَطَرٍ مُميتٍ عَلَى الشَّعْبِ الأمْرِيكِيِّ». وَوَصَفَ « بُوش» الرَّئيسَ الإيرانِيَّ « نَجاد» بِأنَّهُ « طاغِيَةٌ»!، مُؤَكِّدًا أنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لإيرانَ بِحِيازَةِ سِلاحٍ نَوَوِيٍّ وَأنَّ حُكُومتَها لا تَقِلُّ خُطُورَةً عَنِ القاعِدَةِ!. وَقالَ إنَّ « التَّطَرُّفَ الشِّيعِيَّ هُوَ : بِمِثْلِ خُطُورَةِ التَّطَرُّفِ السُّنِّيِّ فِي عَدائهِ لأمْرِيكا وَتَصْمِيمِهِ عَلَى بَسْطِ هَيْمَنَتِهِ عَلَى الشَّرْقِ الأوْسَطِ الكَبِيرِ»[١٤٩].

وَإنَّنِي أكادُ أجْزِمُ بَأنَّ ما جَرَى عَلَى لِسانِ « الظَّواهِرِيِّ» فِي تَصْرِيحاتِهِ الأخِيرَةِ : لا يُمْكِنُ إلاَّ أنْ تَكُونَ مُدَبْلَجَةً بِوَسائلَ اسْتِخْباراتِيَّةٍ إيهامِيَّةٍ خادِعَةٍ!... وَإلاَّ فَإنَّها لا تَصْدُرُ إلاَّ عَنْ شَخْصٍ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَظِلَّهُ، أو تَحَوَّلَ بِوَلائهِ الدِّينِيِّ مِنْ مُجَرَّدِ خِدْمَةِ أفْكارِهِ الَّتِي يَعْتَنِقُها بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ اتِّفاقِنا أو اخْتِلافِنا مَعَها إلَى الانْخِراطِ فِي الخِدْمَةِ بِبلاطِ الاسْتِخباراتِ الأمْرِيكِيَّةِ!... وَإلاَّ فَماذا يَعْنِي بِالإعلانِ عَنْ سَعْيِهِ إلَى استِقْطابِ أفْرادٍ قَسْرًا قَدْ أعْلَنُوا

١٤٩) نقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الأرْبعاء الموافق٢٠٠٦/٩/٦ م.

بَراءتَهُمْ مِمَّا اقْتَرَفُوهُ سَلَفًا... وانْخَرَطُوا فِي العَمَلِ الدَّعْوِيِّ الوَسَطِيِّ.. واندَمَجُوا فِي مُجْتَمَعاتِهِمْ؟... ماذا تَعْنِي إشارَتُهُ إلَى انْضِمامِ تَنْظِيمِ كَذا.. وَجَماعَةِ كَذا إلَى «القاعِدَةِ» فِي بَلادٍ تُلِحُّ فِيها حاجَةُ الغَرْبِ تَحْدِيدًا إلَى التَّدَخُّلِ... مِثْلِ العِراقِ وَأفْغانِستانَ وَالسُّودانِ وَالصُّومالِ وَبَعْضِ بِلادِ الخَلِيجِ وَمِصْرَ...؟! ماذا يَعْنِي ذلكَ؟ وَفِي أيِّ خانَةٍ يَصُبُّ؟ وَلأيِّ مَصْلَحَةٍ يُوَظَّفُ هَذا الخِطابُ الَّذِي يَخْتَصِرُ فَهْمَ الإسلامِ فِي مُجَرَّدِ الإعلانِ عَنْ شَنِّ عَمَلِيَّاتٍ ضِدَّ أهْدافٍ غَرْبِيَّةٍ تَضُرُّ بِمَصالِحِ الأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ أكْثَرَ مِمَّا تَنْفَعُ؟!... بَلْ مِنْ شَانِهِ أنْ يُعَدَّ ذَرِيعَةً لِلتَّدَخُّلِ الغَرْبِيِّ فِي شُئونِ تِلكَ البِلادِ أو يُشَكِّلُ ضَغْطًا عَلَيها أو لَمْزًا وَابْتِزازًا عَقَدِيًّا وَحَضارِيًّا لِمُقَدَّرَاتِها بِحُجَّةِ مُكافَحَةِ الإرْهابِ!... فَفِي تَسْجِيلٍ مُتَلْفَزٍ: بُثَّ مُؤَخَّرًا عَبْرَ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ أعْلَانُ « الظَّواهِرِيِّ» عَنْ أنَّ أفْرادًا وَقِيادِيِّينَ مِمّا يُسَمَّى «الجَماعَةَ الإسلامِيَّةَ» بِمِصْرَ... قَدْ أعْلَنُوا انْضِمامَهُمْ إلَى تَنْظِيمِ «القَاعِدَةِ»... مِنْهُمْ شَخْصٌ يُوصَفُ بِـ« القِيادِيُّ البارِزُ مُحَمَّد خَلِيل الحَكايمة» الَّذِي صَرَّحَ بِأنَّ «لِلجَماعَةِ الإسلامِيَّةِ أدَبِيّاتٍ وَأبْحاثًا» حَدَّدَتْ أُصُولَها الشَّرْعِيَّةِ وَعَرَضَتْ تِلْكَ الأبْحاثَ عَلَى بَعْضِ هَيْئَةِ كِبارِ العُلَماءِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ عام ١٩٨٨م، حَيْثُ أقَرُّوها»[(١٥٠)]!؛ وَهِيَ إشارَةٌ خَبِيثَةٌ لإيرادِ ذِكْرِ السُّعُودِيَّةِ فِي السِّياقِ لِتَوْظِيفِ المَعْلُومَةِ بِما يَخْدُمَ الأهْدَافَ النِّهائيَّةَ لِلْغَرْبِ فِي النَّيْلِ مِنْ بِلادِ الإسْلامِ والمسْلِمِينَ!... حَيْثُ يُعْلَنُ بِاسمِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ عَنْ تَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ بِشَنِّ هَجَماتٍ هُنا أو هُناكَ... فَيَدْفَعُ الْمُسْلِمُونَ فاتُورَةِ وَتَكالِيفِ تِلْكَ

---

١٥٠) نقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الأَحَدُ الموافق٦/٨/٢٠٠٦م.

التَّهْدِيداتِ الوَهْمِيَّةِ الَّتِي لا نَرَى مِنْها إلاَّ مَزِيدًا مِنَ الدِّماءِ الْمُسْلِمَةِ الْمُراقَةِ... وَالفِتَنِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي الأقْطارِ الْمُسْلِمَةِ!...

وَفِي واشُنْطُن، حَثَّ أعْضاءٌ بِمَجْلِسِ النُّوّابِ الأمْرِيكِيِّ دَوْلَةَ الإماراتِ العَرَبِيَّةِ عَلَى بَذْلِ تَعاونٍ أكْبَرَ مَعَ واشُنْطُن لِمُكافَحَةِ ما وَصَفُوهُ بِالإرْهابِ. وَقالَ خَمْسَةُ نُوّابٍ فِي رِسالَةٍ بَعَثُوا بِها إلَى السَّفِيرِ الإماراتِيِّ فِي واشُنْطُنَ : « نَعْتَقِدُ أنَّ دَوْلَةَ الإماراتِ مُعَرَّضَةٌ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ لِلاسْتِغْلالِ مِنْ جانِبِ مَنَظَّماتٍ إرْهابِيَّةٍ مِثْلِ القاعِدَةِ، وَمِنْ جانِبِ السّاعِينَ كَذَلِكَ إلَى الانْتِشارِ النَّوَوِيِّ مِثْلِ إيران»!؛ وَأشارَتْ الرِّسالَةُ إلَى أنَّ الإماراتِ قَدْ بَذَلَتْ جُهُودًا مَلْمُوسَةً لِمُعالَجَةِ المَخاوِفِ الأمْنِيَّةِ،.. غَيْرَ أنَّها لَيْسَتْ كافِيَةً»، وَدَعَتْها لِتَحْدِيدِ الخُطْواتِ الَّتِي اتَّخَذَتْها لِمَنْعِ إساءَةِ اسْتِخْدام نِظامِها المالِي وَنِظامِها لِلرَّقابَةِ عَلَى التَّصْدِيرِ وَتَحْسِينِ الإشْرافِ عَلَى الهَيْئاتِ الخَيْرِيَّةِ وَأنْشِطَةِ الخِدْمات المالِيَّةِ خارِجَ القِطاعِ المَصْرِفِيِّ...»[١٥١].

وَفِي تَصْرِيحٍ لَهُ حَوْلَ مُسْلِمِي أُسْتُراليا يَقُولُ رَئِيسُ وُزَراءِ اسْتُراليا : إنَّ «بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مُتَحَمِّسُونَ لِلجِهادِ»!؛ الأمْرُ الَّذِي أشْعَلَ فَتِيلَ أعْمالِ عُنْفٍ بَيْنَ الاسْتُرالِيِّينَ وَبَعْضِهِمُ البَعْضِ!.. وقد عادَ « هُوارد» لِيُغْضِبَ الْمُسْلِمِينَ فِي شُباطَ فبراير٢٠٠٦م بِقَوْلِهِ : إنَّهُ « يَشْعُرُ بِالقَلَقِ بِشَأنِ الْمُهاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَطَرِّفِينَ الْمُصَمِّمِينَ عَلَى الجِهادِ»[١٥٢].

---

١٥١) نقْلاً عَنْ : قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الثُّلاثاء الموافق٦/٦/٢٠٠٦م.

١٥٢) فِي حُوارٍ لَهُ مَعَ صَحِيفَةِ « فولكسكرانت» الاشْتِراكِيَّةِ التَّقَدُّمِيَّةِ الهُولَنْدِيَّةِ- نقلاً عَنْ: قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الجمعة ١٤٢٧/٨/٨ هـ - الموافق١/٩/٢٠٠٦ م. وَتُعَدُّ هَذِهِ

وَفِي هُولنْدا أعْرَبَ النّائبُ البَرْلَمَانِيُّ الشُّعُوبِيُّ «جِيرْت فِيلدَرْز» عَنْ خَشْيَتِهِ مِمَّا وَصَفَهُ «تِسُونامِي إسْلامِيّ» فِي هُولَنْدا» (١٥٣). وَاقْتَرَحَ النَّائبُ إغْلاقَ الحُدُودِ أمامَ هِجْرَةِ غَيْرِ الغَرْبِيِّينَ إلَى البِلادِ، وَإلْزامِ المُقِيمِينَ مِنْ غَيْرِ الهُولَنْدِيِّينَ بِتَوقِيعِ ما سَمَّاه «عَقْدَ الاستِيعابِ». وَقالَ «فيلدرز»- وَهُوَ ذُو تَوَجُّهٍ يَمِينِيٍّ مَعْرُوفٍ بِعَدائهِ لِلإسْلامِ : إنَّهُ « يَنْبَغِي وَقْفُ هَذا التِّسُونامِي لِثَقافَةٍ غَرِيبَةٍ كُلِّيًّا عَنْ ثَقافَتِنا وَلا تَتَوَقَّفُ عَنْ تَكْرِيسِ سَيْطَرَتِها هُنا»!. وَاعْتَبَرَ «فيلدرز» أنَّ هُناكَ عَلاقَةٌ بَيْنَ الإسْلامِ وَالجَرِيمَةِ فِي الشّارِعِ، وَأنَّهُ دِينٌ ذُو «ثَقافَةٍ عَنِيفَةٍ سَوْفَ تُصِيبُ هَذا هُولَنْدا فِي صَمِيمِ هُوَيَّتِها». وَأضافَ أنَّهُ لا يُؤمِنُ بِوُجُودِ إسْلامٍ مُعْتَدِلٍ!.

وَفِي إيطاليا (١٥٤)، أطْلَقَ رَئيسُ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ الإيطالِيِّ « مارتشيللو بيرا» مَطْلَعَ شَهْرِ نِيسان ٢٠٠٦م قِطارًا أَطْلَقَ عَلَيْهِ «قِطارَ الغَرْبِ السَّرِيع» بِحُجَّةِ الحِفاظِ عَلَى الهُوَيَّةِ الغَرْبِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ الَّتِي يَعْتَبِرَها «مُهَدَّدَةً» مِنْ طَرَفِ الإسْلامِ»!؛ وَحَمَلَ القِطارُ الَّذِي انْطَلَقَ مِنَ العاصِمَةِ رُوما قافَلَةً ضَمَّتْ أكْثَرَ مِنْ خَمْسِمائةِ سِياسِيٍّ يَتَّجِهُونَ إلَى بارِيس وَمَدْرِيد وَاسْطَنْبُولِ وَوَارسو وَعَواصِمَ أُخْرَى... هَذا، وَقَدْ لُوحِظَتْ عِبارَةُ « أُصُولٌ مَسِيحِيَّةٌ» مَكْتُوبَةً عَلَى أحَدِ عَرَباتِ القِطارِ. وَقَدْ صَرَّحَ «مارتشيللو» عَقِبَ وُصُولِ القِطارِ إلَى بُولُونيا

المُقابَلَةُ جُزءًا مِنْ سِلْسِلَةِ مُقابَلاتٍ أجْرَتْها الصَّحِيفَةُ مَعَ رُؤَساءِ كُتَلٍ نِيابِيَّةٍ وَنَشَرَتْها قَبْلَ الانْتِخاباتِ التَّشْرِيعِيَّةِ المُبَكِّرَةِ الَّتِي سَتُجْرَى فِي ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦م.

١٥٣) نقلاً عَنْ : قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- الأحد ١٤٢٧/٩/١٦ هـ - الموافق٢٠٠٦/١٠/٨ م.

١٥٤) نقلاً عَنْ : جَرِيدَةِ الرِّياضِ السَّعُودِيَّةِ- ٢٠٠٦/٤/٤م.

بِأنَّ «الإسْلامَ سَيُصْبِحُ خَطَرًا عَلَى ثَقافَتِنا فِي حالِ افْتِقادِنا لِهُوَيَّتِنا». وَأضَافَ مُؤَكِّدًا عَلَى أنَّ فاعِلِيَّةَ «مُواجَهَةِ هَذا الخَطَرِ عَلَى الغَرْبِ وَأُورُوبَّا تَقْتَضِي عَدَمَ الخُضُوعِ لِفِكْرَةِ مُجْتَمَعٍ مُتَعَدِّدَ الجِنْسِيّات».

هَذا، وَتَشْهَدُ سِويسرا جَدَلاً حادًّا حَوْلَ إمْكانِيَّةِ السَّماحِ بِتَشْيِّيدِ مآذِنٍ فَوْقَ مَقارِّ المَراكِزِ الإسْلامِيَّةِ، بَعْدَ أنْ طَالَبَتْ بَعْضُها بِذَلِكَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ المِئذَنَةَ المُتَنازَعَ حَوْلَها لا يَتَجاوَزُ ارْتِفاعُها سِتَّةَ أمْتارٍ، لَكِنَّ اليَمِينَ المُتَشَدِّدَ- صاحِبَ الصَّوْتِ الأعْلَى قَد اسْتَغَلَّ هَذا المَوْقِفَ لِتَخْوِيفِ الرَّأي العامّ مِنَ الجالِيَةِ المُسْلِمَةِ بِشَكْلٍ فِيهِ تَطَرُّفٌ شَدِيدٌ وَمُغالاةٌ فِي رَفْضها بِطَرِيقَةٍ فاشِسْتِيَّةٍ!... بَلِ اعْتَبَرَ ذَلِكَ التَّيّارُ : أنَّ مُجَرَّدَ المَوافَقَةِ عَلَى بِناءِ مِئذَنَةٍ : سَيَكُونُ مُقَدِّمَةً لِلمُطالَبَةِ بِالمَزِيدِ مِمّا يُوصَفُ بِـ« الامْتِيازاتِ الإسلامِيَّةِ»، الَّتِي تَراها أوساطُ اليَمِينِيِّينَ : غَيْرَ مُتَناسِبَةٍ مَعَ الهُوَيَّةِ السِّوِيسْرِيَّةِ!!.

وَيَنْبَغِي هُنا ألاَّ نَتَجاهَلُ دَوْرَ جُيوشِ الجَواسِيسِ المُنْتَشِرَةِ فِي طولِ الأرْضِ وَعَرْضِها، وَالَّذِينَ يَرْفَعُونَ لِلحُكُوماتِ الغَرْبِيَّةِ التَّقارِيرَ المُخِيفَةَ عَنِ الإسْلامِ وَالمسلِمِينَ، فَتَتِمُّ صياغَةَ التَّرْتِيباتِ الأمنِيَّةِ وَالتَّعامُلِ مَعَ الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيَّةِ وَفْقَ مُحْتَوَى تِلْكَ التَّقارِيرِ!. كَذَلِكَ، يَبدُو أنَّ الكَيَانَ الصَّهْيُونِيَّ بِأجْهزَتِهِ الاسْتِخْباراتِيَّةِ يَعْمَلُ جاهِدًا فِي الفَتْرَةِ الأخيرَةِ لِلتّأكِيدِ عَلَى أبعادِ ما يُسَمَّى « الخَطَـرُ الإسْلامِيُّ» المُتَمَثِّلُ فِيما يُعْرَفُ فِي الغَرْبِ بِـ«الأُصُولِيَّةِ الإسلامِيَّةِ،! وَمُحاوَلَةِ هَذِهِ الأجْهِزَةِ النَّشِطَةِ تَضْخِيمِ هَذا الخَطَرِ وَتَوْسِيعِ قاعِدَتِهِ أمامَ الرَّأْيِ العَامّ العالَمِيِّ خَاصّةً، وَالغَرْبِيّ عامّةً!؛ فَفِي

مُحاوَلَةٍ صهْيُونِيَّةٍ، لضَرْبِ الوُجودِ العرَبِيِّ الإسلامِيِّ المُتَميزِ في أمْرِيكا الجَنُوبِيَّةِ، أعْلَنَتْ الأرْجَنْتينُ فِي الخامِسِ وَالعشْرِينَ منْ تشْرِينِ الأوَّل ٢٠٠٦م- بإِيعازٍ مِنْ جَماعاتِ الضَّغْطِ الصَّهْيُونِيَّةِ فِي أمْرِيكا اللاَّتِينِيَّةِ: أنَّ إيرانَ وَحِزْبَ الله مَسئولانِ عَنْ تَفْجِيراتٍ وَقَعَتْ لِمَعْبَدٍ يَهُودِيٍّ فِي «بِيُونِس أيرس» سَنَةَ ١٩٩٤م!.

وَفِي مُحاضَرَةٍ لَهُ بِعُنْوانِ « الحَرْبُ الطَّوِيلَةِ» قالَ الجِنْرالُ الأمْرِيكِيُّ الأبْرزُ «جُون أبُو زَيْدٍ» أمامَ حَشْدٍ مِنَ المُثَقَّفِينِ فِي جامِعَةِ « هارفارد»[١٥٥] : إنَّهُ يَتَوَقَّعُ أنْ «يُواجِهَ العالَمُ حَرْبًا عالَمِيَّةً ثالِثَةً إذا لَمْ يَجِدْ وَسِيلةً لِوَقْفِ التَّشَدُّدَ الإسْلامِيَّ المُتَزايِدِ». وَفِي مُحاوَلَةٍ تَلْفِيقِيَّةٍ لِتأكِيدِ الوَهْمِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي يُسَيْطِرُ عَلَى عَقْلِيَّةِ الإدارَةِ الأمْرِيكِيَّةِ : قارَنَ «أبُو زيد» بَيْنَ ظُهُورِ أيْديُولُوجِيّاتِ المُتَشَدِّدِينَ- مِثْلَ القُوَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُ القاعِدَةَ.. وَبَيْنَ ظُهُورِ الفاشِيَّةِ فِي عِشْرِينِيّاتِ وثَلاثِينِيّاتِ القَرْنِ العِشْرِينَ في أورُوبّا–تِلْكَ الَّتِي مَهَّدَتْ الطَّرِيقَ أمامَ الحَرْبِ العالَمِيَّةِ الثّانِيَةِ. وَأضافَ «أبُوزيد» : «إذا لَمْ تَكُنْ لَدَيْنا الجُرْأةُ الكافِيَةُ لِمُواجَهَةِ هَذِهِ الأيْديُولُوجِيَّةِ اليَوْمَ : سَنَدْخُلُ فِي حَرْبٍ عالَمِيَّةٍ ثالِثَةٍ غَدًا». وَهَكذا يَضَعُ «أبوزيدٍ» العالَمَ الإسْلامِيَّ أمامَ مَخافَتَيْنِ : خَطَرِ مَا سَمّاه «التَّشَدُّدَ الإسْلامِيَّ الفاشِيَّ» وَ« الدُّخُولِ فِي حَرْبٍ عالَمِيَّةٍ». وَهُما فِي الحَقِيقَةِ «خَطَرانِ» لا يُمْكِنُ تَفادِي أحَدِهِما إلاَّ بِزَوالِ الآخَرِ- كَما يَعْتَقِدُ أبُو زَيْدٍ رَبِيبُ ثَقافَةِ الصِّراعِ!.. إنَّ ما سَمّاهُ « التَّشَدُّدَ الإسْلامِيَّ» لَمْ يَكُنْ سَبَبًا فِي حُرُوبِ الخَلِيجِ الثَّلاثِ. وَلَمْ يَكُنْ

---

١٥٥) نَقْلاً عَنْ: قَناةِ الجَزِيرَةِ القَطَرِيَّةِ- السبت ١٤٢٧/١٠/٢٧ هـ، الموافق ٢٠٠٦/١١/١٨م.

سَبَبًا فِي اجْتِياحِ الغَرْبِ لِكُلٍّ مِنَ البُوسنَةِ والهَرْسِكِ وَكُسُوفُو وَالصُّومالِ وَتَيمُور الأَنْدونِيسيةِ وَغَيْرِها!...

وَفِي مُحاوَلَةٍ لِتَأليبِ القُوَى الإقْليمِيَّةِ وَالعالَمِيَّةِ وَتَحْرِيضِ كُلِّ تَيّارٍ عالَمَانِيٍّ عَلَى أيِّ مَشْرُوعٍ إسْلامِيٍّ ناهِضٍ، يُمْكِنُ أنْ يُثِيرَ مَخاوِفَ المَعْنِيِّينَ بِبَسْطِ يَدِ الهَيْمَنَةِ وَمَخالِبِ الاسْتِئسادِ عَلَى هَذا العالَمِ المَنْكوبِ... كُشِفَ النِّقابُ مؤَخَّرًا عَنْ تَقْرِيرٍ يَحْمِلُ عُنْوانَ « رَسْمُ خَرِيطَةِ المُسْتَقْبَلِ العالَمِيِّ» الصّادِرِ عَنِ المَجْلِسِ الوَطَنِيِّ لِلاسْتِخْباراتِ فِي مِنْطَقَةِ « لانجلي» فِي وِلايَةِ « فيرجينيا» الأمْرِيكِيَّةِ. حَيْثُ يَحْتَوِي التَّقْرِيرُ أرْبَعَةَ سِيناريُوهاتٍ مُحْتَمَلَةٍ لِطَبِيعةِ النِّظامِ العالَمِيِّ فِي ٢٠٢٠م؛ يَتَمَحوَرُ أوَّلُها حوْلَ قُوَّةِ آسيا الاقْتصادِيَّةِ وَالَّتي سَتَسْتَبْدِلُ بالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَأُورُوبّا « كَمَرْكَزٍ لِلْعَجَلَةِ النَّقْدِيَّةِ». يَلِيها سِيناريُو «تَوَسُّعٌ أمْرِيكِيٌّ» يُعْطِي الوِلاياتُ المُتَّحدَةُ القَبضَةَ الحَدِيدِيةَ فِي بَلْوَرَةِ النِّظامِ العالَمِيِّ. فِيما يُحَذِّرُ السِّيناريُو الثّالِثُ مِنْ «اسْتِنْهاضِ خِلافَةٍ إسْلامِيَّةٍ» تُشَكِّلُ « تَحَدِّيًا صارِخًا لِلعاداتِ وَالمَبادِئ الغَرْبِيَّةِ»، أمّا السِّينارْيُو الأخِيرُ فَيشْبهُ تَنَبُّؤاتِ رُواياتِ « جورج أورويل» بِإشارتِهِ إلَى «عاملِ الخَوْفِ» مِنْ عَمَلِيَّاتٍ إرْهابِيَّةٍ مِنْ « طَبَقَةٍ جَدِيدَةٍ وَمُتَمَرِّسَةٍ مِنَ الإرْهابِيِّينَ» تَسْتَدْعِي رُدُودًا أقْوَى وَ«هَيْمَنَةً أمْنِيَّةً»(١٥٦).

---

١٥٦) يَقَعُ التَّقْرِيرُ- الَّذِي أشْرَفَ عَلَى إعْدادِهِ الـ C. I. A فِي مائةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةَ صَفْحَةٍ التقرير الواقع في ١١٩ صفحة وشارك في إعْدادِهِ ألْفُ خبير خِلالَ ثلاثِينَ مؤتمراً في خمس قارات- http://www.albiladnewspaper.com

وَلَئِنْ كانَ البَعْضُ يَرَونَ فِي «جُورجِ بوش الإبنِ» سِياسِيًّا ذا إمْكانِيَّاتٍ مُتَواضِعَةٍ... بَيْدَ أنَّه «تَحَوَّلَ إلَى مُحَرِّضٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَدْخُل بِخُرافَتِهِ مِنْ بابِ السِّياسَةِ وَالتَّارِيخ.. فَأدْخَلَها مِنْ بابِ الخَيالِ السِّينِمائِيِّ»؛ وَفِي السِّياقِ ذاتِهِ، يقول « بُوش الإبن» : نحنُ « نحتاجُ بِالطَّبْعِ إلَى خَيالٍ سِينِمائيٍّ لِنُصَدِّقَ أنَّ الحَرْبَ أُعْلِنَتْ عَلَى الوَلاياتِ المُتَّحِدَةِ مِنْ داخِلِها.. هَذِهِ المُخَيِّلَةُ لا تَحْتاجُ إلَى أنْ تَرَى العَدُوَّ لِتَخافَ مِنْهُ وَسَتَعْتَبِرَهُ قَوِيًّا بِمِقْدارِ ما هُوَ خَفِيٌّ وَبِلا وَجْهٍ.. قَوِيًّا بِمِقْدارِ ما يَظَلَّ ذَرِيعةَ اسْتِنفارٍ وَطَنِيٍّ وَرُبَّما رِئاسِيٍّ. إنَّها المُخَيِّلَةُ الَّتِي تَبْتَكِرَ «هِتْلَرَ» مِنْ « صَدّامِ حُسَيْنِ» وَرُبَّما تَبْتَكِرُ غازِيًا فَضائِيًّا مِنْ «بِنْ لادِنْ»، وَتُلَوِّحُ بِدُمْيَة العَدُوِّ لِتُخِيفَ نَفْسَها وَتُخِيفَ الآخَرِين»[١٥٧]. وَلَقَدْ أبْلَى «بوشٌ» فِي ذَلِكَ بلاءً حَسنًا، وتَحَقَّقَتْ لَهُ الرِّيادَةِ عَلَى أيدِي رِجالِ صِناعَةِ السِّينما العالَمِيَّةِ، وَبِفَضْلِ التَّكْثِيفِ السِّينِمائِيِّ صوبَ العقلية الغربية بِعامَّةٍ وَالأمريكيةِ بخاصَّةٍ أضْحَى «الأمْريكِيُّ العاديُّ يَسْتَطِيعُ أنْ يَخْلِطَ بَيْنَ الخَيالِ العِلْمِيِّ وَالواقِعِ، وأنْ يُحَوِّلَ الخِيالَ العِلْمِيَّ إلَى أُمْثُولَةٍ واقِعِيَّةٍ»[١٥٨]. وَهُوَ ما يَفْرِضُ عَلَينا الكَشْفَ عَنْ مَدَى دَوْرِ الفنِّ في تَفَاقُمِ ظاهِرَةِ « الإسْلامِ فُوبيا» في الأوساطِ الغَرْبِيَّةِ.

---

١٥٧) عباس بيضون- الإرهاب بلا و جه لكن العنصرية تخفي وجهها- مقال بجريدة السفير اللبنانية- ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١. والجديرُ بالذِّكْرِ، أنَّ قَضِيَّةَ اختراع العدو كانَتْ موضوعًا لأكثَرَ مِنْ فيلم نقديٍّ أميركي.

١٥٨) نَقْلاً عَنْ : عباس بيضون- الإرهاب بلا وجه لكن العنصرية تخفي وجهها- المرجع السَّابِقِ.

خامِسًا : الفُنُــونُ.. وعَوْلَمَـةُ «الإِسْلامُ فُوبْيا»..!

بَيْنَما تَعْمَلُ المُؤَسَّساتُ الأُورُوأمْرِيكِيَّةُ جاهِدَةً بِعَزِيمَةٍ وَإِصْرارٍ دَءُوبٍ عَلَى تَحْسِينِ الصُّورَةِ الغَرْبِيَّةِ فِي أَذْهانِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، وَمَحْوِ أيِّ أثَرٍ يُمْكِنُ أنْ يَنْشَأَ عَنِ الشَّعْبِ الغَرْبِيِّ فِي غَيْرِ بُقْعَةٍ مِنْ الخَرِيطَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ... تَلجَأُ أُورُوبّا وَأمْرِيكا إلَى الإمْعانِ فِي تَشْوِيهِ صُورَةِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ وَازْدِراءِ الدِّينِ الإسْلامِيِّ وَالإساءةِ إلَى شَخْصِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ وَالعَظِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ... فِي واحِدَةٍ مِنْ أَبْشَعِ صُوَرِ المُقامَرَةِ الحَضارِيَّةِ وَالنِّفاقِ وَالازْدِواجِيَّةِ الانْتِهازِيَّةِ الخَسِيسَةِ!...

وَلَعَلَّ أسْوَأَ ما أفْرَزَتْهُ هَذِهِ العَمَلِيَّةُ : حُصُولُ حَالَةٍ مِنَ الاعْتِزازِ الزَّائفِ بِالأنا الدِّينِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَالتَّعَصُّبِ الأعْمَى المَبْنِيِّ عَلَى الجَهْلِ المُغَلَّفِ بِقِشْرَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ رَقِيقَةٍ عَنِ النَّصْرانِيَّةِ... وَبِأفْكارٍ مُشَوَّهَةٍ عَنِ المَسِيحِ ﵇!... وَلَنا أنْ نَتَخَيَّلَ تَحْرِيكًا إسْتِراتِيجِيًّا حَثِيثًا بِهَذِهِ الخَلْفِيَّةِ الدِّينِيَّةِ المُتَواضِعَةِ وَهَذا الرَّصِيدِ الخُلُقِيِّ المُتَدَنِّي... لِوَضْعِ الغَرْبِ فِي مُواجَهَةٍ حَضارِيَّةٍ مَعَ الصُّورَةِ أو النَّمُوذَجِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ المُنَمَّطِ، وَالمُنْتَجِ غَرْبِيًّا فِي أروِقَةِ مُخْتَلَفِ الأجْهِزَةِ الإعلامِيَّةِ وَفِي مَعامِلِ مَدِينَةِ السِّينِما العالَمِيَّةِ « هُولِيُود».

وَلَعَلَّ الخَطَرَ هُنا بِالنِّسْبَةِ لِما تَتْرُكَهُ السِّينِما مِنْ تَأْثِيرٍ فِي النَّسِيجِ الفِكْرِيِّ والنَّفْسِيِّ- بِالنِّسْبَةِ لِلْمُتَلَقِّي الغَرْبِيِّ : أنَّها- كما يَقُولُ « لُورنس مِيشالك» : بِمَثابَةِ « قُوَّةٍ ثَقافِيَّةٍ جَبّارَةٍ فِي تَشْكِيلِ نَظْرَتِنا القَومِيَّةِ إلَى العالَمِ، وَالشَّبابُ وَالصِّغارُ بِانْطِباعاتِهِمُ الخاصَّةِ : هُمُ عُشَّاقُ السِّينِما الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ بِها، وَالأفْلامُ

بَعْدَ أنْ تَتْرُكَ دُورَ العَرْضِ السِّينِمائِيِّ : تَنْتَقِلُ إلَى داخِلِ المَنازِلِ مِنْ خِلالِ التِّلِيفِزيُونِ وَالفِيديو. إنَّ شاشَةَ العَرْضِ السِّينِمائِيِّ تُمَثِّلُ المَكانَ الوَحِيدَ الَّذِي يَلْتَقِي عَلَيْهِ الأمْرِيكِيُّونَ بِالعَرَبِ الَّذِينَ صَنَعَتْهُمُ السِّينِما»[١٥٩].

وَلَقَدْ كانَ طَبِيعِيًّا أنْ يُثِيرَ المَشْهَدُ الإنسانِيُّ- وَما يَمُوجُ بِهِ مِنْ أفْكارٍ ساخِنَةٍ مُلْتَهِبَةٍ حَولَ تَصادُمِ الحَضاراتِ وَنِهايَةِ التَّارِيخِ وَدَوْرَةِ الهَيْمَنَةِ الغَرْبِيَّةِ الجَدِيدَةِ- شَهِيَّةَ المُشْتَغِلِينَ بِصِناعَةِ السِّينِما، فَصارَتْ هَذِهِ الأفْكارُ مادَّةً مُناسِبَةً تَمامًا وَجاهِزَةً لِلتَّبَلْوُرِ في قَوالَبَ فَنِّيَّةٍ خادِمَةٍ لِتَوَجُّهاتِ الفِكْرِ الإسْتِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ مِنْ حَيْثُ وَصْلِها بِأوْسَعِ مَساحَةٍ تَأثِيرِيَّةٍ مُمْكِنَةٍ مِنَ القاعِدَةِ الشَّعْبِيَّةِ العَرِيضَةِ... فَتَحْصُلُ حالَةٌ مِنَ التَّعْبِئَةِ الغَرْبِيَّةِ وَالتَّحْضِيرِ لأيَّةِ مُواجَهَةٍ مَعَ الآخَرِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ مِنْ أيِّ نَوْعٍ وَعَلَى أيِّ صَعِيدٍ!...

وَلَعَلَّ أيَّةَ مُواجَهَةٍ بَيْنَ المُتَلَقِّي الغَرْبِيِّ وَبَيْنَ الآخَرِ المُخِيفِ عَلَى خَرِيطَةِ المَشاعِرِ وَالأحاسِيسِ والخَواطِرِ وَالمَفاهِيمِ الغَرْبِيَّةِ المُجَرَّدَةِ : إنَّما هِيَ تَوْطِئَةٌ لِتَسْرِيبِ الخَوْفِ الإيجابِيِّ الدَّافِعِ لأيَّةِ مُواجَهَةٍ عَمَلِيَّةٍ مُزْمَعَةٌ مَعَ ذَلِكَ الآخَرِ... وَهِيَ بَطَبِيعَةِ الحالِ مُواجَهَةٌ غَيْرُ مُكْلِفَةٍ بِالنِّسبَةِ لِلمُشاهِدِ الباحِثِ عَنِ الإثارَةِ مِنْ مُمارَسَةِ العُنْفِ الشُّعُورِيِّ المُفَبْرَكِ عَلَى نَحْوٍ ما!... وَيُفَسِّرُ «ألْفِريد هِيتْشِكُوك» مَيْلَ الجُمْهُورِ لِهَذا النَّوْعِ مِنَ الأعْمالِ السِّينِمائِيَّةِ بِقَوْلِهِ : «لا شَيْءَ

---

١٥٩) نَقْلاً عَنْ : أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةِ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص٤١٠.

أَمْتَعَ مِنْ شُعُورِ الخَوْفِ النّاتِجِ عَنْ مُطالَعَةٍ أو مَشْهَدٍ عِنْدَما يَكُونُ صاحِبُ هَذا الشُّعُورِ نَفْسُهُ جالِسًا فِي مِقْعَدٍ مُرِيحٍ حَيْثُ لا يُجازِفُ بِشَيءٍ»(١٦٠).

وَتُمَثِّلُ السِّينِما بِطَبِيعَةِ الحالِ : المَعْبَدَ الفَنِّيَّ الَّذِي يَلُوذُ بِهِ الغَرْبِيُّونَ بِقَصْدِ التَّخْفُّفِ مِنْ مَلَلِ المَعِيشَةِ وَكَسْرِ رَتابَتِها... وَالتَّحَرُّرِ مِنْ النَّزْعَةِ المادِّيَّةِ لِلْحَياةِ وَصِراعاتِها الَّتِي لا تَهْدَأ!... وَتُعَدُّ «هُولِيُودَ» فِي هَذا السِّياقِ بِمَثابَةِ : قِبْلَةٍ يَتَيَمَّمُها الغَرْبِيُّونَ لِمُمارَسَةِ طُقُوسِ التَّنْفِيسِ المُعْتادَةِ عَنْ أَنْساقٍ اجْتِماعِيَّةٍ مَكْبُوتَةٍ تُعانِي حِرْمانًا رُوحِيًّا وَجَفافًا عاطِفِيًّا مُزْمِنًا... وَنُفُوسٍ مَنْقُوعَةٍ فِي مَواعِينِ فِلْسَفَةٍ وَفِكْرٍ وَثَقافَةِ الصِّراعِ إِلَى دَرَجَةِ العُفُونَةِ!...

وَلَقَدْ تَحَوَّلَتْ « هُولِيُودُ» مِنْ مُجَرَّدِ مَدِينَةٍ لِصِناعَةِ السِّينِما وَإِنْتاجِ الفَنِّ الدَّاعِمِ لِلْقَضايا الإنْسانِيَّةِ إِلَى صالَةٍ لِلْمُقامَراتِ السِّياسِيَّةِ الصَّهْيُونِيَّةِ... وَمَجَالٍ فَسِيحٍ لِلتَّرَبُّحِ الأَثِيمِ وَتَكْدِيسِ المَزِيدِ مِنَ الذَّهَبِ فِي خَزائِنِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ بِدَهاءٍ شَدِيدٍ وَتَخْطِيطٍ مُحْكَمٍ لِتَحْقِيقِ مَجْدِ السُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ!... بَلْ تَحَوَّلَتْ «هُولِيُودُ» مِنْ مُجَرَّدِ مَغارَةٍ تَتَرَدَّدُ فِيها أَصْداءُ حواراتِ حَوْلَ خُطَطِ إِنْتاجِ اللُّصُوصِيَّةِ الاسْتِعْمارِيَّةِ وَالعُنْفِ وَالعُنْصُرِيَّةِ!... بَلْ تَحَوَّلَتْ إِلَى كَهْفٍ تَتَحَنَّثُ فِيهِ جَوْقَةُ المُحافِظِينَ وَالمُسْتَشْرِقِينَ الجُدُدِ... تِلْكَ الَّتِي لا تَفْتَأُ مُنْكَفِئَةً عَلَى التَّرَنُّمِ فِي غُدُوِّها وَرَواحِها بِأَناجِيلِ العَوْلَمَةِ الغَرْبِيَّةِ... الَّتِي تُعَدُّ بِمَثابَةِ مَدْوناتٍ لاجْتِياحِ هذا العالَمِ بِغَيْرِ حَقٍّ!...

160) http://www.almadapaper.com/sub/08-461/p14.htm

وَالحَقِيقَةُ، أَنَّهُ بَعْدَ إعْلانِ قِيامِ دَوْلَةِ الكَيانِ الصَّهْيُونِيِّ الغاصِبِ عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينِ عامَ ١٩٤٨م، ظَهَرَتْ الأَفْلامُ الَّتِي تُصَوِّرُ اليَهُودَ رُسُلاً لِلحَضارَةِ!... وَتُصَوِّرُ العَرَبَ ذِئابًا جائعَةً، وَذَلِكَ فِي إطارِ الحَرْبِ البارِدَةِ[١٦١]. ذَلِكَ فَضْلاً عَنْ تَصْوِيرِ « العَرَبِيِّ : غَرِيبًا وَمُخِيفًا، وَمُدَمِّرًا وَخِطِرًا، وَمُخادِعًا وَقاسٍ، وَقَذِرٍ وَمُتَهَوِّرٍ...»[١٦٢] فَـ« اسْتِمْرارِ الحَرْبُ : تِرْياقُ الحَياةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ»[١٦٣].

وَثَمَّةَ حَشْدٌ مُضطَّرِدٌ مِنَ الدِّعايَةِ المُكَثَّفَةِ وَمُمارَسَةِ الخِداعِ الحَضارِيِّ لِتَرْكِيزِ أَوْهامٍ مَحَلَّ حَقائقَ حَوْلَ اخْتِطافِ عُلَماءِ يَهُودٍ عَلَى : أَيْدَي عَرَبٍ وَرُوسٍ وَأَلْمانٍ يَرِدْ فِي عَدَدٍ مِنَ الأَفْلامِ الَّتِي تُصَوِّرُ وَحْشِيَّةَ وَدَمَوِيَّةَ الخاطِفِينَ «عَمَلِيَّةُ لَنْدَنُ» ١٩٧٩م، وَ«أَولادُ المَجْدِ» ١٩٨٤م- هَذا الأَخِيرُ يُعَدُّ أَضْخَمَ إِنْتاجٍ سِينِمائيٍّ لِلقَناةِ الثَّالِثَةِ البَرِيطانِيَّةِ، وَفِيهِ يَتَحالَفُ الفِلَسْطِينِيُّونَ مَعَ الجَيْشِ الجُمْهُورِيِّ الأَيرلَنْدِيِّ، لاغْتِيالِ عالِمٍ فِيزيائيٍّ يَهُودِيٍّ يَزُورُ لَنْدَنَ لإلْقاءِ مُحاضَرَةٍ عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدامِ الطّاقَةِ النَّوَوِيَّةِ فِي خِدْمَةِ السَّلامِ!!!.

---

١٦١) حَنان عُثْمانَ- حِكايَةُ السِّينِما الصَّهْيُونِيَّةِ- نقلاً عن :

http://www.islamonline.net/iol.arabic/dowalia-23/alfanoos.asp

١٦٢) وليد أبو بكر في مُقَدِّمَتِهِ لِتَرْجَمَةِ كِتابٍ مِنْ إعْدادِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ الخُبَراءِ الصَّهايِنَةِ بِعُنْوانِ: العودة إلى الصحراء- ترجمة : محمد حمزة غنايم- مركز أوغاريت للنشر والترجمة- القدس- ٢٠٠٤- ص ٧.

١٦٣) نَقْلاً عَنْ : أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةِ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص ٣٧١. وَلَعَلَّ هَذا الانْطِباعُ ما حَرِصَ المُخْرِجُ الشَّهِيرُ « فِيلدمان» عَلَى التَّرْوِيجِ له مِنْ خِلالِ فِيلمِهِ « آخِرُ إعادَةٍ لِبوجست» ١٩٧٧م.

وَفِي حِين يَظْهَرُ الإسْرائيلِيُّونَ مِثْلَ الأُورُوبِّيِّينَ تَمامًا فِي نَظافَةِ الثِّيابِ، وَرَجاحَةِ العَقْلِ، وَأناقَةِ التَّصَرُّفِ... يَظْهَرُ العَرَبُ عَلَى هَيْئَةِ أُناسٍ يَبْدُونَ بِنَظَراتٍ كَرِيهَةٍ، وَيَضْحَكُونَ فِي صَخَبٍ، بَيْنَما يُطْلِقُونَ الرَّصاصَ مِنْ بَنادِقِهِمْ عَلَى النِّساءِ»!!. كَما حَرِصَتْ القُوَى الصَّهْيُونِيَّةُ فِي « هُولِيُود» عَلَى تَقْدِيمِ رِجالِ الدِّينِ الإسْلامِيِّ كَرَمْزٍ لِلشُّرُورِ وَالمُوبِقاتِ، فِي مُقابِلِ طَهارَةِ الشَّخْصِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ؛ فَفِي فِيلمِ « اللُّعْبَةِ» : يَظْهَرُ « سَعِيدٌ» عَلَى أَنَّهُ رَجُلُ دِينٍ مِليُونِير شابٌّ بِمَلابِسَ عَرَبِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ يَرْسُمُ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسامَةً صَفْراءَ، وَيُغَلِّفُ شُرُورَهُ بِكَلِماتٍ عَنِ الدِّينِ، فَيَقُولُ لِمَنْ يَحُوطُونَهُ مِمَّنْ يُعِدُّهُم لِلقَتْلِ وَالعُنْفِ : «أَصْدِقائي : اللهُ وَحْدُهُ سَيُقَرِّرُ حَصِيلَةَ ضَحايانا اليَوْمَ!، لَسْتُ أَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ المالِ، فَأنا أَغْنَى إنْسانٍ هُنا بِفَضْلِ الله»(١٦٤)!!...

وَلَئِنْ كانَتْ القَضِيَّةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ مِنَ الأَسْبابِ الرَّئِيسَةُ الَّتِي أَقْحَمَتْ العَرَبَ مُبَكِّرًا فِي ذَلِكَ الخِضَمِّ التَّشْوِيهِيِّ اللَّعِينِ!... وَلَكِنَّ الأَمْرَ المُثِيرَ : أَنْ يُقْحَمَ الإسْلامُ شَيئًا فَشَيئًا فِي خِضَمِّ مَعْمَعَةِ التَّزْيِيفِ وَالافْتِراءِ!... إذْ كانَ الإسْلامُ هَدَفًا لِتِلْكَ القُوَى الَّتِي لا يَرُوقُها بِما يُمَثِّلَهُ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ وَجاذِبِيَّةٍ حَضارِيَّةٍ خاصَّةٍ!... فَمِنْ خِلالِ فِيلمِ « الحِصارِ»، يَخْرُجُ المُشاهِدُ بِانْطِباعٍ سَلْبِيٍّ عَنِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، « فَالفَرائِضُ الإسلامِيَّةُ مِثْلُ : الآذانِ وَالوُضُوءِ

---

١٦٤) سمير فريد - كتاب مدخل إلى السينما الصهيونية- نقلاً عَنْ : أحمد زين- هوليود.. صـــهاينة يرسمـــون للأمريكـــان صـــورة العـــرب!!- 2001/09/25- www.islamonline.net

وَالصَّلاةِ وَالتَّسْبِيحِ... ما هِيَ إلاَّ نُذُرٌ لِلشُّرُورِ، الَّتِي غالِبًا ما تَحْدُثُ لِلْمُجْتَمَعِ الأمْرِيكِيِّ بَعْدَ أنْ نَسْمَعَها أو نَراها»!.

وَلَقَدْ ارْتَبَطَتْ أساطِيرُ « أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ» بِجاذِبِيَّةٍ عَرْضِها لِسِحْرِ الحَياةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي عَطَفَتْ الخَيالَ الإنْسانِيِّ بِاتِّجاهِها وَاسْتَقْطَبَتْ الذَّوْقَ البَشَرِيَّ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَلَوْنٍ...« وَهُوَ مَزِيجٌ مِنْ سِحْرِ الصَّحْراءِ وَالعِشْقِ وَالمُغامَراتِ الخَيالِيَّةِ الجَرِيئةِ وَالابْتِكارِ وَالبُطُولَةِ وَالكَرَمِ وَالوَفاءِ وَالحِكْمَةِ وَلَكِنَّ أكْثَرَ السِّينِمائِيِّينَ الغَرْبِيِّينَ الَّذِينَ جَذَبَتْهُمُ هَذِهِ الحِكاياتُ : قَدْ أضافُوا إلَيْها عَمْدًا : شُرُورًا ألصَقُوها بِشَخْصِيَّةِ العَرَبِيِّ، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ : الغَدْرُ وَالكَذِبُ وَالاحْتِيالُ وَاللُّصُوصِيَّةُ وَالتَّخَلُّفُ وَالتَّآمُرُ وَالتَّخْرِيبُ»!...

هَذا، وَيُشِيرُ البَعْضُ إلَى « دَوْرِ الفَنَّانِينَ الأيْديُولُوجِيِّينَ فِي نَشْرِ الأفْكارِ السِّياسِيَّةِ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بِها مِنْ خِلالِ الأعْمالِ السِّينِمائِيَّةِ»(١٦٥). وَفِي الغَرْبِ: كَثِيرٌ مِنَ المُنْتِجِينَ وَالكُتَّابَ يُصَوِّرُونَ العَرَبِيَّ عَلَى أنَّهُ شِرِّيرٌ فِي مُخْتَلَفِ البَرامِجِ التِّلِفِزْيُونِيَّةِ، سَواءً الرُّسومِ المُتَحَرِّكَةِ لِلأطْفالِ أو أفْلامِ الأُسْبُوعِ المُنْتَجَةِ خِصِّيصًا لِلتِّلِفِزْيُونِ»(١٦٦)..

وكثيرًا ما كَتَبَ نُقَّادٌ سِينِمائِيُّونَ عَنْ أنَّ «هُولِيُود» تَخْدُمُ السِّياسَةَ الخَارِجِيَّةَ الأمْرِيكِيَّةَ، حَيْثُ تَوالَتْ فِي أَوَاخِرِ الثَّمانِينات مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ :

---

١٦٥) أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةِ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص٤١٠.

١٦٦) جاك شاهين- العَرَبِيُّ فِي التِّلِيفِزيُون- مَنشُوراتُ جامعة بولينج جرين- أُوهايُو- ١٩٨٤) نَقْلاً عَنْ : أحمد رأفتْ بَهْجَتْ- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةِ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص ١٤٢.

عَمَلِيَّاتُ التَّحْضِيرِ لإبْرازِ صُورَةِ العَدُوِّ الإِسْلامِيِّ الخارِقِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ العَالَمُ بِوَجَلٍ وَتَرَقُّبٍ كَبَدِيلٍ لِلشُّيُوعِيَّةِ المُحْتَضَرَةِ، مِثْل فيلم «ذا دلتا فورس» و«المنتقم»١٩٨٦م، وَ« المَوْتُ قَبْلَ العارِ» ١٩٨٧م. وَ«سَرِقَةُ السَّماءِ» ١٩٨٨م، وَ«نافي سيلز» ١٩٩٠م...إلخ. حَيْثُ يأتِي العَدُوُّ العَرَبِيُّ وَالإِسْلامِيُّ الخارِقُ فِي مِثْل هَذِهِ الأفْلامِ مُمْتَلِكًا أَسْلِحَةً نَوَوِيّةً ذاتَ خَواصٍّ تَدْمِيرِيَّةٍ شامِلَةٍ، وَصَوارِيخَ «شْتِينْجَر».. يُهَدِّدُ بِهَا الأبْرِياءَ الَّذِينَ يَتَدَخَّلُ الغَرْبِيُّ الطَّيِّبُ مِنْ أَجْلِ إنْقاذِهِم وَحِمايَتِهِم..! وهَكَذَا تتَحَوَّل المُواجَهَةُ بَيْنَ الغَرْبِيّ المُدافِعِ عَنْ حقوق الإِنْسَان فِي العالَمِ وَبَيْنَ الشُّيُوعِيِّ الأحْمَرِ الشِّرِّيرِ، إلَى مُواجَهَـةٍ مُحْتَدِمَةٍ مَعَ «العَدُوِّ الإِسْلامِيّ الأَخْضَرِ» الجَدِيدِ القَدِيمِ!... وَبَعْدَ حادِثِ تَفْجِيرِ «أوكلاهوما» الشهير، تَوَلَّتْ «هوليود» كِبْرَ تَسْرِيبِ الإفْكِ العَظِيمِ مِنْ خِلالِ إنتاجِها فيلمًا عُنوانَهُ « أكاذِيبُ حَقِيقِيَّةٌ»، حَيْثُ يُصَوِّرُ المُسْلِمِينَ كَمَجْمُوعَةٍ مِنَ المُتَطَرِّفِينَ الأشْرارِ الَّذِينَ يُنَفِّذُونَ مُؤامَـرةً كُبْرَى لِتَفْجِيرِ مُفاعِلٍ نَوَوِيٍّ فِي فُلُورِيدا.

وَيَصِلُ تَشْوِيهُ صُورَةُ العَرَبِ إلَى أقْصَى دَرَجاتِهِ فِي بَرامِجِ الأطْفالِ الَّتِي يُقَدِّمُها التِّلِيفِزِيُونُ الأمْرِيكِيُّ حَيْثُ تُوحي هَذِهِ البرامِجُ لِلأطْفالِ بِأنَّ العَرَبَ قَوْمٌ أشْرارٌ وَمُغَفَّلُونَ!... وَيَبْدُو هَذا واضِحًا فِي أفْلامِ الرُّسُومِ المُتَحَرِّكَةِ، فَلا يَحْدُثُ مُطْلَقًا أنْ يَظْهَرَ فِي هَذِهِ الأفْلامِ بَطَلٌ عَرَبِيٌّ يُمْكِنُ أنْ يُعْجَبَ بِهِ الأطْفالُ وَيَتَحَمَّسُونَ لَهُ!.. وَبدلاً مِنْ ذَلِكَ، فَأنَّهُمْ يُشاهِدُونَ كَيْفَ أنَّ الأشْرارَ العَرَبَ يُضايِقُونَ أبْطالَهُمُ المُفَضَّلِينَ الَّذِينَ يَنْتَصِرُونَ عَلَى العَرَبِ فِي نَهايَةِ الأمْرِ!. وَغالِبًا ما يَقُومُ العَرَبُ «الوُضَعاءُ» بِأسْرِ مَعْبُودِي هَؤلاءِ الأطْفالِ فِي أفْلامِ

التِّلِفِزْيُونِ وَيُهَدِّدُونَ بِقَتْلِهِمُ [١٦٧].وَهُوَ ما يَتْرُكُ انْطِباعًا نَهائيًّا غَيْرَ مُرشيحٍ فِي وجدانِ ذَلِكَ المُتَلَقِّي الغَرْبِيِّ الصَّغِيرِ!.

وَفِي مُحاولاتِها المُسْتَمِيتَةِ لِتَأسِيسِ النَّاشِئةِ فِي الغَرْبِ عَلَى عَقِيدَةِ الخَوفِ مِنَ العَرَبِ والمُسْلِمِينَ، وَتَشْكِيلِ انْطِباعاتٍ سَلْبِيَّةٍ بالِغَةِ الحَساسِيَّةِ عَنْهُمُ وَرافِضَةٍ لِكُلِّ ما يَتَأَتَى مِنْ قِبَلِهِمُ!... وَتَأْتِي أفلامٌ مِنْ قَبِيلِ حِكاياتِ «رامبو يُقاوِمُ الإرْهابِ» فِي الرُّسُومِ المُتَحَرِّكَة.. حَيْثُ يَصُولُ « رامْبُو» وَيَجُولُ فِي مِنْطَقَتِنا العَرَبِيَّةِ، وَيَتَنَقَّلُ بَيْنَ بَغْدادَ وَالقاهِرَةِ وَتُونُسَ لِمُطارَدَةِ الفِدائيِّينَ الفِلَسْطِينِيِّينَ أو «الإرْهابِيِّينَ» كَما تَصِفُهُمُ سِلْسِلَةُ أفْلامِ الكَارتُونِ الَّتِي غَزَتْ أَسْواقَ الفِيديُو العَرَبِيَّةِ، وَالَّتِي انْتَشَرَتْ بَيْنَ الكِبارِ وَالصِّغارِ رَغْمَ أَنَّهُ مُوَجَّهٌ بِالأساسِ لِلأطْفالِ وَالفِتْيانِ!.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أنَّ سِلْسِلَةَ أفْلامِ الكارتُونِ هَذِهِ مُتَرْجَمَةٌ إِلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، كَما أنَّ غَالِبِيَّةَ مَوضُوعاتِها مُكَرَّسَةٌ لِمُطارَدَةِ الأشْرارِ، وَهُمُ عِبارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الفِدائيِّينَ الفِلَسْطِينِيِّينَ!... يَقُودُهُمُ «مُجْرِمٌ» مَجْهُولُ الهُوِيَّةِ اسْمُهُ «وور هاوك»؛ هَذِهِ المَجْمُوعَةُ الَّتِي تَتَّخِذُ مِنَ العالَمِ وَالبِلادِ العَرَبِيَّةِ مَرْكَزًا لِنَشاطِها : تَقُومُ بِاخْتِطافِ الأطْفالِ الأبْرِياءِ، وَتُهَدِّدُ بِقَتْلِهِمُ إنْ لَمْ تَدْفَعُ الحُكُوماتُ الفِدْيَةَ المَطْلُوبَةَ؛ كَذَلِكَ، فإنَّ هَذِهِ المَجْمُوعَةَ : تَقُومُ بِتَفْخِيخِ الآثارِ وَالَمعالِمِ الحَضارِيَّةِ فِي الغَرْبِ مِثْلِ «تِمثالِ الحُرِّيَّةِ» وَ«بُرْجِ إيفِل»... وَتُهَدِّدُ بِنَسْفِها

---

١٦٧) فيكتور باسيل- الشرق يهب والغرب يأخذ ويحرف- مَقالٌ بِجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ٢٩ /١٩٩٣/٦.

إذا لَمْ تَتمَّ الاسْتِجابَةُ لِمَطالِبِها الماليَّةِ المُلِحَّةِ... الَّتِي تَحْتاجُها مِنْ أجْلِ إقامَةِ المَزِيدِ مِنْ مُعَسْكَراتِ وَمَراكِزِ الإرْهابِ فِي العالَمِ..! لَكِنَّ البَطَلَ المُخَلِّصَ «رامبو»، الَّذِي وَضَعَ نَفْسَهُ فِي خِدْمَةِ البَيْتِ الأَبْيضِ- كَما يُفِيدُ سِياقُ الفِيلْمِ : هُوَ الكَفِيلُ دائمًا بِرَدِّ هَؤلاءِ الإرْهابِيِّينَ وَتَخْلِيصِ الأطْفالِ مِنْ شَرِّهِمُ!.

وَفِي فِيلْمِ «القِطِّ الطّائرِ» الَّذِي أنْتَجَتْهُ « ديزني» عامَ ١٩٨٢م، تَدُورُ الأحْداثُ حَوْلَ كَوْكَبٍ فِي الفَضاءِ الخارِجِيِّ؟ جَمِيعُ سكّانِهِ منَ القططِ!، حَيْثُ يَتَّصِلُ القِطُّ الطّائرُ العَجِيبُ بِعالِمٍ أمْرِيكِيٍّ شابٍّ وَيطْلُبُ مِنْهُ إصْلاحَ مَرْكَبَتِهِ المُعَطَّلَةِ، فيُوافِقُ العالِمُ بِشَرْطِ أن يساعِدَهُ القطُّ فِي حَلِّ مُعادَلاتٍ عِلْمِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ سَتَقْضِي عَلَى المَجاعَةِ فِي دِوَلِ العالَمِ الثّالِثِ، فَيُوافقُ القطُّ؛ وَهَكَذا، وَبَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ المُغامَراتِ الطَّرِيفَةِ وَالمُضْحِكَةِ!... يَنْجَحُ الفِيلْمُ بِرَبْطِ المُشاهِدِ رَبْطًا كُلِّيًّا بِالقِطِّ العَجِيبِ، ثُمَّ تَبْدأُ المُفارَقَةُ- الصَّدْمَةُ، وَذَلِكَ عِنْدَما تَظْهَرُ فَجْأَةً عُصابَةٌ تُوصَفُ بِأَنَّها «خَطِيرَةٌ جِدًّا» تَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى أسْوِرَةِ القِطِّ السِّرِّيَّةِ كَيْ تُسَيْطِرَ عَلَى العالَمِ بِواسِطَةِ الأسْوِرَةِ!.. هَذِهِ العُصابَةُ «الخطيرة» : هِيَ مِنَ العَرَبِ، وَتَحْمِلُ أسْماءَ عَرَبِيَّةً هِيَ بِالتَّحْدِيدِ : «أحْمَدُ- مُحَمَّدُ- زَكَرِيّا- عَلِيٌّ»!!. وَالغَرِيبُ، أنَّهُمْ جاءُوا بِعَرَبٍ حَقِيقِيِّينَ يَتَحَدَّثُونَ اللَّهْجَةَ البَدَوِيَّةَ لِيَقُومُوا بِهَذا الدَّوْرِ الشِّرِّيرِ!؛ وَقَدْ وَقَّتَ المُخْرِجُ ظُهُورَ هَذِهِ العُصابَةِ العَرَبِيَّةِ بِشَكْلٍ يَجْعَلُ المُشاهِدَ يَضُجُّ غَضَبًا مِنْها!، وَيُهَلِّلُ فَرَحًا كُلَّما حَقَّقَ القِطُّ انْتِصارًا عَلَيْها!!... وَهَكَذا، تَتطَوَّرُ الأحداثُ منْ خِلالِ سِلْسِلَةٍ مِنَ المُغامَراتِ والمُفارَقاتِ الطَّرِيفَةِ... حَتَّى تَنْتَهِي بِتَدَخُّلِ الجَيْشِ

الأمْرِيكِيِّ، حَيْثُ يُلْقِي القَبْضَ عَلَى العُصابَةِ العَرَبِيَّةِ، لِيَنْتَصِرَ كُلٌّ مِنَ القِطُّ العَجِيبُ والعالِمِ الأمْرِيكِيِّ!.

وَفِي فِيلمِ « كُنُوزِ المَلِكِ سُلَيمان» ١٩٨٤م، يَعِيشُ الطِّفْلُ «ماريُو» الَّذِي لَمْ يَتَجاوَزْ العاشِرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَتَتَمَلَّكَهُ الأحْلامُ وَالهَواجِسُ المُخِيفَةُ!... وَلا يَجِدُ أحَدًا قادِرًا عَلَى إسْعادِهِ سِوَى شَقِيقِهِ المُراهِقِ الوَسِيمِ «سِيمُون» الَّذِي لا يَفْتأ يُسَلِّيهِ بِالحِكاياتِ الوَحْشِيَّةِ المُخِيفَةِ عَنْ الفُرْسانِ المُسْلِمِينَ أثْناءِ حُكْمِهِمُ لأسبانيا!..

وَكَذَلِكَ فِيلمُ « علاءِ الدِّينِ» ١٩٩٦م، الَّذِي تُسْتَهَلُّ مَشاهِدُهُ بِصُورةِ «هِلالٍ» فِي الفَضاءِ- والهِلالُ هُنا رَمْزٌ مَجازِيٌّ لِلْعَرَبِ والمُسْلِمِينَ- وَعَلَى الأرْضِ مَشْهَدٌ لِقُدُومِ مِلِكِ اللُّصُوصِ وَاسْمُهُ «بِسْمِ الله»! وَمَعَهُ أعْوانُهُ الأرْبَعُونِ حَرامِي... والمَشْهَدُ مَصْحُوبٌ بِخَلْفِيَّةٍ صَوتِيَّةٍ لأُغْنِيَةٍ مُبْتَذَلَةٍ... وَمَعَ انْتِهاءِ الأُغْنِيَةِ يَدْخُلُ أفْرادُ العُصابَةِ إلَى وَكْرِهِمُ- وَيُشْبِهُ مَسْجِدًا كَبِيرًا يَحْتَوِي فِي داخِلِهِ عَلَى مَسْرُوقاتِ العُصابَةِ!!.

وَفِي فِيلمِ « رُعْبُ الإرْهابِ» ١٩٨٨م : تَقُومُ مَجْمُوعَةٌ لِيبِيَّةٌ تَحْتَ قِيادَةِ شابٍّ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ بِالهُجُومِ المُسَلَّحِ عَلَى القاعِدَةِ النَّوَوِيَّةِ فِي وِلايَةِ « أنديانا» الأمْرِيكِيَّةِ؛ وَعِنْدَما تَفْشَلُ خُطَّتُهُ : يَنْطَلِقُ فِي شَوارِعِ المَدِينَةِ لِيُحَوِّلَها بِواسِطَةِ الصَّوارِيخِ والمَدافِعِ وَالرَّشَّاشاتِ إلَى مَقْبَرَةٍ جَماعِيَّةٍ لِكُلِّ المارَّةِ مِنَ الرُّضَّعِ وَالأطْفالِ والنِّساءِ والشَّبابِ والشُّيُوخِ، ثُمَّ يَلْجأ إلَى حَرَمِ جامِعَةِ أنْدِيانا لِيَحْتَجِزَ هُنالِكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الطَّلَبَةِ وَالطَّالِباتِ، وَلِتَبْدَأ مَذْبَحَةٌ جَدِيدَةٌ»!.

وَفِي فِيلمِ « مَنْ يَتَجَرَأ يَفُزْ» ١٩٨٢م، يَسْتَغِلُّ العَرَبُ وَالمُسْلِمُونَ أَمْوالَهُمُ؛ لِتَحْرِيضِ شابٍّ إنْجِلِيزِيٍّ مُتَمَرِّدٍ لِخَطْفِ صارُوخٍ نَوَوِيٍّ. أما فِيلم « مَطْلُوبٌ حيًّا أو مَيِّتًا» ١٩٨٧م، فَهُوَ يُصَوِّرُ مُحاوَلَةَ إرْهابِيٍّ يَمَنِيٍّ يُسَمَّى «مالك رَحِيم»!- هَكَذا الاسْمُ- لاسْتِغْلالِ الدّارِسِينَ العَرَبِ فِي الجامِعاتِ الأمْرِيكِيَّةِ لِتَدْمِيرِ إحْدَى القَواعِدِ النَّوَوِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ. وَفِي فِيلمِ «تَحْتِ الحِصارِ» ١٩٨٦م، الَّذِي يَقُومُ بِبُطُولَتِهِ أَحَدُ «الأُصُولِيِّينَ العَرَبِ»، يُسَمَّى فِي الفِيلم «أبُو لادِنْ»!، حَيْثُ يَسْعَى إلَى تَجْنِيدِ وَتَجْيِيشِ أمْرِيكانٍ مِنْ أصْلٍ عَرَبِيٍّ فِي وِلايَةِ «ديترويت» الأمْرِيكِيَّةِ، وَتَدْرِيبِهِمُ عَلَى السِّلاحِ وَالقِيامِ بِعَمَلِيَّاتٍ ضِدَّ المَدَنِيِّينَ الأمْرِيكانِ فِي المَطاراتِ وَالطّائراتِ، بَلْ يَصِلُ بِهِ الأمْرُ إلَى التَّفْكِيرِ فِي تَدْمِيرِ البَيْتِ الأبْيَضِ(١٦٨)!!!.

هَذا، وَلَمْ تَسْلَمْ النِّساءُ العَرَبِيّاتُ مِنِ انْضِوائِهِنَّ تَحْتَ مَظَلَّةِ الإرْهابِ، فَفشي فيلم «الأحَدِ الأسْوَدُ» ١٩٧٠م، تأتِي شَخْصِيَّةُ «داليا» وَهِيَ تُخَطِّطُ لِقَتْلِ الآلافِ دُونَ أدْنَى إحْساسٍ آدَمِيٍّ؛ فَهِيَ لا تَهْتَمُّ بِالبَشَرِ أو بِحَياتِهِمُ، فَهِيَ تُحاوِلُ قَتْلَ عَشَراتِ الآلافِ مِنَ الأمْرِيكِيِّينَ لِلَفْتِ الانْتِباهِ العالَمِيِّ إلَى قَضِيَّتِها. الغَرِيبُ، أنَّ داليا هَذِهِ مِنْ مَوالِيدِ حَيفا لأبٍ «ألْمانِيٍّ» وَأمٍّ فِلَسْطِينِيَّةٍ(١٦٩)!...

---

١٦٨) نَقْلاً عَنْ : عاطف الغَمْرِي- أصْحابُ المَصْلَحَةِ فِي هَذا الإرْهابِ» مَقالٌ بِجَرِيدَةِ الأهْرامِ المِصرِيَّةِ- ١٩٩٣/٤/٢٢م- نقلاً عَنْ : أحمد زين- هوليود.. صهاينة يرسمون للأمريكان صورة العرب!!- 2001/09/25- www.islamonline.net

١٦٩) أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةِ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص ٢٨٠. وَفِي هَذا إشارَةٌ لِنِسْبَةِ الجِهادِ الفِلَسْطِينِيِّ إلَى ألْمانيا النّازِيَّةِ. وَقَدْ أثارَ هَذا الفِيلمُ اسْتِياءَ عَدَدٍ مِنَ النُّقادِ.. وَهُوَ ما حَدا بِأحَدِ النُّقّادِ المُنْصِفِينَ « بارك هيودج جيتس» إلَى التَّساؤُلِ :

وَخِلالَ حِقْبَةِ التِّسْعِينِيّاتِ، أَصْبَحَتْ صُورَةُ الإِرْهابِيِّ العَرَبِيِّ مصْدَرًا كَبِيرًا لِلأَفْلامِ السِّينِمائِيَّةِ، حَيْثُ تحاوِلُ هذِهِ النَّماذِجُ منَ الأفْلام التَّنَقُّلَ بِأَحْداثِها الدَّمَوِيَّةِ بَيْنَ الوِلاياتِ الأَمْرِيكِيَّةِ لِتَجْعَلَها جَمِيعًا فِي مُتَناوَلِ الإِرْهابِ العَرَبِيِّ مِنْ خِلالِ حَبْكَةٍ واهِيَةٍ مُفْتَعَلَةٍ، وَنَسِيجٍ ضبابِيٍّ تَلْفِيقيٍّ يَضْرِبُ بِغَيْرِ مَوضُوعِيَّةٍ بَيْنَ الحَقِيقةِ وَالخيالِ!. فَفي قِصَّةَ فيلمِ «الشيخ الأحمر» تَدُورُ حَوْلَ مُهَنْدِسٍ «أسبانِيٍّ» يُسانِدُ « الثُّوّارَ فِي مُرّاكِشَ العاصِمَةِ المَغْرِبِيَّةِ ضِدَّ السُّلْطانِ- الَّذِي هُوَ سلْطانٌ عَرَبِيٌّ وَمسْلِمٌ بِطَبيعَةِ الحالِ- الَّذِي كانَ يُدِيرُ عَمَلِيَّاتِ المَذابِحِ ضِدَّ «المَسِيحِيِّينَ».!

وَمَعَ تَكْثِيفِ الحَدِيثِ وَتَصاعُدِ وَتِيرَةِ الجَدَلِ الصَّاخِبِ الَّذِي يَلْتَفُّ حَوْلَ نَظَرِيَّةِ تَصادُمِ الحَضاراتِ لِـ« هَنْتِينْجِتُون»، حَيْثُ نُلاحِظُ تَرْكِيزُ مَوْجَةٍ مِنَ الأَفْلامِ وَالأَعْمالِ الفَنِّيَّةِ الَّتِي أُنْتِجَتْ مَعَ بِدايَاتِ عامِ ٢٠٠٠م: عَلَى مَضامِينَ وَخِطاباتٍ وَأَشْكالٍ جَدِيدَةٍ مِنْ أشكالِ المُواجَهَةِ الحَضارِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ مَعَ العالَمِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ؛ وَتَعْلِيقًا عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، تَقُولُ الكاتِبَةُ وَالنَّاقِدَةُ البَرِيطانِيَّةُ « ناتاشا والْتَر» مُشِيرَةً إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الأعمالِ : «إِنَّ الفِيلْمَ تَعَمَّدَ إِظْهارَ جَمِيعِ مَنْ ظَهَرَ فِيهِ مِنَ العَرَبِ كَإِرْهابِيِّينَ بِما فِيهِمُ الأَطِبَّاءُ وَالنِّساءُ وَالأَطْفالُ، كَما تَعَمَّدَ إِخْفاءَ الأَسْبابِ الَّتِي تَقِفُ وَراءَ الرُّوحِ العُدْوانِيَّةِ الَّتِي أَصَرَّ الفِيلْمُ عَلَى رَبْطِها بِكُلِّ ما هُوَ عَرَبِيٌّ»؛ وَالدَّلِيلُ الوَحِيدُ الَّذِي حَاوَلَ

لِمَ لا يُشِيرُ الفِيلْمُ مِنْ قَرِيبٍ أو بَعِيدٍ إِلَى شَرْعِيَّةِ نِضالِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ مِنْ أَجْلِ اسْتِعادَةِ وَطِنِهِ السَّلِيبِ؟- www.islamonline.net/arabic/arts/2001/09/article15.shtml

الفِيلْمُ إبْرازَهُ كَسَبَبٍ لِتِلْكَ الرُّوحِ العُدْوانِيَّةِ وَصَفَتْهُ الكاتِبَةُ بشأَنَّهُ غَيْرُ مُقْنِعٍ وَمُوغِلٌ فِي السَّذاجَةِ»، حَيْثُ تَمَثَّلَ فِي خَلْفِيَّةٍ صَوْتِيَّةٍ مُسَجَّلَةٍ عَلَى شَرِيطٍ كاسِيت يَحْمِلُ الكَلِماتِ التَّالِيَةِ : «نُنادِي كُلَّ مُسْلِمٍ يُؤمِنُ بِاللهِ أَنْ يُطِيعَ أوامِرَ رَبِّهِ بِقَتْلِ الأَمْرِيكِيِّينَ أيْنَما وَجَدَهُمُ»!. وَلَقَدْ أكَّدَتْ الكاتِبَةُ أَنَّ الفِيْلمَ «جاءَ كَمُحاوَلَةٍ لإظْهارِ العَرَبِ كَأَشَرِّ أعْداءٍ يُواجِههُم الغَرْبَ حَالِيًا» وَاخْتَتَمَتْ الكاتِبَةُ بِلَفْتَةٍ خَطِيرَةٍ يَنْبَغِي ألاَّ تَغِيبَ عَنَّا حِينَ قالَتْ : « يَبْدُو أَنَّنا قادِرُونَ عَلَى تَناوُلِ الفَضَلاتِ غَيْرِ الهادِفَةِ لِحَياةِ البَشَرِ إذا كانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالعَرَبِ؛ فَسِينارْيُو الفِيلمُ كانَ حَرِيصًا عَلَى تَذْكِيرِنا بِأَنَّهُ : حَتَّى الأَطْفالَ العَرَبَ يَجِب أَنْ يُدانُوا لأَخْطاءٍ ارْتَكَبَها آباؤهُمُ»[170]!.

وَالحَقِيقَةُ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَبْدُو الأَمْرُ فِي نَظَرِ البَعْضِ هَيِّنًا وَ« بَسِيطًا».. وَلَيْسَ بِالخُطُورَةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُها البَعْضُ الآخَرُ!.. وَلَكِنَّ الاسْتِرسالُ فِي تَجاهُلِها وَعَدَمِ الاكْتِراثِ النَّقْدِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ بِها أو التَّوَقُّفِ القَوْمِيِّ أو الدِّينِيِّ عِنْدَها أو حَتَّى الالْتِفاتِ النَّقْدِيِّ إلَيها... إنَّما يُمْعِنُ فِي تَكْرِيسِها وَتَفاقُمِها بِالنَّظَرِ لِما تُحْدِثُهُ مِنْ أضْرارٍ وَمَخاطِرَ فِي الأَجَلِ الطَّوِيلِ!... وَما تَرْكُمَهُ مِنْ آثارٍ سَلْبِيَّةٍ فِي عُمْقِ اللاَّوَعْيِ الغَرْبِيِّ!... وَلَعَلَّ هَذا يَفْرِضُ حاجَتَنا إلَى مَوْقِفٍ رَقابِيٍّ وَمُؤَسَّسِيٍّ جَماهِيرِيٍّ وَرُؤيَةٍ نَقْدِيَّةٍ مَسئولَةٍ لِمُواجَهَةِ هَذا الكَسْحِ الحَضارِيِّ وَالقِيَمِيِّ « بِشَكْلٍ يُخْرِجُنا مِنْ مَأزِقِ سَيْطَرَةِ وَسائِلِ الإعْلامِ وَالتَّرْفِيهِ الغَرْبِيَّةِ

---

١٧٠) فِي تَعْلِيقِها النَّقْدِيِّ لِفِيلمٍ مِنْ إنتاجِ هُولِيُود عام ٢٠٠٠م؛ وَقَدْ نُشِرَ المَقالُ فِي صَحِيفَةِ «الإنْدِبندنت البَرِيطانِيَّةِ- مُتَرجَمًا عَنْ جَرِيدَةِ الأَهْرامِ المِصْرِيَّةِ – فِي ٢٠/٨/٢٠٠٠م.

عَلَى مَنافِذِ الفِكْرِ الإنْسانِيِّ بِطَرِيقَةٍ تُشَكِّلُ عَقَبَةً حَقِيقِيَّةً عَلَى طَرِيقِ التَّحَدِّي أو التَّكافُؤِ الحَضارِيِّ!.

وَمِنَ المُهِمِّ هُنا أنْ نُشِيرَ إلَى الحَجْمِ الحَقِيقِيِّ لِلكارِثَةِ عِنْدَما يَأْتِي التَشْوِيهُ الفَنِّي أو النَّقْدِيُّ مِنْ بَعْضِ الأفْلامِ أو الأقْلامِ المَسْمُومَةِ فِي وَطَنِنا العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ؛ وَأنا هُنا سَأكْتَفِي بِذْكِرِ نَمُوذَجَيْنِ اثْنَيْنِ :

النَّمُوذَجُ الأوَّلُ : الفِيلْمُ التُّونِسِيّ« آخِرُ فِيلم»، الَّذِي أُنْتِجَ مُؤَخّرًا، وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِ أضْواءٌ شَدِيدَةٌ فِي مَهْرَجانِ قُرْطاجِ شِتاء ٢٠٠٦م. حَيْثُ يَتَرَكَّزُ مَوضُوعُ الفِيلِمِ- الَّذِي دامَ قُرابَةَ ساعَتَيْنِ- فِي جُزْئِهِ الأكْبَرِ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَخْطِيطِ مَجْمُوعَةٍ إسْلامِيَّةٍ مُتَشَدِّدَةٍ لاسْتِقْطابِ الشّابِّ الَّذِي يُعانِي مِنْ مُشْكِلاتٍ مَعَ والِدِهِ بِحُكْمِ بَطالَتِهِ قَبْلَ أنْ تَبْدأَ هَذِهِ المَجْمُوعَةُ بِالتّأْثِيرِ عَلَيْهِ بِكَلِماتٍ رَنّانَةٍ مِثْلِ «الجِهادِ» وَالكُفّارِ و«الشَّرَفِ» وَ«الفِدائِيّ» وَ«شَهِيدُ الأُمَّةِ» وَذَلِكَ بَعْدَ مُشاهَدَتِهِ لِفِيلْمٍ عَمّا يُسَمَّى «القاعِدَةُ»!.

النَّمُوذَجُ الثّانِي : وَهُوَ واحِدٌ مِنْ أشَدِّ تِلْكَ النَّماذِجِ إثارَةً لِلإحْساسِ المَرِيرِ بِالعارِ!.. فَفِي مَعْرِضِ تَناوِلِهِ لِطَبِيعَةِ ما يُقَدَّمُ عَنِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ يَقُولُ النَّاقِدُ السِّينِمائِيِّ «مِدْحَتْ مَحفُوظُ»، الَّذِي يَقُولُ مُعَلِّقًا عَلَى فِيلمِ «أكاذِيبُ حَقِيقِيَّةٌ» : هاجَتْ الدُّنيا وَماجَتْ لِدَرَجَةٍ قَرَّرَتْ الشَّرِكَةُ المُوَزِّعَةُ لَهُ عَدَمَ عَرْضِهِ مِنْ مِنَ الأصْلِ فِي البِلادِ العَرَبِيَّةِ. هَذا رَغْمَ أنَّ جَمِيعَنا يَعْلَمُ أنَّ كُلَّ ما قالَهُ عَنِ العَرَبِ وَإرْهابِهِمُ! وَتَخَلُّفِهِمُ : هُوَ حَقائِقٌ نَعِيشُها يَوْمِيًّا فِي حَياتِنا وَصُحُفِنا وَحَتَّى أفْلامَنا، وَأنَّنا لَمْ نَعُدْ نَمْلُكُ ضِدَّ هَذا

الفِيلمِ وَأمْثالِهِ سِوَى تَكْرارِ الدَّفْعِ بِأَنَّنا لَسْنا جَمِيعًا نَماذِجَ سَلْبِيَّةً- وَكَأَنَّنا بِهَذا الدَّفْعِ نُقْنِعُ العالَمَ بِأَنَّ قُرُونًا طَوِيلَةً مِنَ الحُرُوبِ وَالدِّماءِ المُتَواصِلَةِ حَتَّى «عَبْدَ النَّاصِرِ» وَ«صَدَّام حسَين» وَ«عُمر عبد الرحمن» : هيَ أَفْعالٌ وَأَشْخاصٌ لا تَخُصَّنا كَعَرَبٍ. إنَّ الفِيلمَ لا تُوجَدُ فِيهِ سِوَى كَذِبَةٍ وَحِيدَةٍ عَنِ العَرَبِ : هِيَ اعْتِقادُهُ أنــَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ تِقَنِيَّاتٍ مُتَقَدِّمَةٍ وَإِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ التَّهْدِيدَ بِإفْناءِ مَدِينَةٍ أمْرِيكِيَّةٍ كُلَّ أُسْبُوعٍ»[171]!!!...

وَلَقَدْ أصْبَحْنا- كما يُوحِي بِذَلِكَ فِيلمُ «أرابِيسك»- مَثَلاً: بِمَثابَةِ «مَجْمُوعاتٍ «تُمَجِّدُ التَّخْرِيبَ والاخْتِطافَ والاغْتِيالَ، وَتَسْتَأنِسُ بِالخِيانَةِ وَالغَدْرِ وَعَدَمِ الاسْتِسْلامِ لِكُلِّ ما هُوَ حضارِيٍّ». كَما أنَّ الفِيلمَ يَعْكِسُ مَدَى عَدَمِيَّةِ الثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ باعْتِبارِها ثَقافَةٍ هَدَّامَةٍ!... وَلَعَلَّ هَذا مِمَّا يُشيرُ إلَى أنَّ حُدُودَ التَّشْوِيهِ الغَرْبِيِّ لِكُلِّ ما يَمُتُّ إلَى العَرَبِ والمُسْلِمِينَ بِصِلَةٍ!، لا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ ماضِينا وَحاضِرِنا فَحَسْبُ؛ وَإنَّما فِي مُسْتَقْبَلِنا «فالإِنْسانُ العَرَبِيُّ وَالمُسْلِمُ فِي حاضِرِهِ وَماضِــيهِ وَمُسْتَـقْبَلِهِ : هُوَ فِي أجْهِزَةِ الإعْلامِ الأمْرِيكِيَّةِ : شِرِّيرٌ مُتَوَحِّشٌ غارِقٌ فِي الجِنْسِ، وَعاشِقٌ لِلتَّخْرِيبِ وَالهَدْمِ وَإِسالَةِ الدِّماءِ وَلا

---

171) مِدْحَتْ مَحْفُوظ- دَلِيلُ الأفْلامِ- أُغُسْطُس- القاهِرَةُ- ١٩٩٨م – الإصدار الثّانِي- ص ٣٢. وَهُوَ واحِدٌ مِنْ تِلْكَ النَّماذِجِ الَّتِي « تَحْمِلُ عَداءً أصِيلاً وَنَزِقًا لِكُلِّ ما هُوَ إسْلامِيٍّ وَكَأنَّ الإسْلامَ تَحْدِيدًا هُوَ : المَسْئولُ عَنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ الَّتِي تَعُجُّ بِها الدُّنْيا ، وَإذا كُنّا تَعَوَّدْنا عَلَى الهِجاءِ البَذِيءِ مِنْ قِبَلِ نَبيل فَيّاض أو مدحت محفوظ أو وَفاء سُلْطان هَذِهِ المَجْمُوعَةِ الَّتِي تَسْعَى لِتَشْوِيهِ الإسْلامِ وَرُمُوزِهِ لِحِسابِ الغَرْبِ والصَّهْيُونِيَّةِ ، وَلاسِيَّما تِلْكَ المَرأةِ الأخِيرَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ حالَةً مُتَفَرِّدَةً مِنَ العداءِ لِلإسْلامِ وَلِكُلِّ ما هُوَ إسْلامِيٍّ بِشَكْلٍ مَفْضُوحٍ وَمُطْلَقٍ بِمُناسَبَةٍ وَبُدُونِ مُناسَبَةٍ!.

مُسْتَقْبَلَ لَهُ»[١٧٢]. بَلْ إنَّ هَذا المُسْلِمَ فِي الرِّواياتِ الغَرْبِيَّةِ لأساطِيرِ « أَلْفِ لِيلَةٍ وَلَيْلَةٍ» : شَخْصٌ كَسُولٌ لا إرادَةَ لَهُ وَلا هِمَّةَ عِنْدَهُ... «يَرْضَى بَقَدَرِهِ وَيَكْتَفِي بِفَقْرِهِ الأَبَدِيِّ فِي ظِلِّ الإمْبراطُورِيَّةِ الإسلامِيَّةِ»[١٧٣]!!.

وَهَكَذا، أَصْبَحْنا مُطالَبِينَ بِإِعْدادِ كَوادِرَ وَتَسْخِيرِ مَواهِبِنا طاقاتِنا الإبْداعِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ فِي تَقْيِّيمِ مَوْقِفِ السِّينِما العالَمِيَّةِ مِنْ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ؟ وَمِنَ الإسْلامِ كَعَقِيدَةٍ وَحَضارَةٍ وَتارِيخٍ وَرُؤْيَةٍ إصْلاحِيَّةٍ لأَحْوالِ العالَمِ المُعاصِرِ...« فَهَذِهِ السِّينِما بَدلاً مِنْ أَنْ تُساعِدَ عَلَى خَلْقِ جَوٍّ مِنَ التَّفاهُمِ بَيْنَ الغَرْبِ وَالعَلَمَيْنِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ : أَكَدَّتْ مَعَ مُرُورِ الأَيّامِ أَنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلْتَقِي بِالآمالِ العَرَبِيَّةِ خاصَّةً وَالإنْسانِيَّةِ عامَّةً.. بَلْ زَرَعَتْ الشَّكَّ وَعَدَمَ الثِّقَةِ وَالخَوْفَ فِي النُّفُوسِ، وَأَفْسَدَتْ عَلَى الإنْسانِيَّةِ بِشَكْلٍ عامٍّ أَمَلاً عَزِيزًا فِي أَنْ يَسُودَ التَّعاوُنُ وَالتَّفاهُمُ مُخْتَلَفَ الأَجْناسِ البَشَرِيَّةِ عَلَى اخْتِلافِ انْتِماءاتِهِمُ الحَضارِيَّةِ... بَلْ كانَ عِمادُها التَّعَصُّبَ وَالتَّشْوِيهَ وَالتَّزْيِّيفَ وَالسُّخْرِيَةَ بِشَكْلٍ لا يُبَرِّرُ الاسْتِمْرارَ فِي انْتِهاجِ رَدِّ الفِعْلِ السَّلْبِيِّ المُضطَّرِبِ»[١٧٤].

وَلِذا، «فَإِنَّ النَّمَطَ العَرَبِيَّ كَما تُقَدِّمَهُ هَذِهِ الأَفْلامُ يَسْتَحِقُّ مِنَّا نَظْرَةً نَقْدِيَّةً»[١٧٥]. وَأَظُنُّنا لَسْنا بِحاجَةٍ لأَكْثَرَ مِمَّا هُوَ حاصِلٍ لأَنْ نَتَوَقَّفَ مَعَ أَنْفُسِنا وَقْفَةً جادَّةً وَمَسئولَةً، لِوَضْعِ حَدٍّ لِهَذا المَظالِمِ الغَرْبِيَّةِ بِحَقِّنا؛ وَلَقَدْ أَصْبَحْنا

---

١٧٢) رَجاء النَّقاش- في مَقالٍ لَهُ بِجَرِيدَةِ الأَهْرامِ المِصْرِيَّةِ- ٢٠٠١/١٠/٧م.

١٧٣) أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةُ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- مرجع سابق- ص٣٤٩.

١٧٤) أحمد رأفت بهجَت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةُ في السِّينِما العالَمِيَّةِ- المرجع السابق - ص٨- بتَصَرُّف.

١٧٥) العِبارَةُ لِلنَّاقِدِ الأَمْرِيكِيِّ « لُورَنس مِيشاك»- نَقْلاً عَنْ : أحمد رأفت بهجت- الشَّخْصِيَّةُ العَرَبِيَّةُ فِي السِّينِما العالَمِيَّةِ- المرجع السابق- ص٤١٠.

مُطالَبِينَ بِتَحْدِيدِ مَوْقِفٍ أَكْثَرَ وُضُوحًا لَيْسَ مِمَّا تُنْتِجُهُ «هُوليُود» مِنْ أَعْمالٍ مُسِيئةٍ لَلذَّاتِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ، وَمُخَرِّبَةً لِلذَّاتِيَّةِ الإيمانِيَّةِ وَمُفْسِدَةً لِكُلِّ مَعْنًى نَبِيلٍ فِي الإنْسانِ المُعاصِرِ، وَمُهْدِرَةً لِحَقِّ الإنسانِ فِي حَياةٍ كَرِيمَةٍ... لا.. لا أنا لا أَقْصِدُ ذَلِكَ فَحْسْبُ، إنَّما أَرْمِي إلَى لَفْتِ انْتِباهِ القائِمِينَ عَلَى صِناعَةِ السِّينِما العَرَبِيَّةِ إلَى ضَرُورةِ فِعْلِ شَيءٍ مِنْ شَانِهِ أَنْ يَكُونَ مُحْتَرَمًا وَمُعْتَبَرًا بَيْنَ يَدَي رَبٍّ وَكِتابٍ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصاها!... ثُمَّ أَلَمْ يَأْنِ لِصِناعَةِ السِّينِما العَرَبِيَّةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ غُرَفِ النَّوْمِ وَعُلَبِ اللَّيْلِ وَالمَواخِيرِ... وَأَنْ تَهْجُرَ فَنَّ المُتَعِ الحَرامِ وَ«أَفِيشاتِ الفِراشَ» وَعالَمِ الشَّهْواتِ المُخِلَّةِ بالْتِزاماتِنا الإيمانِيَّةِ وَمَسئولِيَّاتِنا الاسْتِخلافِيَّةِ، وَالمُسْقِطَةِ لِوَقارِنا الحضَارِيِّ... لِتَنْتَبِهَ لِما يُحاكُ لَنا مِنْ مَكائدَ وَمُؤامَراتٍ.. وَما يَدُورُ بِنا مِنْ دَوائرَ... وَمَا يَتَهَدَّدنا مِنْ مَخاطِرَ وَتَحَدِّياتٍ؟... مَتَى سَنكُفُّ عَنِ هَذا العَبَثِ وذَلِكَ السَّخَفِ وَالهُراءِ وَالفَنِّ الرَّخِيصِ؟... مَتَى سَنَنْتَصِرُ لِتارِيخِنا وَلِهُوَيَّتِنا؟ وَمَتَى سَنُكَفِّرُ عَنْ خَطايا الإساءَةِ لِلْقِيَمِ الإسلامِيَّةِ – الَّتِي هِيَ فِي جَوْهَرِها قِيَمٌ إنسانِيَّةٌ– وَتَجاهُلِ تَفْعِيلِها بِشَكْلٍ لائقٍ فِي أعمالِنا الفَنِّيَّةِ انْسِياقًا وَرَاءَ الرِّبْحِ السَّرِيعِ الَّذِي يَضُرُّ أَكْثَرُ مِمَّا يَنْفَعُ؟!... مَتَى سَيَكُونُ الفَنَّ مِرآةً لِحضارَتِنا الإسْلامِيَّةِ العَظِيمَةِ؟!

سادِسـًا : إطْلالَةٌ مِنَ النّافِذَةِ الإعلامِيَّـةِ عَلَى الإسْلامِ فُوبيا!

ثَمَّةَ شَبَكَةٌ مِنَ التَّياراتِ اليَمِينِيَّةِ ذاتَ التَّوَجُّهِ الرافِضِ لِلثَّقافَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإسلامِيَّةِ فِي عُمُومِ أُورُوبّا وَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكيَّةِ، هَذِهِ الشَّبَكَةُ مِنْها الصُّحافِيُّونَ وَالكُتَّابُ والأكادِيمِيُّونَ وَالفَنَّانُونَ وَالسَّاسَةُ

والاقْتِصادِيُّونَ وَخُبَراءُ الدِّعايَةِ وَغَيْرُهُمُ!... وَالَّذِينَ يَتَعَمَّدُونَ تَقْدِيمِ «صُورَةٍ تَصِفُ العَرَبِيَّ عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ يَتَّصِفُ «بِالأنانِيَّة» وَ«لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ».

كَما أَنَّ صُورَةُ العَرَبِيِّ فِي التِّلِفزيُونِ وَالسِّينِما لا تَقِلُّ عَنْ صُورَتِهِ فِي الصُّحافَةِ بَشَاعَةً، إِذْ يَبْدُو مُتَعَطِّشًا إِلَى الانْتِقامِ، قاسِيًا، مُنْحَطًّا، مَهْوُوسًا، يَبْتَزَّ الأُمَمَ المُتَحَضِّرَةَ بِواسَطِةِ النِّفْطِ»(١٧٦).

وَلَقَدْ اسْتَطاعَتْ وَسائِلُ الدِّعايَةِ الغَرْبِيَّة- سَواءٌ كانَتْ لاهُوتِيَّةً أو عالَمانِيّةً- أَنْ تَجْعَلَ مِنَ اسْتِشْعارِ الخَوْفِ وَاسْتِدْعائِهِ وَتَعَيُّشِهِ وَتَعاطِيه: واحِدًا مِنْ أَهَمِّ طِقوسِ الحَياةِ المُعْتادَةِ فِي المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ؛ وَلَقَدْ تدرَّج هَذا الخَوْف فِي مُتَوَالِيةٍ تَصعِيدِيَّةٍ لِيَضْحَى مَعَ الأيام عَقِيدةً شَعْبِيَّةً وشريعة نُخْبَوِيَّة..! ذَلِكَ بِأَنَّ الخَوْفَ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ : هُــوَ خَوْفٌ اسْتِراتِيجِيٌّ؛ وَهُوَ بِذَلِكَ أَحَدُ مُقَوِّماتِ وَوَسائِلِ الحَياةِ الكَرِيمَةِ الخالِيَةِ مِنَ المَتاعِبِ الحَقِيقِيَّةِ فِي الأَجَلِ الطَّوِيلِ..!

وَبالنَّظَرِ إِلَى الكَيْفِيَّةِ الَّتِي تَتَحَكَّمُ بِهَا وَسائلُ الإعْلامِ الغَرْبِيِّ فِي تَشْكِيلِ وَعْيِ الآخَرِينَ وَفَهْمِهِمْ، وَخَاصّةً فِيما يَتَعَلَّقُ بِالإسْلامِ، نَجِدُ أَنَّهَا مَسْأَلَةٌ بالِغَةُ الإِقْلاقِ وَالإزْعاجِ..! حَيْثُ نَجِدُ عَلَى سبيلِ المِثالِ أَنَّ «مِنْ أَبْرَزِ القضايا الَّتِي يَتِمُّ الخَلْطُ فِيها عَمْدًا، بَيْنَ الجِهادِ وَالإرهاب!، حَيْثُ « يُحاوِلُون تَرْسِيخَ فِكْرَةِ أَنَّ الدِّينَ الإِسْـلامِيِّ إرهابِيٌّ بِطَبِـيعَتِــهِ، وأَنَّ كُلَّ مُسْـلِمٍ إرهابيٌّ بإيعازٍ مِنْ

١٧٦) سـامي مـسلم- صـورة العـرب في صـحافة ألمانيـا الاتحاديـة- مركـز دراسـات الوحـدة العربية- بيروت- ١٩٨٦- ط٢- ص ٢٣.

دِينِه»[١٧٧]. وَقَدْ أَذْهَلَنِي مُراسِلُ مَحَطَّة الـ .C. N. N الأَمْرِيكِيَّةِ الإِخْبارِيَّةِ، وَهُوَ واقِفٌ فِي فِناءِ مَعْهَدٍ دِينِيٍّ لِلأَطْفالِ فِي إِحْدَى البِلْدانِ العَرَبِيَّةِ... وَيَقُولُ : «هُنا وَرْشَةٌ لِصناعَةِ الإِرْهابِ»[١٧٨]!!.

وَهَكَذا، فَإِنَّ وَسائِلَ الإِعْلامِ الغَرْبِيَّةِ تَمْتَلِئُ بِالأَوْهامِ وَالافْتِراءاتِ المُؤْذِيَةِ عَنِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ؛ فَبَعْضُ أَجْهِزَةِ الإِعْلامِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَخُبَراءُ الدِّعايَةِ الصَّهايِنَةُ فِي الغَرْبِ « يَتَعَمَّدُونَ إِظْهارَ الإِسْلامِ بِوَصْفِهِ دِينًا غَيْرَ مُتَسامِحٍ وَمُتَطَرِّفًا، والدُّوَلِ ذاتِ الغالِبِيَّةِ المُسْلِمَةِ غَيْرِ جَدِيرَةٍ بِالثِّقَةِ. وَما يُثِيرُ السَّخَطَ خاصَّةً : الإِحْساسَ بِأَنَّ تَعْبِيرَ «الإِرْهابِ» وَ«مُناهَضَةِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ» يُسْتَخْدَمانِ كَصِيغَةٍ مُرادِفَةٍ لِلإِسْلامِ»[١٧٩]. وَنَكْتَفِي هُنا بِالإِشارَةِ إِلَى عَناوِينِ بَعْضِ الأَفْلامِ الوَثائِقِيَّةِ لِلدَّلالَةِ عَلَى مُحْتَوَياتِها :« القُنْبُلَةِ الإِسْلامِيَّةِ»، «سَيْفُ الإِسْلامِ»، « الإِسْلامُ المُلْتَهِبُ»، « خِنْجَرُ الإِسْلامِ»، «نارُ الإِسْلامِ». وَكَذَلِكَ عَناوِينُ مَقالاتٍ فِي المَجَلاَّتِ وَالصُّحُفِ... مِثْلُ :« جُذُورِ الغَضَبِ الإِسْلامِيِّ»، «قُنْبُلَةُ الإِسْلامِ المَوْقُوتَةُ»، «الصِّينُ أَيْضًا قَلِقَةٌ مِنَ الإِسْلامِ»[١٨٠].

---

١٧٧) إبراهيم نافع - جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام- مقال تحليلي لكتابٍ له تحت هَذا العنوان – جريدة الأهرام القاهرية – ٢/٩/٢٠٠٤م.

١٧٨) نقْلاً عَنْ : قناة الجزيرة القطرية- ٦/٩/٢٠٠٦.

١٧٩) جورج كاكغنفون- الإسلام والإعلام الأميركي- مَقالٌ بِجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ١٠/١١/١٩٩٤م.

١٨٠) جاك شاهين- المصلحة من تشويه صورة العربي والمسلم في إعلامهم؟- مَقالٌ بجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ١٢/١٢/١٩٩٤م. وَانْظُرْ : نادية سالم- صورة العرب والإسرائيليين في الصحافة الأمريكيَّة- ص ٢١- ٢٢.

وَيَعْتَقِدُ الكاتِبُ والخَبِيرُ السِّويسْريُّ «فيرنر فان جِينت»[١٨١] أنَّ اهْتِمامَ الرّأيَ العامَّ فِي الغَرْبِ بِالإسْلامِ عُمُومًا جاءَ فِي مَرْحَلَةٍ مُتَأخِّرَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ اهْتِمامًا مَشُوبًا بِالتَّشَوُّقِ لِمَعْرِفَةِ المَزِيدِ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ كانَ اهْتِمامًا مَحْفُوفًا بِالخَوْفِ وَالحَذَرِ وَالغُمُوضِ، وَبِالتّالِي : سَبقَتْهُ صُورَتُهُ السَّلْبِيَّةُ عِنْدَ الحَدِيثِ عَنْهُ، وَأصْبَحَ السُّويسرِيُّونَ- مِثْلَ غَيْرِهِمُ مِنَ الأُورُوبِّيِّينَ- يَتَعامَلُونَ مَعَهُ كَعَدُوٍّ، دُونَ أنْ يَكُونَ لَهُمُ سابِقُ تَجْرِبَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَعَهُ؛ وَقَدْ ساهَمَ فِي ذَلِكَ : ظُهُورُ الإسْلامِ فَجْأةً فِي وَسائلِ الإعْلامِ كَخَطَرٍ داهِمٍ، تَمامًا بَعْدَ انْتِهاءِ الحَرْبِ البارِدَةِ فِي بِداياتِ تِسْعِينِيّاتِ القَرْنِ الماضِي.

وَإذا نَظَرنا إلَى دَوْلَةٍ فِي حَجْمِ « روسيا» تَسْحَقُ الشِّيشانَ سَحْقًا لِمُجَرَّدِ مُطالَبَتِهِمُ بِالاستقلالِ، وَلَكِنَّ الإعلامَ الغربِيَّ لا يُسَلِّطَ الضَوءَ إلاَّ عَلَى العَمَلِيّاتِ الفِدائيَّةِ لِلشِّيشانِ... فَيَنْطَبِعَ الخَيالُ الغَرْبِيُّ بانْطِباعاتٍ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنِ الشِّيشانِ... وَشَيْئًا فَشَيْئًا يَنْتَقِلُ الشِّيشانُ فِي اللاوَعْي الغربِيِّ مِنْ مُجَرَّدِ مُقاوِمِينَ لِلخروجِ مِنْ دائرَةِ الهَيمَنَةِ الرُّوسِيَّةِ وتَقْرِيرِ مَصِيرِهِمُ وَفقًا لِمُعْطَياتِهِمُ الحَضارِيَّةِ وَقِيَمِهِمُ الدِّينِيَّةِ... إلَى مَجْمُوعَةِ عُصاباتٍ مِنَ المُتَطَرِّفِينَ الخارِجِينَ عَلَى العَدالَةِ وَالإرهابِيِّينَ الواجِبِ إبادَتُهُمُ...! بِزَعَمِ أنَّهُمُ يُرِيدُونَ إقامَةِ دَولَةٍ إسلامِيَّةٍ أُصُولِيَّةٍ فِي شَرْقِ أُورُوبّا باتِّجاهِ الغَرْبِ لِتَتَّصِلَ بِأُصُولِيَّةِ البوسنَةِ وَالهَرْسك وَكُوسُوفا... وَلِتَطْرُقَ بَعْدَ ذَلِكَ : أبوابَ غَرْبِ أُورُوبّا!..

181)http://www.swissinfo.org/ara/front/detail.html?siteSect=105&sid=7261215&cKey=1163603511000

وَلَقَدْ أدَّى تَعالِي مَوْجَةِ التَّيَّارِ الإسْلامِيِّ وَتَنامِي مَدِّهِ الصَّحْوِيِّ بِشَكْلٍ قَدْ لَفَتَ نَظَرَ دَوائرِ الفِعْلِ الاسْتِراتِيجِيِّ الغَرْبِيِّ : إلَى وَضْعِ الظّاهِرَةِ الإسلامِيَّةِ فِي سِياقٍ مُشْعِرٍ بالخَطَرِ وَالخَوفِ وَالنُّفورِ وَالكَرَاهِيَةِ كُلَّما ذُكِرَ الإسْلامِ عُمُومًا؛ وَقَدْ أدَّى هَذا الأمْرُ إلَى عَودَةِ الإسلامِ مِنْ جَديدٍ مَجالَ طَرْحٍ حَيَوِيٍّ بَيْنَ يَدَي تَحَدِّياتٍ جَديدَةٍ... وَلَقَدْ ازدادَ تَرْكِيزُ الإعْلامِ الغَربِيُّ مُنْذُ تَصاعُدِ أنْشِطَةِ الحَرَكاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي المَنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ مُنْذُ سَبْعِينيّاتِ القَرْنِ العِشْرِين عَلَى استخدامِ تَعْبِيرِ «الإِسْلام» مُقْتَرِنًا دَائِمًا بِاسْمِ «المُنَظَّمات الإرهابية»،! وَذَلِكَ لِلإيحاءِ بِأَنَّ هَذِهِ الأعمالَ الإرهابِيَّةَ المَوْهُومَةَ تدخل فِي إطارِ تَعالِيم الإِسْلام،! فِي الوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَسْتَخْدِمْ فِيهِ الإعْلامُ الغَرْبِيُّ تَعْبِيرَ النَّصْرانِيِّ- مثلاً- مَقْرونًا بِاسْمِ المُنَظَّماتِ الغَرْبِيَّةِ وَالأُورُوبِّيَّةِ... وَالتِي أعْمَلَت القَتْلَ وَالذَّبْحَ فِي الأبْرِياءِ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي غَيْرِ مَكانٍ مِنَ العالَمِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ- وَالشَّواهِدُ أكْثَرُ مِمَّا تُحْصَى فِي هَذا السِّياقِ.....!.

فَفِي عَدَدِها الصَّادِرِ بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٩٧٩م كانَتْ صُورَةُ وموضوع الغلاف لمجلــة « TIME» الأمْرِيكِيّــَة: عِبَـارَة عَن مُؤَذِّنٍ وكأَنَّهُ يدعو إلَى الصلاة، وَقَدْ كَتَبَ عُنْوانٌ بِخَطٍّ لافِـتٍ«عودة المُجَاهِد»، وَقَدْ تناول المَقَالِ بِالدَّاخِل ظاهِرَة المَـدِّ الإِسْلامِيِّ وَالصحوة الَّتِي تَـدُبُّ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ، وَوَصَفَ المَقَالَ هَذِهِ الظَّاهِرَة بِأَنَّها« تُمَثِّل رُوحَ التَّعَصُّب وَالعودة إلَى هَمَجِيَّة القُرُون الوُسْطَى». وَهُنَا يَبْدُو الخَلْطُ التَّارِيخِيُّ وَاضِحًا فِي مَدَى تَحدِيدِ مَصْدَرِ تِلْكَ الهَمَجِيَّةِ : وَهُوَ الغَرْبُ ذاتِهِ فِي الحَقِيقَةِ!.

وَفِي كانون الأول عام ١٩٧٩م، تَحْتَ عنوان« الانفِجارِ الإِسْلامِيّ»، قال الباحِثُ الأمريكي« مايكل وَالترز» : « إنّ ما يَحدُثَ فِي إيران وَالفلبين وفلسطين ؟ يرجع إِلَى الإِسْلام»، مُضِيفًا : إن هَذِهِ الأَحْدَاث، ضِدَّ الغَرْب وأمْرِيكا، ومُحرِّكها الأَوَّل : هُوَ الإِسْلامُ»[١٨٢].

وَبِمُجَرَّدِ تَلاشِي الحَرْبِ البارِدَةِ، انْبَرَى الَّذِينَ كانوا فُرْسانَ الكِتابَةِ أَيّامَ السُّوفِييت لِلهُجُومِ عَلَى الإِسْلام»[١٨٣]. وَفِي تَعْلِيقِهِ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، يَقُولُ « يكُولاس فُون هُوفمان» الصُّحُفِيُّ فِي جَرِيدَةِ « واشُنْطُنْ بُوسْت»: « لَمْ تَتَشَوَّه سُمْعَةُ جماعةٍ دينية أو ثقافية أو قومية، ويُحطُّ مِن قدرها بِشَكْلٍ مُرَكَّزٍ وَمُنَظَّمٍ كما حَدَثَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ»[١٨٤].

وَفِي ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٤، كَشَفَتْ صَحِيفَةُ « الدِّيلي تِلِغراف» النِّقابَ- وَعَلَى لِسانِ ضابِطٍ أمرِيكِيٍّ عَنْ أنَّ شَخْصِيَّةَ « الزَّرْقاوِي» قَدْ جَرَى تَضْخِيمُها واسْتِخدامُها كَإطارٍ وَمُبَرِّرٍ لِلإعْمالِ الأمْرِيكِيَّةِ الوَحْشِيَّةِ، وأنَّ شَخْصِيَّةَ «الزرقاوي» كانَتْ مُجَرَّدَ أُكْذُوبَةٍ تَمَّ تَصْنِيعُها لِتُؤَدِّيَ دَوْرَيْنِ مِحْورِيَّيْنِ : داخِلِيٍّ وَخارِجِيٍّ، إذْ إنَّ السِّياسَةَ الأمْرِيكِيَّةَ بَحاجَةٍ دائمًا لِمُطارَدَةِ شِرِّير!. وَأضافَ الضَّابِطُ : «كُنا نَدْفَعُ لِرِجالِ العُصاباتِ وَالْمُجْرِمِينَ عَشَراتِ الآلافِ مِنَ

---

١٨٢) نقلاً عن : معالي عبد الحميد حمودة – بحث منشور بجريدة العَالَم الإِسْلامِيّ – مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص٧.

١٨٣) نقلاً عن : مَجَلَّة المُجْتَمَع الكويتية – العدد ١٢٤٣ – ١٦ /١١ / ١٤١٧ هـ - ص٤٥.

١٨٤) نقلاً عن : سليمان قناوي- الدراسات العِلمِية تؤكّد أنّ الصورة قاصرة سطحية – بحث منشور ضمن كتاب« صورة العرب والمُسْلِمِينَ» لمجموعة باحثين – سلسلة كتاب المعرفة – السعودية- ١٤٢٤هـ – ص١٥.

الدُّولاراتِ لِلقِيامِ بِأعْمالٍ وَحْشِيَّةٍ ضِدَّ مَدَنِيِّين، وَمِنْ ثَمَّ لَصْقُ هَذِهِ الأعْمالَ بِـ«الزَّرْقاوِيِّ»، لَقَدْ كُنّا نَخْشَى الرّأيَ العامَّ وما زِلْنا لا نَسْتَطِيعُ الاعْتِرافَ بِقُوَّةِ المُقاوَمَةِ العِراقِيَّةِ، إلاَّ أنَّنا بِمُسْتَطاعِنا الاعْتِرافُ بِقُوَّةِ شَخْصِيَّةٍ مُجْرِمَةٍ لِتُبَرِّرَ لَنا أمامَ الرَّأيِ العامِّ أيَّةَ أخطاءٍ نَقْتَرِفُها».

وَفِي الثّالِثِ مِنْ تِشْرِينِ الأوَّلِ ١٩٩٤م، عَرَضَتْ شَبَكَةُ C. B.S TV مِنْ خِلالِ بَرْنامَجِها الأشْهَرِ « I On Amerca عَيْنٌ عَلَى أمْرِيكا» حَلْقَةً قَدَّمَها الصُّحافِيُّ «ستيفن إمرسن» عَنِ الإسْلامِ- كَخَطَرٍ سِياسِيٍّ مُحْدِقٍ وَلَيْسَ كَدِينٍ!. وَادَّعَى مُقَدِّمُ البَرنامَجِ : أنَّ الأمْوالَ الّتِي يَجْمَعُها العَرَبُ وَالمُسْلِمُونَ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ هِيَ مِنْ أجْلِ «الحَرْبِ المُقَدَّسَةِ» فِي أمْرِيكا وَأيْضًا فِي الشَّرْقِ الأوْسَطِ». وَفِي الشَّهْرِ ذاتِهِ، عادَ « إمرسن» فِي بَرْنامَجٍ جَدِيدٍ اسْمُهُ « الجِهادُ فِي أمْرِيكا» وَهُوَ شَرِيطٌ وَثائِقِيٌّ اخْتِيرَتْ لَقَطاتُهُ المُصَوَّرَةُ بِعِنايَةٍ لِتُعْطِيَ العَرَبَ وَالمُسْلِمِينَ صُورَةَ «الأخَرِ المُعادِي»؛ وَرَغْمَ أنَّ «إمرسن» يَقُولُ بِأنَّ لا عَلاقَةَ لِلغالِبِيَّةِ السّاحِقَةِ مِنَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ بِالنَّشاطاتِ الرّادِيكالِيَّةِ، فَإنَّ صُورَةَ «المُسْلِمِ القَبِيحِ» الَّتِي يُذِيعُها تَتَناقَضُ بِشَكْلٍ صارِخٍ مَعَ ما يَقُولُهُ.

فِي تَمُّوز ٢٠٠٥م، أدْلَى «مايكل جِرام»، أحَدُ مُقَدِّمِي البَرامِجِ الحُوارِيَّةِ فِي إذاعَةِ « دبليو أم إيه إل» الأمْرِيكِيَّةِ، فِي أحَدِ بَرامِجِهِ بِتَصْرِيحاتٍ قالَ فِيها : إنَّ «الإسْلامَ مُنَظَّمَةٌ إرْهـابِيَّةٌ» وَ«الإسْـلامُ فِي حَرْبٍ مَـعَ أمْرِيكا» و«المُشْـكِلَـةُ لَيْسَتْ فِي التَّطَرُّفِ.. الإسْلامُ هُوَ المُشْكِلَةُ»! وَأضافَ : «نَحْنُ فِي حَرْبٍ مَعَ مُنَظَّمَةٍ إرهابِيَّةٍ تُدْعَى الإسْلامَ»!.

وَفِي آب ٢٠٠٥م أيضًا، اعْتَبَرَ « إدوارد لوتواك» مُدِيرُ المَرْكَزِ القَوْمِيِّ لِلدِّراساتِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ وَالدِّوَلِيَّةِ بِوَاشُنْطُنْ : أَنَّهُ « لا فَرْقَ بَيْنَ الإسْلامَ وَالإرْهابِ»، وَذَلِكَ فِي مُداخَلَةٍ لَهُ بِمُؤْتَمَرٍ أُقِيمَ بَمَدِينَةِ « نرفيك» بِشَمالِ النِّرْوِيج؛ وَقالَ : « كُلُّنا يَتَكَلَّمُ عَنِ الإرْهابِ عَلَى أَنَّهُ عَدُوُّنا الكَبِيرُ، وَعَلَيْنا أنْ نَتَذَكَّرَ أنَّ الإرْهابَ هُوَ مُجَرَّدُ وَسِيلَةٍ. إنَّ عَدُوَّنا هُوَ : الإسْلامُ، الإسْلامُ العَنِيفُ»[١٨٥]!.

وَفِي تَعْلِيقِها عَلَى ظاهِرَةِ مَآذِنِ المَساجِدِ الَّتِي انتَشَرَتْ فِي عُمُومِ ألمانيا، تَقُولُ مَجَلَّةُ « نيوزويك الأمريكية» : « إنَّ هَذِهِ المَآذنَ هِيَ عبارَةٌ عَنْ مَسامِيرٍ تَضْرِبُ أوهامَ المُجْتَمَعِ الألمانِيِّ بأَنَّه مُتَجانِسٌ عِرْقِيًّا وَمَسِيحِيُّ الثَّقافَةِ»[١٨٦]. وَتُشِيرُ المَجَلَّةُ نَفْسُها إلَى أنَّ إدارَةَ وَسائلِ الإعلامِ الألمانِيَّةِ تنظر إلَى الدِّياناتِ الخَاصَّةِ بالأَقَلِيّاتِ باعتِبارِها « طوائفَ خَطِرَةٍ».! إنَّ الكَثِيرَ مِنَ المُثَقَّفِينَ وَالمُفَكِّرِينَ الألمانِ- بِمَنْ فِيهِمُ مُدِيرُو وَسائلِ الإعلامِ يرغَبُونَ فِي إعطاء حُكُومَتِهِمُ السُّلْطَةَ لِتَقْرِيرِ حِمايَتِهِمُ مِمّا أسمَتْهُ المَجَلَّةُ «كُلِّ الأخطارِ المُحْتَمَلَةِ»؟! وَتَرَى الـ«نيوز ويك» أنَّ الإسلامَ أصبَحَ فِي نَظَرِ النُّخْبَةِ فِي الغَرْبِ- وَلا سِيَّما

١٨٥) نَقْلاً عَنْ : مُعْتَزِّ الخَطِيب- الإسلامُ بوَصْفِهِ دِينًا إرهابِيًّا!- مرجع سابق.

١٨٦) فِي تحقيقٍ لَها عَنِ المُسلِمِين فِي ألمانيا- ٢٠٠٤/١/٢٠م. وذكرتَ المَجَلَّةُ حَسْبَ إحصاء أرشيف الإسلامِ فِي سويست- أنَّ مائةً وواحِدًا وأربَعِينَ مَسجِدًا بمآذنٍ فِي ألمانيا، مُقارَنَةً مع سَبْعَةٍ وَسَبعِينَ فِي العام ٢٠٠٢م، مع وجودِ مائةٍ وأربعَةٍ وخَمسين مسجِدًا آخر يُعْتَزَمُ إنشاؤها...! هَذا فِي الوَقْتِ الَّذِي توجَدُ فِيهِ أعدادٌ كبيرةٌ مِنَ الكَنائس النَّصرانيةِ الفارِغَةِ لِقِلَّةِ المؤمنين بها.

فِي فِرَنسا وَألمانيا : «رَمْزًا لأيديُولوجِيَّةٍ جَدِيدَةٍ عُدوانِيَّةٍ ضِدَّ النِّساءِ وَضِدَّ الغَرْبِ» وَفِي ألمانيا «يَبْدُو هُناكَ تأْيِيدٌ شَعْبِيٌّ ضَخْمٌ لاسْتِهدافِ الْمُسْلِمِينَ»(١٨٧).

وَفِي كُلِّ الأَحْوالِ يَبْقَى هَذَا الجَدَلُ الفِكْرِيُّ حَوْلَ «الإسلامِ فُوبيا» بَعِيدًا عَمَّا ارْتَسَخَ بِأذْهانِ وَقَناعاتِ العامَّةِ مِنْ أفْكارٍ مَغْلُوطَةٍ وَصُوَرٍ نَمَطِيَّةٍ مُشَوَّهَةٍ وَانْطِباعاتٍ خاطِئَةٍ وَافْكارٍ سَلْبِيَّةٍ مُسْبَقَةٍ دُونَ عَناءِ التَّمْحِيصِ والتَّحْقِيقِ وَالتَّبَيُّنِ وَالاسْتِيضاحِ!... وَهُوَ ما يَجْعَلُ الأَصْواتَ الرَّافِضَةَ لِلإسْلامِ فُوبيا قَلِيلَةَ الفائدَةِ وَبَطِيئَةَ التَّأْثِيرِ والفاعِلِيَّةِ قِياسًا بِحَجْمِ تَأْثِيرِ الاتِّجاهِ التَّخْوِيفِيِّ كَمًّا وَكَيْفًا!...

هَذا، وَلا تَزالُ الصُّوَرُ الْمُتَوَهِّجةُ وَالمَواضِيعُ الْمُثِيرَةُ : مادَّةً أساسِيَّةً لِلشّاشةِ الصَّغِيرَةِ، فَالكُرْهُ لِلعَرَبِيِّ واضِحٌ جِدًّا فِي نَفْسِيَّةِ الْمُشاهِدِين. وَيَتَعَمَّدُ الْمُنْتِجُونَ تَصْوِيرَ العَرَبِيِّ عَلَى أَنَّهُ « غُولٌ» وَمِثالٌ لِلشَّخْصِ الآخَرِ الْمُخْتَلِفِ أو الْمُتَخَلِّفِ!. وَيُضْفُونَ عَلَيهِ صِفَةً شَيْطانِيَّةً نازِعِينَ عَنْهُ إنْسانِيَّتِهِ(١٨٨). وَ« مُنْذُ سَنَةِ ١٩٨٣م حَتَّى يَومِنا هَذا، اسْتَمَرَّ أَكْثَرُ مِنْ ثَمانِينَ مُسَلْسَلاً مِثْلَ « الأمْرِيكِيّ الحالِمِ»، «ماجنوم»، وَ« مُهِمَّةٌ مُسْتَحِيلَةٌ» وَ«جَواسِيس» بِإعْطاءِ الصُّورَةِ السَّلْبِيَّةِ عَنِ العَرَبِيِّ وَالْمُسْلِمِ.

وَفِيما يَلِي عَرْضٌ لِتِكْرارِ ظُهُورِ مُصْطَلَحِ « الإسلام وفوبيا» في بَعْضِ الصُّحُفِ البَرِيطانِيَّةِ وَالأمْرِيكِيَّةِ، لِلْوُقُوفِ عَلَى مَدَى تَطَوَّرِ المصْطَلَحِ وَتَداعِياتِهِ فِي مُحِيطِ الْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ خِلالَ الفَتْرَةِ الواقِعَةِ بَيْنَ عامَي

---

١٨٧) بِعَدَدِها الصادر فِي ٢٠/١/٢٠٠٤م.

١٨٨) جاك شاهين- الصورة النمطية للعربي في التلفزيون الأميركي- مَقالٌ بِجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ٩ /١٠/ ١٩٩٣م.

٢٠٠١م، ٢٠٠٦م. وَهِيَ الفَتْرَةُ الَّتِي ابْتَدَأَتْ تَقْرِيبًا بِأَحْداثِ أَيْلُولِ مُرُورًا بِالاجْتِياحِ الغَرْبِيِّ لِكُلٍّ مِنْ أَفْغانِستانِ وَالعِراقِ وَانْتِهاءً بِمُحاوَلاتِ الإِيقاعِ بِكُلٍّ مِنْ السُّودانِ وَسُورِيَّةَ وَإِيرانَ فَضْلاً عَنِ التَّحَرُّشاتِ الَّتِي تَنْتَهِي بِدِوَلٍ تُمَثِّلُ بالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ العَصَبِ والسَّنَدِ!...

الصحيفة	السَّنَة	٢٠٠١م	٢٠٠٢م	٢٠٠٣م	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م
التايمز البريطانية		١٢	١٢	١٣	٣٤	٤٤	٩٢
الجارديان البريطانية		١٤	٢٩	٢٠	٥٠	٤٤	٣٨
الإنْدِبنت البريطانية		٢٢	١٥	١١	٣٧	٤٢	٣٠
تورنتو ستار الكَنَدِيَّةُ		٣	٣	١	١١	١٨	٣٨
نيورك يايمز الأمريكية		٢	٢	٣	٧	٤	١٠
واشنطن بوست الأَمْريكية		٢	٣	٢	٢	٥	٥

جَدْوَلٌ رقم (١)

وَتُشِيرُ بَياناتُ الجَدْوَلِ السّابِقِ إِلَى كَثافَةِ الطَّرْحِ الإِعْلامِيِّ فِي كُلٍّ مِنْ بِرِيطانيا وَكَنَدا، بَيْنَما هُوَ أَقَلُّ فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ. كَما يُلاحَظُ أَنَّ

مَسْأَلَةَ « الإسْلامِ فُوبيا» في تَصاعُدٍ مُسْتَمِرٍّ!... ما يَعْكِسُ مَدَى إنْشِغالِ الصُّحافَةِ بِها. وَلِكِنَّ الغَرِيبَ حَقًّا، أنَّ « نيورك يايمز» وَ« واشنطن بُوسْت» رَغْمَ أَحْداثِ أَيْلُول وَتَداعِياتِها لَمْ تَطْرَحْ « الإسلامَ فُوبيا» بِقَدْرِ كَثافَةِ الطَّرْحِ في الصُّحافَةِ البَرِيطانِيَّةِ!.

وَبِالنَّظَرِ إلَى أنَّ ثَقافَةَ الصُّورَةِ أَشَدُّ وَقْعًا فِي النَّفْسِ مِنْ ثَقافَةِ الكَلِمَةِ، فَإنَّ حَرَكَةَ الفَنِّ عُمُومًا- وَالفَنِّ التَّشْكِيلِيِّ بِخاصَّةٍ- ذاتَ تَأْثِيرٍ عَمِيقٍ فِي النَّسِيجِ الثَّقافِيِّ الغَرْبِيِّ؛ وَلِذَلِكَ، فإنَّنا سَنَخُصُّ بِالذِّكْرِ وَاحِدًا مِنْ أَبْرَزِ المَنْسُوبِينَ الأمْرِيكانِ إلَى الفَنِّ، وَالَّذِي تَجاوَزتْ شُهْرَتُهُ حُدُودَ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَأُورُوبّا.. يُدْعَى «دُوج مارْلِت»، حَيْثُ تُوَزَّعُ رُسُوماتُهُ عَلَى مِئاتِ الجَرائِدِ فِي أمْرِيكا وَالعالَمِ، وَلاسِيَّما في « واشنطن بوست» وَ« نيويورك تايمز»، فَلَقَدْ نَشَرَ هَذا المَعْتُوهُ فِي ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠٢م رَسْمًا يَسْخَرُ فِيهِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، حَيْثُ صَوَّرَ رَجُلاً يَرْتَدِي ثِيابًا عَرَبِيَّةً اسْمُهُ « مُحَمَّد»، يَقُودُ شاحِنَةً مُحَمَّلَةً بِصَوارِيخَ نَوَوِيَّةٍ، وَقَدْ كُتِبَ تَحْتَ الرِّسْمِ : «ماذا يَقُولُ مُحَمَّدٌ..؟»

وَفِي عامِ ٢٠٠٣م، رَسَمَ فَنَّانُونَ مِنْ مُسْتَوطِنِي مَدِينَةِ الجَلِيلِ الفِلَسْطِينِيَّةِ المُحْتَلَّةِ صُورًا مُشِينَةً لِلرَّسُولِ العَظِيمِ الكَرِيمِ عَلَى نَحْوٍ غَيرِ مَسْبُوقٍ، وَبِطَرِيقَةٍ بَشِعَةٍ مِنْ مِنَ قِلَّةِ الأدَبِ وَفَسادِ الذَّوْقِ وَالأخْلاقِ الَّتِي لا يُمْكِنُ أنْ تَنْطُوي عَلَيْها شَخْصِيَّةُ فَنَّانٍ أو إنْسانٍ سَوِيٍّ يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ...؟![*]

(❖) كانَتْ هَذِهِ الرِّسُومُ أشَدَّ بَشاعَةٍ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي نَشَرَتْها الصَّحِيفَةُ الدانِماركِيَّةُ. وإنَّ الرُّوحَ والخَلْفِيَّةَ الفَنِيَّةَ والإيحاءَ وَأدوات الجريمة ودوافعها الأمر... تُعَزِّزُ فِكْرَةَ وُجُودِ دَوْرٍ صَهْيُونِيٍّ وَراء ما حَصَلَ مِنَ الصَّحِيفَةِ الدانِماركِيَّةِ وَغَيْرِها مِنَ الصُّحُفِ الأُورُوبِّيَّةِ!...

وفِي بَعْضِ المَجَلاَّتِ المُوَجَّهَةِ لِلأطْفالِ وَلِلعامَّةِ، وَالَّتِي تَصْدُرُ في مَدِينَةِ «لاس فيجاس» الأمْرِيكِيَّةِ تُوجَدُ سُخْرِيَةٌ مِنْ شَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ بِطَرِيقَةٍ تَغْرِسُ فِي أذْهانِ الأطْفالِ وَعامَّةِ النّاسِ: التَّنْفِيرَ مِنَ الإسْلامِ وَنَبِيِّهِ ﷺ، وَتُصَوِّرُ المُسْلِمَ فِي صُورَةِ العَرَبِيِّ البُدائيِّ الإرْهابِيِّ[189]!...

وَهَكَذَا تَتَعاظَمُ حالاتُ التَّخْوِيفِ وَالاسْتِعْداءِ الأُمَمِيِّ عَلَى الإسْلامِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ النَّفْخَاتِ الإعلامِيَّةِ الخَبِيثَةِ الَّتِي يَزفُرُها أُولَئِكَ المَأفُونُون مِمَّنْ يَتملَّكُونَ بِأيْدِيهِمُ الأثِيمَةِ مُقَدَّرَاتِ الإعْلامِ العَالَمِيِّ وَيُهَيْمِنُونَ عَلَى مَنافِذِهِ... مِنْ حِيتانِ اليَهُـودِ وَمُتَصَهْيِنِي الغَرْبِ...؛! حَيْثُ نُدْرِكُ مَدَى عُمْقِ وَخُطُورَةِ حَمْلَةِ التَّحْرِيضِ المَحْمُومَةِ هَذِهِ وَحَماقاتِها المَجْنُونَةِ،! الَّتِي لَمْ تَهْدأ أَبَدًا، بَلْ إنَّهَا «تَتَّسِعُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَمُمْتَدَّةً مِنْ أوْكارِ المُسْتَوْطِنِينَ اليَهُودِ المُتَعَصِّبِينَ فِي فِلَسْطِينِ، حَتَّى قاعاتِ « الكُونْجُرس» الأمْرِيكِيِّ، مُرُورًا بِمَقالاتٍ فجَّةٍ وَطافِحَةٍ بِالتَّشْوِيشِ المُتَعَصِّبِ الحاقِدِ عَلَى صَفْحَاتِ كُبْرَياتِ الصُّحُفِ الأمْرِيكِيَّة، خُصُـوصًا : مَقالاتُ الكَاتِبِ الأمْرِيكِيِّ اليَهُـودِيِّ ذائِعِ الصَّيْتِ «روزنتال ROZENTAL » فِي صَحِيفَةِ « نيويورك تايمز»، «الَّتِي لا تَقِلُّ تَعَصُّبًا عَنْ أفكارِ أكْبَرِ الحاخاماتِ اليَهُـودِ، بَلْ رُبَّمـا تَعْلُو عَلَى حَماقات «شارون» وَ«نتن ياهُوَ»[190].

189) http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2136

١٩٠) صلاح الدّين حافظ – الحملة عَلَى الإسْلام – جريدة الأهرام المصرية – ٩ / ٧ / ١٩٩٧.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ عَدالَةِ الإعلامِ الغَرْبِيِّ فِي تَعامُلِهِ مَعَ الظَّاهِرَةِ الإسلامِيَّةِ بِوَجهٍ عامٍّ، أَنَّه بَيْنَما كانَتْ الصُّورَةُ النَّمَطِيَّةُ عَنِ الإسْلامِ فِيما مَضَى، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الإِسْلامَ دِينُ المَلَذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهْواتِ الجِنْسِيَّةِ وتَعَدُّدِ الزَّوجاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنِ افْتِراءَاتٍ مَوْصُولَةٍ بِمتاعِ هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيا....! تَحَوَّلَتْ آلَةُ الإعْلامِ الغَرْبِيِّ عَنْ هَذا السِّياقِ بِزاوِيَةٍ مَائَةٍ وَثَمانِينَ دَرَجَةٍ، حَيْثُ ظَهَرَ الإِسْلامُ فَجأَةً عَلَى أَنَّه دِينُ الانْتِحارِ وَالتَّفْجِيراتِ وَالقَتْلِ وَكَراهِيَةِ الآخَرِينَ... حَتَّى لَقَدْ قِيلَ عَنِ الإسْلامِ عَلَى شاشاتِ التَّلْفَزَةِ الفِرَنْسِيَّةِ بِأَنَّهُ «دِينٌ يُشَجِّعُ الأطفالَ عَلَى المَوْتِ لِيَغْدُوا فِي أحضانِ الرَّبِّ»[191].

وَحِينَ قَدَّمَت BBC بَرنامَجًا عَنِ الإسْلامِ وَالفُنُونِ الإسلامِيَّةِ، عَمَدَتْ واحِدَةٌ مِنَ الكاتِباتِ إِظْهارَ مَوقِفِ الإسْلامِ مِنَ المَوضُوعِ فَقالَتْ : إِنَّ « التَّعْبِيرَ الأَفْضَلَ عَنْ الإسْلامِ هُوَ : طالِبان»!.

كَما أَنَّ هُناكَ آلافُ المَواقِعِ عَلَى الشَّبَكَةِ الدَّوَلِيَّةِ لِلْمَعْلُوماتِ- بَعْضُها بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَسْهَمُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي تَفاقُمِ مُشْكِلَةِ «الإسلامِ فُوبيا» بِما يُشْبِهُ الحَرْبَ الحَقِيقِيَّةَ!... حَيْثُ تُوجَدُ حَمْلَةٌ مُنَظَّمَةٌ لِلهُجُومِ عَلَى الإسْلامِ عَنْ طَرِيقِ الشَّبَكَةِ الدَّوَلِيَّةِ لِلمَعْلُوماتِ الدَّوَلِيَّةِ Internet تَبْلُغُ تَكْلُفَتُها نَحْوَ المِليارِ دُولارٍ سَنَوِيًّا؛ وَيأتِي ذَلِكَ فِي سِياقِ حَمْلَةٍ تَشْوِيهِيَّةٍ قُوامُها أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ آلافِ مَوْقِعٍ إِلِكْترونِيٍّ بِمُخْتَلَفِ اللُّغاتِ مُتَخَصِّصَةٍ فِي الهُجُومِ عَلَى الإسْلامِ وَتَتَنَوَّعُ

191) عَبّاس بَيْضُون- الإرْهابُ بِلا وَجْهٍ، لكن العنصرية تخفي وجهها- مقال بجريدة السفير اللبنانية- 21 أيلول 2001م.

أساليبُها ما بَيْنَ القَذْفِ وَالسَّبِّ فِي الإسْلامِ وَالافْتِراءِ عَلَى الدِّينِ الإسْلامِيِّ وَالرَّسُولِ ﷺ وَتَشْوِيهِ صُورَةِ الصَّحابَةِ وَالتّابِعِينَ وَالعُلَماءِ وَالفُقَهاءِ وَتَحْرِيفِ القُرآنِ الكَرِيمِ والتَّعَسُّفِ وَالابْتِسارِ فِي تَفْسِيرِ مَعانِيهِ!...

وَلَقَدْ خلَقَتْ مُعالَجاتُ الإعْلامِ الغَرْبِيِّ لِما يُسَمَّى فِي الغَرْبِ الآنَ بِـ «الحالَةِ أو المَسأَلَةِ الإسْلامِيَةِ» : جَوًّا مَشْحُونًا بِالتَّوَتُّرِ وَالانْفِعالِ وَالحَساسِيَّةِ، وَمَزِيدًا مِنَ التَّحْرِيضِ عَلَى العَرَبِ وَعَلَى المُسْلِمِينَ، وَأَجَّجَتْ المَخاوِفَ مِنَ «الإرْهابِ العَرَبِيِّ» وَمِنَ «الخَطَرِ الإسْلامِيِّ»[١٩٢]. وَلَقَدْ صَارَ الخَوْفُ مِنَ الإسلامِ وَالحَسَاسِيَّةُ المُفْرِطَةُ إزاءَهُ : أَحَدَ أبْرَزِ التَّقالِيعِ وَالطُّقُوسِ الثَّقافِيَّةِ فِي المُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ المُعَاصِرِ، فَتَكامَلَتْ مِنْ ثَمَّ دَواعِي ذَلِكَ الرُّعْبِ المَوهُومِ؛! وَلَمْ يَعُدْ لَدَى جُلِّ الغَرْبِيّين مِنْ تَفْسِيرٍ لِلإسْلامِ سِوَى أَنَّهُ إمبراطوريَّةٌ شِرِّيرَةٌ فِي حَالَةِ حَرْبٍ دائمَةٍ مَعَ النِّظَـامِ العَالَمِيِّ الجَدِيدِ.! إذْ إنَّ هُنالِكَ حالَةٌ مُخَلَّقَةٌ مِنَ الإسْهالِ الإعلامِيِّ الشَّدِيدِ حَوْلَ «الإسْلامِ فُوبيا»، وَقَدْ كانَ مِنْ أخْطَرِ ما نَجَمَ عَنْ تِلْكَ الحالَةِ : تَوسِيعِ دائرَةِ الوَهْمِ الخُوافِيِّ مِنَ الإسْلامِ بِصُورَةٍ أضْحَتْ مَثارَ اهْتِمامِ العالَمِ، فَأَخَذَتْ بَعْضٌ مِنَ الدِّوَلِ، مِثْلِ : اليابانِ وَكُورِيًّا الجَنُوبِيَّةِ وَالهِنْدِ وَالصِّينِ تُبْدِي مَخاوِفَها مِنَ تَداعِياتِ «الإسلامِ فُوبيا» بِمُناسَبَةٍ وَبِغَيْرِ مُناسَبَةٍ!؛ بل لَقَدْ أصابَ البَلاءُ تلْكَ القارَّةَ الَّتِي كانَتْ تُوصَفُ بِأَنَّ شُعُوبَها أكْثَرُ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ تَوَسُّطًا واعْتِدالاً في نَظَرَتِها إلَى الإسْلامِ وَإلَى

---

١٩٢) رغيد الصلح- العربي البشع وانفجار مركز التجارة العالمي- مَقالٌ بِجَرِيدَةِ الحَياةِ اللَّنْدَنِيَّةِ- ١٩٩٣/٣/٢٩م.

العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، إنَّها أمْريكا اللاَّتِينِيَّةُ الَّتِي أخَذَتْ تَنْفَعِلُ بِتَيَّارِ التَّخْوِيفِ مِنَ الإسْلامِ الَّذِي يَجْتاحُ الْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةَ...وَمِمَّا يُصَدِّقُ عَلَى هَذا الاتِّجاهِ التَّضْلِيلِيِّ ما نَشَرَتْهُ صَحِيفَةُ «اليُونِيفِرْسال» البَرازِيلِيَّةُ دِراسَةً عَنِ الإسْلامِ، مُشِيرَةً إلَى أنَّهُ «دِينُ عُنْفٍ وَقِتالٍ، وَأنَّهُ انْتَشَرَ بِحَدِّ السَّيْفِ»[193].

وَتُبْدِي الكاتِبَةُ البَرِيطانِيَّةِ « مادلين بانتينغ» دَهْشَتَها لِذَلِكَ الخَوْفِ غَيْرِ الْمُبَرَّرِ مِنَ الإسْلامِ، الَّذِي يَصِفُهُ بَعْضُ الكُتَّابِ بِـ « الوَحْشِ» الَّذِي- وَالقَوْلُ لِمادلِين : يُغذِّيهِ خَوْفٌ مِنْ أنْ يُسَيْطِرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى العالَمِ وَعَلَى بَرِيطانيا، عِلْمًا أنَّ نِسْبَتَهُم فِيها ٣٪ فقط»[194]. وَتُورِدُ الكاتِبَةُ حالاتِ التَّشْويهِ الَّتِي ظَهَرتْ فِي الإعْلامِ فِي صُورَةٍ تُعْكِسُ مَدَى التَّأْثِيرِ التَّخْوِيفِيِّ مِنَ الإسْلامِ لِيَبْلُغَ دَرَجَةِ التَّكَهُّنِ وَالتَّنَبُّؤِ !.. وَتَخْتِمُ الكاتِبَةُ مَقالَها بِأنَّ «الْمُجتَمَعَ باتَ بِحاجَةٍ لأدَوَاتٍ تَشْرِيعِيَّةٍ قانُونِيَّةٍ لِمَنْعِ التَّحْرِيضِ عَلَى الكَراهِيَةِ الدِّينِيَّةِ، وَمُواجَهَةِ الفِئاتِ الَّتِي تُسِيء لِلآخَرِينَ تَحْتَ غِطاءِ حُريةِ التَّعْبِيرِ»!.

فَمَثلاً، نَشَرَتْ صَحِيفَةٌ أمْرِيكِيَّةٌ رَسْمًا كاريكاتيرِيًّا يُصَوِّرُ النَّبِيَّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ يَجُرُّ عَرَبَةً مُحَمَّلَةً بِالقَنابِلِ[195]!! فَهلْ يُمْكِنُ اعْتِبارَ هَذا الهَوَسِ والهُراءِ حُرِّيَّةَ تَعْبِيرٍ؟!! فَتَأَمَّلْ مَغْزَى هَذا الَّذِي يُقالُ فِي شأن نَبِيٍّ يَقُولُ اللهُ ﷻ فِيهِ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ سورة الأنبياء/ ١٠٧. فَإذا كانَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ هَذِهِ صُورَتُهُ فِي الإعْلامِ الغربِيِّ... فَكَيْفَ بِصُورةِ اتْباعِهِ..؟! وَلِذَلِكَ، فَإنَّ

193) www.islammemo cc/NEWS/one_news.asp IDnews=128945

١٩٤) نَقْلاً عَنْ : قناةُ العَرَبِيَّةِ الفَضائية- حَلْقَةٌ مِنْ برنامجِ «السُّلْطَةُ الرَّابِعَةُ»- ٢٠٠٤/٩/٧م.

١٩٥) نقلاً عن : جَرِيدَةِ الأهْرامِ القاهِرِيَّةِ- ٢٠٠٤/٩/٢م.

الحَدِيثُ الغربِيُّ فِي «الإِسْلامُ فُوبْيا» : قَدْ طالَ وَسَيَطُولُ إلَى أجَلٍ غَيْرِ مُسَمًّى!...

سابِعًا : أزْمَةُ رُسُومٍ أمْ أزْمَةُ قِيَمٍ وَمَفاهِيمٍ؟!...

فِي شَهْرِ أيْلُول ٢٠٠٥م، نُشِرَتْ رُسُومٌ مُسِيئَةٌ لِسَيِّدِنا رَسُولِ الله ﷺ فِي صَحِيفَةِ «جِيُولانْدِز بُوسْتِن» الدّانِمارِكِيَّةِ؛ وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أنَّ الصَّحِيفَةِ الدَّانِمارْكِيَّةَ قد دَابَتْ مُنْذُ عامِ ٢٠٠٣م عَلَى إثارَةِ مَخاوِفِ قُرَّائها مِنَ الإسْلامِ . كَما أنَّ لَهَا دَوْرًا أساسِيًّا فِي تأسِيسِ مَرْكَزِ أبْحاثٍ فِي الدَّانْمارِكِ عَلَى غِرارِ مَراكِزِ أبْحاثِ المُحافِظِينَ الجُدُدِ فِي أمْرِيكا وَبَعْضِ البلدانِ الأُورُوبِّيَّةِ!...

وَمِنَ المُهِمِّ هُنا، التَّقْرِيرِ بِأنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ عارِضٍ شَيْطانِيٍّ يُداعِبُ خَيالاً مَرِيضًا لِرَسّامٍ مَغْمُورٍ لَدَيْهِ اسْتِعْدادٌ ذاتِيٌّ لِتَقَبُّلِ كُلِّ شَيءٍ سَيّءٍ عَنْ الإسلامِ وَالمُسلِمينَ دُونَما تَمْحِيصٍ أو تَثَبُّتٍ أو تَمْيِّيزٍ- شأنُهُ فِي ذَلِكَ شأنِ غالِبِيَّةِ الغَرْبِيِّين وَحَسْبُ، بَلْ إنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ كانَتْ عِبارَةً عَنْ خُلاصَةِ مُسابَقَةٍ عامَّةٍ طُرِحَتْ بَيْنَ قُرّاءِ الجَرِيدَةِ، لِلتَّعْبِيرِ عَنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِمُ إزاءَ رَسُولِ الله ﷺ، وأنَّ أحَدَ عَشَرَ رَسْمًا قَدْ فازَ بِالمُسابَقَةِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ نَشْرُ الرِّسومِ الفائزةِ.! وَلَعَلَّ هَذا إنْ دَلَّ، فإنَّما يَدُلُّ عَلَى أنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ هِيَ : بِمَثابَةِ تَعْبِيرٍ عَنْ مَدَى الجَهْلِ وَالخَوفِ المَرَضِيِّ مِنَ الإسْلامِ وَرَسُولِهِ ﷺ!.

وَمنَ الغَرِيبِ، أنَّ جَرِيمَةِ الرَّسُومِ وَنَشْرِها لَمْ تَتَفَجَّرْ وَلَمْ تُثَرْ وَقْتَ نَشْرِها، وَلَعَلَّ هَذا ما أغْرَى صَحِيفَةَ « جِيُولانْدِز بُوسْتِن» بالإمْعانِ فِي الإساءَةِ إلَى الرَّسُولِ المُصْطَفَى ﷺ بِتَوْسِيعِ رُقْعَةِ النَّشْرِ وَإغْراءِ غَيْرِها بِنَشْرِ الرُّسُومِ!... فَما

حَدَثَ- عَلَى حَدٍّ وَصْفِ أحَدِ المُراقِبينَ : «كانَ حَلْقةً مِنْ سِلْسِلَةِ تَجْييشِ الغَرْبِ بِاتِّجاهِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»»[196]؛ وَلَيْسَ أدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أنَهُ فِي صَيْفِ ٢٠٠٦م، نَقَلَتْ وَكالاتُ الأنْباءِ وَمَحَطَّاتُ التَّلْفَزَةِ خَبَرًا مُثِيرًا حَوْلَ شَرِيطِ فيديو صَوَّرَتْهُ شَبِيبَةُ حِزْبِ الشَّعْبِ الدَّانْماركيّ، وَمِنها مَجْمُوعَةٌ مِنَ الفَنَّانِينَ تُطْلِقُ عَلَى نَفْسِها «رابِطَةُ الدِّفاعِ عَنْ الدَّانِمارك»!؛ وَلَقَدْ عَرَضَتْ قناةُ «تي في ٢» الدَّانمارِكِيَّةُ مَقاطِعَ مِنَ شَرِيطِ الفِيديو : أظْهَرَتْ شابًّا مِنَ حِزْبِ الشَّعْبِ الدَّانْماركيّ يَتَقَمَّصُ شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُظْهِرَهُ عَلَى شَكْلِ جَمَلٍ يَشْرَبُ البِيرَةَ!، وَإرْهابِيٍّ ثِمِلٍ يُهاجِمُ كُوبِنْهاجن»[197].

وَلَقَدْ تَعَرَّضَتْ المُنَظماتُ وَالمُؤَسَّساتُ الإسْلامِيَّ بِالدَّانْماركِ إلَى ضُغُوطٍ عَنِيفَةٍ مِنْ قِبَلِ الحُكُومَةِ وَالدَّوائرِ السِّياسِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ الدَّانْماركِيَّةِ، وَذَلِكَ بُغْيَةَ إقْناعِها بِإعْلانِ قَبُولِ اعْتِذارٍ مِنَ الصَّحِيفَةِ لِطَيِّ هَذِهِ الصَّفْحَةِ، بَيْدَ أنَّ الاعْتِذارَ لَمْ يَحْدُثْ مِنَ النَّاحِيَةِ الأخْلاقِيَّةِ العَمَلِيَّةِ، بَدَلِيلِ أنَّ هذِهِ المَحَطَّةَ قَدْ دَابَتْ عَلَى التَّحْرِيضِ- وَإنْ حَدَثَ الاعْتِذارُ، فَلَمْ يَكُنْ بِالشَّكْلِ اللاَّئقِ(*)!.

---

١٩٦) نقلاً عن : جريدَةُ الوَطَن القطَرِيَّةِ - الأربعاء ٢٠٠٦/٠٣/١.

197) www.ikhwan-jor.org/ikhwannews/ikh_006/news_47.htm

(*) مِنْ هَذِهِ الضُّغُوطِ : وَقْفُ المَعُوناتِ وَالدَّعْمِ المالِيِّ، وَفَرْضُ قُيُودٍ عَلَى تَمْوِيلاتِ هَذِهِ المُنَظَّماتِ وَأنْشِطَتِها الدِّينِيَّةِ، وَإمْكانِيَّةُ تَعَرُّضِ بَعْضِها لِلإغْلاقِ أو مُصادَرَةِ الأنْشِطَةِ تَحْتَ زَعْمِ إثارَتِها لِلتَّطَرُّفِ وَالعُنْفِ وَتأليبِها المُسْلِمِينَ ضِدَّ الدَّانْماركِيِّينَ وَغَيْرِ المُسْلِمِينَ- نقلاً عَنْ صَحِيفَةِ الوَطَنِ السّعوديَّةِ- العدد (١٩٥٢) السنة السادسة- الخميس ٣ محرم ١٤٢٧هـ الموافق ٢ فبراير ٢٠٠٦م.

هَذا، وَقَدْ أَقَرَّتْ دِوَلٌ وَمُؤَسَّساتٌ وَجَماعاتٌ غَرْبِيَّةٌ الصَّحِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الفاشِسْتِيِّ ضِدَّ الإسلامِ وَنَبِيِّهِ ﷺ وَأتْباعِهِ!... فَدافَعَتْ عَنْها بُكُلِّ تَعَصُّبٍ وَشَراسَةٍ!... لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، بَلْ وَصَلَ الأمْرُ إلَى حَدِّ تَهْدِيدِ الدِّوَلِ الإسْلامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ فِيما لَوْ تَظاهَرَتْ ضِدَّ هَذِهِ الرُّسُومِ!؛ فَعَلَى سَبِيلِ المِثالِ، نَجِدُ الرَّئِيسَ الأمْرِيكِيَّ «جُورج بُوش الإبن» يُطالِبُ الحُكُوماتِ الإسْلامِيَّةَ مَنْعَ شُعُوبِها مِنَ التَّظاهُرِ ضِدَّ الإساءاتِ المُوَجَّهَةِ إلَى النَّبِيِّ ﷺ!!!.

وَقَدْ أَخْلَفَتْ « أَزْمَةُ الرُّسُومِ» أَصْداءً دَوَّتْ بِها أَرْجاءُ العالَمِ أَجْمَعِ ما بَيْن مُؤَيِّدٍ وَمُعارِضٍ وَمُتَحَفِّظٍ؛ وَاتِّساقًا مَعَ تَيَّارِ الإساءَةِ وَالتَّشْوِيهِ والافْتِراءِ: انْبَرَتْ عِدَّةُ صُحُفٍ غَرْبِيَّةٍ فِي إعادَةِ نَشْرِ الصُّوَرِ المُسِيئَةِ لِمَقامِ سَيِّدِنا النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلُ صَحِيفَةِ «فَرانْس سُوار» الفِرَنْسِيَّةِ وَغَيْرِها فِي أُورُوبّا!... وَلَكِنَّ الأمْرُ بَدا بِشَكْلٍ مُتَمَيِّزٍ فِي فِرَنْسا باعْتِبارِها صاحِبَةَ التَّوَهُّجِ الدِّيمُغرافِيِّ الإسْلامِيِّ الأَوْسَعِ فِي الوِلاياتِ المُتَّحدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ وَغَرْبِ أُورُوبّا؛

وَتُؤَكِّدُ صَحِيفَةُ « فَرانسُو سُوار» أَنَّها لا تُخْفِي نَوايا عُنْصُرِيَّةً أو مُعادِيَةً لِلإسْلامِ، وَنَدَّدَتْ بِما وَصَفَتْهُ «عَدَمَ التَّسامُحِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الإخْوانُ المُسْلِمُونَ وَسُورِيّا وَالجِهادُ الإسْلامِيُّ وَوُزراءُ الخارِجِيَّةِ العَرَبُ وَمُنَظَّمَةُ المُؤتَمَرِ الإسْلامِيِّ، الَّذِينَ دَعَوا مُواطِنِي المُجْتَمَعات الدِّيمُقْراطِيَّةِ وَالعَالمانِيَّةِ إلَى التَّنْدِيدِ بِالرُّسُومِ الكارِيكاتُورِيَّةِ الَّتِي اعْتُبِرَتْ مُسِيئَةً لِلإسْلامِ»[١٩٨].

---

١٩٨) نَقْلاً عَنْ : صَحِيفَة الوَطنِ السعودِيَّة- العدد (١٩٥٢) السنة السادسة- الخميس ٣ محرم ١٤٢٧هـ الموافق ٢ فبراير ٢٠٠٦م.

وَلابُدَّ مِنَ الإشارَةِ إِلَى «سِيرج فوبير»، نائبِ رَئِيسِ تَحْرِيرِ مَجَلَّةِ «فرانس سوار»، المَعْرُوفِ بِعَدَواتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلْعَرَبِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، الَّذِي أوعَزَ إِلَى إدارَةِ الجَرِيدَةِ بِنَشْرِ الرُّسُومِ المُسِيئَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِـ«حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ»- هَذا المُصْطَلَحِ الَّذِي وَإِنْ كانَ حَقًّا نِسْبِيًّا فِي الغَرْبِ أو فِي العالَمِ.. بَيْدَ انَّهُ حَقٌّ أُرِيدَ بِهِ باطِلٌ وَبُهْتانٌ وَإِفْكٌ مُفْتَرَى لا عَلاقَةَ لَهُ لا بِالحَقِّ وَلا بِالحَقائِقِ.

وَمِنَ الجَدِيرِ بِالْذِّكْرِ أَنَّ هَذا الصُّحُفِيَّ الصَّهْيُونِيَّ قد دَأَبَ عَلَى النَّيْلِ مِنْ كُلِّ شَخْصِيَّةٍ فِرَنْسِيَّةٍ مُعْتَدِلَةٍ تَقِفُ إِلَى جانِبِ حُقُوقِ وَقَضايا العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ... حَيْثُ كانَ مَثَلاً عَلَى رأسِ حَمْلَةِ التَّشْهِيرِ بِـ« جاك شوميناد»(*)، الرَّجُلُ الَّذِي دائمًا يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الحِفاظِ عَلَى اسْتِقْرارِ وَأَمْنِ مِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأوسَطِ بِالتَّنْسِيقِ مَعَ كُلِّ دِوَلِ مَجْلِسِ التَّعاوُنِ الخَلِيجِيِّ؛ وَيَرَى أَنَّ عَلَى الاتِّحادِ

(*) «جاك شوميناد كاتَبْ وَسِياسِيٌّ فِرَنْسِيٌّ، اشتَهَرَ بِعَدالَةِ مَواقِفِهِ السِّياسِيَّةِ وَلاسِيَّما تُجاهَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِين، خاضَ انْتِخابات الرِّئاسَةِ الفِرَنْسِيَّةِ أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. أحد المفكرين البارزين المطالبين بنظام عالمي جديد، عرف بتحمسه في ابداء رأيه بكل موضوعية في حوار الحضارات خلال لقاءاته العديدة بأوروبا وأميركا . عارض غزو العراق وطالب بانسحاب فوري لقوات الاحتلال منه، داعيا إلى التخلي عن صراع الحضارات واستبداله بالحوار بين الأديان والثقافات لأن من شأن ذلك أن يؤدي إلى إنجاز مشاريع مشتركة في غاية الأهمية لمستقبل البشرية، وأصدر العديد من الكتب التحليلية من بينها كتابه الأخير بعنوان « روزفلت- ديغول- موني كيف نواصل كفاحهم؟». عَمِلَ مُحاضِرًا بِمَعْهَدِ شيلر العالَمِيِّ لِحُوارِ الحَضاراتِ فِي اغْلَبِ عَواصِمِ أُورُوبّا وَوَاشُنْطُن. رئيس حركة التضامن والتقدم بفرنسا. ويدير شوميناد في باريس الفرع الفرنسي للمجلة الأميركية « انتلجنس اكزكتيف ريفيو» التي أسسها ويديرها رجل الاقتصاد الأميركي المعروف « ليندون لاروش». وَلَقَدْ بَدا غَرِيبًا أنْ تَقِفَ غالِبِيَّةُ التَّيّاراتِ اليَسارِيَّةِ مِنَ أزْمَةِ الرُّسُومِ مَوْقِفًا مَشْكُورًا، حَيْثُ قَدَّرَتْ وَراعَتء مَشاعِرَ المُسْلِمِينَ وَدافَعَتْ عَنْهُمُ وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ؟؟!.

الأُورُوبِّيِّ ألاَّ يَنْسَاقَ وَراءَ المُخَطَّطاتِ المُعادِيَةِ لِلْخَلِيـجِ وَلِلْعَرَبِ وَلِلْمُسْلِمِينَ حِينَ يَتَعامَلَ مَعَ هَذِهِ الدِّوَلِ الصِّدِيقَةِ؛ وأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِفَرَنسا بِالذَّاتِ رِسالَةٌ رِيادِيَّةٌ فِي سَنِّ سِياسَةٍ تُجاهَ العَرَبِ مِنْ شَأنِها أَنْ تُساعِدَ عَلَى تَجاوُزِ أَزْمَةِ الرِّسُومِ، وَعَدَمُ الوُقُوعِ فِي مُخَطَّطاتِ حَرْبِ الحَضاراتِ الَّتِي يُنَظِّرُ لَها «هَنْتِينْجتُون».

وَمِنْ جِهَتِها، أَقْدَمَتْ صَحِيفَةُ «لوفيجارو» الفِرَنْسِيَّةُ عَلَى نَشْرِ الرُّسُومِ الكارِيكاتُورِيَّةِ الَّتِي كانَتْ صَحِيفَةُ «جِيُولانْدِز بُوسْتِن»، بَلْ إِنَّ الصَّحِيفَةَ الفِرَنْسِيَّةَ قَدْ تَعَمَّدَتْ نَشْرَ رَسْمٍ كارَيكاتورِيٍّ خاصٍّ بِها عَلَى صَفْحَتِـــها الأُولَى يُعَدُّ الأَشَـدُّ إساءةً لِلإِسْلامِ وَمُعْتَقَـداتِهِ. وَتَجاوَزَتْ الصَّحِيفَةُ الفِرَنْسِيَّةُ هَذِهِ الحُدُودَ حِينَ كَتَبَتْ جُمْلَةً بِالخَطِّ العَرِيضِ فَوْقَ هَذا الرَّسْمِ، مُعَلِّقَةً بِأَنَّهُ « لَدَيْنا الحَقُّ فِي وَضْعِ صُوَرٍ كارِيكاتُورِيَّةٍ تُعَبِّرُ عَنِ الذّاتِ الإِلَهِيَّةِ»!!.

وَفِي أَسْبانيا، أُعِيدَ نَشْرُ الرُّسُومِ الكارِيكاتُورِيَّةُ فِي صَحِيفَةِ «آ بي ثي» اليَمِينِيَّةِ، وَصَحِيفَةِ « ايل بيريوديكو» اليَسارِيَّةِ. وَلَقَدْ أَرْفَقَتْ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الأَخِيرَةُ الرُّسُومَ بِتَعْلِيقٍ، كُتِبَتْ فِيهِ «مِنَ المَنْطِـقِيِّ : أَنْ تُثِيرَ الرُّسُـومُ الكارِيكاتُورِيَّةُ اسْتِياءَ بَعْضِ المُسْلِمِينَ!؛ وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ المَنْطِقِيِّ أَنْ نَسْعَى عَنْ طَرِيقِ قِراءَةٍ حَرْفِيَّةٍ وَلا إِنْسانِيَّةٍ لِلقُرآنِ.. بِغَرَضِ تَهْدِيدِ مُمْتَهِنِي التَّهَكُّمِ وَمُحاوَلَةِ القَضاءِ عَلَيْهِمُ»

وَفِي إيطاليا، اخْتارَتْ صَحِيفَةُ « لا ستامْبا»، نَشَرَ الكارَيكاتُورِ الَّذِي أثارَ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الاسْتِياءِ فِي العالَمِ الاسْلامِيِّ، وَيَظْهَرُ فِيها شَخْصٌ يُقْصَدُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُرْتَدِيًا عِمامَةً عَلَى شَكْلِ قُنْبُلَةٍ أَشْعَلَ فَتِيلَها!!. أَمَّا صَحِيفَةُ « إيل كُورِيرِي دِيلا سِيرا» الأَكْثَرُ انْتِشارًا بَيْنَ الصُّحُفِ الإيطالِيَّةِ، فَقَدْ نَشَرَتْ رَسْمَيْنِ سَيِّئِينِ لِلإِسْلامِ أَيْضًا. وَقَدْ أُرْفِقَ الرَّسْمانِ مَعَ مَقالَةٍ طَوِيلَةٍ لِمُحَرِّرٍ مُسْلِمٍ، مُعْتَبِرًا فِيها الرُّسُومَ « تَنُمُّ عَنْ ذَوْقٍ مُرِيبٍ»!.

وِفِي سِوِيسرا، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ «بِليك» الشَّعْبِيَّةُ يَوْمَ ٣١/ ١/ ٢٠٠٦م: اثْنَينِ مِنَ الرُّسُومِ مَوْضِعَ الخِلافِ. كَذَلِكَ صَحِيفَةُ «لا تِرِيبُون دُو جِنِيف» نَشْرَت الرُّسُومِ كامِلَةً في عَدَدِها الصَّادِرِ فِي ٢/ ٢/ ٢٠٠٦م. وَقالَ رَئِيسُ تَحْرِيرُ الصَّحِيفَةِ « دُومِنِيكِ فُون بُورغ» مُعَلِّقًا : إنَّ « هَذِهِ القَضِيَّةَ تُصَوِّرُ الصِّدامَ بَيْنَ ثَقافَةٍ شَدِيدَةِ العَالَمَانِيَّةِ مِثْلَ ثَقافَتِنا، وَثَقافَةٍ أُخْرَى مِحْوَرُها الدِّيانَةُ». مُضِيفًا : «يُمْكِنُنا تَفَهُّمُ مَشاعِرَ المُسْلِمِينَ، لَكِنَّنا فِي دَوْلَةٍ تَعَدُّدِيَّةٍ، وَمِنْ حَقِّنا أَنْ نَفْعَلَ ما نَفْعَلَهُ»

وَفِي هُولَنْدا، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ « دِي فُولْكِسْ كِرانْت» التَّقَدُّمِيَّةُ وَ« دِي تِلِغْراف» الشَّعْبِيَّةُ وَ« إنْ آر سِي هانْدِلِسْبِلاد» رَسْمًا أو أَكْثَرَ أو أعادَتْ نَشْرَ صَفْحَةِ « جِيُولانْدِز بُوسْتِن» المَعْنِيَّةِ بِالمَسأَلَةِ. وَكانَتْ الصَّحِيفَةُ المُحافِظَةُ الأَلْمَانِيَّةُ الكُبْرَى « دِي فِيلت» قَدْ نَشَرَتْ فِي صَفْحَتِها الأُولَى أَحَدَ الرُّسُومِ، وَقَدْ اخْتارَتْ رَسْمَ العِمامَةِ عَلَى شَكْلِ قُنْبُلَةٍ، فِيها أَوْرَدَتْ أَرْبَعَةَ رُسُومٍ أُخْرَى فِي صَفْحاتِها الدّاخِلِيَّةِ.وَقَدْ عَبَّرَ « هندريك تسورنر» المُتَحَدِّثُ بِاسْمِ نَقابَةِ الصُّحافِيِّينَ الأَلْمانِ عَنْ مُعارَضَتِهِ نَشْرَ الرُّسُومِ. وَذَكَرَ بِأَنَّ آدابَ الصُّحافَةِ

الالْمانيَّةِ تَحْظَرُ المَقالاتِ أو الصُّوَرِ الَّتِي مِنْ شَأنِها الإساءَةِ إلَى مَا سَمَّاهُ « المَشاعِرَ الدِّينِيَّةَ أو الأخْلاقِيَّةَ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الأشْخاصِ».

وَفِي الْمانيا، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ « دِي فِيلِيت» عَلى صَفْحَتِها الأُولَى هَذا، وَقَدْ حَلَّلَتْ النَّشْرَةُ الأمْرِيكِيَّةُ الأُسْبُوعِيَّةُ «استراتيجك ألرت»[199] قائلَةً بِأنَّ «صَحِيفَةَ «جِيُولانْدِز بُوسْتِن» الدَّانْماركِيَّـةَ، الَّتـي نَشَرَتْ الرُّسُومَ المُخْزِيَةَ : تَرْتَبِطُ بِمَعْهَدِ سِيبُوس الدَّانْماركِيِّ، الَّذِي يُعْتَبَرُ امْتِدادًا دَانْماركِيًّا لِخَطِّ «جُورج شولتز» مُنَظِّرِ المُحافِظِينَ الجُدُدِ». وَأنَّ الأحْداثَ المُتَسَلْسِلَةَ تُؤَكِّدُ بِأنَّ نَشْرَ الرُّسُومِ جاءَ حَلْقَةً مُبَرْمَجَةً فِي مُسَلْسَلِ تَكْرِيسِ حَرْبِ الحَضاراتِ بِما يَخْدُمَ نَظَرِيّاتِ وَمَصالِحِ هَذِهِ الجَماعَةِ العُنْصُرِيَّةِ المُتَطَرِّفَةِ.

وَلَقَدْ بَدا أمْرُ الرُّسُومِ وَتَداعِياتها- بِالنِّسْبَةِ لِصَحِيفَةِ « نِيُوز ويك» مُثِيرًا، حَيْثُ جاءَ غلافُها مُعَنْوَنًا بِعُنوانٍ رَئيسٍ ضَخْمٍ يَقُولُ : « الإسلامُ وَالحُرِّيَّةُ.. هَلْ كُتِبَ عَلَيْهِما الاصْطِدام؟»[200].

---

199) العَدَدُ الصَّادِرُ فِي ٢٠٠٦/٢/١٦م. وَالصَّحِيفَةُ مُعارِضَةٌ لِخَطِّ غُلاةِ المُحتفِظِينَ الجُدُدِ!...

200) العدد الصّادر في ١٤/فبراير ٢٠٠٦م. وَقَدْ جاءَ هذا العنوان بخَلْفِيَّةِ عَلَمٍ نرويجيٍّ يحترقُ في مَدينة نابلس الفلسطينية المُحتَلَّةِ.



وَمِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أَنَّهُ بَعْدَ الحادِي عَشَرَ مِنْ أيلُول ٢٠٠١م، اجْتَمَعَ رَئيسُ الحُكُومَةِ الدَّانْمارِكِيَّةِ « نيروب رسموسن» بِمُمَثِّلِي الصُّحُفِ وَوَسائلِ الإعْلامِ فِي بِلادِهِ وَنَصَحَهُمْ بِأنْ يَجْتَنِبُوا المَسَّ بِمُقَدَّساتِ الإسْلامِ وَكَرامَةِ المُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ حِينَ قَرَأَ افْتِتاحِيّاتٍ نارِيَّةً وَمُتَجاوِزَةً لِلحَقائِقِ وَمُحَرِّضَةً عَلَى الكَراهِيَةِ وَالحِقْدِ عَلَى أعْمِدَةِ بَعْضِ هَذِهِ الصُّحُفِ، وَالْتَزَمَتْ هَذِهِ الصُّحُفِ بِخَطِّ الاعْتِدالِ وَابْتَعَدَتْ عَنْ إثارَةِ الأحْقادِ وَإذْكاءِ الكَرَاهِيَةِ ما عَدا صَحِيفَةَ «جِيُولانْدِز بُوسْتِن» الَّتِي كَتَبَ رَئيسُ تَحْرِيرِها يَوْمَ ٢٠ نُوفَمْبِر ٢٠٠١م يَقُولُ حَرْفِيًّا بِأنَّ « أحداثَ الحادِي عَشَرَ مِنْ أيلُولِ « تُؤَكِّدُ بِوُضُوحٍ صِحَّةَ نَظَرِيَّةِ «هَنْتِينْجِتُون» الرَّائعَةِ القائلَةِ : بِضَرُورَةِ التَّصادُمِ بَيْنَ المُثُلِ العُلْيا لِلْحُرِّياتِ فِي الغَرْبِ وَبَيْنَ النَّظْرَةِ القادِمَةِ مِنَ القُرُونِ الوُسْطَى لِلإسْلامِ».

وَتَقُولُ نَشْرَةُ « إستراتيجيك ألِرْت» بِأنَّ تَوْسِيــعَ حَمْلَةِ نَشْرِ الرُّسُومِ إلَى أغْلَبِ البِلْدانِ الأُورُوبِّيَّةِ : كانَ مُبَرْمَجًا بِالتَّعاوُنِ بَيْنَ المُؤَسَّسَةِ الوَطَنِيَّةِ مِنْ أجْلِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ «N. E. D»الأميركية وَبَيْنَ المُنَظَّمَةِ الفِرَنْسِيَّةِ « صُحَافِيُّونَ بِلا حُدُود» الَّتِي سانَدَ النّاطِقُ بِاسْمِها « روبير مينار» نَشْرَ الرُّسُومِ رافِعًا شِعارَ «حُرِّيَّةِ الرَّأيِ، وَكَذَلِكَ مُنَظَّمَتُهُ : هِيَ الَّتِي تَتَلَقَّى مُساعَداتٍ مالِيَّةٍ مِنْ « أوتو رايش»(*)

وَلَقَدْ ذَهَبَ كُلٌّ مِنْ « ميشال جوبير» وَزِيرُ خارِجِيَّةِ فِرَنْسا الأسْبَقُ وَ«كِرِسْتِيان روي» مُدِيرُ المَعْهَدِ الدَّوَلِيِّ بِمَدِينَةِ « رمبولِي» الفِرَنْسِيَّةِ : إلَى تَأيِيدِ التَّحْلِيلاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى أنَّ « هُناكَ أطْرافًا عُنْصُرِيَّةً مُتَسَلِّلَةً إلَى بَعْضِ وَسائِلِ الاتِّصالِ الأورُوبِّيَّةِ هِيَ الَّتِي تُخَطِّطُ وَتُقَرِّرُ كَيْفَ تُقَدِّمُ صُورَةَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ مِنْ خِلالِ تَشْوِيهِ مَواقِفَ أو ثَوابِتَ السّعُودِيَّةِ مَثَلاً وَالخَلِيجِ فِي أذْهانِ وَمُخَيِّلاتِ الرَّأيِ العامِّ الأُورُوبِّيِّ لأغْراضٍ مَصْلَحِيَّةٍ وَأيْدِيُولُوجِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ»(٢٠١)!...

وَتُؤَكِّدُ ذَلِكَ نَشْرَةُ « استراتجيك ألرت» الَّتِي ذَهَبَتْ إلَى أنَّ فِكْرَةَ الرُّسُومِ وَإعادَةِ نَشْرِها تَخْضَعُ لِعَمَلِيَّةٍ مُدارَةٍ بِـ« الرِّيمُوت كُنْتُرُول» مِنْ

(*) أحَدِ الأثْرِياءِ المُقَرَّبِينَ مِنَ المُحافِظِينَ الجُدُدِ، وَالَّذِي عَمِلَ مُسْتَشارًا لِـ« جورج شولتز» وَزِيرِ الخارِجِيَّةِ الأسْبَقِ. وَكانَ « رايش» : هُوَ الَّذِي هَنْدَسَ سِلْسِلَةَ الانْقِلاباتِ الفاشِلَةِ ضِدَّ الرَّئِيسِ الفِنْزِوِيلِّي « هوغو شافيز»

٢٠١) نَقْلاً عَنْ صَحِيفَةِ الوَطَنِ السَّعُودِيَّةِ- بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٣م.

قِبَلِ أوْساطٍ مَشْبُوهَةٍ... لَهَا مَصالِحُ جهَنَّمِيَّةٌ فِي إثارَةِ الفِتْنَةِ الكُبْرَى بَيْنَ الإسْلامِ وَالغَرْبِ، وَأَهْدافُ هَذِهِ الأوْساطِ- حَسْبَما وَرَدَ بِالنَّشْرَةِ- هِيَ :

١- تَعْميمُ إذْكاءِ الحِقْدِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ بِإظْهارِهِمُ هَمَجًا وَبَرابِرَةً جُدُدًا... لا يُمْكِنُ اعْتِبارُهُمْ بَشَرًا أحْرارًا فِي عالَمِ العَوْلَمَةِ!...

٢- تَغْذِيَةُ الكَراهِيَةِ ضِدَّ الجالِياتِ المُسْلِمَةِ المُقِيمَةِ فِي بِلدانِ الاتِّحادِ الأُورُوبِّيِّ وَاسْتِغْلالُ كُلِّ رُدُودِ فِعْلِها عَلَى الرُّسُومِ لإحْداثِ انْشِقاقٍ خَطِيرٍ بَيْنَ هَذِهِ الجالِيَاتِ وَبَيْنَ الحُكُوماتِ الأُورُوبِّيَّةِ، مِمّا يَدْعُو فِي المُسْتَقْبَلِ إلَى الحَذَرِ مِنْها وَمِنْ أَبْنائها وَتَعْزِيزِ إجْراءاتِ عَزْلِ المُسْلِمِينَ وَمُقاوَمَةِ مُمارَساتِهِمُ السَّلْمِيَّةِ لِشَعائرِ دِينِهِمْ!...

٣- تَخْطِيطُ بَعْضِ الجِهاتِ العالَمِيَّةِ بِواسِطَةِ أعْوانِها لاخْتِراقِ المُظاهَراتِ العَفْوِيَّةِ فِي بَيْرُوتَ وَدِمَشْقَ لإحْراقِ مَقَرَّاتِ البَعثاتِ الدِّبْلُوماسِيَّةِ وَإشْهادِ الرَّأيِ العامَّ العالَمِيَّ عَلَى سُلُوكِ المُسْلِمِينَ الغَوغائيِّ حَتَّى فِي بِلْدانِهِمْ!.

٤- التَّمْهِيدُ بِواسِطَةِ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ لِعَمَلِيَّةِ جَرِّ بَعْضِ الدِّوَلِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ لِلمُواجَهَةِ وَالاصْطِدامِ مَعَ الغَرْبِ وَمِنْ ثَمَّ اسْتِثْمارُ الذَّرائعِ لِلتَّدَخُّلِ فِي شُئونِها أو غَزْوِها عَلَى الطَّرِيقَةِ العِراقِيَّةِ فِي المَدَى المَنْظُورِ!...

٥- إيقافُ المَدِّ الإسْلامِيِّ الشَّعْبِيِّ وَالرَّسْمِيِّ... وَتَعْوِيقِ حَرَكَةِ تَيَّارِ الصَّحْوَةِ الإسْلامِيَّةِ فِي عُمُومِ العالَمِ... وَمُحاوَلَةِ التَّضْيِّيقِ عَلَيْهِ بِشَتَّى الطُّرُقِ... وَإحْباطِ مَشْرُوعاتِهِ وَتَشْوِيهِ إنْجازاتِهِ... وَتَفْخِيخِ عَلاقاتِهِ بِمُؤَسَّساتِ الدِّوَلِ الرَّسْمِيَّةِ!...

٦- تَخْرِيجُ طابُورٍ مِنَ الْمُثَقَّفِينَ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ يُؤَيِّدُونَ هَذا التَّوَجُّهَ الرَّافِضِ لِلْمَشْرُوعِ الإسلامِيِّ بِحُجَّةِ الدِّفاعِ عَمَّا يُسَمَّى «القِيَمُ العَالَمَانِيَّةُ» وَعَنْ حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ وَالحَداثَةِ وَمُكافَحَةِ التَّطَرُّفِ وَالإرْهابِ... لِيَكُونَ هَؤلاءِ : طَلائعَ التَّبْشِيرِ بِالْمُسْتَقْبَلِ كَما يَراهُ الْمُحافِظُونَ الجُدُدُ فِي عُمُومِ أُورُوبّا وَأمْرِيكا!... وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، أنَّ الصَّحِيفَةَ الأُسْبُوعِيَّةَ الْمُسْتَقِلَّةَ «شَيْحان»[٢٠٢]. الَّتِي تَصْدُرُ بِالأَرْدُنّ : قَدْ نَشَرَتْ ثَلاثَةَ رُسُومٍ كاريكاتُورِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الَّتِي نَشَرَتْها« جِيُولانْدِز بُوسْتِن»، وَدَعَتْ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقالَتِها الافْتِتاحِيَّةِ إلَى « التَّعَقُّلِ»! وَتَساءَل رَئِيسُ التَّحْرِيرِ «جِهادُ الْمُؤمِنِي» خالِطًا الأوْراقَ بِبَعْضِها في افْتِتاحِيَّتِهِ الَّتِي صَدَّرَها بِعُنْوانِ «يا مُسْلِمِي العالَمِ تَعَقَّلُوا» : « أَيُّهُما يُسِيءُ لِلإسْلامِ أكْثَرَ مِنَ الآخَرِ : أجْنَبِيٌّ يَجْتَهِدُ فِي رَسْمِ الرَّسُولِ أم مُسْلِمٌ يَتأَبَّطُ حِزامًا ناسِفًا يَنْتَحِرُ فِي حَفْلِ عُرسٍ بِعَمّانٍ أو أيِّ مَكانٍ آخَرَ؟»!!. وَيَسْتَرْسِلُ « الْمُؤمِنِيُّ» فِي تَلْفِيقِهِ وَتَعْمِيمِهِ مُتَسائلاً : « أَيُّهُما يُهَيِّئُ العالَمَ لِلاساءَةِ إلَى الإسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ : رُسُومٌ كارِيكاتُورِيّةٌ أمْ مَشْهَدٌ واقِعِيٌّ لِعَمَلِيَّةِ ذَبْحِ رَهِينَةٍ بِالسَّيْفِ أمامَ الكامِيراتِ عَلَى وَقْعِ هُتافِ الله اكبر؟»

وَفِيما ذَهَبَ الإعلامِيُّ الأَوَّلُ فِي فِرَنْسا «فليمنغ روس» إلَى اعْتِبارِ رُدُودِ أفعالِ الرُّسُومِ الْمُشِينَةِ «بِأنَّنا نَشْهَدُ صِدامَ حَضاراتٍ بَيْنَ الدِّيمُقْراطِيَّاتِ الغَرْبِيَّةِ العالَمانِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعاتِ الإسْلامِيَّةِ». ذَهَبَ الكاتِبُ الصُّحُفِيُّ «هانس

---

٢٠٢) العَدَدُ الصَّادِرُ يَومَ الخَمِيسِ- الموافق ٢٠٠٦/٢/٢م.

كريستيان أندرسون»- وَهُوَ أَحَدُ العُقَلاءُ هُناكَ، والَّذِينَ حَذَّرُوا «فِيلمِينغ» مِنْ نَشْرِ الرُّسُومِ- إِلَى الإقْرارِ بِأَنَّ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةَ « تَعِيشُ حالَةً مِنَ الطُّفُولَةِ الحَضارِيَّةِ. إِنَّ القضية لَيْسَتِ «العَالَمَانِيَّةِ ضِدَّ الإسْلامِ، فَالنَّبِيَّ، بِالنِّسْبَةِ لِلمُسْلِمِينَ : هُوَ بَشَرٌ تَلَقَّى الوَحْيَ الإلَهِيَّ مُباشَرَةً مِنَ الله . بَيْنَما نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أَنْبِيائنا عَلَى أَنَّهُمُ شُخُوصٌ تارِيخِيَّةٌ باهِتَةٌ لا تَتَّفِقُ مَعَ حُقُوقِ الإنْسانِ فِي مُجْتَمَعِ التِّقَنِيَّةِ المُتَقَدِّمَةِ!. وَالحَقِيقَةُ، أنّ المُسْلِمِينَ يَعِيشُونَ دِينَهُمُ، بَيْنَما نَحْنُ لَسْنا كَذَلِكَ!. وَهُمُ تَمَسَّكُوا بِدِينِهِمُ عَبْرَ تَقَلُّباتٍ تارِيخِيَّةٍ لا حَصْرَ لَهَا... وَنَحْنُ تَخَلَّيْنا عَنْ دِينِنا مُنْذُ زَمَنٍ...»[٢٠٣]. هَذِهِ هِيَ الحَقِيقَةُ الَّتِي تَتَحاشاها غالِبِيَّةُ الغَرْبِيِّينَ مَعَ كُلِّ أَسَفٍ فَلا يَنْطِقُ بِها إلاَّ نَفَرٌ قَلِيلٌ فِي مُواجَهَةِ جِيُوشٍ دِعائيَّةٍ جَرَّارَةٍ!... وَقَدْ اعْتَبَرَ « دافيد جريس»[*] العَلاقَةَ بَيْنَ الإسْلامِ وَالغَرْبِ أَنَّها « بِمَثابَةِ حَرْبٍ بارِدَةٍ جَدِيدَةٍ!؛ وَقَدْ شَبَّهَ مَنْ يَرْفُضُونَ الدِّفاعَ عَنِ الرُّسُومِ الَّتِي نَشَرتْها صَحِيفَةِ « جِيُولانْدز بُوسْتِن» بِالَّذِينَ كانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى تَهْدِئَةِ خَواطِرِ الاتِّحادِ السُّوفِيِّيتِي أثناءَ تِلْكَ الحَرْبِ، أو يَتَغَزَّلُونَ بِهِ»[٢٠٤].!...

---

٢٠٣) روبــرت فــسك- مراســل الــشرق الأوســط في صــحيفة الإندبنــدت البريطانيــة- http://www.masyaf.com- ٢٠٠٦/٥/٩م.

(*) أستاذ تاريخ الحضارات بجامعة بوسطن والعُضْوُ وَالباحِثُ النّاشِطُ في مَعْهَدِ منظمة «جُون أولِين» الَّتِي تُمَوِّلُ أغْلَبَ الأعْمالِ الدِّعائيَّةِ لِلمُحافِظِينَ الجُدُدِ. وَرئِيسُ مَرْكَزِ «سيبوس» الدَّانْماركِيِّ لِلدِّراساتِ؛ وَهُوَ مَرْكَزٌ مَعْنِيٌّ بدراساتٍ تَخْدُمُ فِكْرَ التَّيّارِ المُحافِظِ فِي كُلٍّ مِنْ أُورُوبّا وأمْرِيكا وَإسرائيل.

٢٠٤) من افْتِتاحِيَّةِ صَحِيفَةِ « اكزكتف انتلجنس ريفيو » بِعُنْوانِ : مَنْ يُنَظِّمُ جوقة صراع الحضارات ؟- نَقْلاً عَنْ : جريدة الثورة السُّورِيَّةِ- الإثنين ٢٠٠٦/٣/٦ - http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=74826966200603

وَمُؤَخَّرًا، نَشَرَتْ المَجَلَّةُ الأُسْبُوعِيَّةُ الهَزْلِيَّةُ الفِرَنْسِيَّةُ «شارلي إبدو» رُسُومًا كاريكاتُورِيَّةً جَدِيدَةً مُسِيئةً للنَّبِيِّ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ ولِلْجالِيَةِ المُسْلِمَةِ الفِرَنْسِيَّةِ، حَيْثُ صَوَّرَتْ المُسْلِمِينَ في فِرَنسا عَلَى أنَّها « مَجْموعَةٌ إرهابِيَّةٌ»!.. وَتَزامُنا مَعَ النَّظَرِ فِي القَضِيَّةِ الَّتِي رُفِعَتْ ضِدَّ الصَّحِيفَةِ، نَشَرَتْ صَحِيفَةُ «ليبراسيون» الفِرَنْسِيَّةُ مُجَدَّدًا تِلْكَ الرُّسُومَ الكارِيكاتُورِيَّةَ، وَبَرَّرَتْ خُطْوَتَها هَذِهِ بِكَوْنِها « تَضامُنًا مَعَ « تشارلي إبدو». وَكَتَبَت الصَّحِيفَةُ بِافْتِتاحِيَّتِها: «فِي بِلادِ « فُولْتِيرِ» : مِنْ حقِّنا انْتِقادُ الدِّياناتِ»[٢٠٥].

ثامِنًا : بَيْنَ تَعْلِيـــمِ الخَوفِ وَتَعَلُّمِـهِ

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الصُّورَةِ الإيجابِيَّةِ نِسْبِيًّا عَنِ الإسلامِ فِي مُقَرَّراتِ الدِّراسَةِ فِي بَعْضِ البلدانِ الأُورُوبِّيَّةِ... بَيْدَ أنَّ مَناهِجَ بَعْضِ هَذِهِ البلدانِ: قَدْ بَدَا مُتَأَثِّرًا بِالبلدانِ الأُخْرَى وَلاسِيَّما فِي تَناوُلِهِ الحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ، حَيْثُ نَلْمَسُ مَدَى المُغالَطاتِ التَّارِيخِيَّةِ الرَّامِيَةِ إلَى تَحْمِيلِنا مَسْئولِيَّتِها، مَعَ رَبْطِها فِي الوَقْتِ ذاتِهِ بِأَحْداثِ الحادِي عَشَرَ مِنْ أيلُول!؛

وَلَئِنْ كانَتْ هُناكَ صُورَةٌ مُشَوَّهَةٌ عَنِ الإِسْلامِ تَسُودُ قِطاعًا عَرِيضًا مِنَ الدَوَائِرِ الأكادِيمِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ فِي العالَمِ الغَرْبِيِّ مُجْمَلاً... وَلَكِنَّ الأَمْـرَ لَمْ يَعُدْ مُقْتَصِرًا عَلَى التَّصَوُّرِ الخاطئ أو التَّصْوِيرِ المُزَيَّفِ لِبَعْضِ الظَّـوَاهِرِ الإِسْلامِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ لِيَشْمَلَ الإِسْلامَ فِي مُجْمَلِهِ. وإنَّ هُناكَ قطاعًا

04131532- وَ كانَ « غِريس» قَدْ قَالَ هَال هـذا الكـلامِ أيضًا عَبْـرَ مَوجـاتِ الإذاعَـةِ الدَّانِماركِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ فِبْراير ٢٠٠٦م.

٢٠٥) قناة الجزيرة القطرية- الأربعاء ١٤٢٨/١/٢٠ هـ - الموافق٢٠٠٧/٢/٧ م.

كبـيرًا مِنَ النُّظُـمِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالَمناهِـجِ فِي الجامِعاتِ وَالَمدارِسِ الغَرْبِيَّةِ يُؤَثِّـرُ أَشَدَّ التَّأْثِيرِ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي تُكَوِّنُها الأجيالُ عَنِ الإِسْلامِ كَدِينٍ وَحَضَارَةٍ وقِيَـمٍ وَغَيْرِه!.. وَيَكْفِي أنْ نَسُوقَ هَذا الِمثالِ لُنُدَلِّلَ عَلَى دَورِ كُتُبِ الأطْفالِ وَمَناهِجِ الدِّراسَةِ فِي تَشْكِيلِ العَقْلِيَّةِ الخائفَةِ مِنَ الإسلامِ الكارِهَةِ لِلْمُسْلِمِينَ... يَقُوُل « هِنَرِي كاربتلاج» أَحَدُ كِبارِ السَّاسَةِ الأمْرِيكانِ فِي العِقْدِ الثَّالِثِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِين: بِأَنَّ نَفْسِيَّتَهُ: قَدْ تَشَكَّلَتْ فِي جَوٍّ مِنَ الُمجافاةِ أو العَداءِ لِلْمُحَمَّدِيِّينَ Mohammedians، بِسَبِبِ كِتابَيْنِ قَرَأَهُما، وَهُوَ فِي التَّاسِعَةِ وَالعاشِرَةِ مِنْ عُمُرِه؛

فِفِي الوِلاياتِ الُمتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ، تَصِفُ بَعْضُ الُمقَرَّراتِ الدِّراسِيَّةِ «الوُجُودَ الإِسْلامِيَّ بِالنِّسْبَةِ لِلمَسِيحِيِّينَ الأُورُوبِّيِّينَ مَصْدَرَ قَلَقٍ وَخَوْفٍ، حَتَّى عِنْدَما لَمْ يَعُدْ الإِسْلامُ مَصْدَرَ تَهْدِيدٍ، فَإِنَّ الَمسِيحِيِّينَ اسْتَمَرُّوا بِوُجْهَةِ النَّظَرِ العَدائيَّةِ لِلعالَمِ الإِسْلامِيِّ». وَأنَّ الإِسْلامَ « يُجْبِرُ الآخَرِينَ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ»[٢٠٦]. وَتَعْرِضُ الكُتُبُ الَمدْرَسِيَّةُ الأمْرِيكِيَّةُ الصِّراعَ «العَرَبِيّ الصَّهْيُونِيّ» عَلَى أَنَّهُ « صِراعٌ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّـرِّ، بِاعْتِبارِ أَنَّ «إسرائيل» تُجَسِّدُ الخَيْرَ، أَمَّا العَرَبُ فَيُجَسِّدُونَ الشَّرَّ؟! كَما اسْتَخْدَمَتْ هَذِهِ الكُتُبُ أُسْلُوبًا تَحْقِيرِيًّا فِي وَصْفِ

٢٠٦) نَقْلاً عَنْ : أحمد بن عبد الله البنيان- صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية في أمريكا- ضمن أوراق مؤتمر « صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية في أوربا» المنعَقِدِ بالقاهرَةِ خِلالَ الفترة من الأحد ٢٠٠٤/١٢/١٢ إلى الثلاثاء ٢٠٠٤/١٢/١٤- http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/01/article06_08.shtml

حَضارَةِ العَرَب»[٢٠٧]. وَبِوَجْهٍ عامٍّ نَجِدُ الصُّورَةَ العامَّةَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي مُقَرَّراتِ الدِّراسَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ لا تَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الانْطِباعاتِ التَّالِيَةِ :

١ – العَرَبُ يَكْرَهُونَ الغَرْبَ ويُشَكِّلون خَطَرًا.. وَالْمُسْلِمُونَ يكرهون النَّصارَى.

٢ – العَرَبُ أعداءُ العالَمِ وَمُثِيرُو الحُرُوبِ...

٣ – العَرَبُ أثرياءُ كِبارٌ يَشْتَرُونَ أَمْرِيكا، وَيَتَسَبَّبُونَ فِي ارْتِفاعِ الأَسْعارِ[٢٠٨]

٤ – الْمُسْلِمُونَ « سَفَّاحُون»، «إرهابِيُّون»، «مُحارِبُون»، «مُتَطَرِّفون»، «مُغتَصِبون»، «مُضطَّهِدون لِلمَرأة». وَالفِلَسطينيون «يُحاوِلُون تَدْمِيرَ إسرائيل وإغراقَها فِي البَحْرِ» و « مُفَجِّرو طائرات» و «إرهابيون»[٢٠٩].

وَفِي دِراسَةٍ مَسْحِيَّةٍ[٢١٠] لأَكْثَرِ مِنْ ثلاثين كِتابًا مَدْرَسِيًّا فِي بَرِيطانيا، تَلاحَظَ أَنَّ هُناكَ مَيْلٌ فِي الكُتُبِ لِرَبْطِ الإِسْلامِ بِالإِرْهابِ بِشَكْلٍ غَيْرِ مُباشِرٍ،

---

٢٠٧) مارسل بوازار- الإِسْلام اليوم – ص ٢٧- نقلاً عن : محمود عبدالكريم - المخاطر التربوية لوسائل التعليم والتربية فِي الغَرْبِ - مجلة الفكر الجديد – بيروت- العددان ١١ - ١٢ السنة الرابعة شباط ١٩٩٦م /شعبان ١٤١٦هـ - darislam.com/home/alfekr/data/feker1112/13.htm. المَقْصُودُ بحَضارةِ العَرَبِ هنا هُوَ : الحَضارَة الإسلامِيَّة والإسلام والمُسْلِمُونَ.

٢٠٨) سليمان قناوي- الدراسات تؤكّد أنّ الصورة قاصرة سطحية– مرجع سابق– ص١٣.

٢٠٩) علاء بيومي ، دُعاء سعودي- جهود حثيثة لِتَحْسين الصورة - بحث منشور ضمن كتاب« صورة العرب والمُسْلِمِينَ» لمجموعة باحثين – مرجع سابق– ص٤٥. ولئن كانَتْ هُناكَ صور إيجابية عن العرب والمُسْلِمُونَ فِي مناهج التعليم الغربية. بيد أنها نادرة تكاد تكون منعدمة.!

٢١٠) عبد المحسن بن سالم الإقليعي- صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية في بريطانيا- ضمن أوراق مؤتمر « صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية في أوربا» المنعَقِدِ بالقاهرَةِ خِلالَ الفترة من الأحد ٢٠٠٤/١٢/١٢ إلى الثلاثاء

وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ التَّلازُمِ فِي صُورَةِ ما يَتَعَلَّقُ بِالإسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي سِياقاتِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ وَالإرْهابِ!؛ وَيَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الكُتُبِ مَدَى حِرْصِ مُؤَلِّفِيها عَلَى التَّخْوِيفِ مِنَ الإسْلامِ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ!؛

وَقَدْ أشارَتْ تَقارِيرُ مُؤتَمَرِ الاتِّحادِ الوَطَنِيِّ لِلمُعَلِّمِينَ فِي بَرِيطانيا : أَنَّهُ إلَى جانِبِ الخَوْفِ مِمَّا وَصَفُوهُ بِـ « إسْلام فُوبيا»، فَقَدْ لاحَظُوا تَزايُدَ التَّمْيِيزِ فِي الرَّواتِبِ لِلمُعَلِّمِينَ مِنْ الأَقَلِّيَّاتِ العِرْقِيَّةِ الأُخْرَى. كَما نَبَّهَ هَؤلاءِ المُمَثِّلُونَ إلَى أنَّ جَماعاتٍ وَأحْزابٍ يَمِينِيَّةٍ، مِثْلَ : الحِزْبِ الوَطَنِيِّ البَرِيطانِيِّ، وَالجَبْهَةِ الوَطَنِيَّةِ، يَسْتَغِلُّونَ التَّوَتُّرَ فِي المُجْتَمَعِ البَرِيطانِيِّ لِتَمْرِيرِ رِسالَتِهِمُ الَّتِي تُحَرِّضُ عَلَى الكَرَاهِيَةِ[٢١١].

وَفِي تَجَلٍّ آخَرَ لِنِتائِجِ هَذا التَّراكُمِ الخُوافِيِّ مِنَ الإسْلامِ، حَذَّرَ زُعَماءُ نَقاباتِ المُعَلِّمِينَ فِي بَرِيطانيا مِنْ ارْتِفاعِ مَدِّ الخَوْفِ مِمَّا وَصَفُوهُ بِـ« الإسلامُ فوبيا» فِي المَدارِسِ البَرِيطانِيَّةِ، وَذَلِكَ عَقِبَ « تَفْجِيراتِ لَنْدنِ»، الَّتِي وَقَعَتْ فِي السّابِعِ مِنْ تَمُّوز ٢٠٠٥م. وَأوْضَحَ مُمَثِّلُونَ عَنْ مُعَلِّمِي المَدارِسِ، فِي المُؤتَمَرِ الَّذِي انْعَقَدَ بِرِعايَةِ الاتِّحادِ الوَطَنِيِّ لِلمُعَلِّمِينَ فِي مَدِينَةِ « توركي» جَنُوبَ بَرِيطانيا» : أنَّ عَدَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ صارُوا يَعِيشُونَ تَحْتَ ضَغْطٍ مُتَزَايِدٍ مِنَ التَّعَصُّبِ العُنْصُرِيِّ...! وَكَانَ الأَمِينُ العامُّ لاتِّحادِ المُعَلِّمِينَ قَدْ ذَكَرَ أنَّ هُناكَ ارْتِفاعًا فِي عَدَدِ الحالاتِ المُسَجَّلَةِ لِلسِّبابِ وَالتَّحَرُّشِ الشَّفَهِيِّ ضِدَّ التَّلامِيذِ

-٢٠٠٤/١٢/١٤

www.islamonline.net/arabic/arts/2005/01/article06.shtml

٢١١) صَحِيفَةُ الاندبندنت البَرِيطانِيَّةِ فِي عَدَدِها الصَّادِرِ يَوْمَ الإثْنِينَ المُوافِقِ ٤/١٧ / ٢٠٠٦م.

المُسْلِمِينَ بالَمدارِسِ...! وَمَضَى قائلاً: « إنَّ عَدَدًا مِنْ هَذِهِ الحالاتِ : كانَتْ أكْثَرَ عَداءً، حَيْثُ تَمَّ الاعْتِداءُ أو البَصْقُ عَلَى البَعْضِ لأنَّهُمْ قَدْ بَدَوْا مُسْلِمِينَ»!!.

وَفي فِرَنْسا، تُقَدِّمُ الكُتُبُ الدِّراسِيَّةُ لِلطّالِبِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا « عَلَى أنَّهُ مُحارِبٌ وَلَيْسَ رَجُلَ سَلامٍ». كَما يُشارُ إلَى الإسْلامِ فِي بَعْضِ مُقَرَّراتِ التّارِيخِ فِي أسْبانيا بِأنَّهُ « دِينُ القَتْلِ وَالإرْهابِ»!.

كَذَلِكَ، مِنْ نَماذِجِ الصِّوَرِ المُشَوَّهَةِ الَّتِي تُقَدَّمُ للتَّلامِيذِ عن الإسلامِ فِي فِرَنْسا[٢١٢] : أنَّ « الإسلامُ يُعِيقُ التَّطَوُّرَ وَالتَّقَدُّمَ، فيما أسْتَيْقَظَ العَرَبُ بِفَضْلِ اسرائيل»!. أمّا المَعارِكُ الَّتِي نَشَبَتْ بِسَبِبِ الاحْتِلالِ الصَّهْيُونِيِّ البَغَيضِ لِفِلَسْطِينَ.. فإنَّها كانَتْ فِيما يُزْعَم : « ذات طابَعٍ عُنْصُرِيٌّ مِنْ جانِبِ العَرَبِ! وَنَجَمَ عَنْها بلايا مُتَفاقِمَةٌ ومَعارِكُ خِيضَتْ بِتَعَصُّبٍ عَرَبِيٍّ إسْلامِيٍّ لَمْ يَألَفْها عالمُنا المُتَحَضِّر».! وَبِوَجْهٍ عامّ، فإنَّ مُؤَسَّساتِ التَّعْلِيمِ ومَناهِجَها تَنْبَثِقُ مِمَّا اسْماهُ «خلدون الشمعة» بِـ «النَّزْعَةِ المَرْكَزِيَّةِ الأوروبية»، الَّتِي تحرِصُ عَلَى نَمْذَجَةِ صورَةِ الآخَرِ عن طريق ما يُسَمَّى فِي بريطانيا ، مَثَلاً، بِـ « الأَبْلَسَة»، أي « تَحْوِيلِ صُورَةِ الآخَرِ إلَى رَمْزٍ لِلشَّرِّ المُطْلَق»[٢١٣].

---

٢١٢) سليمان قناوي- الدراسات العِلمية تؤكّد أنّ الصورة قاصرة سطحية –مرجع سابق - ص ٢٥.

٢١٣) خلدون الشمعة – النزعة المركزية الأوروبية .. تصنع الآخَر الإبليس- بحث منشور ضمن كتاب « صورة العرب والمُسْلِمِينَ» لمجموعة باحثين – مرجع سابق – ص٦٣.

وَفِي أَسْبانيا، تُعَرِّفُ المُقَرَّراتُ الدِّراسِيَّةُ التَّشَدُّدَ فَتَقُولَ: بِأَنَّ «التَّشَدُّدُ هُوَ إِحْدَى خَصائصَ الإِسْلامِ، رَغْمَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَتَّفِقانِ مَعَ التَّشَدُّد الدِّينِيّ»[٢١٤].

وَتُقدِّمُ كُتُبُ التّارِيخِ الإِيطالِيَّةُ مَفْهُومَ الجِهادِ فِي الإِسْلامِ بِطَرِيقَةٍ سَلْبِيَّةٍ، وَكَذا شَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، الَّذِي يُقَدَّمُ كَرَجُلِ حَرْبٍ!. كَما أَنَّهُ- وَتَحْتَ تأثِيرِ الحَمْلَةِ الإِعْلامِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ العَنِيفَةِ ضِدَّ الإِسْلامِ : يُطَرْحُ الجِهادُ فِي كُتُبِ التّارِيخِ المَدْرَسِيَّةِ دائمًا عَلَى أَنَّهُ الحَرْبُ المُقَدَّسَةُ الَّتِي يُحَتِّمُ الإِسْلامُ عَلَى أَتْباعِهِ القِيامَ بِها ضِدَّ غَيْرِ المُسْلِمِينَ لإِرْغامِهِمُ قَهْرًا عَلَى الدُّخُولِ فِي هَذا الدِّينِ؛ وَلَعلَّ هَذا يَتَّضِحُ مِنْ خِلالِ اسْتِعمالِ مُصْطَلَحاتٍ مِثْلَ «التَّوَسُّعِ الإِسْلامِيِّ» وَ« السَّيْطَرَةِ الإِسْلامِيَّةِ عَلَى العالَمِ». حَيْثُ نَجِدُ فِي الكِتابِ المُقَرِّرِ عَلَى الصَّفِّ الثّانِي مِنَ المَرْحَلَةِ الابْتِدائيَّةِ : أَنَّهُ « مِنْ واجِباتِ المُسْلِمِ أَنْ يَقُومَ بِنَشْرِ دِينِ الإِسْلامِ وَلَو بِالقُوَّةِ»

وَفِي إِسْرائيلَ، نَجِدُ المَناهِجَ التَّعْلِيمِيَّةَ تَسْعَى «لِتَجْرِيدِ العَرَبِ مِنْ إِنْسانِيَّتِهِمُ، وَقد أَفْلَحَتْ السُّلْطاتُ المُخْتَصَّةُ فِي تَرْسِيخِ صُورَةٍ نَمَطِيَّةٍ لَدَى الإِسْرائيلِيِّينَ عَنهُمُ بِاعْتِبارِهِمُ عُدْوانِيِّينَ مُتَخَلِّفِينَ مُجْرِمِينَ خاطِفِينَ قَذِرِينَ

٢١٤) بهيج مُلاّ حويش – ملامح الصورة واضِحة ولكنها غير مفهومة - بحث منشور ضمن كتاب« صورة العرب والمُسْلِمِينَ» لمجموعة باحثين – المرجع السّابق – ص١١١.

وَمُبادِرِينَ دَوْمًا نَحْوَ التَّدْمِيرِ»[٢١٥]!... هَذا فِي مُقابِلِ تَصْوِيرِ الغَرْبِيِّينَ فِي صُورَةِ المُتَحَضِّرِينَ صَانِعِي السَّلامِ!...

وَلَقَدْ أظْهَرَتْ نَتائِجُ التَّحْلِيلِ أنَّ الكُتُبَ الدِّراسِيَّةَ فِي إسْرائيلَ : رَبَطَتْ بَيْنَ الدِّينِ الإسْلامِيِّ وَالعُنْفِ، وَرَبَطَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْفِ، مُؤَكِّدَةً أنَّ انْتِشارَهُ تَمَّ بِالسَّيْفِ. وَمَضَتْ فِي ادِّعائها أنَّ دِينَ الإسْلامِ هُوَ دِينُ السَّيْفِ!..

وَفِي هَذا السِّياقِ عَرَضَتْ بَعْضُ الكُتُبِ صُوَرًا ادَّعَتْ أنَّها تُبَيِّنُ ارْتِباطَ الدِّينِ الإسْلامِيِّ بِالعُنْفِ، فَعَرَضَ أحَدُ الكُتُبِ صُورَةً لِمَسْجِدٍ مُدْمَجًا بِها صُورَةٌ أُخْرَى لِما يُوصَفُ بِـ«الجَيْشُ الإسْلامِيِّ» وَأسْفَلَ الصُّورَةِ شِعارُ الحَرْبِ عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَهُوَ عِبارَةً عَنْ «سَيْفَيْنِ يَتَوَسَّطُهُما هِلالٌ مِنْ أعْلَى، ثُمَّ يُورِدُ الكِتابُ تَعْلِيقًا عَلَى الصُّورَةِ الوارِدَةِ جاءَ فِيهِ : « الإسْلامُ دِينُ المُحارِبِينَ».

وَتأكِيدًا عَلَى الرَّبْطِ بَيْنَ الدِّينِ الإسْلامِيِّ وَالعُنْفِ اسْتُخْدِمَتْ كَلِمَةُ «الحَمْلاتِ الحَرْبِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ»[٢١٦] بَدَلاً عَنْ مُصْطَلَحِ « الفُتُوحاتِ الإسْلامِيَّةِ» لِلدَّلالَةِ عَلَى أنَّ هُناكَ «احْتِلالاً إسْلامِيًّا». وَلَقَدْ وَرَدَ فِي نُصُوصِ بَعْضِ الكُتُبِ: أنَّ « عَمَلِيّاتِ الاحْتِلالِ الإسْلامِيِّ كانَتْ تُمَثِّلُ أكْبَرَ الحَمْلاتِ الحَرْبِيَّةِ فِي تارِيخِ البَشَرِيَّةِ، فَلَمْ يَشْهَدْ مِثْلَها العالَمُ مُنْذُ عَهْدِ الإسْكَنْدَرِ المَقْدُونِيِّ فِي القَرْنِ الرّابعِ قَبْلَ المِيلادِ»!. وَكانَتْ تِلْكَ الحَمْلاتِ بِمَثابَةِ اجْتِياحٍ عَسْكَرِيٍّ

---

٢١٥) إيلِي بُودِيه- الصِّراعُ العَرَبِيُّ الإسرائيلِيُّ فِي كُتُبِ التاريخ المَدْرَسِيَّةِ الإسرائيليَّةِ (١٩٤٨- ٢٠٠٠م)- ترجمة : وَلِيد أبو بكر- مَنْشُوراتِ المَرْكَزِ الفِلَسْطِينِيِّ لِلدِّراساتِ الإسْرائيلِيَّةِ «مدار»- ٢٠٠٦- نَقْلاً عَنْ:

www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?lang=A&id=135927

٢١٦) انْظُر : ب.إحيا ، م. هرباز- تاريخ شعب إسرئيل- تل أبيب- ١٩٧٢م- ص ٥.

هَدَفُهُ : الاحْتِلالُ»[217]. وَيَتِمُّ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ تَشْوِيهِ مَفْهُومِ الجِهادِ مِنْ ناحِيَةٍ، وَتَقْدِيمِ الفُتُوحاتِ الإسْلامِيَّةِ عَلَى أَنَّها أعْمالُ عُنْفٍ تَقْتَرِبُ مِنَ الإرْهابِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الرَّبْطِ بَيْنَ الدِّينِ الإسْلامِيِّ وَالسَّيْفِ والإرْهابِ»[218].

ثُمَّ إنَّ هَذِهِ الكُتُبَ الدِّراسِيَّةَ تُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يُقَسِّمُونَ العالَمَ إلَى مُؤْمِنِينَ وُكُفّارٍ، وَأَنَّ « الْمُسْلِمِينَ قَدْ قَسَّمُوا سُكّانَ العالَمِ إلَى مَجْمُوعَتَيْنِ هُما : دارِ الإسْلامِ، وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ. وَالثَّانِيَةِ دارِ الحَرْبِ وَهُمْ سُواهُمْ مِنَ البَشَرِ»[219]. وَلَمْ يُوَضِّحْ مُؤَلِّفُو هَذِهِ الكُتُبِ أنَّ أَصْلَ عَلاقَةِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِهِمْ : هِيَ السَّلْمِ وَلَيْسَ الحَرْبَ!.

إنَّ هَذَا التَّكْثِيف الشُّعُورِيّ العِدائي تُجاهَ تَخويف الغَرْبِيّين مِنَ الإسْلامِ قَدْ جَعَلَهُمُ يَحْتَفِظُونَ فِي وَعْيِهِمُ الجَماعِيِّ عَلَى امْتِـدَادِ التَّارِيخِ بِصُورَةٍ مُحَرَّفَةٍ عَنِ الإسْلامِ بِوَصْفِهِ دِينَ التَّعَصُّبِ وَالحِقْدِ وَالتَّخَلُّفِ وَاحْتِقارِ العِلْمِ، وَمُحَارَبَةِ الْمُجْتَمَعاتِ الْمُتَحَضِّرة... دِينٌ لا يَمْلُكَ العاطِفَةَ الإنْسَانِيَّةَ... إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّلْبِيّاتِ وَالصِّفاتِ الَّتِي تَنْفُرُ مِنْهَا فِطْرَةُ الإنْسَانِ..! كَما أنَّ هُناكَ إصْرارًا سِياسِيًّا عَلَى نَقْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ إلَى الأجيالِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ خِلالِ مَناهِجِ التَّعْلِيمِ لِكَيّ تَنْزَرِعَ هَذِهِ الرُّؤَى المَغْلُوطَةُ فِي وَعْي هَذِهِ الأجْيالِ،

---

٢١٧) انْظُـرْ: لجنـة التـاريخ في المـدارس الحكوميـة الدينيـة- مـن جيـل إلى جيـل: دروس في التاريخ- وزارة المعارف- تل أبيب- ١٩٩٤م- ٢/٢١٠.

٢١٨) المرجع السَّابق- ٢/٢١٠

٢١٩) انْظُـرْ : لجنـة التـاريخ في المـدارس الحكوميـة الدينيـة ، مـن جيـل إلى جيـل: دروس في التاريخ- مرجع سابق- ٢/٢١٥.

وَمِنْ ثَمَّ تَرْبِيَّتُها عَلَى كَراهِيَةِ الإِسْلامِ وَالنَّظَرِ بازْدِراءٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ؛ ذَلِكَ فَضْلاً عَنْ أَنَّ مَنْهَجَ تَعلِيمِ الدِّينِ الإِسْلامِيِّ فِي أَلمانيا وَغَيْرِها مِنَ الدِّوَلِ الغَرْبِيَّةِ... مَلِيءٌ بِالأَخْطاءِ وَالتَّشْوِيهِ وَالتَّحْرِيفِ... ذَلِكَ أَنَّ مَسْئولِي الكَنائسِ يَسْعَوْنَ إِلَى تَرْبِيَّةِ أَجْيالٍ مِنَ النَّصارَى مُتَأَثِّرِين بِالعَقْلِ الجَمْعِيِّ لِلغَرْبِ، وَيَحْمِلُونَ وُجْهاتِ نَظَرِ الكَنِيسَةِ لِلإِسْلامِ.

هَذا، وَإِذا كانَ ثَمَّةَ مُحاولاتٌ يائِسَةٌ لِلانْضِباطِ العِلْمِيِّ وَالتَّوازُنِ فِي عَرْضِ الصُّورَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ مَعْقُولَةً إِلَى حَدٍّ ما.. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَطاعٍ، إِذ إِنَّ هُناكَ خَلْطًا وَلَبْسًا لا مَجالَ لإِزالَتِهِ تَحْتَ ضَغْطِ المَورُوثِ التّارِيخِيِّ وَالتَّكْثِيفِ الدِّعائِيِّ الَّذِي يَذْهَبُ بِأَمَلِ تَحْسِينِ الصُّورَةِ أَدْراجَ الرِّياحِ؛

وَهَكَذا، بات الخَوْفُ مِنَ الآخَرِ وقِتالُهُ هُوَ الحَلَّ الوَحِيدَ لِلعَيْشِ وَالاسْتِمرارِ فِي الحَياةِ؛ كَذَلِكَ فإِنَّ تَحْدِيدَ العَدُوِّ هُوَ : الهاجِسُ الأَساسِيُّ الَّذِي يَجِبُ تَعَلُّمُ كُلِّ شَيءٍ مِنْ أَجْلِ إبادَتِهِ...! وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ، نَجِدُ هُجُومًا كاسِحًا عَلَى مَناهِجِ التَّعْلِيمِ فِي بِلادِ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ، بِاعْتِبارِها- عَلَى حَدِّ قَولِهِمْ : تُشَجِّعُ عَلَى التَّطَرُّفِ وَالعُنْفِ وَالإِرْهابِ...!

خامسًا : التَّخْوِيفُ مِنَ الإِسلامِ بِالتَّفْخِيخِ السَّياسِيِّ

لَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ مَجالٌ لِحُسْنِ الظَنِّ فِيما يشْرَعُ الغَربُ بِشأنِهِ مِنْ تَكْثِيفِ الدَّعْوَةِ وَتَشْدِيدِ المَطالِبِ بِشَأنِ نَشْرِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ وَالإِصْلاحِ فِي العالَمَيْنِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ،! وَأَعْتَقِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُشَاطِرُونَنِي تِلْكَ الشُّكُوكَ، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّها لا تَنْبَعُ مِنَ رَغْبَةٍ إِنسانِيَّةٍ مُخْلِصَةٍ فِي التَّرْكِيزِ الإِصْلاحِيِّ عَلَى الحَالَةِ العَرَبِيَّةِ

وَالإسْلامِيَّةِ بِالذَّاتِ، وَلا سِيَّما أَنَّ هُناكَ حالاتٍ أُخْرَى غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ وَلا إسلامِيَّةٌ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ أَكْثَرُ حاجَةٍ لِلإِصْلاحِ مِنْ غَيْرِها..!؛

وَإِنَّنِي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الغَرْبَ لَدَيهِ إصرارٌ عَجِيبٌ عَلَى إبْقاءَ بَعْضِ الحُكُوماتِ الدِّيكْتاتُورِيَّةِ الْمُسْتَبِدَّةِ وَالقَمْعِيَّةِ فِي محَافِلِنا السِّياسِيَّةِ، لإمْكانِيَّةِ إِنْتاجِ أَكْبَرِ قَـدْرٍ مِنَ العُنْف وَالعُنْفِ الْمُضادِّ فِي المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ، فَتَزْدادُ مِن ثَمَّ وَتِيرَةُ الانْفِعـالِ .. وتَبْدُو المِنْطَقَةُ، مِنْ جِهَـةٍ، غَيْرَ مُسْتَقِرَّةٍ سياسيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَغَيْرَ مُهَيّأَةٍ تَنْمَوِيًّا... فَتَسْتَهْلِكُ ذاتَها وَتَنْشَغِلُ بِنَفْسِها عَنِ المَساراتِ الطَّمُوحَةِ لِلمَشْرُوعِ الصَّهْيُونِيِّ!، أو تَبْدُو كَذَلِكَ فِي حَالَة مِن عَدَمِ الأَهْلِيَّةِ الحَضارِيَّةِ الَّتِي تُتِيــحُ لها مُضارَعَةَ التَّحَدِّياتِ عَلَى السّاحَتَيْنِ الإقليمِيَّةِ وَالدِّوَلِيَّةِ.! أو تَبْدُوَ محَـطَّ لَوْمٍ ونَقْـدٍ ومُؤاخَذاتٍ مِنْ جَانِبِ الهيئات المَعْنِيَّة بحقوق الإِنْسَان، هَذِهِ الأخيرة الَّتِي تَدُور غالبيتها فِي فَلَكٍ مُخابَراتِيٍّ غَرْبِيٍّ لَـهُ غاياتُه وأهدافُه ومَشاريعُهُ الأمنية فِي بُقْعَتنا العَرَبِيَّة وَالإسْلامِيّةِ...! وَلَعَلَّ هَذا ممَّا يُعَدُّ ذَرِيعـةً لِلتَّدَخُّلاتِ السِّياسِيّةِ العَسْكَرِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَقْتَ لُزُومِها- وَما العراقُ وأفغانستان ورُبَّما سوريا أو إيران والسودان وَالصُّومالُ عَنّا بِبَعِيد،! أو رُبَّمَـا لإبقاءِ بَعْضِ الخِطَـاباتِ الإِسْلامِيَّةِ دَائِمًا فِي حَالَةٍ مِنَ التَّوتُّرِ وَالانْفِعالِ وَالتَّشَنُّجِ فَتَبْقَى مَعَـها مُبَرِّراتُ الحَساسِيَّةِ القُطْرِيَّةِ أو الخارِجِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ مَشْرُوعِها الَّذِي يَبْدُو فِي وَسْطِ هَذَا الضَّجِيجِ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ وَمَشُوبًا بِالْمُغَالَطَاتِ،! وَلا سِيَّما حِينَ يُخْتَزَلَ هَذَا الخِطَـابُ فِي نَبْرَتِهِ العَنِيفَةِ الَّتِي تُسَوِّغ الخَوْفَ العَالَمِيَّ مِنْهُ... وَمِنْ

ثَمَّ، تَتَحَتَّمُ ضَرُورَةَ التَّصَدِّي لَـهُ وَالقَضاءِ عَلَيْهِ، بِاعْتِبارِهِ عَدُوَّاً مُشْتَرَكًا لِلأَنْظِمَةِ القُطْرِيَّةِ وَقُوَى الاستكبار الغَرْبِيّ عَلَى السَّـوَاء...!!

وَقَدْ لا نَكونُ مُتَجَاوِزِينَ الحَقائِقَ، حِينَ نَذْهَبُ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ مُجَرَّدِ ذَلِكَ، فَنَقُولُ : إنَّ الغَرْبَ يَبْدُو أَكْثَرَ حِرْصًا عَلَى إِبْقاءِ التَّحَدِّي الإِسْلامِيِّ- بِطَبْعَتِهِ المُزَوَّرَةِ المُزَيَّفَةِ أو المُصْطَنَعَةِ، قائمًا كَشَوْكَةٍ فِي ظَهْرِ الحُكُوماتِ الَّتِي تَرَى مَصالِحَها بَعِيدًا عَنْ دائرَةِ الهَيْمَنَةِ الغَرْبِيَّة،! بِحَيْثُ تؤَدِّي هَذِهِ الحالُ فِي النَّهَايَةِ إِلَى اسْتِنْزافِ الاتِّجاهَيْنِ كِلَيْهِما!... فَغَالِبِيَّةُ تَيَاراتِ الصَّحْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ... تُسْتَهْلَكُ فِي مُوَاجَهَـاتٍ غَيْرِ مَحْسُوبَةٍ فِي مُجْمَلِها مَعَ السُّلطاتِ العالَمَانِيَّةِ... بَلْ غَيْرِ جَدِّيَّةٍ فِي ضَوْءِ الاعْتِباراتِ الحَضارِيَّةِ وَالتَّحَدّيات الأُخْرَى الَّتِي تَحْتاجُ إِلَى جَهْدِ هَؤُلاءِ فِي مَجَـالاتٍ أُخْرَى عَدِيدةٍ أكثرَ أَهَمِّيَّةٍ وأولويةٍ...! وَهِيَ بِذَلِكَ تُضَيِّعُ فُرْصَةَ عَرْضِ التَّيارِ الوَسَطِيِّ لِمَشْرُوعِهِ الحَضارِيِّ!...

وَهُنا لا بُدَّ مِنَ الإشَارةِ إِلَى أَنَّهُ مِثْلما تَدْفَعُ الشُّعُوبُ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْلامِيَّةُ فاتُورَةَ التَّكَالِيفِ الباهِظَةِ لِلفَسـادِ السِّياسِيّ مِنْ دَمِها هِيَ.. وَطاقَتِها هِيَ.. وَرَصِيدِها هِيَ... فَإِنَّ التَّيارَ الإِسْلامِيَّ الوَسَطيَّ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يدفَعُ فاتُورَةَ الخَطِيئَةِ الحَرَكِيَّةِ لِتَيّاراتِ الغُلُوِّ وَالعُنْفِ فِي مِنطَقَتِنا... فَتَفُوتُ بِذَلِكَ فُرَصُ الظُّهورِ الإِسْلامِيِّ فِي وَسَطِيَّتِهِ الوَحْيَوِيَّةِ، الَّتِي يَخافُ الغَرْبُ أَيْضًا مِنْ مُجَرَّدِ ظُهُـورِها.. لأِنَّها فِي أجِنْدتِهِ تُمَثِّلُ خطَرًا أشَدّ مِن تَيَّارَات العُنْف الَّتِي يُخَوِّفُ بِهَا مُجْتَمَعاتِهِ ويَسْتَجْلِبَ بِها حُظُوظَ الثَّرْوَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالقُوَّةِ... بَلْ وتَتَوافَرُ بها

مُبَرِّراتُ وسَوانِحُ ضَرْبِ الظَّاهِرَةَ الإِسْلامِيَّةَ مُجْمَلةً- حَيْثُ يَعْتِبرُها الغَرْبُ تَحَدِّيًا حَضارِيًّا لا يعْرِفُ الهَذَرَ....!

أمَّا الحُكُوماتُ المُسْتَبِدَّةُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّها حِينَ تَسْتَنْفِدَ مُدَّةَ خِدْمَتِها وَيَجِيء أوَانُ تَقاعُدِها، بِحَيْثُ لَمْ يعُد ثَمَّةَ حاجَةٌ غَرْبِيَّةٌ فِيها.. تَتَوافَرُ مِنْ ثَمَّ مُبَرِّرات إزاحَتِها، وَاسْتِبْدالِها غالِبًا بِمَنْ هُمُ أكْثَرُ قُدْرَةٍ عَلَى الخِدمَةِ فِي الحَقْلِ السِّياسِيّ وَالأمْنِي الغَرْبِيّ،! فإنَّ النَّتِيجَةَ المُؤَقَّتَةَ لاسْتِبْدادِها : إنَّما تَتَمَثَّل فِي فُلُولِ الفارِّينَ بِمَبادِئِهِمُ وأفكارِهِمُ إلَى بيئةٍ أُخْرَى أكْثَرَ أمْنًا..! فَالغَرَبُ يُدْرِكُ جَيِّدًا : أَنَّهُ حِينَ يَبْلُغَ الاسْتِبْدادُ وَالقَمْعُ وَالاضطِّهادُ مَدَىً مُعَيَّنًا فِي بَعْضِ بِلادِنا العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ، بِحَيْثُ تَزْدادُ مَعَهُ مَوْجاتُ هِجْرَةِ الظَّاهِرَة الإِسْلامِيَّةِ إلَى الغَرْبِ طَلَبًا لِحَقِّ اللُّجُوءِ السِّياسِيِّ الَّذِي تُتِيحُهُ القَوانِينُ الغَرْبِيَّةُ، فإنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ تَفِيدُ مِنْها دَوائِرُ صُنْعِ القَرارِ الغَرْبِيّ بَطَرِيقَةٍ فِيها انتهازِيَّةٌ شَدِيدةٌ، إذْ إنَّ مُجَرَّدَ وُجُودِ الإسلامِيِّينَ بِصُورَةٍ عامَّةٍ ها فِي الدِّيَار الغَرْبِيَّة يُعَدُّ مَبْعَثَ خَوْفٍ وحَذَرٍ وتَرَقُّبٍ غَرْبِيّ،! وَلا سِيَّما مَعَ التَّكْثِيف الخُوَافي المُرْعِبِ مِنَ الحَالَةِ الإِسْلامِيَّة عَبْرَ مَنابِرِ الإعْلامِ الغَرْبِيِّ، ذَلِكَ الَّذِي تُحَرِّكُهُ، وَتُزِيدُ مِنْ تأثِيرِهِ بِصُورَةٍ مُلْفِتَةٍ : تِلْكَ القُوَى الصَّهْيُونِيَّةُ الَّتِي تَعْمَلُ فِي الخَفاءِ لِتَكْرِيسِ حالَةِ الخُوافِ الغَرْبِيّ مِنَ الإسْلامِ؛

وَالواقِعُ يَقُولُ بِأنَّ اللاجِئِينَ السِّياسِيِّينَ فِي الغَرْبِ يُسْتَغَلُّونَ عَلَى أبْشَعِ ما يَكُونُ الاسْتِغلالُ وَالابْتِزازُ دُونَ أنْ يَكُونَ لَدَى مُعْظَمِهِمُ دِرايَةٌ بِهَذا الاسْتِغلالِ الإعْلامِيِّ وَالسِّياسِيِّ... الَّذِي مِثْلَما يَسْهَمُ فِي تَكْرِيسِ الانْطِباعاتِ

الغَرْبِيَّةِ بِأَنَّ المُجْتَمَعاتِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ : مُجْتَمَعاتُ قَهْرٍ وَعُنْفٍ وَقَلَقٍ وَفَوْضَى!... فَإِنَّهُ يُشِيرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنَّ الإِسْلامَ يُشَكِّلُ جُزْءًا مُهِمًّا فِي هَذِهِ المُشْكِلَةِ!؛ حَيْثُ إِنَّ هُناكَ حالَةٌ مِنَ الزَّيْفِ تَتَغَشَّى العَقْلَ الغَرْبِيَّ بِصُورَةٍ تَعْكِسُ بِشَكْلٍ أو بِآخَر تُفِيدُ بِأَنَّ الإِسْلامَ يُمَجِّدُ الدِّيكتاتُورَ!. وَلَقَدْ كَشَفَ « فُوكُوياما»- كَما أَسْلَفْنا- عَنْ بَعْضِ ما لَدَيهِ مِنْ خُبْثٍ مَشُوبٍ بِالسَّذاجَةِ، عِنْدَما اعْتَبَرَ الإِسْلامَ فِي سِياقِ التَّحَدِّي الغَرْبِيّ : بِأَنَّهُ «إِسْلامُ» «صَدّام حُسَيْن»! هَذا «الإِسْلامُ الصَّدَّامِي» يَقُولُ عَنْهُ «فُوكُوياما»: « شَهِدَتْ نِهايَةُ الحَرْبِ البارِدَةِ فِي أُورُوبّا تَحَدِّيًا سافِرًا لِلْغَرْبِ مِنْ قِبَلِ العِراقِ الَّذِي يُشَكِّلُ الدِّينُ الإِسْلامِيُّ عامِلاً هامًّا فِي تَكْوِينِهِ الأَيْديولُوجِيِّ»(٢٢٠)!. وَهَكَذا أَصْبَحَتْ «حالَةُ البَّعْثِ» هِيَ الوَاجِهَةَ الأَيْدِيُولُوجِيَّةُ لِلإِسْلامِ بِزَعْمِ « فُوكُويـامـا»!؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ مُسْتَغْرَبًا أَنْ يَصِفَ الأُصُولِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ عَلَى أَنَّها : تَتَشابَهُ إِلَى حَدٍّ عَمِيقٍ مَعَ الفاشِيَّةِ..! هَكَذا!.

---

٢٢٠) فرانسيس فوكوياما- نهاية التاريخ- مرجع سابق- ص ٦١. وَالحَقِيقَةُ أَنَّ صدام حسين مجرد نموذج يتوارد عَلَى سبيل المثال فِي أدبيات مفكري الغرب. فلديهم كثيرٌ مِمَّا يمكن أن يقولوه... ولكن ترتيبات المطبخ السِّياسِيّ الغَرْبِيّ، ومراعاة المصالح الاستراتيجية – الَّتِي يعملون لأجلها - الَّتِي تتحقّق مع وجود بعض الأنظمة المستبدّة.. قَدْ اقتَضَتْ التَّرْكِيزَ عَلَى الحالَةِ البَعْثِيَّةِ.

أبيض

الفَصْـــلُ الثَّالِـــثُ

قِـــــراءةٌ فِي مُعادَلَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»

إنَّ روَّادَ المَدْرَسَةِ الصِّرَاعِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ يُدْرِكُونَ جَيِّدًا أنَّ تَشْوِيهَ صُورَةِ العَرَبِ وَالإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، لَنْ يَجْنِيَ سِوَى انْتِشارِ المَزِيدِ مِنَ الكَراهِيَّةِ. وَأَنَّ هَذِهِ الكَراهِيَّةَ لَنْ تُوَلِّدَ سِوَى المَزِيدِ مِن الكَراهِيَّة المُضَادّة، وَأَنَّ العُنْفَ لنْ يُوَلِّدَ سِوَى المَزِيدِ مِنَ العُنْفْ المُضَادِّ... إنَّهُم يَعْرِفُون الطَّرِيقَ إِلَى أهدافِهِمُ بِصُورَةٍ جَيِّدَة وَبارِعَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ اسْتِمْرارِهِم الدَّءوبِ فِي العَمَلِ عَلَى إيجادِ أَسْبابِ ومُبَرِّراتِ بَقَاء فَتِيلِ الصِّراعِ الحَضارِيّ مُشْتَعِلاً،! المُهِمُّ لَدَيهِمُ هُوَ : حُصولُ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ. لِكَيّ تَتَسَنَّى مُبَرِّراتُ وَأسْبابُ وَبَواعِثُ الصِّراعِ مِنْ اجْلِ البَقَـاءِ.. وَهُوَ ما يَعْنِي إزالَةَ أسبابِ الخَوْفِ بإقالَةِ ذَلِكَ الآخَرِ وَإفْنائِهِ!...

وَلَقَدْ بَدا واضِحًا مَدَى حِرْصِ المُؤَسَّساتِ الغَرْبِيَّة المَعْنِيَّة بِتَفَقُّد ورَصْدِ الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيَّةِ المُعاصِرَةِ عَلَى الإفادَةِ مِنْ « الإِسْلامُ فُوبْيا»، بِشَكْلٍ مُغرِقٍ فِي الانْتِهازِيَّةِ النَّفْعِيَّةِ الخَسِيسَةِ الَّتِي تَخْدُمُ النَّزعَةَ الغَرْبِيَّةَ المَهْوُوسَةَ بِالصِّراعِ، الَّذِي يَرُونَهُ لازِمًا لاسْتِمْرارِ الحَياةِ!...

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ، فَقَدْ لُوحِظَ تَعَمُّدُ اخْتِزالِ الحالَةِ الإسلامِيَّةِ فِي تِلْكَ التَّيَّـاراتِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَى الغُلُوّ وَالتَّطَرُّفِ وَالعُنْفِ..،! الأمر الَّذِي يُمْكِنُ أنْ تَتَوافَرُ فِي خِضَمِّهِ فُرَصُ تَفْعِيل زَخْمِ الحَمْلَةِ المَحْمُومَةِ عَلَى الإِسْلامِ وَرَسُولِهِ

وَعَلى المُسْلِمِينَ بِالجُمْلَةِ تَحْتَ طائلَةِ «مُكافَحَةِ الإرْهابِ»- ذَلِكَ المُصْطَلَحُ الَّذِي أُعِدَّ خِصِّيصًا لِمُواجَهَةِ الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيَّةِ المُتَنامِيَةِ فِي أَصْقاعِ العالَمِ وَبِقاعِهِ.... وَإنَّ أَشَدَّ ما يُؤسَفُ لَهُ : أنْ تُسَوَّقَ هَذِهِ الصِّفَةُ وَتُرَدِّدُها أَجْهِزَةٌ إعلامِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ وبَعْضُ المُثَقَّفِينَ العَرَبِ... وَتُجْتَرُّ بِارْتِياحٍ مَرَضِيٍ مُعَبِّرٍ عَنْ حَالَةِ تَبَعِيَّةٍ لِلإمْبرياليَّةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ مَعًا»[٢٢١]. **وَفِيما يَلِي نُوجِزُ بَعْضًا مِنْ أهدافِ تِلْكَ الحَمْلَةِ :**

- تَجْدِيدُ وَإحْياءُ حالَةِ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ فِي أَعْماقِ النَّفْسِيَّة الغَرْبِيَّة، وَذَلِكَ لإكْسابِ الهُجُومِ الغَرْبِيِّ عَلَى الحالة الإسْلامِيّة زَخْمًا مُناسِبًا مِنْ المَشْرُوعِيَّةِ السِّياسِيَّةِ وَالعَسْكَرِيَّةِ.

- عَسْكَرَةُ الأجْواءِ السِّياسِيَّةِ.. وَالظُّروفِ الاجْتِماعِيَّةِ الغَرْبِيَّة بِما يُشْبِهِ حالَةَ الطَّوارِئ.. وَبِما يَتَمَشَّى وَطَبِيعَةِ الحالَةِ النَّفْسِيَّة الغربِيَّةِ المُتَهَيِّئةِ آنِيًّا لِخَوضِ صِراعٍ مَعَ الآخَرِ الإسلامِيِّ، وَالمُؤذِنَةِ بِإعلانِ الحَرْبِ عَلَيْهِ لِدَرءِ خَطَرِهِ المَزْعُومِ.

- أنَّ تَفْعِيلَ « الإسْلام فُوبيا» يُعْطِي زَخْمًا مُناسِبًا ومِصْداقِيَّةً لِلتَّكَهُّناتِ الغَرْبِيَّةِ المُؤَسَّسَةِ عَلَى هَواجِسِ تَهْدِيداتِ البَقاءِ وَخُرافاتِ النُّدْرَةِ الَّتِي تُوشِكُ فُرَصُ الحَياةِ تَحْتَ سَطْوَتِها أنْ تَتَبَدَّدَ وَتَتَبَخَّرَ وتَتَلاشَى وتَزُولَ..!

- إمكانُ حَشْدِ أكْبَرِ قَدْرٍ مِنْ الطّاقَةِ الحَرْبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ اللاَّزِمَةِ لِحَسْمِ الصِّراعِ بِصُورَةٍ إيجابِيَّةٍ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ أنْ تَحْسِمَ هَذِهِ الطّاقَةُ العَسْكَرِيَّةُ الصِّراعَ

---

٢٢١) علي عقلة عرسان- العِدَاء للتضامنَ العَرَبِيّ – مقال بجريدة البيان الإماراتية- الأحد ١٣ ذي الحجة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ مارس ٢٠٠٠.

مُبَكِّرًا لِصالِحِ الغَرْبِ دُونَ خَسائِرَ.. وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ الإرْهابِ وَالتَّخْوِيف بِهالَةِ القُوَّةِ المُسَلَّحَةِ.!

– إخْتِزالُ الوُجُودِ الإسْلامِيِّ المَحْظِيِّ بِالرِّضا وَالقَبُولِ الغَرْبِيِّ فِي ذَلِكَ النَّمُوذَجِ التَّقْلِيدِيِّ المُهَجَّنِ بِالعالَمانِيَّةِ– سَواءً كانَ فِي شَكْلِ دَولَةٍ أو جالِيَةٍ أو جَماعَةٍ أو تَيَّارٍ أو غَيْرِهِ مِنَ الكَياناتِ المَوزُونَةِ بِمَعايِيرِ الرُّؤْيَةِ الغَرْبِيَّةِ المَغْشُوشَةِ لِلاعْتِدالِ وَالوَسَطِيَّةِ وَالتَّسامُحِ...! وَهَذا مِمَّا يُعْطِي تَبْرِيرًا وَمِصْداقِيَّةً مَجَّانِيَّةً لِصالِحِ التَّيَّارِ المُعادِي لِلنَّموذَجِ الإسْلامِيِّ الحَقِيقِيِّ!.

– وَعَلَى جانِبٍ آخَرٍ، فإنَّ ما يُرادُ مِنْ وَراءِ تَوْظِيفِ الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيَّةِ لِخِدْمَةِ أغراضِ المَشْرُوعِ الغَرْبِيِّ : هُوَ التَّخْفِيفُ مِنْ حِدَّةِ الاحْتِقانِ الدِّينِيِّ الغَرْبِيِّ وَالإحْباطاتِ المُتَوَالِيَةِ نَتِيجةَ قَلَقِ التَّوافُرِ الكَنَسِيِّ عَلَى مَنْظُومَةٍ دِينِيَّةٍ تُتِيحُ لِهَذا المُجْتَمَعِ قَدْرًا مُعتَبَرًا مِن السَّعادَةِ وَلَوْ إلَى حِين،! إذ إنَّ بُروزَ الإسلامِ كَخَيارٍ إنْسَانِيٍّ فِي ظِلِّ هَذا الزَّخْمِ المَعْلُوماتِيّ الَّذِي لا تَلْبَثُ الأوهامُ أمام مُكاشَفاتِهِ أنْ تَتَبَدَّدَ فَتَجْلُو الحَقائِقُ، ويَعْلُو الحَقُّ ويَنْبَلِجُ فَجْرُ الهِداية الإسْلامِيّة عَلَى العالَمِ الغَرْبِيّ لَيْسَ فِي مُجَرَّدِ الحَياةِ الدُّنيا فَحَسْبُ، بَلْ فِي مَجالِ تِقَنِيّاتِ القِيَمِ– قِيَمِ الحَياةِ وَالحَضارَةِ فِي ظِلالِ إيمانٍ يُؤَمِّنُ حَياةً طَيِّبَةً وآخِرَةً مأمُونَةً مِنَ الخُسْرانِ...! كُلُّ ذَلِكَ يُعَرِّضُ دِينَ الكَنِيسَةِ– وَلَيْسَ دِينُ المَسِيحِ عليه السلام– لِلضَّياعِ الذَّاتِيِّ وتَبَدُّدِ سُلطانِ الكَهَنوتِ الغَرْبِيّ..!

أسبابُ وَمُبَرِّراتُ الإسْلام فوبيا»

هَذا، وَتَنْدَرِجُ ظاهِرَةُ «الإِسْلامُ فُوبْيا» بِدافِعِ حُزْمَةٍ مِن العَوامِلِ وَالأسْبابِ وَالمُقَوِّماتِ، الَّتِي يسْتَنِدُ بَعضُها إلَى حَقائِقَ وأَدِلةٍ وَوَقائِعَ ..

وبَعْضُها الآخَرِ إلَى أوهـامٍ وَالتِباساتٍ وجَهالاتٍ... وَبَعضُها إلَى شُبْهاتٍ وَأحْقادٍ ومُفْتَرَيات...!! وَلَكِنْ فِي كُلِّ حالٍ يَبْدُو أنَّ « الظّاهِرَةَ الَّتِي لَعِبَتْ الدَّوْرَ الأكْبَرَ فِي تَحْدِيدِ طَبِيعَةِ النَّظْرَةِ الأُورُوبِّيةِ إلَى الشَّرْقِ : هيَ التَّمَرْكُزُ حَوْلَ الذّاتِ. وَهِيَ صفَةٌ طَبِيعِيةٌ فِي الأُورُوبِّيينَ، كانَتْ مَوْجودَةً دائما، وَلَكِنَّها اتَّخَذَتْ الآنَ فِي ظِلِّ الإمْبِرياليَّةِ الأُورُوبِّيَّةِ صِبْغَةً تَتَّسِمُ بِالازْدِراءِ الواضِحِ لِلآخَرِينَ»[٢٢٢].

وَعَلَى أيَّةِ حالٍ، إذا أردْنا أنْ نَتَحَـرَّى وَجْهُ الحَقِّ : فَماذا يُمْكِنُ أنْ نَتَوَصُّلَهُ؟... دَعُونا ابْتِداءً نَبْحَثُ فِيما إذا كانَ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ ما يُبَرِّرها مِنَ النَّاحِيَةِ الأخْلاقِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ المُجَرَّدَةِ النَّزِيهَةِ أم لا..؟ **هَذا، وَقَدْ لاحت لنا جُمْلَةٌ مِن الأسباب المُتَعَلِّقة بِظاهرة «الإِسْلامِ فُوبْيا»، نَعْرِضُ لَهَا فِيما يَلِـي:**

أولاً : أسبابٌ تَتَعلَّقُ بِغَيْرِ المُسْلِمِينَ

بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِ المُسْلِمِينَ فِي الشَّرْقِ، يَنْبَغِي أنْ نَتَكَاشَفَ بِالحَقائقِ مَعَ رُفَقَائِنا مِنَ المُواطِنِينَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ فِي بِلادِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالذين أبْدُوا تَقْصِيرًا معيبًا وَتَقاعُسًا وَتَراخِيًا غَيْرَ مُبَرِّرٍ عَنِ مُجَرَّدِ الإسْهامِ فِي رَدِّ الاعْتِبارِ لِلإسْلامِ كَعَقِيدَةٍ وَحَضارَةٍ وَأُمَّةٍ ما كانَ لَهُم أنْ يَحْيَوا بِأدْفأ مِنْ أحْضانِها.. وَلا أوْسَعَ مِنْ صَدْرِها.. وَلا أوْرَفَ مِنْ ظِلاها...! وَلَقَدْ بَدا الأمْرُ مَرِيبًا وَعَجِيبًا أنْ يَنْهَضَ بَعْضُ نَفَرٍ مِنَ المُنْصِفِينَ الغَرْبِيِّينَ دِفاعًا عَنِ الإسلامِ وَرَسُولِ

٢٢٢) محمد عمارة- الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء- دار الشروق- القاهرة- ٢٠٠٥م- ص ٦٤، ٦٥.

الإسْلامِ، بَيْنَما نَصارَى العَرَبِ لَمْ يُحَرِّكُوا ساكِنًا سَواءً فِي مُعاناةِ « الإسلامِ فُوبيا» أو فِي سِياقِ الرُّسُومِ المُشِينَةِ وَالمُسِيئَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أو تَصْرِيحاتِ بابا الفاتيكان... وَكَأَنَّ هَذا النَّبِيُّ لَمْ يُوصِ بِهِم وَكَانَّ الإسـلامَ لَمْ يَرْعَهُم وَيَعْتَنِي بِهِم وَيُوَفِّرَ لَهُم أسبابَ الحَياةِ الطَّيِّبَةِ هُم وَالمُسْلِمِينَ سَواءٌ بِسَواءٍ... وَكَأَنَّما صادَفَتْ الأَحْداثُ والمَواقِفُ هَوًى لَدَيْهِمُ!!...

فَلَو كانَ الإسلامُ مُخِيفًا بِحَقّ ما بَقِيَ لغيرِ المُسْلِمِينَ مُنذُ قديم فِي الشرق مِن عِرقٍ ينبض بالحياة.! وَلِذَلِكَ فنحن نُحَمِّل المواطِنين مِن اليهود وَالنَّصارى فِي العالَمَيْنِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ جُزءًا مِنْ مَسْئولِيَّةِ انْتِشارِ ظاهِرَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» فِي الغَرْبِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الفَجَّةِ،! لِما لَدَيهِم مِنَ الإمكانِيّاتِ المادّيَّةِ وَالمَكانَةِ الأَدَبِيَّةِ لِفِعْلِ شيءٍ مِنْ شَأنِهِ التَّدْليلُ عَلَى رَدِّ الجَمِيل...! فَماذا رَأوا مِنَ الإسلامِ كي يَلْقَى مِنْهُمُ هَذا الجُحُـودَ وَالتَّنَكُّـرَ وَالخُذلانَ...؟!!

أَمَّا غَيْرُ المُسْلِمِينَ فِي الغَرْبِ؛ فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ الثَّوْرَةِ المَعْلُوماتِيَّةِ الَّتِي بَلَغَت بِالمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ حَدَّ الامْتِـلاءِ وَالتُّخْمَةِ المَعْرِفِيَّةِ .. بَيْدَ أَنَّ كثيًا مِنَ الغَرْبِيِّين تبدو عليهم أعراضُ جَهْـلٍ مُثِيرٍ لِلقَلَقِ بِالإسْلامِ كَعَقِيدَةٍ وَمَنْهَجِ حَيـاةٍ وَحَضـارَةٍ...! وَالمَثَلُ السائِرُ يقول : «المَـرءُ عَدُوٌّ ما يَجْهَلُ».!

لَكِنَّ الغَرِيبَ فِي الأمْرِ، أَنَّ هُناكَ فِي الغَرْبِ حالَةٌ مِنَ الجَهْلِ الإرادِيِّ بالإسلامِ، هَذِهِ الحالَةُ يَصِفُها البَعْضُ بِقَولِهِ إنَّ أهلَ الحَلِّ وَالعَقْدِ فِي الغَرْبِ «لا يُرِيدُون أنْ يَعرِفُوا شَيئًا عَنْ مُتَّهَمِيهِمُ، يُرِيدُون أَنْ يَكُونَ العُنْفُ

الانْتِحارِيُّ وَالتَّعَسُّفِيُّ وَصْمَةَ دِينٍ بِكامِلِهِ وَقَوْمٍ بِكامِلِهِمُ مُنْذُ كانُوا إِلَى أَنْ صارُوا وَإلى الأَبَدِ»[٢٢٣].

وَكَذَلِكَ، الرُّؤْيَةُ المُرِيبَةُ لِلغَرْبِ تُجاهَ الحالاتِ الإسْلامِيّة فِي شَرْقِ أُورُوبّا، قَدْ كَشَفَتْ عَنْ أبعادِ التَّدَخُّل العسكري الغَرْبِيّ، الَّذِي انْشَدَّ بِدافِعِ التَّعَصُّبِ المَشُوبِ بِالخَوْفِ مِنْ وَهْمِ مِيلادِ كَيانٍ أُصولِيٍّ جَدِيدٍ أَشَدُّ خَطَرًا وَالتِصاقًا بِأُورُوبّا مِنْ ذَلِكَ الكائِنِ هُنالِك فِي البُلدانِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيّة..! إنَّ الغَرْبَ يَنْظُرُ إِلَى الحالَةِ البُوسنِيَّةِ وَما شابَهَها عَلَى أَنَّها طابَورٌ خامِسٌ لِلعالَمِ الإسلامِيِّ فِي قَلْبِ أُورُوبّا.!!

وَالحَقِيقَةُ، أَنَّ ثَمَّةَ حَساسِيَةً دِينِيَّةً غَرْبِيَّةً مَبْنِيَّةً عَلَى أوْهامٍ وافْتِراضاتٍ غَيْرِ واقِعِيَّةٍ.. وَسُوءِ ظَنٍّ مُفْرِطٍ يَفْتَقِرُ إِلَى البَراهِينِ النَّظَرِيَّةِ وَالدَّلائِلِ العَمَلِيَّةِ...؟! فَقَدْ ارتَفَعَت نِسْبَةُ مَنْ يَنْظُرُون لِلإسْلامِ نَظْرَةً عامّةً سَلْبِيّةً فِي أواخِرَ عام٢٠٠٢م وخلال عام٢٠٠٣م، لِتَصِلَ إِلَى ٣٨ ٪، كما شَهِدَتْ نِسْبَةُ الأمريكيين- الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ الإسلامَ يُشَجِّعُ العُنْفَ- ازْدِيادًا مُضطَّرِدًا منذ أحداث أيلول، إذ بلغت ٣٤ ٪ فِي سبتمبر ٢٠٠٣ مقارنة بِنِسْبَةِ ٢٣ ٪ فِي أكتوبر ٢٠٠٢م وبِنِسْبَةِ ١٤ ٪ فقط فِي يناير ٢٠٠٢م، بمعنى أَنَّها زادت بِمُعَدَّلِ ٩-١٠ ٪ تقريبًا كُلَّ عام[٢٢٤].

---

٢٢٣) نقلاً عَنْ : عباس بيضون- الإرهاب بلا و جه لكن العنصرية تخفي وجهها- مقال بجريدة السفير اللبنانية- ٢١ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١.

٢٢٤) تقرير عن استطلاعات رأي الشعب الأمريكي تُجاهَ الإسلام والمُسْلِمِينَ- كيروَقَدْ اعتمد التقرير الراهن عَلَى إحصاءات الرأي الَّتِي وفرها مركز « بول ريبورت» المعني بتتبع توجهات الرأي العام الأمريكي. نقلاً عن : www.pollingreport.com.

وَلَعَلَّ هَذِهِ الانطِباعاتِ المَبْنِيَّةَ عَلَى الجَهْلِ وقِلَّةِ الدِّرايَةِ- وَالتي لا يُعْذَرُ أصحابُها بها، وَلا سِيَّما فِي سِياقِ ذَلِكَ الزَّخْمِ المعلوماتي الهائل الَّذِي يشهده العالَمُ الغَرْبِيّ بِصِفَةٍ خاصَّة- هِيَ نَتِيجَةُ العالَمَانِيَّةِ الصَّفراءِ وَالوَعْظِ الكَنَسِيِّ الأصفرِ... بَلْ نَتِيجَةَ الثَّقافَةِ الصَّفراءِ الَّتِي تُسَوَّدُ بها صَفْحاتُ العَدِيدِ مِن الصُّحُفِ وَالدَّوْرِيّاتِ الغَرْبِيَّةِ... وَالتي تُمَثِّلُ أَهَمِّ أَسْبابِ التَّوجُّسِ وَالحَساسِيَةِ تُجاهَ كُلِّ ما يَمُتّ إِلَى الإسلامِ بِصِلَةٍ- بِما فِي ذَلِكَ مَوْجاتِ الهِجْرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ إِلَى أُورُوبّا وَالغَرْبِ بِصِفَةٍ عامَّةٍ؛ فالشَّابُّ الَّذِي يُقْبِلُ عَلَى الغربِ وَهُوَ يَطْوِي بَيْنَ جَوانِحِهِ فَضْلاً عَنْ أَحْلامِ الحُرِّيةِ وطُمُوحاتِ الثَّرْوَةِ ورَفْعِ المُسْتَوَى الاجْتِماعِيّ: العَقِيدةَ وَالقِيَمَ وَالتَّقالِيدَ الإِسْلامِيّةَ أَيْضًا..! تلك الحِزمةُ الأَخِيرَةُ الَّتِي تَعْتَبِرُها كَثِيرٌ مِن الدَّوائِرِ الغَرْبِيَّة أَحَدَ أهمّ مَصادِرِ الخَطَرِ عَلَى القِيَمِ وَالدِّيموقراطية الغَرْبِيَّة، وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ احْتِمالاتِ المَدِّ الأُصوليِّ نَحْوَ الغَرْبِ، وَلا سِيَّما أَنَّ ثَمَّةَ نَشاطًا مَلْحُوظاً فِي حَرَكَةِ التَّسَرُّبِ الحَضارِيّ فِي المُؤَسَّسَةِ الغَرْبِيَّة تَشْهَدُ نِمُوّاً مُضطَّرِدًا لِصالِحِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيّة، حَيْثُ تُقَدِّرُ بَعْضُ الدَّوائِرِ.. أَنَّ فِي أَمْرِيكا وَحْدَها يُشْهِرُ حَوالِي خَمْسِينَ أَلفَ شَخْصٍ إِسْلامَهُم كُلَّ عامٍ!.

وَلأَنَّ السَّوادَ الأَعْظَمَ مِن الشُّعُوبِ الغَرْبِيَّةِ تَفْتَقِرُ لِمَعْرِفَةِ الحَدِّ الأدنَى مِن الطَّبِيعَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالتَّرْكِيبَةِ الاجْتِماعِيّةِ التقليدية لِلْعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ أصبحوا بِحُكْمِ الواقِعِ مُواطِنِينَ غَرْبِيِّين،! بَلْ وتُعانِي مِن نَقْصٍ وتَشَوُّهٍ فِي مَعارِفِها بِعاداتِنا وتَقالِيدِنا وقِيَمِنا ومَوْرُوثِنا الثَّقافِي وَخُصُوصِيّاتِنا العَقَدِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ... فَإِنَّنا بالتَّالِي نَبْدُو أمامَهُمُ أُناسًا مُسْتَغْلَقِينَ غَامِضِينَ...؟ ثُمَّ أَنَّهُ

بَدَلاً مِنْ أنْ يَكُونَ السُّلُوكُ الغَرْبِيِّ إزاءَ سَدِّ هَذِهِ الفَجْوَةِ المَعْرِفِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ هُوَ الاقْتِرابَ والقِراءَةَ الواعِيَةَ الرّاشِدَةَ الفاهِمَةَ... لاحَظْنا مَزِيدًا مِنَ القِراءاتِ السَّطْحِيَّةِ الخاطِئَةِ... وَزِيادَةً فِي غَرِيزَةِ الفُضُولِ، لِدَرَجَةٍ تَصِلُ إلَى حَدِّ تَطَرُّفِ الرغبة فِي مَعْرِفَةِ ما يدور خَلْفَ وَداخِلَ كَوَاليسِ هَؤلاءِ العَرَبِ- خَلْفَ الحِجابِ تَحْدشيدًا...بَلْ تَنامَتْ هَذِهِ الرَّغْبَةُ وَتَطَوَّرَتْ وَتَزامَنَتْ مَع إخفاقِ الإنسانِ الغَرْبِيِّ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ ما يَبْدُو لَهُ مَجْهُولاً.. كُلُّ ذَلِكَ كانَ سَبَبًا فِي جَعْلِ الإنسانِ الغَرْبِيِّ أرْضًا شَدِيدَةَ الخُصُوبَةِ لِغَرْسِ بِذُورِ الخَوْفِ فِي نَفْسِهِ!.

وَهَكَذا يَتَطَوَّرُ الخَوْفُ لِيَبْنِيَ سُدُودًا مِنْ مَشاعِرِ الحَذَرِ، الَّتِي سَرعانَ ما تَتحَوَّلَ إلَى حالَةٍ مَرَضِيَّةٍ، تِلْكَ الَّتِي تُوصَفُ بِـ«عرب فوبيا» أو «إسلام فوبيا»[٢٢٥]. وَهَذا مِمَّا يُحَمِّلنا جُزءًا مِنْ مَسْئولِيَّةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا».!

وَلَعَلَّ حالَةَ الأُمِّيَّةِ السِّياسِيّةِ وَالحَضارِيّةِ الَّتِي تَتَغَشَّى العَقْلِيَّة الغَرْبِيَّة، وَفِي أمْرِيكا بِالذَّاتِ، عَنْ عَالَمِنا الشَّرْقِيِّ : هِيَ الَّتِي تَجْعَلُنا أكْثَرَ خَوْفًا وَتَرقُّبًا وَقَلَقًا عَلَى مُسْتَقْبَلِ العَلاقَاتِ المُلْتَهِبَةِ بَيْنَ الحَضاراتِ وَبَعْضِها البَعْضِ، وَلا سِيِّما حِينَ تُوشِكُ مَقُولَةُ : إنَّ فِئَةً قَلِيلةً هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّم فِي مُقَدِّراتِ الأُمُورِ، وَفِي تَقْرِيرِ المَصِيرِ السِّياسِيِّ وَالعَسْكَرِيِّ لِلوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّة؛ فَالحَقِيقَةُ أنَّنا لا نُرِيدُ أنْ نُصَدِّقَ ما يُقَالُ حَوْلَ ما يَكْتَنِفَ الحَيَاةَ العَامَّةَ دَاخِلَ المُجْتَمَعِ الأمْرِيكِيِّ مِنْ أنانِيَةٍ مُفْرِطَةٍ.. قَدْ جَعَلَتْ رَجُلَ الشَارِعِ العامِّ لا يَهْتَمّ إلاَّ بِذاتِهِ

---

٢٢٥) سعيد السُّبْكي – جريدة الوطن السعودية - العدد (٥٢٥) السنة الثانية ـ الجمعة ٢٤ ذي الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٠٢م.

وَشَهْواتِهِ... فإنَّ هَذَا كُلَّهُ ما يؤرِّق كُلّ راغِبٍ فِي حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ لِهَذا العَالَمِ بَعِيدًا عَنْ دائرَةِ التَّأْثِيرِ الدَّعائِيِّ المُخِيفِ الَّذِي تُركِّزُ عَلَيْهِ الصَّهْيُونِيَّةُ الغَرْبِيَّة.

وَعَلَى جانِبٍ آخَرَ، تُحَمِّلُ الكاتِبَةُ البَرِيطانِيَّةِ « مادلين بانتينغ» مَسؤولِيَّةَ « الخُروجِ مِنْ دائرَةِ تَجاهُلِ الإسْلامِ عَلَى عاتِقِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَصُوغُونَ النِّقاشَ حَولَهُ فِي هَذِهِ البلاد، كما يَجِبُ عَلَيْهِمْ أنْ يَعْمَلُوا عَلَى تَعْمِيقِ المَعْرِفَةِ بِهَذا الدِّينِ وَنِضالِهِ لِتَطْوِيرِ نَفْسِهِ، بِالإضافَةِ إلَى مُحاوَلَةِ تَجَنُّبِ التَّشْوِيهِ الَّذِي لَحِقَهُ فِي وَسائِلِ الإعْلامِ»[٢٢٦].

ثانِيـًا : أسباب تتعلَّق بأصحاب التَوَجُّهاتِ العالَمَانِيَّةِ

فِي الحَقِيقَةِ، هُناكَ زَخْمٌ عالمانِيٌّ فِي بِلدانِنا... مَعْنِيٌّ بِتَسْخِيرِ قُوانا العَقْلِيَّةِ وَطاقاتِنا الإبْداعِيَّةِ فِي مَجالاتٍ بَعِيدَةٍ تَمامًا عَنْ المَيْدَانِ الحَقِيقِيِّ لِلتَّحَدِّي الحَضارِيِّ، الَّذِي نَتَعَرَّفُ مِنْ خِلالِه عَلَى حَقِيقَةِ حاجاتِنا الحَضارِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ وُجُـوهِ الحَياةِ؛ بَلْ إنَّ أصْحابَ التَّوَجُّهاتِ العالَمَانِيَّةِ لا يَرَوْنَ خَيْرًا لَنا : سِوَى أنْ نُكَرِّرَ نَحْنُ الغَرْبَ وَنُحاكِيهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ وَوَسِيلَةٍ...! مَعَ أنَّهم يَقُولُونَ بِالتَّنْوِيرِ وَالإبداعِ وَيُحارِبُونَ المُحاكاةَ وَالتَّقْلِيدَ عَلَى مَسْرِحِنا الحَضارِيِّ الإسْلامِيِّ، فَإذا ما اعْتَرَضَهُمْ أحَدٌ بُمُداخَلَةٍ ضاقُوا زَرْعًا، وَكالُوا لَهُ ما يَكْفُلُ

---

٢٢٦) الكـلامُ لِلكاتِبَـةُ فِـي صحيفةِ الغارديـان البَريطانِيَّـةِ « مـادلين بـانتينغ» بمَقالِهـا « قضيةَ الإسـلام فوبيـا أو الخـوف مـن الإسـلام فِـي بريطانيـا». فِـي مَعْـرِضِ اسْـتِهجانَها لِلـهُجُومِ العَنِيفِ الَّذِي شَنَّهُ « وِيل كـامينس» عَلَى الإسْلامِ فِي صَحِيفَةِ « الديلي تيليغراف»- قنـاةُ العَرَبِيَّـةِ الفَـضائية- حَلْقَـةٌ مِنْ برنـامجِ « السُّلْطَةُ الرَّابِعَـةُ»- الثلاثـاء ٧ سـبتمبر ٢٠٠٤م، ٢٢ رجب ١٤٢٥ هـ.

رَدْعَهُ وَزَجْرَهُ بِنعُوتِ التَّطَرُّف وَالإرْهابِ...! وَالواقِعُ فِي الغَرْبِ ، أَنَّ «هُناكَ بَرَجماتِيَّةً عالَمَانِيَّةً تَتَجاوَزُ الإسلامَ بِكَثِيرٍ، ورُبَّما هَذا شَيءٌ مُتَعَمَّدٌ لِلإِسْهابِ فِي حَدِيثِ تَبْرِئَةِ الإِسْلامِ مِنَ الإرْهابِ» بِقَصْدِ وَضْعِهِ فِي دائرَةِ الاتِّهاماتِ!، فَيَبْقَى التَّحْرِيضُ عَلَى الإرهابِ مُرْتَبِطًا بِالتَّحرِيضِ عَلَى الإسلامِ لإبقاءِ الصُّورَةِ فِي اللاَّوَعْيِ الغَرْبِيِّ كَما هِيَ، بَلْ لِتَكْثِيفِها وتَضْبِيبِها حتَّى لا تُتاحَ لِلعَقْلِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ النَّزِيهَةِ أيُّ مُناسَبَةٍ لِتُمارِسَ فِيها أرْيَحِيَّتَها الَّتِي قَدْ تُتِيحُ لَها استِجلاءَ حَقائقِ الأمُورِ وَبيِّناتِ المَواقِفِ وَالأحداثِ...!!

وَلَقَدْ أدَّى الغُلُــوُّ العالَمَانِيُّ المُسْتَفِزُّ إلَى رَدِّ فِعْلٍ إسْــلامِيٍّ مُضــادٍّ لَهُ فِي الاتِّجاهِ، وَلَكِنَّ المُلاحَظَ أنَّ صَوْتَ الإسْلامِيِّينَ يَبْدُو مُنْفَعِلاً وَمُتَشَنِّجًا بِحُكْمِ الضَّغْطِ العالَمَانِيِّ السُّلْطَوِيِّ عَلَيْهِ فِي غالِبِيَّةِ بِلْدانِنا العَرَبِيَّةِ وَالمُسْلِمَةِ. حَيْثُ تَعْمَدُ وَسائلُ الإعْلامِ إلَى تَسْلِيطِ الأضْواءِ عَلَى الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيَّةِ باعْتِبارِها القُوَى الأرْضِيَّةَ الوَحِيدَةَ المُعادِيَةَ لِلحداثَةِ الغَرْبِيَّةِ والعالَمَانِيَّةِ... والعامِلَةُ فِي كُلِّ اتِّجاهٍ مُضادٍّ لِلْمَصالِحِ الغَرْبِيَّةِ.!

وَعَلَى جانِبٍ آخَرَ، نَجِدُ أنَّ حالَةَ الاسْتِبْدادِ السِّياسِيِّ العالَمَانِيِّ فِي بَعْضِ بِلدانِ عالَمَيْنا العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ... قَدْ حَدَتْ بِكَثِيرٍ مِنْ أصْحابِ الأصْواتِ الإسْلامِيَّةِ المُخْتَنِقَةِ فِي بِلادِها.. وَالنَّاشِطِينَ فِي مَجالِ العَملِ الأهْلِيِّ إلَى الهِجْرَةِ وَطَلَبِ حَقِّ اللُّجُوءِ السِّياسِيِّ إلَى الدِّوَلِ الغَرْبِيَّةِ... وَهَؤلاءِ رُبَّما غَلَبَ الانْفِعالُ وَالتَّشَنُّجُ عَلَى خِطابِ بَعْضِهِمُ تَحْتَ ضَغْطِ المُلاحَقاتِ الأمْنِيَّةِ العَرَبِيَّةِ العالَمَانِيَّةِ.. مِمّا يُعْطِي انْطِباعًا غَيْرَ مُرِيحٍ عَمّا يَمُتُّ إلَى الإسْلامِ بِصِلَةٍ!، وَلا سِيَّما

إذا كانَ الخِطابُ الإعْلامِيُّ الغَرْبِيّ حَرِيصًا عَلَى رَبْطِ ذَلِكَ الخِطابِ الانْفِعالِيِّ دائمًا بِالإسْلامِ كَعَقِيدَةٍ وَحَضارَةٍ.!

وَعَلَى جانِبٍ آخَرَ، نَجِدُ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اختلافِ حَيثِيَّاتِ الحُكْمِ عَلَى الآخَرِ، فإِنَّ الذَّاكِرَةَ الغَرْبِيَّةَ مازالَتْ تَحْمِلُ عَنِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ انْطِباعاتٍ خاطِئَةً وَأَفْكارًا مُشَوَّهَةً وَسَلْبِيَّةً...! وَلَكِنْ بالبَحْثِ فِي الأَسْبابِ المَوضُوعِيَّةِ لِذَلِكَ، نَجِدُ إِلَى جانِبِ كَمٍّ مِنَ المَطْرُوحاتِ الغرِبِيَّةِ المَغْلوطَةِ تارَةً وَالمُغالِطَةِ تارَةً أُخْرَى... فإِنَّ هُناكَ مِنَ الدِّراساتِ الإسلامِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ فِي فَخٍّ مِنَ الأخطاءِ المَنْهَجِيَّةِ، المُتَمَثِّلِ بَعْضُها فِي تَعْلِيلِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» استِنادًا إِلَى ذِكْرياتِ الحروبِ الصَّلِيبِيَّةِ... وَكَأَنَّنا نَحْنُ الَّذِينَ قُمْنا بِشَنِّها عَلَى الغربِ؛!

فَفِي فِرَنْسا، مَثَلاً، نَجِدُ كثيرًا مِنَ المُثَقَّفِين مِن أَصْلٍ عَرَبِيٍّ، وَالَّذِينَ يَنْحَدِرُونَ مِنْ أَصْلٍ جَزائرِيٍّ بِخَاصَّةٍ- يُساهِمُونَ فِي أذكاءِ فِتْنَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ مُمارَسَةِ التَّدليس وَالدِّجالَةِ الإيديُولُوجِيَّةِ، وَيَقُومُونَ بِدَوْرِ «العرَّافين» فِي حَياةِ الفِرَنْسِيِّينَ الوَلُوعِينَ بِسَماعِ أساطِيرِ «الإِسْلامِ فُوبْيا»!.. وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ مُحاوَلَةِ إقناعِهِمْ « بأَنَّ ما جَرَى فِي الجَزائِرِ حِقْبَةَ التِّسْعِينِيّاتِ يوشك أنْ يحدث فِي فِرَنْسا، مِنْ إرهابٍ وَمَجازِرٍ واغْتِيَالٍ لِلمُثَقَّفِين العالَمَانِيِّين..!

وَلَقَدْ بَدا تأثِيرُ مِثْلُ هَذِهِ المَقُولاتِ العالَمَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ فِي الغَرْبِ بِشَكْلٍ مُثِيرٍ لِلقَلَقِ..! يَقُولُ أَحَدُ العُلَماءِ الفِرَنْسِيِّين : إنَّ « الخَوْفَ مِنَ الإسلامِ السِّياسِيِّ هُوَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى وَصْمِ فِئَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ.. وَالفَتَياتِ المُحَجَّباتِ بِفِرَنْسا كَأَنَّهُنَّ

يُمَثْلِنَ تَهْدِيدًا حَقِيقيًّا لانْسِجامِنا الاجْتِماعِيّ. إنَّ هُناكَ « مُسْلِمِينَ يُسَهِّلون الإسلامَ فوبيا» أكثرَ مِنْ « مُسْلِمِينَ إسلاموفوبيين».! إذْ إنَّ هُناكَ آراءً قَوِيّةً تَقُولُ بِأنَّ « بَعْضَ الدِّولِ العَرَبِيَّةِ وَالإسلامِيَّةِ المَعْرُوفَةِ بِعَالَمَانِيَّتِها المُتَطَرِّفَةِ تُطالِبُ بَعْضَ الدِّولِ الغَرْبِيَّةِ مِثْلَ فِرَنسا بِأهَمِيَّةِ إعلانِ مَنْعِ المَظاهِرِ الإسْلامِيَّةِ لِلمُسْلِمِينَ وَمِنْها حِجابُ المُسلِماتِ»[٢٢٧]. وَبِناءً عَلَى ذَلِكَ، لا تَجِدُ بَعضُ النُّخَبِ الفِرَنْسِيَّةِ ذاتَ «الثقافة المسلمة» أيَّ حَرَجٍ فِي بِناءِ سِيرَةٍ سِياسِيَّةٍ أو إعلامِيَّةٍ، عَنْ طَرِيقِ تَروِيجِ صُورَةٍ مَهِينَةٍ لِلإسْلامِ فِي فِرَنْسا، وَعَنْ طَرِيقِ التَّهْوِيلِ مِنْ خَطَرِ الأُصُولِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ واعْتِبارُهُ التَّهْدِيدَ الأكْبَرَ لِلوَحْدَةِ الوَطَنِيَّةِ»[٢٢٨]. ثَمَّ إنَّ قِيامُ بَعْضِ المُثَقَّفِينَ

---

٢٢٧) نقلاً عَنْ : مَجَلَّةِ البَيانِ اللندنيَّةِ- العدد ١٩٦- ذو الحجة ١٤٢٤هـ / يناير - فبراير ٢٠٠٤م.

٢٢٨) الكلام لِعالِم الاجتماع الفرنسي « فانسن جيسير» ، فِي حوار أجرتها معه صحيفة التجديد المغربية – ٢٢- ١- ٢٠٠٤م. ويعلِّق «جيسير» عَلَى الظاهرة العالمانية الطَّنانة بِهَذا الكلام الفارغ، بقوله: « إننا فِي وضعية استعمارية جديدة، حَيْثُ تقوم نخب من بعض الأهالي بالتعاون مع السلطات الاستعمارية، بإدانة ما يزعمونه :« الخطر الوطني المسلم. ففرنسا لم تنس بعد الحالة التاريخية لِظاهِرَةِ «الأهالي»، وتُحِبُّ أن تشاهد «عَرَبَها» يشوهون سمعة العرب الآخرين، ويقضون أوقاتهم فِي الحديث عمَّا يُسَمَّى «التهديد الإسلامي». وَفِي تقديري، هَذِهِ النخب العربية «المسهلون لِلإسْلامِ فوبيا» هم مخلوقات تهفو إلَى ترقية سياسية واجتماعية. وهي لا تمثل سوى نفسها فقط. وَفِي هَذا الصدد، يحاول بعض = الصحافيين الجزائريين اللاجئين إلَى فرنسا الحصول عَلَى حياة مهنية متخذين من فزاعة التهديد الإسلامي رأس مالهم وأساس تجارتهم. فهم يصدرون فِي تصرفاتهم عن انتهازية وليس عن اقتناع راسخ». والواضح من سياق الكلام أنه حين يتحدث عن ألئك الدجالين، فإنما ينعتهم بالمسلمين أو بِنُخَب فرنسية مِن أصل عربي وذات ثقافة مسلمة، عَلَى سبيل التعجُّب منهم، وليس عَلَى وجه التحقيق، وإن صحت تسميتهم، فهم طابورٌ خامِسٌ منسوب لِلإسْلامِ، ووكلاء لِخصومه يتعيَّشون بِلَمْزِهِ والهجوم الخبيث عَلَى أهله.!

وَالصُّحافِيِّينَ العَرَبِ بِإذكاءِ فِتْنَة هَذا «الإِسْلامِ فُوبْيا» بِقَصْدٍ أو بِدُونِ قَصْدٍ، وَذَلِكَ حِينَ تَحَدُّثِهِمُ عَنِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِقَسْوَةٍ وَعُنْفٍ وَبِدُونِ دِقَّةٍ أو تَحَرٍّ لِلأمانَةِ وَالمِصداقِيَّةِ[229]. إنَّما يَسْهَمُ بِشَكْلٍ أو بِآخَرَ فِي تَفاقُم مُشْكِلَةِ هَذِهِ «الفُوبيا»!

فَهَل مِنَ الأمانَةِ وَالوَفاءِ، بَلْ هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ أنْ تَحْدُو الخُصُومَةُ مَعَ أصحابِ المِيُولِ الإسْلامِيَّةِ بِالتَّياراتِ العالَمانِيَّةِ إلَى تَكْرِيس هَذا الخُوافِ الغَرْبِيِّ المُؤْسِفِ لَيْسَ مِنَ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَحَسْبُ، بَلْ وتَخْوِيف عامَّة المُسْلِمِينَ مِمَّا أسْمَوْهُ بِتَيَّارِ الإسلام السِّياسِيّ..؟!! وَمِمَّا هُوَ شائع فِي الأوساطِ المُعادِيَةِ لِلإسْلامِيِّينَ- إنْ لَمْ تَكُنْ مُعادِيَةً لِلإسْلامِ ذاتِهِ، سَواءً أكان ذَلِكَ داخِلَ العالَمِ الإسْلامِيِّ أم خارِجَهُ- : « إلقاءُ تُهْمَةِ العَداءِ لِلدِّيمُقراطِيَّةِ الغَرْبِيَّة عَلَى الإسْلامِيِّين بِصِفَةٍ عامَّةٍ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ دُخُولِهِمُ طَرَفًا فِي المُنْتَظَمِ السِّياسِيّ القانوني، إنْ فِي مَوقِعِ السُّلْطَةِ أو المُعارَضَةِ»[230]. وَهُوَ اتِّهامٌ خَطِيرٌ، لِما يَحْمِلُهُ مِنْ رِسالَةٍ تَحْرِيضِيَّةٍ اسْتِعْدائيَّةٍ وَتَرْهِيبِيَّةٍ شَدِيدَةٍ سَواءَ لِلحُكُوماتِ الغَرْبِيَّةِ بِالوَكالَةِ.. أو لِلْغَرْبِ ذاتِه.!

---

٢٢٩) سعيد بن سعيد العلوي- مستقبل الإسلام فِي ضوء التحديات المعاصرة- مِنْ مُحاضَرَةٍ ألقاها بالمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر- يوم الأربعاء ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م- بتَصَرُّفٍ.

٢٣٠) راشد الغنوشي - الإسلاميون هم أبرز المنادين بالدِّيمُقْراطِيَّةِ - جريدة الشرق الأوسط- السعوديَّة- الاثنين ٢٠٠٣/١١/١٧م.

ثالِثـًا : أسباب عامة

١) يَنْظُرُ الغَرْبُ إِلَى الحَرَكَةِ الإسْلامِيّةِ عَلَى أنَّها عَدُوُّه التَّقْليدِيّ..؟ رُبَّما ذَلِكَ لِكَونِها تُجَسِّدُ العَلاقَـةَ الحَيَّـةَ بَيْنَ المُواطِنِ المُسْلِمِ وَبَيْنَ قِيَمِهِ ومَبادِئِه الإسْلامِيّة الأصيلةِ..! وَمِنْ ثَمَّ فدوائر الإعلام الغَرْبِيّ حريصة عَلَى صَبِّ الحالة الإسْلامِيّة فِي القالَب الَّذِي يوَحْي بِأَنَّهُ لا فرق مُطْلَقًا بَيْنَ ما نَراهُ مِمَّا يُوصَفُون بِـ«المُتَطَرِّفِين» أو «الإرْهابِيِّينَ الإسْلامِيِّين» أو «الإسْلامِيِّينَ الجِهادِيِّينَ» وَبَيْنَ الشُّعُوبِ المُسْلِمَةِ، وَاخْتِزالِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ فِي سُلُوكِ قِلَّةٍ مُغالِيَةٍ لا تُذْكَرُ فِي سِياقِ الوَسَطِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي يَنْضَوِي تَحْتَها المُسْلِمُونَ عَلَى مختَلَفِ تَيّاراتِهِمُ الرَّسْمِيَّةِ والأهْلِيَّةِ سَواءٌ بِسَواء.

٢) وَالحَقِيقَةُ، أنَّ هُناكَ أوْضاعًا ثَقافِيَّةً مُشَوَّهَةً عَنِ الإسْلامِ وَشَعائِرِهِ بِصُورَةٍ تَنُمُّ عَنْ إصرارٍ عَلَى تَكْوِينِ انْطِباعاتٍ خاطِئَةٍ مُتَعَمَّدَةٍ وَمُفْتَعَلَةٍ لِتَحْقِيقِ أهْدافٍ سِياسِيَّةٍ وَمَكاسِبَ دِينِيَّةٍ...! وَلَعَلَّ مِنْ أبْرَزِ ما يُكَرِّسُ « الإسْلام فوبيا» ظاهِرَةَ مَا يُسَمَّى بِـ« أقْباطِ المهجَرِ» الَّذِينَ يُرَوِّجُونَ لِدِعاياتٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ مُغْرِضَةٍ حَولَ اضْطِّهادِهِمُ وَمُعاناتِهِمُ مِنَ التَّمْيِّيزِ وَالتَّضْيِّيقِ عَلَى الحُرِّياتِ الدِّينِيَّةِ فِي البلادِ العَرَبِيَّةِ وَلاسِيَّما مِصْرَ، ناهِيكَ عَمَّا يَخْتَلِطَ بِذَلِكَ مِنَ إقْحامِ الإسلامِ في المَوضُوعِ، وَأنَّه سَبَبُ المُشْكِلاتِ وَأُسُّ القلاقِلِ والتَّوَتُّراتِ... وَغَيْرِ ذَلِكَ افْتِراءاتٍ تَكْشِفُها المُواقِفُ وَتُعَرِّيها الحَقائق...! كُلُّ ذَلِكَ لَهُ دَورٌ كَبِيرٌ فِي تَشْوِيهِ صُورَةِ الإسلامِ والمُسْلِمِينِ وَتَكْوِينِ انْطِباعاتٍ غَرْبِيَّةٍ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنْهُمُ!...

٣) وَيَذْهَبُ مُحَلِّلُونَ إِلَى أنَّ ما انْطَبَعَ في أذْهانِ الغَرْبِيِّينَ بِعامَّةٍ وَالأمْرِيكِيِّينَ مِنْ صُوَرٍ غَيْرِ مُشْرَقَةٍ لِلْعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ إنَّما يَعُودُ إِلَى عَدَمِ حُضُورِ العَرَبِ أدَبِيًّا وَثَقافِيًّا، فِي حَياةِ الأمْرِيكِيِّينَ المُعاصِرِينَ..

٤) أنَّ عَدَمِ امْتِلاكِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ سَواءٌ فِي أُورُوبّا وأمْرِيكا أجْهِزَةً إعْلامِيَّةً قادِرَةً وَمُؤَثِّرَةً تَدْفَعُ عَنْهُمُ الشُّبُهَاتِ وَتُفَنِّدُ ما يُلْقَى عَلَيْهِمُ مِنِ اتِّهاماتٍ وَمُفْتَرَياتٍ غَرْبِيَّةٍ عالَمانِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ قد جَعَلَ الصَّوْتَ العَرَبِيَّ والإسلامِيِّ خَفِيضًا مُنْزَوِيًا حَسِيرًا لا يَبْلُغُ بَعْضَ أهْدافِهِ- إنْ بَلَغَها إلاَّ بِشِقِّ الأنْفُسِ!... الأمْرُ الَّذِي يُكَرِّسُ مِنْ تأثِيرِ دَوائِرِ وَأجْهِزَةِ الإعْلامِ الصَّهْيُونِيَّةِ أو الصَّهْيُونَصْرانِيَّةِ أو النَّازِيَّةِ الجَدِيدَةِ...

٥) يَبْدُو أنَّ الصَّهْيُونِيَّةَ العالَمِيَّةَ قَدْ أفْلَحَتْ فِي تَفْخِيخِ العَقْلِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ بِالخَوْفِ مِنَ الآخَرِ أيًّا فلاح، وَلاسِيَّما فِي سِياقِ الاسْتِغْلالِ السَّلْبِيِّ لِظاهِرَةِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهادِيَّةِ. وَبَدَلاً مِنْ أنْ يُفْهَمَ المَغْزَى الحَضارِيَّ لِتِلْكَ العَمَلِيَّاتِ، الَّتِي يَبْذُلُ فِيها الاستشهادِيُّ نَفْسَهُ لِيَحْيا الآخرون حَياةً حُرَّةً كَرِيمةً.. وَلِلحَدِّ مِنَ التَّغَوُّلِ الصهيوني الغَرْبِيّ عَلَى القضية الفِلَسْطِينِيَّةِ.. وَكَأنَّها رِسالَةُ رَدْعٍ لِلآخَرِ- المُمْعِنِ فِي عُدْوانِهِ وَعُنْفُوانِهِ..! رِسالةٌ تَقُولُ بِأنَّنا لا نُرِيدُ أكْثَرَ مِنْ حُقُوقِنا، فَمَهْما تَقَدَّمَتْ تِقَنِيّات أسلحتِكم... فَلَدَيْنا ما هُوَ أمْضَى مِنْها فَتْكًا وَأشَدُّ تأثِيرًا...! لَعَلَّ ذَلِكَ النَّمُوذَجَ الحَضارِيَّ الاسْتِشْهادِيَّ يُمْكِنَ أنْ يَكُونَ مادَّةً شَهِيَّةً لآلَةِ الدِّعايَةِ والتَّشْوِيهِ... حَيْثُ

يَضْحَى ذَرِيعَةً صَهْيُونِيَّةً لِتَخْوِيفِ الْمُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ مِنَ النَّمُوذَجِ الإِسْلامِيّ، وَلِتَكْرِيسِ عُقْدَةِ الخَوْفِ الغَرْبِيِّ مِنَ الإِسْلامِ.

٦) الخَوْفُ الْمُتَعَشِّشُ فِي العَقْلِيَّةِ الإدارِيَّةِ لِلمُؤَسَّسَةِ السِّياسِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، الَّتِي تَعِيشُ حالةً ضاغِطَةً مِنَ الخَوْفِ الدّائم مِنَ الآخَرِ القادِمِ مِنْ أعالِي البِحارِ.. وَالخَوْفِ مِنَ آخَرِ الدّاخِلِ الَّذِي يُهَدِّدُ بِالحَرْبِ الأَهْلِيَّةِ... وَالخَوْفِ مِنْ تبدُّد فُرَصِ الحَياةِ فِي ظِّلِّ قُوَّةِ الآخَرِ الخارِجِيِّ...؟! هَذا الاتجاه « قَدْ عَبَّرَتْ عَنْهُ الإدارات الأَمْرِيكِيَّةُ بِالخَوْفِ الدّائِم مِن امْتِلاكِ الآخَرِ قُوَّةً تُهَدِّدُ التَّفَوُّقَ الأَمْرِيكِيَّ، وَهِيَ تَعْبِيراتٌ دِينِيَّةٌ ذاتَ أَثَرٍ تَوراتِيِّ بِلِبُوسٍ سِياسِيٍّ... »[٢٣١]!.

٧) حِينَما حَصَلَتْ انْفِجاراتُ الحادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلُولٍ فِي كُلٍّ مِن « نيويورك» وَ« واشُنْطُن» : اخْتَفَى العُقَلاءُ وَظَهَرَ الحَمْقَى مُمْتَطِينَ تَعَصُّبَهُمْ... وَتَسارَعَ راكِبُو المَوْجَةِ مِنَ الغَرْبِيِّينَ وَوُكلائِهِمْ!... فَنَسَبُوها بِسُرْعَةٍ لِدِينٍ مُحَدَّدٍ.. وَحَمَّلُوها لِأُمَّةٍ بِأسْرِها، وَتَجْرِي الآنَ مُحاسَبَتُها عَلَى وِزْرٍ لَمْ تَقْتَرِفْهُ.. وإِثْمٍ لَمْ تَجْتَرِحْهُ.. « لَقَدَ قَفَزَ مَنْ يُسَمَّوْنَ بِالْمُحَلِّلين وَالْمُنَظِّرين إِلَى الشّاشاتِ التِّلْفازِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وَتَحَدَّثُوا بِإسهابٍ عَنِ « الإِرْهابِ الإِسْلامِيِّ» وَتَرْبِيطِ الإِسْلامِ بِالعُنْفِ... لأَنَّهُ دِينٌ عَلَى حَدِّ قَولِهِمْ انْتَشَرَ بِالسَّيْفِ، وَلأَنَّهُ فِي رأيهم يدفع مُعْتَنِقِيه إلي الانْتِحارِ وقتل الآخرين، وَبِذَلِكَ يكون «الإِسْلامُ فُوبْيا» « قَدْ خَرَجَ مِنْ صَفْحاتِ الكُتُبِ وَسُطُورِ

٢٣١) سعدون المشهداني - أمريكا، إسرائيل، التماثل والتشابه فِي الولادة والسلوك - صحيفة التجديد العربي - الآحد ٢٧ مارس ٢٠٠٥.

الصُّحُفِ إلي الشَّوارِعِ وَالحَوارِي لِتَبْدأ أكْبَرُ مُطارَدةٍ جَماعِيَّةٍ لِلمُسْلِمِينَ، لم يشهد الغَرْبُ مِثلَها مُنْذُ العُصُورِ الوُسْطَى»[٢٣٢]. هَذِهِ المُطاراداتُ تَتِمُّ إجراءاتُها بِطُرُقٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ وَخارِقَةٍ لأُصُولِ وَقَواعِدِ حُقُوقِ الإنسانِ وَكَرامَتِهِ وَآدَمِيَّتِهِ!...

٨) وَلَقَدْ اعْطَتْ أحْداثُ أيْلُولٍ فُرْصَةً ثَمِينَةً لأصْحابِ «التَّوَجُّهاتِ الاسْتِبْعادِيَّةِ وَالمُعادِيَةِ لِمُسْلِمِي أمْرِيكا لِتَصْوِيرِ مُسْلِمِي الغَرْبِ بِصِفَةٍ عامَّةٍ وَمُسْلِمِي أمْرِيكا بِصِفَةٍ خاصَّةٍ عَلَى أنَّهُمْ جَماعاتٌ تَرْفُضُ الانْدِماجَ فِي المجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ، وَتَحْمِلُ قِيَمًا مُنافِيةً لِقِيَمِ الحُرِّيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّةِ، فِي الوَقْتِ الَّذِي يَرْفُضُ فِيهِ الاسْتِبْعادِيُّونَ فِكْرَةَ دَمْجِ المُسْلِمِينَ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ أساسِهِ، بَلْ إنَّ أفْكارَ الاسْتِبْعادِيِّينَ قادَتْ فِي أحْيانٍ كَثِيرَةٍ إلَى التَّمْيِيزِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ وَالاعْتِداءَ عَلَيْهِمْ»[٢٣٣].

٩) المَناهِجُ التَّعْلِيمِيَّةُ، مَلِيئَةٌ بِالمُغالَطاتِ وَالتَّشْوِيهِ وَالافْتِراءِ وَالتَّخْوِيفِ المُرْعِبِ مِنَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ.

١٠) الفَهْمُ المَغْلُوطُ لِفَرِيضَةِ الجِهادِ فِي الإسْلامِ سَواءٌ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّة أو المُجْتَمَعاتِ الشرقية. مع أنَّنا لا ندري ماذا يمكن أنْ نَصِفَ بِهِ العَمَلِيَّاتِ العَسْكَرِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَالفَسادِ فِي الأرْضِ عَبْرَ أطوارِ التّارِيخِ، إذا كانَ الجِهادُ خَطَرًا...؟!

---

٢٣٢) زوهــات كوبــاني- تــأثير الدوغمائيــة والفوضــوية عَلَــى الحركــة الكرديــة- ٢٨/٣/٢٠٠٥م –www.knntv.net/arabic/arabic_news/zuhat-28-03-05

233) See for example: Paul Statham, Resilient Islam, Harvard International Review, Cambridge, Fall 2004, Vol. 26-3, p. 54.

وَلَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ الأَسْبابِ الكامِنَةِ وراءَ تَنامِي « الإِسْلام فوبيا» : تَشَتُّتْ الجُهُودِ المَعْنِيَّةِ بِحُقُوقِ الجالياتِ الإسلامِيَّةِ فِي الغَرْبِ، وَعَفْوِيَّةُ رُدُودِ الأفعالِ إزاءَ الاسْتِفْزازاتِ الغَرْبِيَّةِ المُسِيئةِ لَنا وَلِنَبِيِّنا ﷺ وَلِمُقَدَّساتِنا، وَالمُقَيِّدَةِ لِحَرَكَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ!... ذَلِكَ، فَضْلاً عَمَّا نَلْمَسُهُ مِنْ تَراخٍ سِياسِيٍّ واضِحٍ مِنْ جانِبِ بَعْضِ حُكُوماتِ العالَمِ الإسلامِيِّ... الَّتِي تَقِفُ مَوقِفًا لا تُحْسَدُ عَلَيْهِ- وَرَسُولُ الرَّحْمَةِ يُشْتَمُ وَيُسَبُّ وَيُخَوَّفُ مِنْهُ وَيُنَفَّرُ وَيُبَغَّضُ فِيهِ بِلا داعٍ سِوَى أَنَّنا قَومٌ مُتَفَرِّقُونَ وَضُعَفاءُ لا شَوْكَةَ لَنا!...

وَفِي الحَقِيقَةِ، أَنَّ الغَرْبَ، بِمَا فِيهِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَة، تَتَمَلَّكُهُ تَصَوُّرَاتٌ وأفكـارٌ وَانْطِباعاتٌ عَنِ الحَالَةِ الإِسْلامِيَّةِ غَيْرُ واقعيةٍ بِالمَـرَّةِ ،! وَقَدْ تَكُون هَذِهِ الحَالَةُ فِي مُجْمَلِها مُصْطَنَعَـةً... وفيها مُبالَغَةٌ وَتَهْوِيلٌ شَدِيدانِ،! لِدَرَجَةِ أَنَّ قِطاعاتٍ عَرِيضَةً مِنَ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ لا تَرَى فِي المُجْتَمَعاتِ الإِسْلامِيَّةِ عُمُومًا إِلاَّ« تَنْظِيمًا إِسْلاميًّا واحِدًا يَشْمَلُ العَالَمَ كُلَّهُ!»!!؛ هَذَا التَّنْظِيمُ العَالَمِيُّ تَحْرِصُ مَرَاكِزُ إدارَةِ الصِّراعِ فِي الغَرْبِ عُمُـومًا إِلَى تَصْوِيرِهِ كَيَانًا أُسْطُورِيًّا- مِنْ جِهَـةِ امْتِلاكِهِ قُدْراتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ المالِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ!!... وَأَنَّ هَذَا التنظيمَ يَخْضَعُ بِأَكْمَلِهِ لِقِيادَةٍ أُسْطُورِيَّةٍ، وَقَدْ تَكُون خَيالِيَّةً!.. كُلُّ ذَلِكَ لإمكان تَمْرِيرِ المَشْرُوعِ التَّخْوِيفِيِّ مِنْ تِلْكَ الثَّغْرَةِ الخارِقَةِ لِلاّوَعْيِ أو اللاّشُعُورِ الغَرْبِيَّيْنِ، وَمِنْ ثَمَّ إيجادُ المُبَرِّرِ لِحَشْدِ كَافَّةِ الإمْكانِيّاتِ اللازِمَةِ لِتِلْكَ الحَمْلاتِ الحَرْبِيَّةِ المُتَكَرِّرَةِ بِاتِّجاهِ ذَلِكَ الخَطَرِ المُفْتَعَلِ...!

آثـــارُ وَنَتائِجُ التَّخْوِيفِ مِنَ الإسلامِ

لِئِنْ تَسارَعَ إِلَى بَدِيهَتِنا، أنَّ التَّشْوِيهَ الغَرْبِيَّ لِلإِسْلامِ وَالُمسْلِمِينَ مَدْفُوعٌ بِحَساسِيَّةٍ وَنُفُورٍ وَكَراهِيَّةٍ شَدِيدَةٍ... وَمَشْدُودٌ عمَلِيًّا بِاتِّجاهِ أهدافٍ وغاياتٍ عَدِيدَةٍ... يأتِي مِنْ ضِمْنِها : التَّخْوِيف مِنَ الإسلامِ..! ولكَنْ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَدَى وَجاهَةِ وَواقِعِيَّةِ هَذا الاتِّجاهِ الغَرْبِيّ المَحْمُومِ، يَنْبَغِي ابتداءً التَّقْرِيرُ : بِأَنَّ هَذا الهَوَسَ التَّخْوِيفِي، إنَّما سَيُكَبِّدُ البَشَرِيَّةَ خَسائِرَ هائلَةً بِقِيمَةِ وُجُودِها الإنسانِيِّ الْمُحْتَرَم!؛ أي أنَّ ذَلِكَ سَوْفَ يَحُولُ دُونَ فَهْمِ الإسلامِ فَهْمًا جَيِّدًا مِنْ شأنِهِ أنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي نَجاةِ الغَرْبِيِّينَ وَالعالَمِ كُلِّهِ مِنَ حالَةِ الانْتِحارِ الحَضارِيِّ الَّتِي تُؤَرِّقُهُمْ وَتُعَكِّرُ عَلَيْهِمْ صَفْوَ حَياتِهِمْ وَتُعَمِّقُ مِنْ هُمُومِهِمُ الاجْتِماعِيَّةِ وَمُشْكِلاتِهِمُ السِّياسِيَّةِ والاقْتِصادِيَّةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ مُشْكِلاتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ،! بَلْ قَدْ يُكَلِّفُها غَضبًا إلهيًّا لا طاقَةَ لَها بِهِ...! وَلاسِيِّما أنَّ الُمبَرِّراتِ الغَرْبِيَّة فِي تَشْوِيهِ الإسْلامِ غَيْرُ مَنْطِقِيَّةٍ مِنْ ناحِيَةِ القِيَم العَقَدِيَّةِ وَالأَخْلاقِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ... وَإِنْ كانَ لَها ما يُبَرِّرُها عَلَى صَعِيدِ التَّهْدِيدِ الُمباشِرِ لِلإلحادِ وَالإباحِيَّةِ وَالدَّعارَةَ الُمقَنَّنَةِ وَالفَسادِ العابِرِ لِلقَوْمِيّاتِ وَالحَضاراتِ... الَّذِي كَما يُغْضِبُ المَسِيحَ عليه السلام وَرَبَّ المسيح.. فَإِنَّه يُثِيـرُ الحَسْرَةَ وَالأَسَى فِي نَفْسِ كلِّ إنْسانٍ حُـرٍّ شَرِيف- وإنْ لم تنفُرْ مِنْهُ الكَنِيسَةُ الغَرْبِيَّةُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَفِيَةً لِلْمَسِيحِ عليه السلام مِثْلَما وَفَّاهُ الإسْلامُ وَكَرَّمَهُ وَحافَظَ عَلَى تُراثِهِ وَعَقِيدَتِهِ دُونَ تَزَيُّدٍ أو مُغالاةٍ أو تَطَرُّفٍ...!

وإنَّ مَوْجَةَ التَّخْوِيفِ مِنَ الإسلامِ- بِاعْتِبارِهِ قاعِدَةَ العُنْفِ وَالإرْهابِ الدَّوَلِيِّ فِي نَظَرِ غالِبِيّةِ الُمؤَسَّساتِ الغَرْبِيَّة- مازالت مُسْتَمِرَّةً بِقوَّةٍ وَماضِيَةً

بِإصْرارٍ وَتَعَنُّت وَتَعَصُّبٍ شَدِيدٍ...! يُقابِلُها قُصورٌ بالِغٌ مِنْ المَعْنِيِّين بِالمَسْئُولِيَّةِ فِي بِلادِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ(❖)...!؛ وَأيضًا فِي بِلادِ الغَرْبِ؛ فَالَّذِي يَجْرِي الآنَ : أنَّ الرأيَ العامَّ الأمْرِيكِيَّ يَتَلَقَّى العِلْمَ بِالإسْلامِ مِنْ طَرَفٍ واحدٍ.

وَلَعَلَّ مِنْ أخطرِ ما يُمْكِـن أنْ نَلْمَسَهُ بِسَهُولَةٍ فِي سِياقِ التَّخْوِيف مِنَ الإسلامِ، هُوَ : تِلْكَ الحَالَةَ الخَبِيثَةَ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي مُحاوَلاتِ احْتِلالِ الإرادَةِ الإسْلامِيَّةِ وَالتَّوَطُّنِ فِيها وَتَحْرِيكِها آلِيًّا وذاتيًّا.. مِنْ خِلالِ مُهَدِّئاتِ الدِّيمُقْراطِيَّةِ وَحُقُوقِ الإنْسَانِ وَالحُرِّياتِ وَدَعاوَى الإصْلاحِ إلخ...! مَعَ الحِفَاظِ عَلَى مَظْهَرِيّاتٍ وَشَكْلِيّاتٍ اسْتِقلالِيَّةٍ تافِهَةٍ وَفارِغَةٍ مِنْ مُحتَواها؛ وَقَدْ لا يدرك الغربُ أنَّ فِي عَمَلِيَّةِ التَّخْوِيفِ مِنَ الإسلامِ نَقْضًا لِقوانِينِ العُمرانِ ولِسُنَنِ الوجود؛ وَلاسِيَّما أنَّ هَذا التَّخْوِيفَ يَعْكِسُ مِنْ مَعانِي وَدَلالاتِ الرَّغْبَةِ الحَمْقاءِ وَالإرادَةِ الخَرقاءِ الرّامِيَةِ إلَى تَغْيِيبِ وَعْيِ الإنسانِيَّةِ بِذاتِيَّتِها الخُلُقِيَّةِ وَالقِيَمِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ المُؤمِنَةِ النَّبِيلَةِ...! وَالتي سَيَتَرَتَّبُ عَلَى غِيابِها هَذا: تَقْلِيلُ- إنْ لَمْ نَقُلِ انْعِدامَ فُرصِ اسْتِقامَةِ البَشَرِيَّةِ عَلَى طَرِيقِ الهِدايَةِ الإلَهِيَّةِ وَالخَيْرِ وَالفـلاحِ الحَقِيقِيِّ!... وَهُوَ ما يُثِيرُ القَلَقَ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الوُجُودِ الإنْسانِيِّ تَحْتَ ضَغْطِ تِلْكَ التّأثِيراتِ الضّارَّةِ لِهَيْمَنَةِ ثَقافَةِ الصِّراعِ عَلَى مَسِيرَةِ الإنسانِ فِي واقِعِنا المُعاصِرِ؛

(❖) وإنَّنا فِي سِياقِ الإساءة إلَى الذات العَلِيَّة ولِلرسول ﷺ ولأنبياء الله والهجوم عَلَى الإسلام بهَذِهِ الصورة البغِيضة ... يَحِقُّ لنا أنْ نتساءل: ماذا لو أُسِيئ لِشَخْصِ رئيس دولة عربية أو مسلِمة؟ هَلْ سَتُقابَل الإساءة بالصمت والتماس الأعذار والتَّغاضِي والرَّدِّ المائع مثلما هُوَ حادِثٌ أم ستقوم الدَّنيا وَلا تقعد.

وإنَّني لأَتساءَلُ : أَلَمِصْلَحةِ قِلَّـةٍ فِي الشَّرْقِ أو الغَرْبِ.. يُمْكِنُ أنْ تُلْقى شَحْناتُ الكَراهِيَّةِ وَالعِداءِ لِلإسْلامِ تحَتَ تأثِيراتٍ دِعائِيَّةٍ وإعلامِيَّةٍ مَوْهُومَةٍ.. وتَحتَ ضُغوطاتٍ نَفْسِيَّةٍ كاذِبَةٍ وَنَزْعَةٍ سِياسِيَّةٍ مُغْرِقَةٍ فِي النَّفْعِيَّةِ الحاقِدَةِ وَالابتِزازِيَّةِ وَالانْتِهازِيَّةِ الحاسِدَةِ تُجاهَ عَقِيدَةٍ وَرِسالَةٍ حَضارِيَّةٍ كَم أَمَدَّت الإنسانِيَّةَ بِسِرِّ وُجودِها وبقِيمَةِ حياتِها...؟! هَلْ مِنْ مَصْلَحَةِ الغَرْبِ حَقًّا تَشْوِيهُ الإسْلامِ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ؟ هَلْ هَذا ما أَمَـرَ بِهِ المَسِيحُ الَّذِي يَزْعُمُونَ الانْتِسابَ إلَيْهِ..؟

وَماذا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَهُ مَوْقِفُ المَسِيحِ عليه السلام لو شَهِدَ ما تَشْهَدهُ البَشَرِيَّةُ فِي واقِعِنا المُعاصِر..! أَيَظُنُّ أحَـدٌ أَنَّهُ كانَ سَيُبارِكُ ازْدِراءَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالإساءَةَ إِلَيْهِ وَالهُجُومَ عَلَيْهِ... ذَلِكَ فِي الوَقْتِ الَّذِي يُمَجَّدُ فِيهِ « براهما» وَ« فشنو» وَ«بوذا»... ويُنْظَرُ إليهم بِتَقْديرٍ واحْتِرامٍ شديدَيْنِ..؟! هَلْ كانَ سَيُحْتَفِي بِعِبادَةِ البَقَرِ.. وَيَزْدَرِي عِبادَةَ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ..؟! أمْ كانَ سَيُبارِكُ أعمالَ القِمَمِ وَمُداوَلاتِ الغُرَفِ الْمُغْلَقَةِ الَّتِي لا شُغْلَ لَها وَلا هاجِسَ سِوَى المَكْرِ وَالكَيْدِ لِحَضارةٍ وأُمَّةٍ لَيْسَ لَها مِنْ ذَنْبٍ سِوَى ابتلائِها بِحَفْنَةٍ مِنْ غُلاةِ العالَمانِيِّين وَأعْداءِ الإسلامِ عَلَى حَدٍّ سَواءٍ؛ وَقَدْ شاءَ اللهُ لَها أنْ تَتَمَوْضَعَ بِمُواجَهَةِ حَفْنَةٍ أُخْرَى مِن الْمُفَكِّرِينَ الحُواةِ الغَشَّاشِين.. وَالسّاسَةِ الغَرْبِيِّينَ الْمُقامِرِين... الَّذِينَ يَزْعُمُون أنَّهم رُسُلُ العِنايَةِ الإلَهِيَّةِ بِالنَّصْرانِيَّةِ،! وَيَشْهَدُ الله عز وجل أنَّ المَسيحَ بَرِيءٌ مِنهم وَمِن أفعالِهِمُ الإفسادِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ وُجُوهِ الحَياةِ

الإنسانية لِغَيْرِهم؛! وَلَعَلَّ هَذا مِمّا يُؤَكِّدُ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الغربُ الآن مِنَ الدِّينِ: هُوَ دِينُ الكَنِيسَةِ وَلَيْسَ دِينَ المَسِيحِ عليه السلام.!

وَلِذَلِكَ، يَنْبَغِي ألاَّ يكونَ الغَرْبُ مُرادِفًا لِرسالَةِ المَسيحِ عليه السلام فِي وَعْينا الحَضارِيّ، إذ إنَّ هَذِهِ الرِّسالَةَ- عَلَى ما لنا مِنْ تَحَفُّظاتٍ إزاء ما جَدَّ عَلَيها وما الْتَبَسها مِنْ تَزْيِّيفٍ وَتَحْرِيفٍ- أَشْرَفَ وأَكْرَمَ مِنْ أنْ ينتَسِبَ إلَيْها قَوْمٌ مَهْوُوسون بِالفَسادِ فِي الأَرْضِ.. قَدْ شَوَّهوا رِسالَةَ المَسِيحِ عليه السلام وخانُوه فِي أمانَتِهِ العقدية فما رعَوْها حَقَّ رِعايَتِها.!! يقول عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد/ ٢٦:٢٧.

وَفِيما يَلِي سَنَعْرِضُ لِجُمْلَةٍ مِنَ الآثارِ المُتَرَتِّبَـةِ عَلَى حَمْلَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ التّالِي :

أولاً : آثــارٌ سَلْبِيَّــةٌ

١) إنْتِشارُ جُرائمُ الكَراهِيَةِ ضِدَّ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ فِي عُمُــومِ أورُبّا وَأمْرِيكا!.... فَلَقَدْ آتَتْ تِلْكَ الحَمْلاتُ المَشْئومَةُ ثِمارَها، حَيْثُ اعْتَرَفَ التَّقْرِيرُ السَّنَوِيُّ لِمَكْتَبِ التَّحْقِيقاتِ الفِيدرالِيَّةِ حَوْلَ جَرائمِ

الكَراهِيةِ فِي الوِلاياتِ المُتَّحدَةِ، بأنَّ عَدَدَ الجرائمِ المُسَجَّلَةِ ضدَّ أشخاصٍ أو مُؤسَّساتٍ أو شَرِكاتٍ، وَالمُرْتَبِطَةِ بِالعَقِيدَةِ الإسْلامِيَّةِ قَدْ ارْتَفَعَ مِنْ ثَمانٍ وَعِشْرِينَ حالَةٍ عام ٢٠٠٠م إلَى أرْبَعْمائةٍ وَواحِدٍ وثَمانِينَ حالةٍ فِي عام ٢٠٠١م، أي بِنسْبَةِ زيادة حوَالي ١٦٠٠٪. ولم يُحَدِّد التقريرُ عَدَدَ هَذِهِ الحالاتِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ أَحْداثِ الحادِي عَشَرَ مِنْ أَيْلول عام ٢٠٠١م، لَكِنَّهُ أشارَ إلَى أنَّ المسْلِمِينَ أو الأشخاصَ المُنْحَدِرينَ مِنْ أُصُولٍ عَرَبِيَّةٍ... قد تَعَرَّضُوا لجَرائمِ الكَراهِيَةِ فِي العامِ الماضِي بِشَكْلٍ يَزِيدُ عَمَّا حَدَثَ فِي أَيِّ وَقْتٍ فِي الماضِي، حَيْثُ كانوا أقَلَّ الفِئاتِ الاجْتِماعِيَّةِ تَعَرُّضًا لِهَذِهِ الهَجَماتِ، وَألَمَحَ إلَى أنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونَ مُرْتَبِطًا بِأحداثِ أَيْلُول.

وَفِيما يَتَعَلَّقُ بِصُورَةِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، تُوَضِّحُ الاسْتِطلاعاتُ المُخْتَلِفَةُ أنَّ مَشاعِرَ التَّمْيِيزِ وَالعَداءِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ تَنْتَشِرُ بِنِسْبَةٍ تَتَراوَحُ بَيْنَ ٢٠٪ و٣٣٪ مِنَ الأمْرِيكِيِّينَ، وَتَتَراوَحُ النِّسْبَةُ نَفْسُها بَيْنَ ٢٥٪ و٤٠٪ فِي أوْقاتِ الأزْماتِ[٢٣٤]!

وَعَلَى المُسْتَوَى السِّياسِيِّ، لَمْ تَكُنْ الإدارَةُ الأمْرِيكِيةُ ذاتَ مَوقفٍ واضِحٍ إزاءَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الإسْلامِ وَما تَنْسِبَهُ هِيَ لِبَعْضِ المُسْلِمِينَ منْ أعْمالِ عُنْفٍ منَ النَّاحِيةِ العَمَلِيّةِ، حَيثُ تُقدِّمْ القِيادَةُ السِّياسِيَّةُ

---

234) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/52980313-E868-4827- ADC3-23C15540B16A

الأمْرِيكِيةُ عُرُوضًا مُحَدَّدَةً لِلتَّعامُلِ معَ ما يَتَعرَّضُ لهُ الإسلامُ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ تَشْوِيهِ؛ فَفِي الوَقْتِ الَّذِي حَرَصَتْ الإدارَةُ عَلَى مَدِيحِ الإسلامِ كَدِينٍ، وَالفصْلِ بَيْنِهِ وَبيْنَ مُعْتَقداتِ «الإرْهابِيِّينَ»: استَخْدَمَتْ الإدارَةُ أوْصافًا مِثْلَ «الإسلامِيِّينَ الرّادِيكالِيِّينَ» وَ«الإسْلامِيِّينَ الفاشِيِّينَ»، كما رَبَطَتْ بشَكْلٍ غَيْرِ واضحٍ أو مُحَدَّدٍ- خاصَّةً لَدَى الْمُواطِنِ الأمْرِيكِيِّ العادِيِّ ضَعِيفِ المَعْرِفَةِ بِالإسْلامِ- بَيْنَ الإرْهابِ وَالإسْلامِ!!!.

وَعَلَى الْمُسْتَوَى الاجْتِماعِيِّ، دَفَعَتْ الضُّغُوطُ السّابِقَةُ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ إلَى العُزْلَةِ أو إنْهاءِ ما وَصَفَهُ البَعْضُ « حُلْمِهِمُ الأمْرِيكِيِّ» طَواعِيَةً، وَذَلِكَ بِمُغادَرَةِ الوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ، كَما دَفَعَتْ بَعْضَ ضِعافِ النُّفُوسِ إلَى التَّساهُلِ فِيما يَتَّصِلُ بِإساءاتِ الهُوَيَّةِ الإسْلامِيَّةِ!...

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ، فَقَدْ أكَّدَتْ دِراسَةٌ أجْرَتْها الْمُؤَسَّسَةُ الهُولَنْدِيَّةُ لاسْتِطلاعاتِ الرّأيِ المَعْرُوفَةُ باسْمِ «لازارك جروب»[٢٣٥] : أنَّ «الإسْلامُ فُوبْيا» أو الخَوْفَ غَيْرَ الْمُبَرِّرِ مِنَ الإسلامِ : يُشَكِّلُ مَساحَةً كَبِيرةً وَخَطِيرةً لَدَى الشَّعْبِ الهُولندِيِّ مُقارنَةً بِشُعُوبِ دِولٍ أورُوبِيَّةٍ أُخْرَى... وَقالَتِ الدِّراسَةُ : إنَّ الهُولَنْدِيِّينَ لَدَيْهِمُ مَخاوِفُ تُمَثِّلُ ضِعْفَ خَوْفِ الشَّعْبَيْنِ الإيطالِي وَالإسبانِيِّ مِنَ الإسْلامِ وَالْمُسْلِمِين.

---

٢٣٥) نَقلاً عَن : جريدة الوطن- السعودية - العدد (١٥٩٣)- السنة الخامسة- الثلاثاء ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٥هـ الموافق ٨ فبراير ٢٠٠٥م.

وأشارت الدِّراسَةُ كَذَلِكَ إلَى أنَّ نَحْوَ خَمْسَةٍ وَسبعِينَ بالمائةِ مِنَ الهُولَنْدِيِّينَ يجدون فِي المُسْلِمِينَ وانْتِشارِ الإسْلامِ : تَهدِيدًا حَقِيقِيًّا لَهُم!!!. وَيُطالِبُون بِسُرْعَةِ تطبيقِ إجْراءاتٍ «مِنْ شأنِها حِمايَتُهم مِنْ خطَرِ المُسْلِمِينَ». وَأوْضَحَتْ الدِّراسَةُ أنَّ الإيطالِيِّين وَالأسبانِ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ بِالخَوْفِ وَالتَّهْدِيدِ مِنَ الإسْلامِ لا يُمَثِّلُونَ إلاَّ نِسَبَةً لا تَتَجاوَزُ خَمْسَةً وَثلاثِينَ بالمائةِ مِنْ إجْمالِيّ عَدَدِ السُّكانِ فِي كِلا البَلَدَيْنِ.

وَفِي العاصِمَةِ البَلْجِيكِيَّةِ « بروكسل»، أصْبَحَت الحَياةُ اليَومِيَّةُ لِلمُسلِمِينَ فِي أُورُوبّا صَعْبةً لِلغايَةِ بَعْدَ الحادِي عَشَر مِنْ أيلول. وَلَقَدْ ازْدادتْ نِسْبَةُ المُضايَقاتِ ضِدَّ نِساءٍ مُسْلِماتٍ مُحَجَّباتٍ بنسبة ٧٠٪ حَسْبَ تَقْرِيرٍ صادِرٍ عَنْ اتِّحادِ « هِلْسِنْكِي» لِحُقُوقِ الإنسانِ، كَما أنَّ الصُّورَةَ العامَّةَ لِلمُسْلِمِينَ فِي بَعْضِ البِلدانِ الأُوروبِّيَّةِ تَظْهَرُ صُورَةٌ مُشَوَّهَةٌ عَنِ المَرأةِ المُسْلِمَةِ!.

وَعَلَى الصَّعِيدِ ذاتِهِ، تَأتِي الحَمْلَةُ عَلَى الحِجابِ فِي بَرِيطانيا : تَدْلِيلاً عَلَى الخَوْفِ المَرَضِيِّ وَالتَّقْلِيدِيِّ منَ المَجْهولِ؟!... إذْ اعْتَبَرَهُ مسْئولُونَ عَدِيدُونَ عَلامَةَ انْفِصالٍ اجْتِماعِيٍّ وَمُثِيرًا لِعدَمِ الارْتِياحِ؟!... وَقَدَ راحُوا يُبَرِّرُونَ إحْساسَهُمُ بَعدَمِ الرَّاحةِ كُلٌّ تبعَ هواهُ؛ وَلَكنَّهُمُ لَمْ يَخْرُجوا عُمُوما عَنْ مدْلُولِ الخَوْفِ المَرَضِيِّ منْ هذِهِ الشَّعَيرَةِ الإسلامِيَّةِ!. وَقَدْ حَمَلَتْ دَعْوَةُ وَزِيرِ الخارِجِيَّةِ البَريطانِيِّ السّابِقِ «جاك سترو» مَطْلَعَ أكْتُوبَر/ تشرِين الأول ٢٠٠٦م النِّساءَ المُسْلِماتِ المُتَوَجِّهاتِ لِمَقَرِّ دائرَتِهِ إلَى رَفْعِ نِقابِهِنَّ، لأنَّهُ «يَشْعُرُ بـ«الانْزِعاجِ» فِي

التَّحَدُّثِ لِشَخْصٍ لا يَرَى وَجْهَهُ»!. هَذا، وَقَدْ لَقِيَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ تَرْحِيبًا وَتَأْيِّيدًا مِنْ جانِبِ المَسئولِينَ فِي بَرِيطانيا وَعَلَى رَأسِهِمُ رَئِيسُ الوُزَراءِ، الَّذِي قال : «إنَّ مَسأَلَةَ الحِجابِ قدْ لَمَسَتْ مخاوِفَ أوْسعَ لَدَى الشَّعْبِ البَرِيطانِيِّ»[٢٣٦]!...

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ أَقْرِبائي فِي مَدِينَةِ « لَنْدَن» أنَّ سَيَّاراتِ الأُجْرَةِ TAXI لَمْ يَعدْ سائقُوها يسْتَجِيبُونَ لِلْمُحَجَّباتِ حينَ يرِدْنَ الانْتِقالَ إلَى مَظانِّ مَصالِحِهِنَّ...!؛ وَلَقَدْ جَاءتْ هَذِهِ المُواقِفُ السَّلْبِيَّةُ بَعْدَ تَصْرِيحاتِ « جاك سترُو» حَوْلَ الحِجابِ... والَّتِي أيَّدَهُ فِي مَوْقِفِهِ رَئيسُ الوُزَراء «طُونِي بلِير»!...

وَلَقَدْ كَشَفَتْ دِراسَةٌ أُجْرِيَتْ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ أوروبِيَّةٍ مُتَفَرِّقَةٍ تَتَمَيَّزُ بِوُجُودِ كَثافَةٍ سُكّانِيَّةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ؛ حَيْثُ تَمَّ التَّوَصُّلُ إلَى نَتائجَ هامَّةٍ تَبَيَّنَ مِنْ خِلالِها : تَهْمِيشُ المُسْلِمِينَ مَع وُجُودِ الأحكامِ المُسْبَقَةِ وَالخُصُومَةِ ضِدَّهُمُ، وَهَذا سائدٌ فِي كُلِّ الدِّوَلِ الأعضاءِ فِي الاتحاد الأوروبي، وَقَدْ قادَتْ هَذِهِ التَّفْرِقَةُ ضِدَّهُمُ إلَى إقصائِهِم عَنِ النَّشاطاتِ الاقْتِصادِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ »[٢٣٧].

---

٢٣٦) نَقْلاً عَنْ قَناةِ الجَزِيرَةِ- الأربعاء المُوافِق ١٨/١٠/٢٠٠٦م.

٢٣٧) انظر : التقرير الصادر من المركز الاوروبي لمكافحة العنصرية والعداء للأجانب تحت عنوان (أوضاع الجاليات الإسلامية فِي خمس مدن أوروبية- مجلة الأوروبية- العدد ٣٠- نقلاً عَنْ : مَجَلَّةِ البَيانِ اللندنِيَّةِ- العدد ١٩٦- ذو الحجة ١٤٢٤هـ/يناير- فبراير ٢٠٠٤م.

لَقَدْ أصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِلْدانٍ أُورُوبِّيَّةٍ عَدِيدَةٍ... مَجالاً لِلمُقامَراتِ السِّياسِيَّةِ وَلِلمُزَايَداتِ الانْتِهازِيَّةِ الحِزْبِيَّةِ، وَلِجَلْبِ المَزِيدِ مِنَ المَكاسِبِ الانْتِخابِيَّةِ عَلَى حِسابِ الإسلامِ والمُسْلِمِينَ بِصِفَةٍ عامَّةٍ!... فَأَصْبَحَ الرِّهانُ عَلَى التَّخْوِيفِ مِنَ الإسْلامِ وَعَلَى العُنْصُرِيَّةِ وَالتَّمْيِّيزِ ضِدَّهُمُ : رِهانًا رابِحًا لَدَى كُلِّ طامِحٍ لِلْمَجْدِ السِّياسِيِّ... الَّذِي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ بِاعْتِبارِهِ المُنْقِذَ القادِمَ لِلْجَماهِيرِ فِي البِلْدانِ الأورُوبِّيَّةِ «المَذْعُورَةِ» مِنَ خَطَرِ الإسْلامِ وَ« غَزْواتِ» المُسْلِمِينَ...!؟

وتُشِيرُ بَعْضُ الدَّلائِلِ عَلى مَدَى حَجْمِ القَلَقِ المَرَضِيِّ حِيالَ الظّاهِرَةِ الإسلامِيَّةِ فِي العالَمِ، وَفِي الغَرْبِ بِخاصَّةٍ إِلَى أَنَّ قِسِّيسًا أَلمانيًّا إِنْجِيلِيًّا بالِغًا مِنَ العُمُرِ ثلاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً : أَقْدَمَ عَلَى الانْتِحارِ بِحَرْقِ نَفْسِهِ، بَعْدَما انْتابَهُ شُعُورٌ بِالخَوْفِ مِن انْتِشارِ الإسْلامِ وَازْدِيادِ رُقْعَتِهِ وَتَنامِي أَعْدادِ المُنْتَمِينَ إِلَيْهِ!. وَقالَتْ مجلة «فوكوس» الألمانية: إن القَسَّ قَدْ تَرَكَ خِطابًا لِزَوْجَتِهِ حَوْلَ الدّافِعِ وَراءَ قِيامِهِ بِهَذا الفِعْلِ المُحَيِّرِ مُعْرِبًا عَنْ خَشْيَتِهِ مِنْ تَنامِي الإسْلامِ وَانْتِشارِهِ»[٢٣٨].

٢) إيجادُ المُبَرِّراتِ لِشَنِّ الحُروبِ عَلَى بَعْضِ البلدانِ المُسلِمَةِ.. وَإشْعالُ الفِتَنِ وَالصِّراعاتِ الدَّاخِلِيَّةِ فِيما بَيْنَها.

٣) الخَوْفُ مِنَ الآخَرِ وَالشُّعُورُ بِالضَّعْفِ الذَّاتِيِّ. حَيْثُ تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ، وُجُودُ حالَةِ خَوْفٍ شائعَةٌ بَيْنَ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ تُجاه الغربِ نَتِيجَةَ

---

٢٣٨) نَقْلاً عَنْ : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

التّأثِيرِ العَكْسِيّ وَالسَّلْبِيّ لِـ« لإسْلامِ فوبيا»؛ وَلا شَكَّ أَنَّهُ كُلَّما انْكَشَفَ ظَهْرُ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ عَقَديًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا كُلَّما تَعَمَّقت حالَةُ الخَوْفِ هَذِهِ فِي نِفُوسِهِمُ.. لِدَرَجَةِ أنّها أَصْبَحَتْ عُقْدَةً عَرَبِيَّةً وَمُسْلِمَةً.. وتبدو خُطُورَةُ المَسأَلَةِ حِينَ « يَتَحَوَّلَ هَذا الأمْرُ إِلَى حالَةٍ مَرَضِيَّةٍ عِنْدَما يَفْقِد الْمُسْلِمُ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَتَحَوَّلَ خَوْفُهُ هَذا إِلَى شُعُورٍ بِالضَّعْفِ الدّائِمِ وَالهَزِيمَةِ مِنَ الآخَرِ»[٢٣٩]. وَهَذِهِ الحالَةِ : هِيَ أَحَدُ مُخَلَّفاتِ الشُّعُورِ بِالتَّقْصِيرِ الحَضارِيِّ مِنْ جانِبِ الْمُسْلِمِينَ.. وَالتَّفْرِيطِ فِي الواجِباتِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تُغْرِي الغَرْبِيِّينَ بِهِمُ وَبِرَسُولِهِمُ وَبِتارِيخِهِمُ وَبِالرُّمُوزِ الإسْلامِيَّةِ عُمُومًا...! وَيُعَلِّقُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي الغَرْبِ عَلَى ذَلِكَ التَّأثِيرِ العَكْسِيِّ بِقَوْلِهِ : « هُناكَ « فوبيا» إسلامِيَّةٌ مُنْتَشِرَةٌ، إِنَّنِي أُحاوِلُ عَدَمَ إظهارِ دِيانَتِي حَتَّى لا أَتَسَبَّبُ فِي اسْتِدعاءِ صُوَرًا نَمَطِيَّةً عَنّا.. وَلَكِنِّي أَلُومُ نَفْسِيَ بَعْدَها.. إِذْ أَشْعُرُ أَنِّيَ ضَعِيفُ الإيمانِ وَغَيْرُ واثِقٍ بِاللهِ!!».

٤) كما أَنَّ الْمُجْتَمَعاتِ وَالأُمَمَ الَّتِي التَبَسَها الوَهَنُ الحَضارِيُّ وَالفِكْرِيُّ واستَبَدَّ بِها العَجْزُ الثَّقافِيُّ : هِيَ الأُخْرَى تُحارِبُ الآخَرَ، لأنه يُشْعِرُها دائمًا بِضَعْفِها فَتَخافُ التَّواصُلَ مَعَهُ خَوْفًا مِنْ أنْ يَغْزُوَ أفكارَها ويَحْصُدَ أفرادَها؛ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَينا، نَجِدُ فَبَعْضُ الحركاتِ الإسْلامِيّة تأخُذُ فِي تأطيرِ نَفْسِها ضِدَّ كُلِّ أَنْواعِ الاتِّصالِ خَوْفًا مِنْ تَعَرُّضِها لِلاخْتِراقِ الفِكْرِيِّ

---

٢٣٩) مرتضى معاش- التواصُل مَعَ الآخَرِ .. تأصيل لمنهجية التعايُش- مجلة النَّبأ- بيروت- العدد(٤٧)- تموز٢٠٠٠م.

وَالثَّقافِيِّ... وَانْدِساسِ أفْكارٍ وَرُؤًى تَعْتَبِرُها مُضِرَّةً بِأهْدافِها[240]. وَهَذا إحْساسٌ مَتَضَخِّمٌ بِالْمُؤَامَرَةِ أكْثَرُ مِمَّا يَلْزَمُ لِتَقْدِيرِ حَجْمِ وَطَبِيعَةِ التَّحَدّياتِ الَّتي تُواجِهُنا وَكَيْفِيَّةِ التَّعامُلِ مَعَها وَمُعالَجَتِها بالطَّرِيقَةِ اللاّئقَةِ!.

٥) جاءَتْ أيْضًا مُعاداةُ الإسلام، وَالخَوْفُ مِنْهُ لِتَزِيدَ مِنَ الضَّغْطِ النَّفْسِيِّ وَالعِبْءِ المادِّيِّ وَالعَزْلِ الاجْتِماعِيِّ بالنِّسْبَةِ لِلْجالِيَاتِ الإسْلامِيَّةِ فِي الغَرْبِ، لأنَّ مُحاوَلاتِ انْدِماجِها مِنْ خِلالِ التَّوَظُّفِ فِي وَظائفَ حُكُومِيَّةٍ أو الانْخِراطِ فِي الأنْشِطَةِ الأهْلِيَّةِ.. صارَ أمْرًا صَعْبًا؛

٦) ازدِراءُ التَّقالِيدِ وَالخُصُوصِيّاتِ الحَضارِيَّةِ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَكْلٍ فِيهِ عُنْصُرِيَّةٌ بَغِيضَةٌ...!

٧) تَكْرِيسُ المَفاهِيمِ الَّتِي تَنْبذُ الْمُقاوَمَةَ المَشْرُوعَةَ فِي الدِّفاعِ عَنِ النَّفْسِ وَالوَطَنِ وَالهُوِيَّةِ.. وَهَذا بِدَوْرِهِ قَدْ تَسَبَّبَ فِي تَعْلِيقِ الجُهُودِ الرامِيَةِ لِحَلِّ القَضايا العَرَبِيَّةِ وَالإسلامِيَّةِ الْمُعَلَّقَةِ- ولاسِيَّما قضيتي فلسطين وَكَشْمِير؛ فَبَعْدَ أنْ كانَتْ قِطاعاتٌ عَرِيضَةٌ مِنْ مُثَقَّفِي الغَرْبِ مُؤمِنةً بِحَقِّ هَذيْنِ الشَّعْبَيْنِ فِي وَطَنٍ وَدَوْلَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ذاتَ سِيادَةٍ، وَيَعْتَبِرُونَ أنَّ القَضِيَّتَيْنِ قَضِيَّتانِ عادِلَتانِ تَسْتَحِقَّانِ التّأيِيدَ... لم يَعُد الأمْرُ كَذَلِكَ؛ إذْ سَنَّتْ الحُكُوماتُ الغَرْبِيَّةُ قَوانِينَ تَضَعُ الْمُقاوَمَةَ المَشْرُوعَةَ فِي إطارِ الجَرِيمَةِ الْمُنظَّمَةِ، وَتَعْتَبِرُها إرْهابًا.. وَإنَّ هَذا بِالقَطْعِ، لَهُ تأثِيرُهُ عَلَى مَسِيرَةِ التَّحَرُّرِ

---

٢٤٠) انظر : التواصل مَعَ الآخَرِ .. تأصيل لمنهجية التعايش – مجلة النبأ – بيروت – العدد :٤٧- تموز ٢٠٠م.

بَلْ وَيُكَرِّسُ الاسْتِعمارَ- كما حَدَثَ فِي العِراقِ وأفغانستان...! وَهَذا يعني مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى : تَضاؤلَ الفُرَصِ القانُونِيَّةِ لأصحابِ القَضايا الاسْتِقلالِيَّةِ العادِلَةِ... ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ مُجْمَلَ الفَعالِيّاتِ التَّنْظِمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ لَيْسَ لَها وُجودٌ فِي الغَرْبِ، وَلا تُمَثِّلُ مِنَ النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ أيَّ تَهْدِيدٍ لِلمَصالِحِ الغَرْبِيَّةِ المُباشِرةِ.

٨) صارَ تَوقِيفُ الأشْخاصِ المُشْتَبَهِ بِنِيَّتِهِمُ أو المُتَوَهَّمِ صُدُورَ أعمالٍ إرهابِيَّةٍ مِنْهُمُ : طَقْسًا أمْنِيًّا في عَدِيدٍ مِنَ الدِّوَلِ الغَرْبِيَّةِ... ما أدَّى إلى تَوسِيعِ قاعِدَةِ الاشْتِباهِ لِدَرَجَةِ التَّفْتِيشِ فِي النَّوايا أو لِمُجَرَّدِ أدِلَّةٍ ظَنِّيَّةٍ أو انْطِباعاتٍ شَخْصِيَّةٍ غَيْرِ مُرِيحَةٍ عَنِ المُؤَسَّسَةِ أو الشَّخْصِ المُسْتَهْدَفِ مادامَ يَحْمِلُ مَلامِحَ عَرَبِيَّةً أو مَسُوحاتٍ إسلامِيَّةً!...

٩) تَضاؤُلُ فُرَصِ المَوْقُوفِينَ وَالمَحْكُومِين لأسبابٍ دِينِيّةٍ وعِرْقِيَّةٍ فِي التَّمَتُّعِ بِحُقُوقٍ قانُونِيَّةٍ عادِلَةٍ فِي الغَرْبِ.

١٠) الحَيْلُولَـةُ دُونَ انْدِماجِ المُسْلِمِينَ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّة والتِقائهمُ دُونَ خَلْفِيّاتٍ نَفْسِيَّةٍ سَلْبِيَّةٍ لَدَى الغَرْبِيِّينَ عَنْهُمُ. وَهَذِهِ- فَضْلاً عَنْ أضْرارِها الاجْتِماعِيّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ الوَخِيمَةِ... فَإنَّها تُسْهِمُ فِي تَعْطِيلِ حَرَكَةِ الدَّعْوَةِ الإسْلامِيّة فِي البلدان الغَرْبِية، إذْ لَنْ يَتَمَكَّنَ المُسْلِمُ مِنَ التَّعْبِيرِ بِشَكْلٍ لائقٍ عَنْ مَعْدِنِهِ الحَضارِيّ الأَصِيلِ.. وَالإفصاحِ عن جَوْهَرِ القِيَمِ الَّتِي يَنْتَمِي إلَيْها...!

١١) مُعاناةُ الطُّلابِ المُسْلِمِينَ مِنْ نُفورٍ وكَراهِيَّةٍ وَتَوَجُّسِ أَغْلَبِيَّةِ زُملائِهِم الغربِيِّين فِي المَدارِسِ وَالجامِعاتِ، نَتِيجَةَ تأثِيرِ المَناهِجِ الدِّراسِيَّةِ المُشَوِّهَةِ لِلْعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ...! الأمْرُ الَّذِي يُكَرّسُ عُزْلَتَهُمْ، وَيَحِدُّ مِنْ فُرَصِ انْفِتاحِهِمُ عَلَى الآخَرِ بِشَكْلٍ إيجابِيٍّ مُثْمِرٍ..!

١٢) تآكُلُ خَرِيطَةِ الحُرِّيَّاتِ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ.. وتَشَوُّهُ قِيَمِها.. وقَتْلِها بِزَعْمِ الدِّفاعِ عَنْها مِنْ خِلالِ إصْدارِ القَوانِينِ الاسْتِثْنائيَّةِ، وَمُكافَحَةِ ما يُسَمَّى بِالإرْهابِ، وَرَصْدِ حَرَكَةِ الأشْخاصِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ وَالتَّجَسُّسِ عليهم وَاقْتِحامِ خُصُوصِيّاتِهِمُ العِبادِيَّةِ وَالثَّقافِيَّةِ بِجُرأةٍ وافْتِئاتٍ...! فضلاً عَنِ القَوانِينِ المُقَيِّدَةِ لِحَقِّ اللُّجُوءِ السِّياسِيِّ وَلِلْهِجْرَةِ وَتَكْرِيس- بَلْ تَقْنِينِ سِياسَةَ الكَيْلِ بِمِكْيالَيْن تُجاهَ كُلِّ ما يَمُتُّ إلَى العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ بِصِلَةٍ...!

١٣) تَسابُقُ بَعْضِ الحُكُوماتِ فِي البِلْدانِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ نَحْوَ الاصْطِدامِ بِمُؤسَّساتِ الصَّحْوَةِ وَالعَمَلِ الدَّعْوِيِّ الإسْلامِيِّ... وَقَمْعِها وَتَصْفِيَّتِها دُونَ رَوِيَّةٍ أو تَمْيِّيزٍ لإرْضاءِ الغَرْبِ!... وَلإثْباتِ مِصْداقِيَّتِها لَدَى مَرْكَزِ الهَيْمَنَةِ.. ولِلحُظْوَةِ بِقَدْرٍ أكْبَرَ مِنَ الدَّعْمِ الغَرْبِيّ لِهَذِهِ الحكوماتِ- حتَّى ولو كانَتْ ظالِمَةً مُسْتَبِدّةً..!!

١٤) التَّضْيِيقُ عَلَى حَرَكَةِ العَمَلِ الخَيْرِيِّ وَالتَّطَوُّعِي فِي الشَّرْقِ أو الغَرْبِ إلَى دَرَجَةِ الخَنْقِ بِحُجَّةِ مُكافَحَةِ الإرْهابِ.

١٥) تَمْزِيقُ الوَحْدَةِ الوَطَنِيَّةِ فِي البِلْدانِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ، وَتَكْرِيسُ التَّوَتُّرِ فِي الحَياةِ السِّياسِيّةِ... وَتَقْوِيضُ أرْكانِ المَشْرُوعِ الدِّيمُقْراطِيِّ المنبَثِق مِنَ الفَهْمِ الأصِيلِ لِلإسْلامِ، وَفَرْضُ النَّمُوذَجِ الدِّيمُقْراطِيِّ الغَرْبِيِّ بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَفَظائعِ الأُمُورِ...!

١٦) ازْدِيادُ تأثيرِ المُؤَسَّساتِ الصَّهْيُونِيَّةِ وَالتَّياراتِ اليَمِينِيَّةِ والشُّعُوبِيَّةِ أو الشَّعْبَوِيَّةِ المُتَطَرِّفَةِ عَلَى دَوائرِ صُنْعِ القَرارِ الغَرْبِيِّ... الأمْرِ الَّذِي أدَّى فِي أغْلَبِ الأحْيانِ إلَى تَرْكِيزِ هاجِسِ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ... مِمّا أدَّى وَيُؤدِّي إلَى مُقاوَمَةِ ما يُسَمَّى «الإرْهابَ» بِالإرْهابِ الفِعْلِيِّ المُنَظَّمِ!..

١٧) نُلاحِظُ أنَّ تَوسِيعِ قاعِدَةِ العُضْوِيَّةِ فِي الإتِّحادِ الأُورُوبِّيِّ قَدْ انْعَكَسَ سَلْبًا عَلَى الحُضُورِ الأجْنَبِيِّ- وَتَحْدِيدًا العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيّ؛ وَهُوَ ما زادَ مِنْ فُرَصِ شُيُوعِ ظاهِرَةِ «الإسْلامُ فُوبْيا» بِصُورَةٍ فِيها انْتِهازِيَّةٌ شَدِيدَةٌ فِي آفاقِ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ- وَتَحْدِيدًا فِي مُدن أورُوبّا الشَّرْقِيَّةِ؛ حَيْثُ أصْبَحَ «الخَوْفُ مِنَ الآخَرِ»، تَحَدِّيًا عامًّا يُواجِهُ أُورُوبّا الجَدِيدَةَ أكْثَرَ مِمّا يُواجِهُ سِواها!!؛

١٨) اتِّساعُ الرُّقْعَةِ الجُيُوسِياسِيَّةِ لِـ«الإسْلامُ فُوبْيا» بِحَيْثُ تَجاوَزَتْ الغَرْبَ إلَى الشَّرْقِ، كَالصِّينِ وَبَعْضِ دِوَلِ آسْيا الوُسْطَى وَشَرْق أقْصَى أُورُوبّا فِيها يُعَدُّ عَوْلَمَةً لِـ« الإسلام فوبيا»!!... وَلَقَدْ تُجُوزَت كافّةُ الخُطوطِ الَّتِي كانَتْ فيها سَبَقَ حَمْراءَ.. ولم يَعُدْ ثَمَّةَ تورُّعٌ وَلا مَوضُوعِيَّةٌ فِي مُعالَجَةِ الظَّاهِرَةِ الإسْلامِيّةِ الَّتِي صارَتْ تُهاجَم باجْتِراءٍ وَغَشَمٍ.. وَبِلا

تَبَصُّرٍ أو هَوادَةٍ أو رَحْمَةٍ..! لِمَ لا وَحُكُوماتُ العَروبةِ وَالإسلامِ لم تَتَّخِذْ مَوقِفًا جادًّا حِيالَ تلك الظَّاهِرَة، بَلْ بارَكَ بَعْضُها مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ حَمْلَةَ «الإِسْلامُ فُوبْيا»، لأنَّها فِي الواقِعِ تَصُبُّ فِي خانَةِ أهدافِهِمُ القاصِرَةِ وَغاياتِهِمُ المَحْدُودَة، إذْ يعتقِدُ البَعْضُ أنَّ حَمْلَةَ «الإِسْلامُ فُوبْيا» هِيَ بِمَثابَةِ تَصْفِيَةِ حِساباتٍ بِالوَكالَةِ مَعَ خُصُومِهِمُ مِنَ الإِسْلامِيّين...!

١٩) مِنَ المُثِيرِ لِلخِزْيِ وَالأَسَفِ في آنٍ واحِدٍ : أنَّ بَعْضَ مَنْ يُعْنَوْنَ بِتَجْمِيلِ صُورَةِ الإسلامِ لَدى الغَرْبِ... لا يَنْفَكُّونَ عَنْ مُعاقَرَةِ الحديثِ عن سَماحَةِ الإسلامِ وَوَداعَتَهُ وانفِتاحِهِ عَلَى الآخَرِ وَتَقْدِيرِهِ هَذا الآَخَرِ إلَى حَدِّ الإسرافِ فِي المُولاةِ غَيْرِ المَشْرُوعَةِ!.. وأنَّ هذا الإِسْلامُ لا يُعادِي أَحَـدًا مُطْلَقًا، وَلا يُكَفِّـرُ أحَـدًا مُطْلَقًا وَلا.. وَلا... إلخ... وَذَلِكَ دون أدْنَى ذِكْرٍ أو تِبْيانٍ مِنْ أيِّ وَجْهٍ لِمَوْضُوعِيَّةِ الجِهادِ فِي سَبِيلِ الله- وَوَظائفِهِ الحَضارِيَّةِ فِي رَفْعِ نِيرِ الاسْتِعبادِ والظُّلْمِ والاسْتِبدادِ المُسْتَحْكِمِ مِنْ رقابِ الأُمُمِ المَغْلُوبَةِ عَلَى أمْرِها.. وَفِي نَشْرِ الحَقِّ وَالعَدْلِ والحُرِّيَّةِ... لا يُذْكَرُ الجِهادُ فِي هَذا السِّياقِ- اللهمّ إلاَّ حِينَ يُذْكَرَ ضِمْنَ إطارِ المَفْهُوم الدِّفاعِيِّ عِنِ النَّفْسِ- وَبِطَرِيقَةٍ تَبْرِيرِيَّةٍ مُثِيرَةٍ لِلرِّيبَةِ أَكْثَرَ مِنها إثارَةً للارْتِياحِ الغَرْبِيِّ تُجاهنا!... وَهُوَ ما كَرَّسَ الاعْتِقادَ الغَرْبِيّ، وَالشَّرْقِيِّ كَذَلِكَ!، بِأنَّ الجِهادَ هُوَ بِالفِعْلِ : « بُعْبُعُ» أو خَوَّافَةُ الشُّعُوب الغَرْبِيَّة بِحَقٍّ وَحَقِيق؛! مع أَنَّنا لو أحَسَنّا عَرْضَ بُضاعَةِ الجِهادِ لَحُزْنا قِسْطًا أوْفَرَ مِنَ الاحْتِرامِ لِذاتِنا وَالتَّقْدِيرِ لِقِضايانا وَمَواقِفِنا فِي المَحافِلِ الدَّوَلِيَّةِ!. وَالحَقِيقَةُ، أَنَّنا لا نَدْرِي لِذَلِكَ القُصُورِ سَبَبًا مَشْرُوعًا أو مُبَرِّرًا مَعْقُولاً

لِتَجاهُلِهِ ..؟! وَلَعَلَّ هَذا إنْ دَلَّ فإنما يَدُلُّ عَلَى خَلَلٍ فِي منظومة الاعتقادِ الإِسْلامِيّ وغَبَشٍ فِي تَّصور كُلِّيات الحِكَم وَالمَقاصِدِ الشرعية الَّتِي ما جاء بها النَّبِيُّ- كما أَسْلَفْنا- إلاَّ رحمةً للعالَمِين، بَلْ هُوَ سقوطٌ فِي فَخِّ المُعَطِّلة ومُرجِئةِ العصر..!فَضْلاً عَمَّا يَعْكِسهُ مِنْ افْتِئاتٍ وَتَصَدُّرٍ بِحَظٍّ مُتَواضِعٍ مِنَ الأَهْلِيَّةِ العِلْمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ والخِبْرَةِ السِّياسِيَّةِ... وَقِلَّةِ الدِّرايَةِ بِسُنَنِ اللهِ فِي العمران الإنساني، وَفِي مُقَدِّمتها سُنَّة التَّدافُعِ، الَّتِي لو أُمِيطَ عَنْ حَقِيقتِها اللِّثامُ.. لَمَا تَكَلَّفْنا هَذا العَنَتَ وَتِلْكَ المَشَقَّةَ فِي التَّرْقِيعِ وَالتَّلْفِيقِ.. واهِمِينَ بِأَنَّنا نُقَدِّم الخِدْماتِ الجَلِيلَةَ لِلدِّينِ الحَنِيفِ وَما نَحْنُ كَذَلِكَ؛!

ثانيًا : آثــــارٌ إيجابِيَّةٌ

١- ازْدِيادُ وَعْيِ المُسْلِمِينَ بِدِينِهِم، وَازْدِيادُ الحِرْصِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَعائِرِ الإِسْلامِ وَالاعْتِزازِ بِها.. والانْكِبابُ عَلَى التّارِيخِ دِراسَةً وَفَهْمًا وَشُرُوعًا فِي بَرْمَجَةِ اسْتِعادَةِ الفِعْلِ الحَضارِيِّ الإِسْلامِيِّ مِنْ جَدِيدٍ!.

٢- أنَّ ظاهِرَةَ «الإِسْلامُ فُوبْيا» قَدْ أفْرَزَتِ المُؤَسَّساتِ الغَرْبِيَّةَ مِنَ النَّاحِيَةِ الأَخْلاقِيَّةِ وَمِنَ حَيْثُ مَدَى المِصْداقِيَّةِ... وَمَحَّصَتْها وَمَيَّزَتْ الحاقِدَ وَالمُشَكِّكَ أو المُتَشَكِّكَ مِنْها وَالمُعْتَدِلَ وَالمُتَرَدِّدَ... بَلْ وَحَدَّدتْ بِشَكْلٍ لَمْ يَدَعْ مَجالاً لِلَّبْسِ مَعالِمَ خَرِيطَةِ البَراء وَالوَلاءِ، الَّتِي عَلَى أساسِها يَتِمُّ تَقْنِينُ التَّفاعُلاتِ الإِسْلامِيَّةِ مَعَ الآخَرِ بِشَكْلٍ لا يُعْذَرُ مَعَهُ جاهِلٌ أو غافِلٌ!..

٣- أنَّ رَدَّاتِ فِعْلِ الغربِيِّينَ تُجاهَ «الإِسْلامُ فُوبْيا» كانَتْ بِمَثابَةِ رَفْعٍ لِلواقِعِ بِلا رُتُوشٍ وَلا غُمُوضٍ.. وَهُوَ ما أَسْهَمَ فِي تَحْدِيدِ الاحْتِياجاتِ

الدَّعْوِيَّةِ... وَتَقْدِيرِ ما يلْزَم فِي تَنْشِيطِ آلِيَّاتِ الدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ بِما يَتَلاءَمُ وَإفرازاتِ الأحداثِ وَتَقَلُّباتِها المُسْتَمِرَّةِ...!

٤- إدراكُ حَجْمِ الحِقْدِ وَالكَراهِيَّةِ الغَرْبِيَّة المُنَظَّمَةِ... جَعَلُ مِنْ صِفُوفِ المُدافِعِينَ عَنِ الإسْلامِ أَكْثَرَ تَنْظِيمًا وَأَكْثَرَ وَعْيًا بِطَبِيعَةِ التَّحَدِّياتِ عَلَى خَرِيطَةِ عَمَلِهِم.

٥- ازْدِيادُ عَدَدِ المُؤمِنِينَ بِالإسْلامِ، إذ أثارَ «الإِسْلامُ فُوبْيا» مَزِيدًا مِنْ فُضُولِ الغَربِيِين لِدِراسَةِ الإسلامِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَيْهِ بِطَرِيقَةٍ أَشْمَلَ وأوسَعَ مِنَ الطَّرِيقَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

٦- شُرُوعُ العَدِيدِ مِنَ الجامِعاتِ الأمْرِيكِيَّةِ وَالمَدارِسِ فِي تَنْفِيذِ فِكْرَةِ تَدرِيسِ الدِّينِ الإسْلامِيِّ، الأمرُ الَّذِي سَيُزِيلُ أَيَّةَ تَشَوُّهاتٍ وَالتِباساتٍ عالِقَةٍ بِالعَقْلِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَلا سِيِّما الأمْرِيكِيَّة، وَلَو بِقَدْرٍ محدود.. يُؤمَلُ فِي اتِّساعِهِ أَكْثَرَ فأَكْثَر...!

٧- وَقَدْ واكَبَ هَذا المَكْسَبَ : أَنْ بَدأت بَعْضُ الكَنائسِ الأمْرِيكِيَّةِ تَفْتَحُ أبوابها للمُسْلِمِينَ كي يذهبوا إلَيْها، وَيَتَحَدَّثُوا عَنْ تَجارِبِهِمُ وَعَنِ الإسْلامِ، وَيَشْرَحُوا هُناكَ تَعالِيمَ الإسْلام الحَقِيقِيَّةِ؛ بَلْ إنَّ بَعْضَ المَعابِدِ اليَهُودِيَّةِ قَدْ فَتَحَتْ أبوابَها لِلمُسْلِمِينَ لِيَذْهَبُوا وَيَشْرَحُوا هُناكَ تَعالِيمَ الإسْلامِ. وَقَدْ تَرَتَبَ عَلَى تِلْكَ الجُهُودِ : قِيامُ كَنائسَ أمريكِيَّةٍ بِالدِّفاعِ عَنِ المُسْلِمِينَ الأمريكانِ بَعْدَما تَفَهَّمُوا حَقِيقَةَ الإسلامِ،! وَوَصَلَ الأمْرُ إلَى حَدِّ قِيامِ كَنائسَ- تُجاوِرُ مَرَاكِزَ إسلامِيَّةً ومساجِدَ كانَتْ قَدْ تَعَرَّضَتْ

لاعْتِداءاتٍ مِنْ جانِبِ مُتَطَرِّفِين أمريكان لَطَّخُوها بِالألوانِ وَالشِّعاراتِ المُعادِيَةِ- بِالسَّعْيِ لإزالَةِ هَذِهِ الشعارات المُعادِيَةِ لِلمُسْلِمِينَ.

٨- الإقبالُ الكَبِيرُ مِنْ جانِبِ الأمريكان عَلَى دِراسَةِ الإسلام وقِراءةِ تَرجَماتٍ لِمَعانِي القرآنِ الكَرِيمِ، حَتَّى نَفَدَتْ بِالفِعْلِ نُسَخٌ مَطْبُوعَةٌ مِنَ القُرآنِ وَنُسَخٌ مِنْ كُتُبٍ إسْلامِيَّةٍ كَثِيرَةٍ؛ وأصبح هُناكَ تعاطُفٌ كَبِيرٌ، لِدَرَجَةَ أنَّ مُؤَسَّسةً نِسائِيّةً تَضُمُّ قُرابَةَ خَمْسَةَ آلافِ سَيِّدَةٍ أمريكية : أعْلَنَتْ تَخْصِيصَ يَوْمٍ يَرْتَدِي فِيهِ أعضاؤها الحِجابَ الإسْلامِيَّ كَنَوْعٍ مِنَ التَّضامُنِ مَعَ السَّيِّداتِ المُسْلِماتِ المُحَجَّباتِ فِي أمريكا، وَقَدْ أفادَ المُسْلِمُونَ كثيرًا مِنْ هَذا التَّعاطُفِ الرَّمْزِي الَّذِي يُعَدُّ مَحَلَّ اعتِبارٍ وَتَقدِيرٍ مِنْ جانِبِنا كَمُسْلِمِينَ.!

٩- مِنَ الإيجابِيَّاتِ أيضًا أنَّهُ قَبْلَ الحادِي عَشَرَ مِنْ أيلول، كانَ عندما يَتَّصِلَ المُسْلِمُونَ بِوَزارَةِ العَدْلِ أو الشُّرْطَةِ لِلإبلاغِ عَنْ قِيامِ جَماعَةٍ أو أحَدِ الأشخاصِ بِأفعالٍ عُنْصُرِيَّةٍ ضِدَّ الإسلامِ أو ضِدَّ المُسْلِمِينَ : لم يكونوا يَتَحَرَّكُونَ، وَلَكِنَّهم الآن إذا تَعَرَّضَ أيُّ مُسْلِمٍ لأذًى وَقامَ بِالتَّبليغِ، فإنَّ الشُّرطَةَ وَوَزارَةَ العَدْلِ أصْبَحَتا تَهْتَمّانِ وَتُحَقِّقانِ فِي الأمْرِ، وَهَذا لِحَساسِيَّةِ المَوْقِفِ..! وَقَدْ تَمَّ فَتْحُ قِسْمٍ فِي وَزارَةِ العَدْلِ لِلتَّحْقِيقِ فِي أيِّ حادِثٍ يَتَعَلَّقُ بِأضْرارٍ تَلْحَقُ بِمُسْلِمِينَ، كما بدأ يَعْمَلُ فِي هَذا القِسْمِ أيضا مُسْلِمُون.!

١٠- أيضًا، مِنَ المَكاسِبِ : إقبالُ الغربيين عَلَى تَعَلُّمِ الإسلامِ لِمَعْرِفَةِ مَنْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ وما هُوَ الإسلام..؟ وَقَدْ أدَّى ذَلِكَ إِلَى إسلامِ أعداد كَثِيرةٍ مِنَ الأمْريكِيِّين، فَقَدْ لُوحِظَ نَفادُ الكُتُبِ العربيَّةِ وَنُسَخِ القُرآنِ الكريم، مِمّا يدفَع لِلاعْتِقادِ بِازدِيادِ عَدَدِ الدّاخِلِينَ فِي الإسْلامِ مِنَ الغَرْبِيِّينَ؛ وَمِنَ المَعْرُوفِ إحْصائِيًّا : أنَّ خَمْسِينَ ألفَ أمْرِيكِيٍّ، مَثَلاً، يدخلون سَنَوِيًّا فِي الإسْلامِ- هَذا قبل أحداث سبتمبر. كما أنَّ المَرَاكِزَ وَالمُؤَسَّساتِ الإسْلامِيّةَ شَهِدَتْ بِدَورِها طَلَباتٍ مُتَزايدَةً تَهْتَمُّ بِالتَّعَرُّفِ إِلَى الإسلامِ... وَهَذا يُفَسِّرُ فِي نَظَرِنا سَبَبَ اعتِناقِ العَدِيدِ مِنَ الفِرَنْسِيِّين وَالغَرْبِيِّين عُمُومًا لِلإسْلامِ فِي الآونة الأخيرة، مُقارَنةً بِنِسَب الاعْتِناقِ مِنْ قَبْلُ. وَنَجِدُ مِنْ أسبابِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ كَذَلِكَ : التأثيرُ الَّذِي خَلَّفَهُ قِيامُ العَدِيدِ مِنَ المَجَلاّتِ الفِرَنْسِيَّةِ بِتَخْصِيصِ مَلَفّاتٍ مُطَوَّلَةٍ وقَيِّمَةٍ عن الإسلامِ...!

١١- كَذَلِكَ، نَجِدُ أنَّ الشُّعُورَ الإسْلامِيّ بِالتَّفاوُتِ التِّقَنِيِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الغَرْبِ، فَضْلاً عَنِ التَّغَيُّرِ المُتَسارِعِ فِي أنْماطِ القِيَمِ وَالاتِّجاهاتِ الاجْتِماعِيَّةِ... وَالنّاتِجِ عَنِ التَّطَوُّرِ المُذْهِلِ فِي مَجالاتِ الاتِّصالاتِ... كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ : قَدْ وَضَعَ العالَمَ الإسْلامِيَّ المُعاصِرَ أمامَ تَحَدٍّ حَقِيقِيٍّ... قَدْ دَعاهُ بِدَوْرِهِ إِلَى التَّحَوُّلِ نَحْوَ التّارِيخِ لِتأصِيلِ مَوْقِفِهِ تأصيلاً شرعِيًّا، وَمُراجَعَةِ أفكارِهِ فِي ضَوءِ تِلْكَ المُتَغَيِّراتِ الَّتِي أوْجَدَتْ نَوْعًا مِنْ حَتْمِيَّةِ التّآوُبِ وَالتَّلاحُمِ الحَضارِيِّ بَيْنَ شعوبِ

العالَمِ الإسْلامِيِّ عَلَى مُخْتَلَفِ الأصْعِدَةِ... لَيْسَ لِمُخاصَمَةِ التِّقَنِيّاتِ الغَرْبِيَّةِ، وَرَفْضِ آلِيّاتِها الخَطِيرَةِ، بَلْ لِلتّأكِيدِ عَلَى ما يَنْبَغِي اسْتِيلادُهُ مِنْ قِيَمٍ عَقَدِيَّةٍ وَحَضارِيَّةٍ تُرَشِّدُ مَسِيرتَنا نَحْوَ المُشارَكَةِ الفاعِـلَةِ فِي صُنْعِ الحاضِرِ، بَلْ وَالمُسْتَقْبَلِ الإنْسانِيِّ بِوَجْهٍ عامّ.

عِلاجـــاتُ «الإِسْـلامُ فُوبْيـــا» ..!

إنَّ مَنْهَجَ الإسلامِ فِي دَفْعِ التُّهَمِ وَتَبْرِئَةِ السّاحَةِ مِمَّا يُمْكِنُ أنْ يظُنَّه الناسُ فِي بعضهم البعض سوءًا بطريق الخطأ: هِيَ الإيضاحُ وَالتَّبْيِّنُ مِن مُنطَلَقِ الثِّقَة بِسَلامَةِ المَوْقِفِ وحُسْنِ المَقْصِدِ.. وَالقَناعَةِ بِصَلاحِيّاتِ ذَلِكَ المَنْهَجِ لانتِظامِ الحُلولِ النَّاجِعَةِ لِما يُمْكِن انْ يَعْرِضَ لها مِن قضايا ومُشْكِلاتٍ لَيْسَ لَها فَحَسْبُ، وَإنَّما لِلإنْسانِيَّةِ كُلِّها كَذَلِكَ؛! الأمرُ الَّذِي يَفْرِضُ عَلَيْنا ابْتِداءً أنْ نَتَحرَّرَ مِنْ ضَغْطِ الواقِعِ وَنَحْنُ بِصَددِ عَرْضِ بِضاعَةِ الإسْلامِ، وَأنْ نَتَخَلَّى عَنْ تَمَثُّلِ مَوْقِفِ المُرِيبِ الَّذِي يكادُ يَقُولُ خُذُونِي!!. كَذَلِكَ، يفرِضُ ضَرورَةَ تَوَافُرِ آلياتٍ تَوْعَوِيَّةٍ مَعْنِيَّةٍ بِتَحْرِيرِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ مِن قِيودِ الخَوْفِ الوَهْمِيِّ المُضادّ، الَّذِي افتعلته قِوَى التَّجَنِّي وَالإجْحَافِ الغَرْبِيّ وَالشَّرْقِيِّ العالَمَانِيِّ عَلَى الإسْلامِ وَأهْلِهِ وَذَوِي ذِمَّتِهِ..،! وَأنْ نُعْنَى بِتَرْكِيزِ طاقاتِنا خارِجَ دائرَةِ الخَوْفِ مِنَ الآخَرِ، وَبِاتِّجاهِ الانْفِتاحِ عَلَيْهِ وَالتَّحاوُرِ مَعَهُ فِي ضَوْءِ ثَوابِتِنا العَقَدِيَّةِ وَالقِيَمِيَّةِ وَالحَضارِيَّة، وَلَيْسَ ثَوابِتَهُم هُم– كَما هُوَ حادِثٌ الآن.! ذَلِكَ بأنَّ

الانْطِلاقَ مِنَ الثَّوابِتِ الإسْلامِيَّةِ سَيُعْفِينا ابْتِداءً مِنْ أنْ تَصِيرَ سُلُوكِيّاتُنا تُجاهَ ظاهِرَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» عِبارةً عَنْ مُجَرَّدِ رُدُودِ أفْعالٍ... لنْ نَتَمَكَّنَ فِي غَمْراتِها مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ ذَاتِيَّتِنا الحَضارِيَّة وَفْقَ مَنْهَجِيّاتِ الوَحْي الأمِينِ بِكُلِّ أرْيَحِيَّةٍ وَاقْتِدار...! **وَنَرْصُدُ هُنا جُمْلةً مِنْ النِّقاطِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ عوامِلَ مُضَادَّةً لِظاهِرَةِ التَّخْوِيفِ مِنَ الإسلامِ فِي الشرق أو الغَرْبِ عَلَى السَّواءِ :**

أولاً : إقامةُ خِطابٍ إسلامِيٍّ وسطِيٍّ مُتَوازِنٍ.. مُسْتَنِدٍ إلَى وَحْيِ الله ﷻ وسُنَّةِ رسوله ﷺ ، بِحَيْثُ يَرْسُمُ هَذا الخِطابُ حُدُودًا دَقِيقَةً وَواضِحَةً بَيْنَ المُؤْمِنينَ بِهِ وَبَعْضِهِمُ البَعْضِ ابْتِداءً، وَبَيْنَ المُؤمِنِينَ بِهَ وَمُخالِفِيهم بِشَكْلٍ عامّ انْتِهاءً؛ وَذَلِكَ لِلْكَشْفِ عَنْ أحَدِ وُجُوهِ التَّعاطِي الإسْلامِيِّ مَعَ الآخَرِ المَذْهَبِيِّ وَالإيْديُولُوجِيِّ وَالحَضارِيِّ. وَلَعَلَّ التَّأكِيدَ عَلَى البُعْدِ الإنساني العالَمِيّ فِي الرِّسالَةِ الإسْلامِيَّةِ سَوْفَ يَعْتِقنا مِنْ أسْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ سَواءً فِي طَبِيعَةِ الخِطابِ الإسْلامِيّ أو فِي تَجْسِيداتِهِ العَمَلِيَّةِ وَالتَّعامُلِيَّةِ مع النفس والآخرين...

فَالأمَلُ فِي هَذا السِّياقِ : أنْ يَتَخَلَّصَ الخِطابُ الإسْلامِيُّ المُعاصِرُ مِنْ نَبْراتِ الانْفِعالِ وَالتَّشَنُّجِ... الَّتِي كثيرًا ما تَفُوتَ فِي غَمْراتِها فُرَصٌ هائلَةٌ لِخِدْمَةِ الإسلامِ، وَالكَشْفِ عَنْ مَذْخُورِ فَضائلِهِ وَشَمائِلِهِ فِي جَوٍّ مِنَ الهُدُوءِ وَالتَّأمُّلِ وَالاقْتِناعِ...!

ثانيـاً : تقنينُ آلِيَّةٍ إسْلامِيَّةٍ لِلتَّجْدِيدِ الفِكْرِيِّ وَالاجْتِهادِ الفِقْهِيّ وَالدَّعْوِيّ... يَنْبَثِقُ عَمَلُها مِنْ صَمِيمِ الحاجاتِ الإسْلامِيَّةِ الماسَّةِ... الَّتِي تَفْرِضُها النَّوازِلُ وَالمُستَجَدَّات فيما يتَّصِل بِالعَلاقَةِ مَعَ الآخَرِ، وَلا سِيَّما أنَّ

مَوْقِعَ الآخَرِ عَلَى خَرِيطَةِ كَثِيرٍ مِنْ الحَرَكاتِ الإسْلامِيّة : إمّا غَيْرُ مَوجُودٍ أصْلاً، وَإمَّا غَيْرُ مُحَدَّدٍ بِدِقَّةٍ وَوُضُوحٍ؟!.. وَهَذا نَتِيجَةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلقُصُورِ فِي التَّعاطِي الفِقْهِيِّ لِهَذا الجانِبِ... وَلِمُعاداةِ البَعْضِ الاجْتِهادَ، وَلِلتَّوَجُّسِ مِنَ التَّجْدِيدِ فِي هَذا المَجالِ الحَيَوِيِّ الحَسَّاسِ، الَّذِي يفرض نَفْسَهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ عَلَى واقِعِنا العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ وَالعالَمِيِّ. وَهَذا أمْرٌ لا مَجالَ هُنا لِلتَّغاضِيَ عَنْهُ، لأَنَّهُ يُكَلِّفُنا الكَثِيرَ مِنَ العَنَتِ وَالحَرَجِ كَأُمَّة وَحَضارَةٍ وَدَعْوَةٍ وَفِكْرَةٍ..!؛

وَلَعَلَّ هَذا ما يَقْتَضِي وُجُودَ آلِيَّةٍ إسْلامِيَّةٍ أُخْرَى.. مَعْنِيَّةٍ بِتَدْشِينِ مَشْرُوعٍ حَضارِيٍّ إصْلاحِيٍّ.. يَرْتَكِزُ عَلَى الحَقائقِ وَالمَفاهِيمِ الإسْلامِيَّةِ الأصِيلَةِ لا عَلَى المُصْطلَحاتِ وَالشِّعاراتِ...! وَبَعِيدًا عَنِ المُلابَساتِ الظَّرْفِيَّةِ وَرُدُودِ الأفْعالِ الَّتِي تَتَفَتَّتُ فِي غَمْرَاتِها الثَّوابِتُ وَتَتَجَزَأُ الكُلِّيّاتُ وَتَتَعَطَّلُ المُحَرِّكاتُ الأساسِيَّةُ.. فَيَتَعَلَّبُ المَشْرُوعُ الحَضارِيُّ الإسْلامِيُّ التَّجْدِيدِيّ فِي مَهْدِهِ.!

ثالِثًــا : ضَرُورَةُ التَّأكِيدِ عَلَى إبرازِ الصِّبْغَةِ الأهلية فِي مَجالِ النَّشاطِ الفِقْهِيِّ وَالفِكْرِيِّ الإسْلامِيّ، وَالنَّأْيُ كُلَّما أمْكَنَ عَنْ المُناخِ السِّياسِيّ،! لأنَّ الفَعالِيّاتِ الرَّسْمِيَّةَ غالِبًا ما تَكُونُ مُقَيَّدَةً وغَيْرَ مُتَمَتِّعَةٍ بِحُرِّيَّتِها وأرْيَحِيَّتِها فِيما يَتَعَلَّقُ بِعَرْضِ البُضاعَةِ الإسْلامِيَّةِ إلاَّ فِي إطارِ التَّصَوُّرِ الحُكُومِيِّ فِي بَعْضِ بِلدانِنا العَرَبِيَّةِ وَالمُسْلِمَةِ؛ ذَلِكَ التَّصَوُّرُ الَّذِي يأتِي فِي مُجْمَلِهِ لِيَعْكِسَ مَرْجِعِيَّةً عالَمانِيَّةً... ما يُعَدُّ تَشْوِيهًا لِلنَّمُوذَجِ الإسْلامِيِّ الَّذِي يَنْبَغِي أنْ يَتَجاوَزَ السِّياساتِ الحُكُومِيَّةَ القُطْرِيَّةَ- وَإنْ بَقَتْ مَحَلَّ اعتِبارِهِ؛!

رابِعًــا : ضَرُورَةُ قِيامِ الشُّرَفاءِ مِنَ الأقباطِ ونَصارَى الشَّرْقِ بِحَمْلَةِ تَوْعِيَةٍ فِي بلدانِ الغَرْبِ حَوْلَ مُشْكِلَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»، وَذَلِكَ لإزالة المَخاوِفِ الغَرْبِيَّةِ المَزْعُومَةِ تُجاهَ الإسلام،! وتَوْضِيحِ الصُّورَةِ الحَقِيقِيَّةِ وتَجْلِيَةِ المَوْقِفِ الإِسْلامِيِّ مِنَ الآخَرِ.. وَلا سِيَّما أنهم عاشوا التَّجْرُبَةَ بِتَداعِياتِها كافَّة، فَصارُوا أَوْثَقَ مَنْ يَنْهَضُ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ رَدًّا لِلْجَمِيلِ الإِسْلامِيّ عَلَى أَقَلِّ تقدير...!

وَالحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ بِالذَّاتِ تُمَثِّل اخْتِبارًا حَقِيقِيًّا لِمَدَى وَلاءِ هَؤلاءِ لِحَضارَةِ الإِسْلامِ؛ فَقَدْ رَأَيْنا مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الغَرْبِيِّينَ مُدافِعًا عَنِ العَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ... دُونَ أَنْ نَرَى مَثَلاً وُفُودًا مِنَ الكَنِيسَةِ الشَّرْقِيَّةِ قامَتْ وَلَو بِرِحْلَةٍ مُجامَلاتِيَّةٍ لإزالَةِ المَخاوِفِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَزْدادُ مَعَ كُلِّ يَومٍ تُجاهَ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ.!! وَفِي حَدِيثِهِ يُعَلِّقُ الْمُفَكِّرُ اللُّبْنانِيُّ النَّصْرانِيُّ «غَسّان تُوينِي» عَلَى تِلْكَ الإِشْكالِيَّةِ بِقَوْلِهِ : « عَلَى مَسِيحِيي الشَّرْقِ، بَدَلَ أَنْ يُهَمِّشُوا أَنْفُسَهُم أو يَخْتارُوا الهِجْرَةَ الجَماعِيَّةَ : أَنْ يَكْتَسِبُوا صِدْقِيَّتَهِمُ تُجاهَ أُورُوبّا وَالوِلاياتِ الْمُتَّحِدَةِ عَبْرَ شَرْحِ الإِسْلامِ إِلَى الغَرْبِ لا العَكْسِ!. لا يَجِبُ التَّفْكِيرُ فِي مُواجَهَةِ صُعُودِ الإِسْلامِ، بَلْ إيجادُ حُواراتٍ مُتَعَدِّدَةَ الحَجْمِ داخِلَ الْمُجْتَمَعاتِ التَّعَدُّدِيَّةِ». وَكَما يَقُولُ بَعْضُ رِجالِ الدِّينِ : « إِنَّ المَزِيدَ مِنْ النَّصْرانِيَّةِ يُقَرِّبُنا مِنَ الإسلامِ وَلا يُبْعِدَنا عنه. هُناكَ قَلِيلٌ مِنَ الإسلامِ فِي كُلِّ نَصْرانِيٍّ عَرَبِيٍّ يَجِبُ أَنْ نُغْنِيَهُ ونُعَزِّزَهُ»[٢٤١].

٢٤١) نقلاً عن: صحيفة النهار اللبنانية – ٥/١١/ ٢٠٠٤.

خامِسًــا : ضَرُورَةُ تَخَلِّي الحكوماتِ عَنْ مُلاحَقَةِ التَّيَّاراتِ الإسْلامِيّةِ الوَسَطِيَّةِ لإمكانِ ضَخّ الفِكْرِ الإسْلامِيِّ الصَّحِيحِ فِي شَرايينِ الحَياةِ داخِلِ المُجْتَمَعاتِ الإسلامِيَّة؛ فالحقيقة، أنَّ تصفيةَ الحِساباتِ السِّياسِيّةِ مَعَ الإسْلامِيِّين أو غيرهم لا يَنْبَغِي أنْ تكونَ عَلَى حِسابِ الإسلامِ وَتَجْفِيفِ مَنابِعِ الفِكْرِ الإسْلامِيّ الصَّحِيحِ... بِحُجَجِ تَضْيِّيقِ الخِناقِ عَلَى التَّطَرُّف وَالإرهاب.. لا.. لا.. هَذِهِ مُقامَرَةٌ رَخِيصَةٌ.. ﴿.. **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلا إِنَّ للهَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللهُّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ النور/ ٦٣-٦٤.

سادِسًــا : ضَرُورَةُ تَقْدِيرِ وَضْعِيَّةِ المُسْلِمِينَ فِي الغَرْبِ كَأَقَلِّياتٍ وَجالِياتٍ... وَانا هُنا لا أدْعُو إِلَى التَّرَخُّصِ فِي مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، بَلْ أنْشُدُ تَقْدِيرًا فِقْهِيًّا خاصًّا فِي ضَوءِ الاعْتِباراتِ المُرَجِّحَةِ لِمسالَةٍ عَلَى أُخْرَى فِي إطارِ المَصْلَحِةِ الإسْلامِيَّةِ العُلْيا... بَعِيدًا عَنِ الانْفِعالاتِ وَالمُزايَداتِ العالمَانِيَّةِ الَّتِي لا تَقَعُ مِنَ الشَّرْعِ مَوْقِعَ الاعْتِبارِ العَمَلِيِّ؛

فـمَثَلاً، أثارَ قانُونُ الحِجابِ الفِرَنْسِيُّ الشَّهِيرُ ضَجَّةً كُبْرَى فِي الأوْساطِ الإسْلامِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ، وَحَمَلَ المُعارِضُونَ لِلقانُونِ الرَّئِيسَ الفِرَنْسِيَّ « شِيراك» عَلَى التَّراجُعِ عَنْ إصْدارِ القانُون. لكِنَّ هَذا لم يَمْنَعْ مِنْ وُجُودِ حَقِيقَةٍ هامَّةٍ، وَهِيَ : أنَّ هُناكَ ٦٨٪ مِنَ الفِرَنْسِيِّينَ يُؤَيِّدُونَ صُدُورَ هَذا القانُونِ، وإنَّ عَدَمَ تَلْبِيَةِ رَغْبَتِهِمُ سَتَدْفَعَهُمُ بِالضَّرُورَةِ إِلَى الاحْتِشادِ فِي جَبْهَةِ اليَمِينِ الفِرَنْسِيِّ المُتَطَرِّفِ، الَّذِي يَقُودُ

حَمْلةً مَحْمُومَةً لإثارَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» بَيْنَ الفِرَنْسِيِّينَ، بِدَعْوَى « أَنَّ المُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ رَدَّهُمْ شارل مارتل سَنَةَ ٧٣٢م عَلَى أعقابِهِمْ فِي مَوْقِعَةِ « بواتيه» قَدْ عادُوا اليَوْمَ لِغَزْوِ فِرَنْسا مِنَ الدّاخِلِ بِتَواطُؤِ اليَمِينِ الدِّيمُقراطِيِّ»[٢٤٢]. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ لَمْ نَسْمعْ صَوْتًا لِمَجْمَعٍ فِقْهِيٍّ أَصْدَرَ بَيانًا يُوَضِّحُ فِيهِ أَهَمِّيَّةَ الحِجابِ مِنَ النَّاحِيَةِ الإِسْلامِيَّةِ أو مِنَ النّاحِيَةِ الخُلُقِيَّةِ أو الحَضارِيَّةِ أو حَتَّى الحُقُوقِيَّةِ... بل لَمْ نَسْمَعْ رَأْيًا يُفَصِّلُ الحُكْمَ الشَّرْعِيَّ المُعالِجِ لِلْمَسْأَلَةِ مِنْ حَيْثُ: مَدَى مَشْرُوعِيَّةِ ارْتِداءِ المَرأَةِ المُسْلِمَةِ في الغَرْبِ الحِجابَ دُونَ غِطاءِ الوَجْهِ؟!.

سابِعًــا : تَدْشِينُ آلِيَّةٍ إعلامِيَّةٍ مُضادَّةٍ.. تَعْمَلُ عَلَى التَّرْوِيجِ لما يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ « الغرب فوبيا West Phobia » أو « أمريكا فوبيا amirka phobia»؛! وَذَلِكَ لإمكان وَضْعِ الأمُورِ العالَمِيَّةِ فِي نِصابِها الصَّحِيحِ، وتِبْيَانِ مَنْ هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَخْشَى مِنْهُ العالَمُ المُسْتَضْعَفُ..؟! ذَلِكَ العالَمُ الذِي بات بِرِمَّتِهِ ينْظُرُ إِلَى الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ وَالغَرْبِ نَظْرَةَ عَداءٍ وكَراهِيَةٍ... حَيْثُ صارَتْ القُوَّةُ الهائِلَةُ بِيَدِ جَماعَةٍ تَنكَّرَتْ لِنِداءَاتِ العقل.. وَراحتْ تَضْرِبُ فِي كُلِّ اتِّجاه دُون النَّظَرِ إِلَى العَواقبِ وَالآثارِ الوَخِيمةِ... الَّتي أَضَرَّتْ بالإنسان.. وَأَضَرَّتْ بِالبِيئةِ وَبِالكُونِ وَالحَياةِ... بَلْ أَضَرَّتْ بِالتُّراثِ العالَمِيِّ وَالحَضارِيّ الإِنْسانِيِّ...!

ثامِنًــا : ضَرُورَةُ ألاَّ يَقْتَصِرَ دَوْرُ المَرَاكِزِ وَالمُنَظَّماتِ الإِسْلامِيَّةِ القائِمَةِ فِي الغَرْبِ عَلَى خِدْمَةِ الجالِياتِ المُسْلِمَةِ، وَخِدْمَةِ قَضاياها ذاتَ

---

٢٤٢) - نقلاً عن : صحيفة الحوار المتمدن - العدد: ٦٩٤ – ٢٦/١٢/ ٢٠٠٣.

الخُصُوصِيَّةِ الاجْتِماعِيَّةِ فَحَسْب، بَلْ يَنْبَغِي أنْ يَتَجاوَزَ هَذا الدَّوْرُ تَلْكَ الحُدُودَ الضَّيِّقَةَ وُصُولاً إلَى مَدِّ جُسُورِ الحُوارِ وَالتَّواصُلِ مَعَ التَّنْظِيماتِ الحُكُومِيَّةِ وَالأَهْلِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَغَيْرِها مِنَ الكَياناتِ لإرْساءِ قاعِدَةٍ مِنَ التَّعاوُنِ وَالتَّفاهُمِ البَنَّاءِ!... حَيْثُ إنَّ الحاجَةَ الآنَ تَدْعُو إلَى العَمَلِ المُشْتَرَكِ مِنْ أَجْلِ تَجاوُزِ النَّظْرَةِ السَّلْبِيَّةِ المُوَجَّهَةِ ضِدَّ المُسْلِمِينَ، وَالَّتِي صَنَعَتْها بَعْضُ الدَّوائِرِ الإعْلامِيَّةِ وَالسِّياسِيَّةِ المُغْرِضَةِ[٢٤٣].

ثُمَّ إنَّ ارْتِكازَ نَشاطِ الجالياتِ الإسْلامِيّةِ فِي الغَرْبِ عَلَى خَلْفِيَّةِ القِيَمِ وَالرصيدِ الحَضارِيِّ الإصْلاحِيِّ الضَّخْمِ... يُمْكِنُ أنْ يَمُدَّها بِأسْبابِ التَّواصُلِ مَع المُجْتَمَعاتِ غَيْرِ الإسْلامِيّة الَّتِي تَتَعايَشَ مَعَها بِمُخْتَلَفِ شَرائحِها- وَبِغَيْرِ مُضاعَفاتٍ سَلْبِيَّةٍ أو مُشكِلات أو آثارٍ جانِبِيَّةٍ ضَارَّةٍ؛! فَعَلَى المُسْتَوَى الإنْسانِيِّ، يُعْتَبَرُ التَّسامُحُ الحَضاريُّ بِمَثابةِ القاعِدَةِ العامّةِ الَّتِي يَبْنِي عَلَيْها المُسْلِمُونَ عَلاقاتِهِم بِغَيْرِهِم، وَهُوَ تَسامُحٌ يَنْطَلِقُ مِنَ الإيمانِ بِوَحْدَةِ الأَصْلِ الإنْسانِيّ، وَبِالقِيَمِ وَالمُثُلِ العُلْيا الَّتِي يَدِينُ بِها البَشَرُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ عُصور التّاريخ، وهي قيمُ الحَقِّ وَالعَدْلِ وَالخَيْرِ وَالبرِّ وَالمَعْرُوف وَالفَضِيلَةِ وَالعِفَّةِ وَالصِّدْقِ وَالأمانة وَالاستِقامَةِ وَالشَّجاعَةِ وَالمُرُوءَةِ ونَجْدَةِ المستغِيثِ ونُصْرَةِ المَظْلُوم...الخ؛

٢٤٣) من تصريح لرئيس رابطة العالم الإسلامي : عبد الله التركي- انظر: العدد: ١٨٥٠- جريدة العالم الإسلامي- السعودية- الاثنين ٢ جمادى الثانية ١٤٢٥هـ.

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ عَلَى مُسْتَوى تَبادُلِ المَصالِحِ وَالمَنافِعِ وَالتَّعايُشِ بِمَفْهُومِهِ الشّامِلِ العَمِيقِ، فإِنَّ المُنْتَسِبِين لِدِينِهِمُ الحَقِّ، يَعْلَمُونَ جَيِّدًا أَنَّ العَمَلَ وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ العِبادَةِ، وأَنَّ السَّعْيَ فِي الأَرْضِ تكليفٌ ربّانِيٌّ لِلإِنْسانِ، وأَنَّ نَفْعَ العِبادِ مَقْصِدٌ شَرِيفٌ مِنْ مَقاصِدِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وأَنَّ دَرْءَ المَفاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ المَنافِعِ، وأَنَّ التَّعاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَالخَيْرِ وَالمَصْلَحَةِ العامَّةِ : فَرِيضَةٌ دِينِيَّةٌ، وأَنَّ اكْتِسابَ القُوَّةِ وَتَحْقِيقَ الرُّقِيِّ وَصُنْعَ التَّقَدُّمِ وَالتَّفَوُّقِ فِي العِلْمِ وَالتَّعَمُّقِ فِي المَعْرِفَةِ : هُوَ مِنْ مُقْتَضَياتِ الحَياةِ الكَرِيمةِ الَّتِي يَنْشُدُها الإنسانُ السَّوِيُّ فِي كُلِّ مَكانٍ وزَمان.

تاسِعًا : ضَرُورَةُ إقامَةِ حِوارٍ مَعَ الآخَرِ، لإمكانِ الوُصولِ إِلَيْهِ بِصورَتِنا الحَضارِيَّةِ الأَصيلَةِ المُجَرَّدَةِ، فَلَعَلَّ « الحوارَ مَعَ الآخَرِ وَالإقدامَ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ عَنْ قُوَّةِ الإِيمانِ الَّذِي يَتَحلَّى بِهِ المُسْلِمُ، وَثِقَتِهِ بِدينِهِ وَنَفْسِهِ، خاصَّةً إذا عَلِمْنا أَنَّ الإِسلامَ سادَ وانْتَشَرَ فِي العالَمِ بِقُوَّةِ الحُجَّةِ وجِدِّيَّةِ الحُوارِ وَالجِدالِ بِالتِي هِيَ أحسن مَعَ الآخَرِ؛ فَالإِنسانُ يَمِيلُ بِفِطْرَتِهِ نَحْوَ الحَقِّ وَالجَمالِ، ويُحِبُّ العَدْلَ وَالحُرِّيَّةَ وَالأخلاقَ الحَمِيدَةَ... وَهَذا مِمَّا يُبَشِّرُ بِهِ الإِسْلامُ : إِنَّما هُوَ ثَوابِتَ عَقَدِيَّةٌ وَحَضارِيَّةٌ كَما أَنَّهُ حَقائِقُ عَمَلِيَّةٌ سَواءً بِسَواء؛ فَلابُدَّ مِنْ تَجاوُزِ عُقْدَةِ الخَوْفِ الَّتِي حَوَّلَتْ مُجْتَمَعاتِنا إِلَى أَنْساقٍ مُسْتَغْلِقَةٍ عَلَى الآخَرِ بِشَكْلٍ قَدْ كَرَّسَ مِنْ شُكُوكِهِ وَمَخاوِفِهِ تُجاهَ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ بِالجُمْلَةِ.! إِنَّ « التَّحَرُّرَ مِنْ

الخَوْفِ هُوَ : الطَّرِيقُ لِقُوَّةِ العَقْلِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مُواجَهَةِ الآخَرِ بِإيجابِيَّةٍ وإقناع؛ فَالعَقْلُ إنَّما يَتَحَرَّرُ تَمامًا عِنْدَما يَتَجاوَزُ عَتَبَةَ الخَوْفِ»[٢٤٤].

عاشِـرًا : إذا صَحَّ اعْتِقادُنا بِأنَّنا مَعْنِيُّونَ بِهِدايَةِ العالَمِ إلَى سَواءِ السَّبِيلِ، وَالأخْذِ بِيَدَيْهِ إلَى اللهِ الحَقِّ ﷻ، وَأنَّ تَحْرِيرَ الإنْسانِ كُلِّ الإنْسانِ مِنْ أنانِيَّتِهِ إلَى آفاقٍ إنْسانِيَّةٍ وَأخْلاقِيَّةٍ أرْحَبَ، فإنَّ عَلَينا واجِباتٍ دَعْوِيَّةً تُحَتِّمُ عَلَيْنا التَنَبُّهَ إلَى أهَمِّيَّةِ نَبْذِ الثَّقافَةِ المُخادِعَةِ الَّتِي تَجْتَرُّنا تَحْتَ ضَغْطِ ظُرُوفٍ نَفْسِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ إلَى إعادَةِ إنتاجِ ظاهِرَةِ الجِيتُو اليَهُودِيِّ فِي المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّة، فَنَقْضِي عَلَى أنْفُسِنا بِأنفسِنا..! فَلَقَدْ عَلَّمَنا الإسْلامُ الانْفِتاحَ بِلا تَسَيُّبٍ وَالانْدِماجَ بِلا انْفِراطٍ، وَالحوارَ مَعَ الآخَرِ فِي إطارِ الثَّوابِتِ الإيمانِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ... الَّتِي تَحْفَظَهُ وَإيّانا مِنْ تَجاوُزِ أُصُولِ وَأعْرافِ وَحُدُودِ التَّعامُلِ القائمِ عَلَى الفَهْمِ وَالتَّقْدِيرِ والاحْتِرامِ المُتَبادَلِ بَيْنَنا وَبَيْنَ غَيْرِنا...

حادِي عَشَـر : إيجادُ المُؤَسَّساتِ الثَّقافية الَّتِي تَعْمَلُ حَقًّا عَلَى صِياغَةِ الوَعْيِ الإسْلامِيِّ النّاضِجِ- المُؤَسَّساتِ الَّتِي تُرَبِّي الإنْسانَ المُسْلِمَ عَلَى مَبْدأ التَّسامُحِ العَمِيقِ، وَتُغَذِّي الأجْيالَ بِحُبِّ الوَطَنِ، وَتُمَكِّنُ أبْناءَها مِنَ اللُّغَةِ الأُمِّ، وَتُطْلِعُهُمْ عَلَى تارِيخِنا، خاصَّةً فِي مَجالِ الإنْجازاتِ الحَضارِيَّةِ الَّتِي كانَ لَها الأثَرُ الكَبِيرُ عَلَى نَهْضَةِ أُورُبّا وَالغَرْبِ، وَلَكِنْ بِدُونِ مُبالَغَةٍ وإسفافٍ، مَعَ الإشارَةِ المُرَكَّزَةِ إلَى تاريخِ الشُّعُوبِ الأُخْرَى، وبَيانِ نِقاطِ الإشْراقِ فِي تارِيخِ هَذِهِ الشُّعُوبِ، لِكَي نَخْرُجَ بِحَصِيلَةٍ تارِيخِيَّةٍ عالَمِيَّةٍ تُساعِدُنا عَلَى

---

٢٤٤) محمد رضا محرم- تحديث العقل السِّياسِيِّ الإسلامي- مرجع سابق- ص١١٦.

مُواجَهَةِ التَّحَدِّياتِ، وتُمَكِّنُنا مِنْ فَهْمِ الآخَرِ مِنْ مَنْظُورٍ إيجابِيٍّ.. يَسْمَحُ بِالتَّكامُلِ الَّذِي مِنْ شَأنِهِ أنَّ يَصْنَعَ مُجْتَمَعًا إنسانِيًّا حَيًّا يَعِيشُ بِقِيَمِ الإسْلامِ- وَإنْ لم يَدِنْ بِهِ..!

ثاني عَشَر: يَنْبَغِي التَّوْكِيدُ عَلَى أنَّ الحِفاظَ عَلَى الهُوَيَّةِ الإسلامِيَّةِ لا يَتِمُّ مِنْ خِلالِ العُزْلَةِ؛ فَقَدْ يَتَسَبَّبُ ذَلِكَ فِي مَزِيدٍ مِنَ العُقَدِ النَّفْسِيَّة الَّتِي تَخلِقُ التَّعَصُّب.. وَتُكَرِّسُ الانْغِلاقِ، وَتَقْتُلُ كُلَّ فُرْصَةٍ لأرْيَحِيَّةِ العَمَلِ الدَّعْوِيِّ الرَّشِيدِ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ؛ فَإنَّ الحِفاظَ عَلَى الهُوَيَّةِ يَتِمُّ مِنْ خِلالِ إيجادِ صِيغَةٍ لِلشَّراكَةِ الاجْتِماعِيَّةِ مَعَ المُجْتَمَعاتِ الغَرْبِيَّةِ تَتَّسِقُ مَعَ رُوحِ الشَّرْعِ وَمَقاصِدِهِ الحَضارِيَّةِ وَتَوَجُّهاتِهِ العالَمِيَّةِ... لأنَّ هَذِهِ الشَّراكَةَ بِقَدْرِ ما تُتِيحُ فُرْصَةَ مَعْرِفَةِ الآخَرِ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ وَواعِيَةٍ... فَإنَّها تُتِيحُ كَذَلِكَ فُرْصَةَ اكْتِشافِ الذَّاتِ؛ وَبِالتَّالِي اكْتِشافُ الهُوَيَّةِ كَقِيمَةٍ وَتَعْرِيفُ وَتَحْدِيدُ دَقِيقٍ عَلَى خَرِيطَةِ الوَعْيِ الإسْلامِيِّ بِقَضِيَّةِ الاسْتِخْلافِ وَوَظائِفِهِ الإيمانِيَّةِ وَمَسْئولِيَّاتِهِ الحَضارِيَّةِ فِي هَذا الوُجُودِ...! فالحَقِيقَةُ، أنَّ « اكْتِشافَ الهُوَيَّةِ يَحْتاجُ إلَى الوَسَطِ المُتَنَوِّعِ أكثر مِمّا يحتاج إلَى الوَسَطِ المُتَجانِسِ، مِنْ هُنا نُشَدِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ التَّواصِلِ مَعَ الآخَرِ، وَذَلِكَ مَهْما كانَ دِينُهُ وَلَوْنُهُ وأيديولوجِيَّتُهُ»[٢٤٥].

ثالِثُ عَشَر: ضَرُورَةُ التَّرْكِيزِ عَلَى إنْماءِ وتَمَيُّزِ الجالِياتِ المُسْلِمَةِ فِي وُجودِها الإسلامِيِّ العِلْمِيِّ أو التِّقَنِيِّ أو التَّخَصُّصِيِّ الدَّقِيقِ... الَّذِي يَعْطِفُ

---

٢٤٥) غالِب حَسَن- الأقليات المسلِمة فِي الغَرْبِ مِن العزلة إلَى الاندماج- نقلاً عن: 209.61.210.137/uofislam/behoth/ - بتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

نَحْوَهُ اهْتِمامَ الغربيِّينَ بِصُورَةٍ إيجابِيَّةٍ تَرْبِطُ تَفَوُّقَ هَذِهِ الجاليَّاتِ بِعَقِيدَتِها، فَتَتَلاشَى شَيئًا فَشَيئًا الانْطِباعاتُ الغربيةُ الخاطِئَةُ عَنِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِين.

رابِــعُ عَشَر: ثُمَّ إنَّنا إذا كُنَّا مُطالَبِين داخِلِيًّا وخارِجِيًّا بِتَصْحِيحِ صورَتِنا بِلا قَرِينَةِ إدانَة..؟! فإنَّا نُطالِب الغَرْبَ أيْضًا بِتَصْحِيحِ صورَتِهِ وَمَواقِفِهِ.. وَتَحْسِينِ سيرَتِهِ وَالتَّكْفيرِ عَن خَطاياهُ وَفَظائعه وَبشائعِهِ التَّارِيخِيَّةِ فِي حَقِّ الإسلامِ وَالعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ!... وَالاعْتِذارِ عَمَّا ارتَكَبهُ فِي حَقِّنا مِنْ حُرُوبٍ صَلِيبِيَّةٍ وَاسْتِعْمارٍ وَعُدْوانٍ عَلَى الأوطانِ وَالحُرْماتِ وَالْمُمْتَلَكاتِ... وَلَمْ يَزَل شَغَبُهُ وَاقِعًا وَلَمْ تَهْدَأ وَتيرَةُ إرْهابهِ فِي كُلٍّ منَ العِراقِ وأفْغانِستانِ وَفِلَسْطِينَ وَلُبنانَ وَالسُّودانِ وِلإي مَنْطَقةِ القَرْنِ الإفْرِيقِيِّ حَتَّى كِتابَةِ هَذِهِ السُّطُورِ.!

خامِــسُ عَشَر: ضَرُورَةُ تَدْشِينُ مَرْصَدٍ لِظاهِرَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا»، لِدِراسَتِها وَتَحْلِيلِها وَتَتَبُّعِ تَطَوُّراتِها وتَقْيِيمها وَالعَمَلِ عَلَى إنشاءِ آلِيَّةٍ قَضائيةٍ دَولِيَّةٍ ضِمْنَ فَعالِيَّاتِ الْمُنظَّمَةِ الدِّوَلِيَّةِ للأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ.. تُخَوِّلُ مُلاحَقَةَ مُرَوِّجِي «الإسْلامِ فُوبْيا»، وَمُحاكَمَتَهم وإنزالَ بهم ما يُناسِب هَذِهِ الجَرِيمَةَ مِنَ العِقابِ المادِّي وَالأدَبِيّ!... فَلَيسَت أُكْذُوبَةُ الهُولُوكُست، وَلا ذرئعِيّاتُ ما يُسَمَّى بِمُعاداةِ السَّامِيَّةِ أغلَى مِنْ سُمْعَةِ الإسلامِ أو أشرفَ مِنْ مَقامِ النَّبِيِّ الخاتَمِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ.! وَحَتَّى عَلَى الأقَلّ يُمْكِنُنا مُواجَهَةِ النِّفاقِ السِّياسِي وَالْمُجاملاتِ الفارِغَةِ الَّتِي يُمارِسُها قادَةُ وَزُعَماءُ الغَرْبِ مَعَ العَرْبِ وَالْمُسْلِمِينَ لِلإفْلاتِ مِنَ الإحْراجِ الصُّحُفِيِّ،! فَبَيْنَما يُصَرِّحُ الرَّئيسُ الفِرَنْسِيُّ « شيراك» بِأنَّ «الإِسْلامَ

فُوبْيا» أَمْرٌ مَرفُوضٌ، وَيَجِبُ مُحارَبَتُها بِكُلِّ الوَسائلِ الفِكْرِيَّةِ وَالقانُونِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ. وَلِحُسْنِ الحَظِّ أَنَّها مِنْ خُصُوصِيَّةِ أَقَلِّيَّةٍ مِنَ النّاسِ، وَلَنْ تَجِدُونِي مُطْلَقًا بَيْنَ هَذِهِ الاقَلِّيَّةِ»(٢٤٦)، نَراهُ هُوَ الَّذِي يُبْدِي مُوقِفًا أَكْثَرَ تَشَدُّدًا إزاءَ قَضِيَّةِ الحِجابِ باعْتِبارِهِ خَطَرًا عَلَى عَالَمَانِيَّةِ فِرَنْسا...! كَذَلِكَ، « بَلْ كِلِنْتُون» الرَّئِيسُ الأَمْرِيكيُّ الأَسبَقُ، الَّذِي يُسْتَقْبَلُ بِالحَفاوَةِ وَالاحْتِرامِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّبْجِيل كُلَّما حَلَّ ضَيفًا عَلينا...! نَجِدْهُ فِي أَحَدِ كُتُبِهِ يَصِفُ مَحَطَّةَ « هارلم» لِلسِّكَكِ الحَدِيدِيَّةِ فِي مَدِينَةِ نِيُويُورك بِأَنَّها قَدْ « تَحَوَّلَتْ مَعَ الوَقْتِ إِلَى « مَكَّةَ» يَحُجُّ إِلَيْها المُتَعامِلُونَ بِالمُخَدِّراتِ، وَرِجالُ العِصاباتِ، وَالمُجْرِمُونَ مِنْ جَمِيعِ الأَنواعِ»(٢٤٧). وَفِي أخِرِ أَيْلُولِ ٢٠٠٥م، عِنْدَما نُشِرَ اثْنَي عَشَرَ رسمًا فِي الصَّحِيفَةِ الدَّانماركِيَّةِ المُشارِ إِلَيْها سابِقًا، حَيْثُ احْتَوى أَحَدُها عَلَى صُورَةٍ لِلنَّبِيِّ الكَرِيمِ وَالرَّسُولِ الخَاتَمِ مُحَمَّدٍ عليه السلام مُرْتَدِيًا عِمامةً عَلَى شَكْلِ قُنْبُلَةٍ.... ثُمَّ نَجِدُ المُسْتَشارَ النَّمْساوِيَّ يُدِينُ بِشَكْلٍ صَرِيحٍ مُلْصَقاتٍ تُصَوِّرُ الرَّئِيسَيْنِ الأَمْرِيكِيَّ « جورج بوش» وَالفِرَنْسِيَّ « جاك شيراك» ومَلِكَةَ بَرِيطانيا « إليزابيث الثانيَةَ» فِي وَضْعٍ جِنْسِيٍّ.!

سادِسُ عَشَرَ: ضَرُورَةُ تَشْكِيلِ مُؤَسَّساتٍ ذاتَ صِبْغَةٍ قانُونِيَّةٍ تُمَثِّلُ فِي مَجْمُوعِها التَّنْظِيمِيِّ أَدَواتَ ضَغْطٍ سِياسِيٍّ واجْتِماعِيٍّ مُنَظَّمٍ وَفاعِلٍ، وَمُراعاةُ أَنْ تَكُونَ الجالِياتُ الإسلامِيَّةُ فِي الغَرْبِ ذاتَ شأنٍ مِنَ النَّواحِي العِلْمِيَّةِ

٢٤٦) نقلاً عن : جريدَةُ الرِّياض السعودِيَّة- العدد : ١٣٠٩٧- الجمعة ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

٢٤٧) بل كلينتون- بَيْنَ الأمل والتاريخ فِي مواجهة التحديات الأمريكية للقرن الحادي والعشرين- ت : محمد جميل قصاص- 1997 - ص ١٠٤- نقلاً عَنْ : عَبد المعطي الدّلاتِي- إذا تَحَضَّرَ الصَّلِيبِيُّون- www.saaid.net/arabic/ar109.htm

وَالتِّقَنِيَّةِ... وَأنْ يَكُونَ هَذا التَّواجُدُ نَوعِيًّا لا طُفَيْلِيًّا!.. كَي يَدْعَمَ مَسِيرَةَ الدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ، وَيُعَمِّقَ مِنْ تأثِيرِ الرُّوحِ الحَضارِيَّةِ الإسلامِيَّةِ الأصِيلَةِ داخِلَ المُجْتَمعاتِ الغَرْبِيَّةِ!.

سابِـعُ عَشَر: ضَرُورَةُ اتِّخاذِ مَوقِفٍ عَرَبِيٍّ وَإسْلامِيٍّ إيجابِيٍّ يَدْعَمُ الوُجودَ المُتَمَيِّزَ لِلأقَلِّياتِ المُسْلِمَةِ فِي الغَرْبِ. فَقَدْ كانَتْ الدَّانْمارِكُ بِصَدَدِ إصْدارِ « تَشْرِيعاتٍ يحَظْرِ القُرآنِ فِي الدَّانْمارِكِ... أضِفْ إلَى ذَلِكَ : التَّأكِيدَ عَلَى رَفْضِ وُجُودِ مَسْجِدٍ لِلمُسْلِمِينَ؛ وكانَ الحِزْبُ النَّازِيُّ في الدَّانْمارِكِ قَدْ تَحَضَّرَ لِمُظاهَرَةٍ سَيُحْرَقُ فِيها القُرآنُ الكَرِيمُ مَعَ حَرْقِ العَلَمِ السُّعُودِيِّ الَّذِي يَحْمِلُ شَعارَ التَّوحِيدِ»[٢٤٨]!... وَلَكِنَّ رَدَّةَ فِعْلِ الشَّارِعِ العَرَبِيِّ وَالإسْلامِيِّ وَالمُقاطَعَةَ الشَّعْبِيَّةَ فَضْلاً عَنْ سَحْبِ السَّفِيرِ السُّعُودِيِّ فِي «كُوبِنْهاجِن»: قَدْ حالَتْ دُونَ حُدُوثِ شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ... ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ المائدة/ ١١٨.

ثامِـنُ عَشَر: ضَرُورَةُ تَحَرُّكِ مُؤَسَّساتِ المُجْتَمَعِ الأهْلِيِّ في بِلادِ العَرُوبَةِ وَالإسلامِ، كَالنِّقاباتِ المِهْنِيَّةِ لِلْمُحامِينَ وَالمُهَنْدِسِينَ وَالأطِبّاءِ وَالإعْلامِيِّينَ وَغَيْرِها مِنَ الاتِّحاداتِ اللاإقْلِيمِيَّةِ، وَالتَّواصُلِ مَعَهُمْ بِشَرْحِ رِسالَةِ الإسلامِ وَحَقِيقَةِ مَوْقِفشها مِنَ الآخَرِ، وَإرْسالِ مُذَكِّراتِ احتِجاجٍ إلى نُظَرائِهِمْ فِي الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ لِلتَّبْصِيرِ بِخُطُورَةِ « الإسْلامِ فُوبيا»!.

---

٢٤٨) ناصر السهلي- سطحية التعامل مع عقلنا... مرة أخرى وتلك الرسوم المشينة- http://www.amin.org/look- ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٦ .

الفَصْلُ الرابــع

وَشَـهِـدَ شـاهِدٌ مِنْ أَهْلِهِـم

لَئِنْ كانَ حُبُّنا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ قد مَلَكَ عَلَينا قُلُوبَنا وَجَوارِحَنا وَنالَ مِنْ مَشاعِرِنا وَأَحاسِيسِنا كُلَّ مَنالٍ فاتَّبَعْناهُ وَمَضَيْنا بِهَدْيِهِ وَسِرْنا بِسِيرَتِهِ وَعَرِفنا بِهِ اللهَ ﷻ وَوَحَدْناهُ.. ثُمَّ دَعَونا بِدَعْوَتِهِ وَفاءً لَهُ وَعِرْفانًا بِجَمِيلِ نُبُوَّتِهِ فِينا وَحَمْلِهِ رِسالَةَ اللهِ إِلَينا فَأَخْرَجَنا بِها مِنَ الظُّلُماتِ النُّورِ... كُلُّ ذَلِكَ أَمْرٌ لا غَرابَةَ فِيهِ بِمُقْتَضَى إِيمانِنا بِهِ ﷺ. وَلَكِنَّ الآخَرِينَ مِنْ غَيْرِ المُسْلِمِينَ لا يُشاطِرُونَا هَذا الاعْتِقادِ أو التَّوَجُّهَ الإِيمانِيِّ... إِمَّا عِنادًا وَمُكابَرَةً وَاتِّباعًا لأَهْوائِهِمُ، وَإِمَّا حَماقَةً وَحِقْدًا وَحَسَدًا... وَإِمَّا جَهْلاً وَكَسَلاً وَتَراخِيًا عَنِ الْتِماسِ الحَقِّ- والحَقُّ أَبْلَجُ!، وَإِمَّا خَوْفًا مِنْ ذَهابِ الجاهِ وَالمَجْدِ وَالسُّلْطانِ... إلاَّ قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ مِنْهُمُ: قد أَبَى اللهُ ﷻ إِلاَّ أَنْ تُقِرَّ بِهَذا الحَقِّ لِلحَدِّ مِنْ أوهامِ الواهِمِينَ وَأَباطِيلِ المُبْطِلِينَ وَأَراجِيفِ المُرْجِفِينَ وَخَوْفِ الخائِفِينَ وَتَرَدُّدِ المُتَرَدِّدِينَ!...

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الإِسْلامَ وَرَسُولَهُ لَيْسا بِحاجَةٍ لِتَأْكِيدِ جَدارَتِهِما وَقُدْسِيَّتِهِما وَاسْتِحْقاقِهِما النُّبُوَّةِ مِنْ أَحَدٍ سِوَى اللهِ ﷻ!. بَيْدَ أَنَّنا سَنَعْرِضُ فِي هَذا السِّياقِ لِمَجْمُوعَةٍ مِنْ شَهاداتِ غَيْرِ المُسْلِمِينَ لِمَنْ شاءَ الاسْتِئْناسِ أو لِمَنْ تُعْجِبُهُمُ رُؤْيَةُ الحَقِّ تَنْطَلِقُ بِهِ أَلْسِنَةُ المُنْصِفِينَ أو الَّذِينَ شاءَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ بِهِمُ

أَحَدَ وُجُوهِ هَذا الحَقِّ رَغْمَ كَوْنِهِمْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ!... مُتَّسِقِينَ فِي ذَلِكَ مَعَ قَوْلِ اللهِ ﷻ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ : ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ يُوسُف/ ٢٦.

وَإِنَّنا مِنْ مُنْطَلَقِ إِيمانِنا بِأَنَّ الآخَرين لا يُمْكِن أَنْ يُحْشَروا فِي سَلَّةٍ واحِدَةٍ، تأسِيسًا عَلَى التَّصَوُّر الإِيمانِيِّ لِطَبِيعَةِ المُعامَلَةِ مَعَ الآخَرِ الكِتابِيِّ غَيْرِ المُسْلِمِ، وَالَّتِي وَصَّفَها الوَحْيُ بقولِهِ : ﴿**لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ آل عِمران / ١١٢ – ١١٥.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ فِي الحُسْبانِ المُسْلِمِ : أَنَّ هَذِهِ المَقُولاتِ أو الشَّهاداتِ هِيَ : مَحْضُ وُجْهاتِ نَظَرٍ غَرْبِيَّةٍ، قَدْ تُخْطِؤها التَّعبِيراتُ الدَّقِيقَةُ فِي سِياقِ وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ أو فِي تَوصِيفِ الإِسلامِ وَالظَّاهِرَةِ الإِسْلامِيَّةِ بِوَجْهٍ عامٍّ؛ وَلَقَدْ آثَرْتُ أَنْ أُؤَخِّرَ هَذِهِ الإِحالاتِ لِتَكْرِيسِ قَناعَةِ كُلِّ مُنْصِفٍ بِأَنَّ ما نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنَ « الخُوافِ الإِسلامِيِّ Islam phobia» إِنَّما هُوَ : مَحْضُ وَهْمٍ وَهُراءٍ وَافْتِراءٍ واجْتِراءٍ...!

يَقُولُ المَهاتما غانْدِي : « أَردتُّ أَنْ أَعْرِفَ صِفاتَ الرَّجُلِ الَّذِي يَمْلُكُ بِدُونِ نِزاعٍ قُلُوبَ مَلايِينِ البَشَرِ.. لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُقْتَنِعًا كُلَّ الاقْتِناعِ أَنَّ السَّيْفَ لَمْ يَكُنْ الوَسِيلَةَ الَّتِي مِنْ خِلالِها اكْتَسَبَ الإِسْلامُ مَكانَتَهُ، بَلْ كانَ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ بَساطَةِ الرَّسُولِ مَعَ دِقَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِي الوُعُودِ، وَتَفانِيهِ وَإِخْلاصِهِ لأَصْدِقائِهِ وَأَتْباعِهِ، وَشَجاعَتِهِ مَعَ ثِقَتِهِ المُطْلَقَةِ فِي رَبِّهِ وَفِي رِسالَتِهِ. هَذِهِ

الصِّفاتِ هِيَ الَّتِي مَهَّدَتْ الطَّرِيقَ، وَتَخَطَّتْ المَصاعِبَ- وَلَيْسَ السَّيْفَ. بَعْدَ انْتِهائي مِنْ قِراءَةِ الجُزْءِ الثّانِي مِنْ حَياةِ الرَّسُولِ : وَجَدتُّ نَفْسِيَ أَسِفًا لِعَدَمِ وُجُودِ المَزِيدِ لِلتَّعَرُّفِ أَكْثَرَ عَلَى حَياتِهِ العَظِيمَةِ»(٢٤٩).

وَيَقُولُ الأَدِيبُ الرُّوسِيُّ « لِيُون تُولُسْتُوي» : « وَمِمّا لا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا كانَ مِنْ عِظامِ الرِّجالِ « المُصْلِحِينِ» الَّذِينَ خَدَمُوا المُجْتَمَعَ الإِنْسانِيَّ خِدْمَةً جَلِيلَةً، وَيَكْفِيهِ فَخْرًا أَنَّهُ هَدَى أُمَّةً بِرُمَّتِها إِلَى نُورِ الحَقِّ، وَجَعَلَها تَجْنَحُ لِلسَّكِينَةِ وَالسَّلامِ وَتُؤْثِرُ عِيشَةَ الزُّهْدِ، وَمَنَعَها مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ... وَفَتَحَ لَها طَرِيقَ الرُّقِيِّ وَالمَدَنِيَّةِ، وَهُوَ عَمَلٌ عَظِيمٌ لا يَقُومُ بِهِ إلاَّ شَخْصٌ أُوتِي قُوَّةً، وَرَجُلٌ مِثْلُ هَذا جَدِيرٌ بِالاحْتِرامِ وَالإِكْرامِ». وَفِي حَدِيثِهِ، يُجِيبُ « تُولُسْتُوي» عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خُطْبَةِ الوَداعِ بِقَوْلِهِ : « قَرَأْتُ بِشَغَفٍ خُطْبَتَكَ الَّتِي أَعْجَبَتْنِي لِلغايَةِ، وَها أَنَا أَتَعَجَّلُ الرَّدَّ مُعْلنًا سَعادَتِي الكَبِيرَةِ بِأَنْ تَكُونَ لِي عَلاقَةٌ مَعَ شَخْصٍ عَظِيمٍ مِثْلِكَ»(٢٥٠).

وَفِي سِياقِ تَعْدِيدِهِ لشَمائِلِ النَّبِيِّ ﷺ يَقولُ« تُولستُوي» : «إِنَّ حَياةَ مُحَمدٍ وَقوَّةَ أَمَلِهِ، وَإِنَّ تَفْكيرَهُ وَجِهادَهُ وَوَثْبَتَهُ عَلَى خُرافاتِ شَعْبِهِ وَخُزَعْبِلاتِ قَبِيلَتِهِ، وَإِنَّ شَجاعَتَهُ وَجُرْأَتَهُ وَبَأْسَهُ فِي لِقاءِ مَا لَقِيَهُ منْ عَبدَةِ الأَوْثانِ، وَإِنَّ ثَباتَهُ وَبَقاءَهُ ثَلاثَةَ عَشَرَ عاما يدْعُو بِدَعْوَتِهِ وَسطَ أَعْدائِهِ وَخُصُومِهِ فِي قَلْبِ مَكَّةَ وَنَوادِيها وَمَجامِعِ أَهْلِها... وَأَنَّ حُرُوبَهُ الَّتِي كانَتْ

---

٢٤٩) مِنْ حَدِيثٍ لَهُ مَعَ جَرِيدَةِ « ينج إنديا» عَنْ سَيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ - نَقْلاً عَنْ : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

٢٥٠) نَقْلاً عنْ :- www.aljazeera.net/NR/exeres/EF099418-B8E4-4AAC-8350-8565C825199E

جُيُوشُهُ فِيها أَقَلَّ نَفِيرًا مِنْ عَدُوِّهِ... وَأَنَّ أَنَّاتِهِ وَوَجْدَهُ حتَّى يُحرِزُ النَّصْرَ، وَأنّ تَطَلُّعهُ لإعْلاءِ كَلِمةِ اللهِ وَتَأسيسِ العَقِيدَةِ بَعِيدًا عَنْ إِنْشاءِ الإمْبرَاطُورِيَّةِ وَإِقامَةِ القَيْصَرِيَّةِ، وَأنّ نَجواهُ الَّتِي لا تَنْقَطعُ معَ اللهِ، وَأنّ قَبْضَ اللهِ إيّاهُ إلَى جِوارِهِ مَعَ نَجاحِ دِينِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ... كُلُّ أُولَئِكَ : أَدِلَّةٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَضْمُرُ خِداعًا أو يَعِيشُ عَلَى باطِلٍ أو ضَلالٍ»(٢٥١).

وَيُضِيفُ « تُولِستُوي» : « وَمِمّا لا رَيْبَ فِيهِ أنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا كانَ مِنْ عِظامِ الرِّجالِ « الْمُصْلِحِينِ» الَّذِينَ خَدَمُوا الْمُجْتَمَعَ الإنْسانِيَّ خِدْمَةً جَلِيلةً، وَيَكْفِيهِ فَخْرًا أَنَّهُ هَدَى أُمَّةً بِرُمَّتِها إلَى نُورِ الحَقِّ، وَجَعَلَها تَجْنَحُ لِلسَّكِينَةِ وَالسَّلامِ وَتُؤثِرُ عِيشَةَ الزُّهْدِ، وَمَنَعَها مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ... وَفَتَحَ لَها طَرِيقَ الرُّقِيِّ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَهُوَ عَمَلٌ عَظِيمٌ لا يَقُومُ بِهِ إلاَّ شَخْصٌ أُوتِيَ قُوَّةً ، وَرَجُلٌ مِثْلُ هَذا جَدِيرٌ بِالاحْتِرامِ وَالإكْرامِ». وَيَرَى« تُولِستُوي» أَنَّهُ قَدْ « نُسِبَ إلَى النَّبِيِّ أُمُورًا مُنْكَرَةً لَمْ تَخْطُرْ بِبالِهِ، وَمُنافِيَةً عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ لِرَوْحِ تَعالِيمِهِ وَمَبادِئِهِ»(٢٥٢).

وَيَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ الكَنَدِيُّ « زويمر» (١٨١٣- ١٩٠٠م) : « إنَّ مُحَمَّدًا كانَ وَلا شَكَّ مِنْ أَعْظَمِ القُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ الدِّينِيِّينَ، وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ القَوْلُ أَيْضًا بِأَنَّهُ كانَ مُصْلِحًا قَدِيرًا وَبَلِيغًا فَصِيحًا وَجَرِيئًا مِغْوارًا، وَمُفَكِّرًا عَظِيمًا، وَلا

---

٢٥١) نَقْلاً عَنْ :مَجَلَّةِ : مِنْبَرِ الإسلامِ- المِصْرِيَّةِ- عَدد أبْرِيل ١٩٧٣- ص ١٥.

٢٥٢) لِيُو تُولستُوي- حِكَمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ- ترجمة : سليم قبعين- مصرية للنشر والتوزيع- القاهرة- ١٩٨٧م- ص ١٠، ٥٧ وَما بَيْنَهُما.

يَجُوزُ أَنْ نَنْسِبَ إِلَيْهِ ما يُنافِي هَذِهِ الصِّفاتِ. وَهَذا قُرآنُهُ الَّذِي جاءَ بِهِ وَتارِيخُهُ يَشْهَدانِ بِصِحَّةِ هَذا الادِّعاءِ»[٢٥٣].

وَيُؤَكِّدُ الكاتِبُ وَالمُفَكِّرُ الإنجليزي « برناردشو» (١٨١٧-١٩٠٢م): «إنَّ العالَمَ أَحْوَجَ ما يَكُونُ إِلَى رَجُلٍ فِي تَفْكِيرِ مُحَمَّدٍ، هَذا النَّبِيُّ الَّذِي وَضَعَ دِينَهُ دائمًا مَوْضِعَ الاحْتِرامِ وَالإِجْلالِ، فَكانَ أَقْوَى دِينٍ عَلَى هَضْمِ جَمِيعِ المَدَنِيّاتِ، خالِدًا خُلُودَ الأَبَدِ؛ وَإِنِّي أَرَى كَثِيرًا مِنْ بَنِي قَوْمِي قَدْ دَخَلُوا هَذا الدِّينَ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَسَيَجِدُ هَذا الدِّينُ مَجالَهُ الفَسِيحَ فِي هَذِهِ القارَّةِ (يعني أورُوبّا). إنّ رِجالَ الدِّينِ فِي القُرُونِ الوُسْطَى، وَنَتِيجَةً لِلجَهْلِ أو التَّعَصُّبِ، قَدْ رَسَمُوا لِدِينِ مُحَمَّدٍ صُورَةً قاتِمَةً؛ لَقَدْ كانُوا يَعْتَبِرُونَهُ عَدُوًّا لِلمَسيحِيَّةِ، لَكِنَّنِي اطّلَعْتُ عَلَى أَمْرِ هَذا الرَّجُلِ، فَوَجَدتُّهُ أُعْجُوبَةً خارِقَةً، وَتَوَصَّلْتُ إِلَى أَنّه لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لِلمَسِيحِيَّةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُسَمَّى مُنْقِذَ البَشَرِيَّةِ. وَفِي رَأْيِي، أنّه لو تَوَلَّى أَمْرَ العالَمِ اليَوْمَ، لَوُفِّقَ فِي حَلِّ مُشْكلاتِنا بِما يُؤَمِّنَ السَّلامَ وَالسَّعادَةَ الَّتِي يَرْنُو البَشَرُ إِلَيْها»[٢٥٤].

وَيُحاوِلُ المُسْتَشْرِقُ الأَمْرِيكِيُّ « سنكس» (١٨٣١- ١٨٨٣م) : «ظَهَرَ مُحَمَّدٌ بَعْدَ المَسِيحِ بِخَمْسِمائةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةٍ، وَكانَتْ وَظِيفَتُهُ تَرْقِيَةَ عُقُولِ البَشَرِ، بِإِشْرابِها الأُصُولَ الأَوَّلِيَّةَ لِلأَخْلاقِ الفاضِلَةِ، وَبِإِرجاعِها إِلَى الاعْتِقادِ بِإِلَهٍ واحِدٍ، وَبِحَياةٍ بَعْدَ هَذِهِ الحَياةِ»... إِلَى أَنْ قَالَ : « إِنَّ الفِكْرَةَ الدِّينِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ أَحْدَثَتْ رُقِيًّا كَبيرًا جِدًّا فِي العالَمِ، وَخَلَّصَتْ العَقْلَ الإِنْسانِيَّ مِنْ قُيُودِهِ الثَّقِيلَةِ

---

٢٥٣) الدكتور زويمر- الشرق وعاداته- نَقْلاً عَنْ :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

٢٥٤) برنارد شو- مُحَمَّدٌ- عَنْ : nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928.
وَمِمَّا يُعْرَفُ أنَّ هذا الكِتابَ قَدْ أحْرَقَتْهُ السُّلْطاتُ البريطانية.

الَّتِي كانَتْ تَأسِرَهُ حَوْلَ الهَيَاكِلِ بَيْنَ يَدَي الكُهَّانِ. وَلَقَدْ تَوَصَّلَ مُحَمَّدٌ- بِمَحْوِهِ كُلِّ صُورَةٍ فِي المَعابِدِ وَإِبْطالِهِ كُلَّ تَمْثِيلٍ لَذَّاتِ الخالِقِ المُطْلَقِ- إِلَى تَخْلِيصِ الفِكْرِ الإِنْسانِيِّ مِنْ عَقِيدَةِ التَّجْسِيدِ الغَلِيظَةِ»[٢٥٥].

وَيَقُولُ « مايكل هارت» : « إِنَّ اخْتِيارِي مُحَمَّدًا، لِيَكُونَ الأَوَّلَ فِي أَهَمِّ وَأَعْظَمِ رِجالِ التّارِيخِ : قَدْ يُدْهِشُ القُرّاءَ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الوَحِيدُ فِي التّارِيخِ كُلِّهِ الَّذِي نَجَحَ أَعْلَى نَجاحٍ عَلَى المُسْتَوَيَيْنِ : الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ؛ فَهُناكَ رُسُلٌ وَأَنْبِياءٌ وَحُكَماءٌ بَدَءوا رِسالاتٍ عَظِيمَةً، وَلَكِنَّهُمْ ماتُوا دُونَ إِتْمامِها، كالمَسِيحِ فِي المَسِيحِيَّةِ، أو شارَكَهُم فِيها غَيْرُهُم، أو سَبَقَهُمْ إِلَيْهِم سِواهُمْ، كَمُوسَى فِي اليَهُودِيَّةِ، وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الوَحِيدُ الَّذِي أَتَمَّ رِسالَتَهُ الدِّينِيَّةِ، وَتَحَدَّدَتْ أَحْكامُها، وَآمَنَتْ بِها شُعُوبٌ بِأَسْرِها فِي حَياتِهِ. وَلأَنَّهُ أَقامَ مَعَ الدِّينِ دَوْلَةً جَدِيدَةً، فَإِنَّهُ فِي هَذا المَجالِ الدُّنْيَوِيِّ أَيْضًا : وَحَّدَ القَبائِلَ فِي شَعْبٍ، وَالشُّعُوبُ فِي أُمَّةٌ، وَوَضَعَ لَها كُلَّ أُسُسِ حَياتِها، وَرَسَمَ أُمُورَ دُنْياها، وَوَضَعَها فِي مَوْضِعِ الانْطلاقِ إِلَى العالَمِ. أَيْضًا فِي حَياتِهِ، فَهُوَ الَّذِي بَدأ الرِّسالَةَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَأَتَمَّها»[٢٥٦].

وَفِي مَعْرِضِ تَنْوِيهِهِ بِالنَّجاحِ الدَّعْوِيِّ الَّذِي حَقَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجالِ نَشْرِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ خِلالَ خَمْسَةِ عَشْرَ عامًا- فِيما عَجَزَ عَنْهُ أَتْباعُ كُلٍّ مِنْ مُوسَى وَالمَسِيحِ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمائةِ سَنَةٍ!... يَقُولُ الإِمْبِراطُورُ الفِرَنْسِيُّ

---

٢٥٥) نَقْلاً عَنْ : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

٢٥٦) مايكل هارت- العُظَماءُ مائة وَأعظَمُهُم محمد- نَقْلاً عَنْ :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

«نابِليُون بُونابَرت» : «لَقَدْ جَمَعَ مُحَمَّدٌ أَتْباعَهُ حَوْلَهُ، وَفِي سَنَواتٍ قَلِيلَةٍ : فَتَحَ مُسْلِمُوهُ نِصْفَ العالَمِ... لَقَدْ كانَ مُحَمَّدٌ رَجُلاً عَظِيمًا»[٢٥٧]. وَيَقُولُ العَلاَّمَةُ وَالْمُسْتَشْرِقُ الأَلمانِيُّ «برتلي سانت هيلر» (١٧٩٣ ـ ١٨٨٤م) : لَقَدْ «كانَ مُحَمَّدٌ رَئيسًا لِلدَّوْلَةِ وَساهِرًا عَلَى حَياةِ الشَّعْبِ وَحُرِّيَّتِهِ... وَكانَ داعِيًا إِلَى دِيانَةِ الإِلَهِ الواحِدِ وَكانَ فِي دَعْوَتِهِ هَذِهِ لَطِيفًا وَرَحِيمًا حَتَّى مَعَ أَعْدائِهِ. وَإِنَّ فِي شَخْصِيَّتِهِ صِفَتَيْنِ هُما مِنْ أَجَلِّ الصِّفاتِ الَّتِي تَحْمِلُها النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ: العَدالَةُ وَالرَّحْمَةُ»[٢٥٨].

وَيَقُولُ الْمُؤَرِّخُ الإِنْجِلِيزِيُّ « وِيلز» : « كُلُّ دِينٍ لا يَسِيرُ مَعَ الْمَدَنِيَّةِ فِي كُلِّ أَطْوارِها : فاضْرِبْ بِهِ عَرْضَ الحائطِ؛ وَإِنَّ الدِّينَ الحَقَّ الَّذي وَجَدتُّهُ يَسِيرُ مَعَ الْمَدَنِيَّةِ أَيْنَما سارَتْ : هُوَ الإِسْلام. وَمَنْ أرادَ الدَّلِيلَ فَلْيَقْرَأَ القُرآنَ وَما فِيهِ مِنْ نَظْراتٍ وَمَناهِجَ عِلْمِيَّةٍ، وَقَوانِينَ اجْتِماعِيَّةٍ... فَهُوَ كِتابُ دِينٍ وَعِلْمٍ وَاجْتِماعٍ وَخُلُقٍ وَتارِيخٍ... وَإِذا طُلِبَ إِلَيَّ أَنْ أُحَدِّدَ مَعْنى الإِسْلامِ، فإِنِّي أُحَدِّدُهُ بِهَذِهِ العِبارَةِ : «الإِسْلامُ هُوَ الْمَدَنِيَّةُ»[٢٥٩]. وَلَقَدْ انْبَعَثَتْ الحَضارَةُ الإِسْلامِيَّةُ انْبعاثاً طَبِيعِيًّا مِنَ القُرآنِ، وَتَمَيَّزَتْ عَنِ الحَضاراتِ البَشَرِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ بِطابَعِ العَدْلِ

---

257) In : abdelghani binamara & khalil temmar, mohammed… loccident temoigne

٢٥٨) فِي كِتابِهِ « الشرقيون وعقائدهم- نَقْلاً عَنْ :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=928

٢٥٩) نَقْلاً عَنْ : عَبْدُ الْمُنْعِمُ النِّمْرُ- الإِسْلامُ وَالْمَبادِئ الْمُسْتَورَدَةُ- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٨٤م- ص ٨٤.

وَالأَخْلاقِ وَالتَّوْحِيدِ، كَما اتَّسَمَتْ بِالسَّماحَةِ وَالإِنْسانِيَّةِ وَالأُخُوَّةِ العالَمِيَّةِ»(٢٦٠).

وَيَقُولُ « ترتون»: وَإِذا تَقَرَّرَ فِي الأَذْهانِ أَنَّ الإِسْلامَ صَرِيحٌ فِي النَّصِّ عَلَى وُجُوبِ مُعامَلَةِ الذِّمِّيِّينَ بِالحُسْنَى : أَمْكَنَ اعْتِبارُ أَيَّ مُعامَلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ المُعامَلَةِ حَدَثًا شاذًّا، لَيْسَ مِنَ الأُصُولِ الثّابِتَةِ فِي شَيْءٍ، لأَنَّ هَذا الانْحِرافَ لا يأتِي مِنْ رَوْحِ الدِّينِ بَلْ مِنْ دَوافِعَ أُخْرَى سُواهُ»(٢٦١).

وَتَقُولُ «لويجي رِينالدِي» : « .. لَمّا شَعُرْنا بِالحاجَةِ إِلَى دَفْعِ الجَهْلِ الَّذِي كانَ يُثْقِلُ كاهِلَنا، تَقَدَّمْنا إِلَى العَرَبِ وَمَدَدْنا إِلَيْهِمُ أَيدِيَنا لأَنَّهُمُ كانُوا الأَساتِذَةَ الوَحِيدِينَ فِي العالَمِ»(٢٦٢). وَيُضِيفُ «رُوم لاندُو» : إِنَّنا «حِينَ نَتَذَكَّرُ كَمْ كانَ العَرَبُ بُدائِيِّينَ فِي جاهِلِيَّتِهِمُ يُصْبِحُ مَدَى التَّقَدُّمِ الثَّقافِيِّ الَّذِي أَحْرَزُوهُ خِلالَ مائتَي سَنَةٍ، وَعُمْقُ ذَلِكَ التَّقَدُّمِ : أَمْرًا يَدْعُو إِلَى الذُّهُولِ حَقًّا!؛ ذَلِكَ بِأَنَّ عَلَيْنا أَنْ نَتَذَكَّرُ أَيْضًا : أَنَّ النَّصْرانِيَّةَ احْتاجَتْ إِلَى نَحْوٍ مِنْ أَلْفِ وَخَمْسِمائةِ سَنَةٍ لِكَي تُنْشِئَ ما يُمْكِنَ أَنْ يُدْعَى حَضارَةً مَسِيحِيَّةً. وَفِي الإِسْلامِ لَمْ يُولِّ كُلٌّ مِنَ العِلْمِ وَالدِّينِ ظَهْرَهُ لِلآخَرِ، بَلْ كانَ الدِّينُ باعِثًا عَلَى العِلْمِ، وَإِنَّ الحَضارَةَ الغَرْبِيَّةَ مَدِينَةٌ لِلحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ إِلَى دَرَجَةٍ نَعْجَزُ مَعَها عَنْ فَهْمِ الأُولَى

---

٢٦٠) نَقْلاً عَنْ : أَنْوَرِ الجُنْدِيِّ- أَخْطَرُ ما تَواصَى بِهِ المُسْلِمُونَ عَبْرَ الأَجْيالِ- دارُ الاعْتِصامِ- القاهِرَةُ د. ت- ص١٦.

٢٦١) أس ترتون- أهل الذمة في الإسلام- ترجمة : حسن حبشي- دار المَعارف- مصر- ١٩٦٧- ط٢- ص٣٧.

٢٦٢) نَقْلاً عَنْ : أَنْوَرِ الجُنْدِيِّ- مُقَدِّماتُ العُلُومِ وَالمَناهِجِ- دارُ الأَنْصارِ- القاهرة- د.ت- ١٤١/٧.

إذا لَمْ تَتِمّ مَعْرِفَةُ الثّانِيَةِ»[٢٦٣]. وَيُضِيفُ آخَرُ : « نَحْنُ مَدِينُونَ لِلمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَحامِدِ حَضارَتِنا فِي العِلْمِ وَالفَنِّ وَالصِّناعَةِ... وَحَسْبُ المُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ كانُوا مِثالاً لِلكَمالِ البَشَرِيِّ، بَيْنَما كُنَّا مِثالاً لِلهَمَجِيَّةِ»[٢٦٤].

وَيَقُولُ العَلاَّمَةُ « بريفولت» : «ما مِنْ ناحِيَةٍ مِنْ نَواحِي الازْدِهارِ الأُورُوبِّيِّ إلا يُمْكِنُ إرْجاعُ أَصْلِها إلَى مُؤَثِّراتِ الثَّقافَةِ الإسْلامِيَّةِ بِصُورَةٍ قاطِعَةٍ، وَإِنَّ ما يَدِينُ بِهِ عِلْمُنا لِعِلْمِ العَرَبِ لَيْسَ فِيما قَدَّمُوهُ لَنا مِنْ كُشُوفٍ مُدْهِشَةٍ وَنَظَرِيّاتٍ مُبْتَكَرَةٍ، بَلْ إِنَّهُ مَدِينٌ بِوُجُودِهِ ذاتِهِ... وَلَمْ يَكُنْ « بِيكُون» إلاَّ رَسُولاً مِنْ رُسُلِ العِلْمِ وَالمَنْهَجِ الإسْلامِيِّ إلَى أُورُوبّا المَسِيحِيَّةِ، وَهُوَ لَمْ يَمَلّ قَطُّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِأَنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ وَعُلُومَ العَرَبِ : هُما الطَّرِيقُ الوَحِيدَةُ لِمَعْرِفَةِ الحَقِّ»[٢٦٥].

وَتَقُولُ المُسْتَشْرِقَةُ الأَلْمانِيَّةُ « زيغريد هونكه» (١٩١٣–١٩٩٩م) : «إِنَّ هَذِهِ القَفْزَةَ السَّرِيعَةَ المُدْهِشَةَ فِي سُلَّمِ الحَضارَةِ الَّتِي قَفَزَها أَبْناءُ الصَّحْراءِ، وَالَّتِي بَدأَتْ مِنَ اللاَّشَيْءِ : لَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالاعْتِبارِ فِي تارِيخِ الفِكْرِ الإنْسانِيِّ... وَإِنَّ انْتِصاراتِهِمُ العِلْمِيَّةَ المُتَلاحِقَةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ سادَةً لِلشُّعُوبِ المُتَحَضِّرَةِ لَفَرِيدَةٌ فِي نَوعِها، لِدَرَجَةٍ تَجْعَلُها أَعْظَمَ مِنْ أَنْ تُقارَنَ بِغَيْرِها، وَتَدْعُونا أَنْ نَقِفَ مُتَأَمِّلِينَ : كَيْفَ

---

٢٦٣) رُوم لانْدُو- الإسْلامُ وَالعَرَبُ- تَرْجَمَةُ : مُنِيرُ البَعْلَبَكِي- دار العلم لِلملايين- بيروت- ١٩٧٧م- ط : ٢- ص ص ٩، ٤٦.

٢٦٤) الكَلامُ لِـ« هِنَرِي شامْبُون» نَقْلاً عَنْ : عَبْدُ المُنْعِمِ النِّمْرُ- الإسْلامُ وَالمَبادِئ المُسْتَورَدَةُ- مرجع سابق- ص٨٤.

٢٦٥) رويلت بريفولت فِي كِتابِهِ : بناء الإنسانية- نَقْلاً عَنْ : أَنْوَرِ الجُنْدِيِّ- مُقَدِّماتُ العُلُومِ وَالمَناهِجِ- دارُ الأَنْصارِ- القاهرة- ٤/ ٧١٠.

حَدَثَ هَذا؟!، إِنَّهُ الإِسْلامِ الَّذِي جَعَلَ مِنَ القَبائِلِ المُتَفَكِّكَةِ شَعْبًا عَظِيمًا، آخَتْ بَيْنَهُ العَقِيدَةُ، وَبِهَذا الرُّوحِ القَوِيِّ الفَتِيِّ : شَقَّ العَرَبُ طَرِيقَهُمْ بَعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ تَحْتَ قِيادَةٍ حَكِيمَةٍ وَضَعَ أساسَها الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ... أَوَلَيْسَ فِي هَذا الإِيمانِ تَفْسِيرٌ لِذَلِكَ البَعْثِ الجَدِيدِ؟!. وَالواقِعُ أَنَّ «رُوجر بِيكُون» أو جالِيليو» أو «دافنشي» لَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ أَسَّسُوا البَحْثَ العِلْمِيَّ.. إِنَّما السَّبّاقُونَ فِي هَذا المِضْمارِ كانُوا مِنَ العَرَبِ الَّذِينَ لَجَئوا- بِعَكْسِ زُمَلائِهِمُ المَسِيحِيِّينَ- في بَحْثِهِمُ إِلَى العَقْلِ وَالمُلاحَظَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبَحْثِ المُسْتَقِيمِ، لَقَدْ قَدَّمَ المُسْلِمُونَ أَثْمَنَ هَدِيَّةٍ، وَهِيَ : طَرِيقَةَ البَحْثِ العِلْمِيِّ الصَّحِيحِ، الَّتِي مَهَّدَتْ أمامَ الغَرْبِ طَرِيقَهُ لِمَعْرِفَةِ أَسْرارِ الطَّبِيعَةِ وَتَسَلُّطِهِ عَلَيْها اليَوْمَ... وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِحْراقِ كُتُبِ ابْنِ سِينا فِي مَدِينَةِ بازِلَ بَحَرَكَةٍ مَسِيحِيَّةٍ عَدائِيَّةٍ، فَإِنَّ كُتُبَ التُّراثِ العَرَبِيِّ لَمْ تَخْتَفِ مِنْ رُفُوفِ المَكْتَباتِ وَجُيُوبِ الأَطِبّاءِ، بَلْ ظَلَّتْ مَحْفُوظَةً يَسْرِقُ مِنْها السّارِقُونَ ما شاءَ لَهُمُ أَنْ يَسْرِقُوا»(٢٦٦). هَذا، وَتَضِيفُ «هُونِكَه» أَنَّهُ قَدْ «اتَّسَعَتْ الهُوَّةُ بَيْنَ الحَضارَةِ العَرَبِيَّةِ الشّامِخَةِ وَالمَعْرِفَةِ السَّطْحِيَّةِ فِي أُورُوبّا الَّتِي كانَتْ تَرَى أَنَّ مِنَ الكُفْرِ وَالضَّلالِ القَوْلَ بِأَنَّ الأَرْضَ كَرَوِيَّةٌ»(٢٦٧).

وَتَقُولُ المُسْتَشْرِقَةُ « هونكه» : « وَلَقَدْ بَحَثْتُ فِي التّارِيخِ عَنْ مَثَلٍ أَعْلَى لِهَذا الإِنْسانِ، فَوَجَدْتُّهُ فِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ... وَهَكَذا وَجَبَ أَنْ يَظْهَرَ الحَقُّ وَيَعْلُو،

---

٢٦٦) زِيغريد هُونِكَه- شَمْسُ اللّهِ تَسْطُعُ عَلَى الغَرْبِ- ترجمة :فاروق بيضون- المكتب التجاري للطباعة- بيروت- د.ت- ص، ١٤٨، ٢٦٩، ٣٥٤، ٣١٥.

٢٦٧) زِيغريد هُونِكَه- شَمْسُ اللّهِ تَسْطُعُ عَلَى الغَرْبِ- المرجع السابق- ص ٣٧٠.

كَما نَجَحَ مُحَمَّدٌ الَّذِي أَخْضَعَ العالَمَ كُلَّهُ بِكَلِمَةِ التَّوحِيد»[٢٦٨]؛ « إنَّ الإسْلامَ هُوَ وَلا شَكَّ : أَعْظَمُ دِيانَةٍ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ سَماحَةً وَإِنْصافًا. نَقُولُها بِلا تَحَيُّزٍ، وَدُونَ أَنْ نَسْمَحَ لِلأَحْكامِ الظّالِمَةِ أَنْ تُلَطِّخَهُ بِالسَّوادِ، وَإِذا ما نَحَّيْنا هَذِهِ المُغالَطاتِ التّارِيخِيَّةَ الآثِمَةَ فِي حَقِّهِ، وَالجَهْلَ البَحْثَ بِهِ، فَإِنَّ عَلَيْنا أَنْ نَتَقَبَّلَ هَذا الشَّرِيكَ وَالصَّدِيقَ، مَعَ ضَمانِ حَقِّهِ فِي أَنْ يَكُونَ كَما هُوَ...»[٢٦٩].

وَيَقُولُ السِّيرُ «سيديو» : «لَمْ يَشْهَدْ المُجْتَمَعُ الإسْلامِيُّ ما شَهِدَتْهُ أُورُوبّا مِنْ تَحَجُّرِ العَقْلِ، وَشَلَلِ التَّفْكِيرِ، وَجَدَبِ الرُّوحِ وَمُحارَبَةِ العِلْمِ وَالعُلَماءِ، وَيَذْكُرُ التّارِيخُ أَنَّ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ أَلْفَ عالِمٍ قَدْ أُحْرِقُوا أَحْياءً!. وَلا جِدالَ فِي أَنَّ تارِيخَ الإسْلامِ لَمْ يَعْرِفْ هَذا الاضطِّهادَ الشَّنِيعَ لِحُرِّيَّةِ الفِكْرِ، بَلْ كانَ المُسْلِمُونَ مُنْفَرِدِينَ بِالعِلْمِ فِي تِلْكَ العُصُورِ الأُورُوبِّيَّةِ المُظْلِمَةِ، وَلَمْ يَحْدُثْ أَنِ انْفَرَدَ دِينٌ بِالسُّلْطَةِ، وَمَنَحَ مُخالِفِيهِ فِي العَقِيدَةِ كُلَّ أَسْبابِ الحُرِّيَّةِ كَما فَعَلَ الإسْلامُ»[٢٧٠]. وَيَعْرِضُ «سِيديُو» لِصُوَرِ رَدِّ الجَمِيلِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الغَرْبِيَّةِ فَيَقُولُ : «لَقَدْ دِيسَتْ بِالأَقْدامِ تِلْكَ المَدَنِيَّةُ العَظِيمَةُ فِي الأَنْدَلُسِ!

---

٢٦٨) زِيغريد هُونكَه- شَمْسُ اللّهِ تَسْطُعُ عَلَى الغَرْبِ- المرجع نفسه- ص ٤٦٥.

٢٦٩) زيغريد هونكه- الله ليس كذلك- ترجمة : غريب محمد غريب- مؤسسة بافاريا الألمانية، دار الشروق المصرية، مجلة النور الكويتية- ١٤١٦هـ- ص ١٠١.

٢٧٠) نَقْلاً عَنْ : حَسّان شَمْسِي باشا هَكَذا كانُوا ... يَوْم كُنا- ص٨٣- نقلاً عَنْ : www.icsfp.com

وَلِماذا؟ لأَنَّها نَشَأَتْ مِنْ أُصُولٍ رَفِيعَةٍ، وَمِنْ طِباعٍ شَرِيفَةٍ، نَعَمْ مِنْ رِجالِ الإِسْلامِ. إنَّ المَدَنِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ لَمْ تَتَنَكَّرْ يَوْمًا لِلحَياةِ»[٢٧١].

وَيَقُولُ « جوستاف لوبون»: «إنَّ حَضارَةَ العَرَبِ المُسْلِمِينَ قَدْ أَدْخَلَتْ الأُمَمَ الأُورُوبِّيَّةَ الوَحْشِيَّةَ فِي عالَمِ الإِنْسانِيَّةِ؛ فَلَقَدْ كانَ العَرَبُ أساتِذَتِنا... فَهُمُ الَّذِينَ مَدَّنُوا أُورُوبا مادّةً وَعَقلاً وَأَخْلاقاً، وَالتّارِيخُ لا يَعْرِفُ أُمَّةً أَنْتَجَتْ ما أَنْتَجُوهُ... إنَّ أُورُوبا مَدِينَةٌ لِلعرَبِ بِحضارَتِها... وَالحَقُّ أَنَّ أَتْباعَ مُحَمَّدٍ كانُوا يَدِينُونا بِأَفضَلِيَّةِ حضارَتِهِمُ السّابِقَةِ، وَإِنَّنا لَمْ نَتَحَرَّرْ مِنْ عُقْدَتِنا إلا بِالأَمْسِ!. وَإِنَّ العَرَبَ هُمُ أَوَّلُ مَنْ عَلَّمَ العالَمَ كَيفَ تَتَّفِقُ حُرِّيَّةُ الفِكْرِ معَ استِقامَةِ الدِّينِ... فَهمُ الَذِينَ عَلَّموا الشُّعُوبَ النَّصْرانِيَّةَ- وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ : حاوَلُوا أَنْ يُعَلِّمُوها التَّسامُحَ الَّذِي هوَ أَثْمنُ صِفاتِ الإِنْسانِ... وَلَقَدْ كانَتْ أَخْلاقُ المُسْلِمِينَ فِي أَدْوارِ الإِسلامِ الأُولَى أَرْقَى كَثِيرًا مِنْ أَخْلاقِ أُمَمِ الأَرْضِ قاطِبَةً...»[٢٧٢]. وَتَأتِي شَهادَةِ الفَيْلَسُوفِ وَالشَّاعِرِ الأَلْمانِيِّ « جُوتَه» مُقَرِّرًا أَنَّهُ : « إِنَّنا أَهْلُ أُورُوبّا بِجَمِيعِ مَفاهِيمِنا، لَمْ نَصِلْ بَعْدُ إِلَى ما وَصَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ، وَسَوْفَ لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَحَتَّى يَومِنا هَذا : لا يُوجَدُ رَجُلٌ يُمْكِنُ مُقارَنَتُهُ بِمُحَمَّدٍ»[٢٧٣]!

---

٢٧١) الكَلامُ لِـ« فريدرك نيتشه»- نَقْلاً عَنْ : محمد الغزالي- ظلام من الغرب- دار الاعْتِصام- القاهرة- ص ١٤٠.

٢٧٢) جوستاف لُوبون- حَضارَةُ العَرَبِ- تِ : عادل زعيتر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ٢٠٠١م- ص ص ٢٦ ، ٢٧٦ ، ٥٦٦.

٢٧٣) جوته- الديوان الشرقي في الدِّيوان الشرقي- ترجمة : عبد الرحمن بدوي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ١٩٨٢م- ص٣١.

وَيَقُولُ المُسْتَشْرِقُ «درايبر» : «يَنْبَغِي أَنْ أَنْعِي عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَايَلَ بِها الأَدَبُ الأُورُوبِّيُّ لِيُخْفِيَ مآثِرَ المُسْلِمِينَ العِلْمِيَّةَ عَنْ أَنْظارِنا!. إِنَّ الجَوْرَ المَبْنِيَّ عَلَى الحِقْدِ الدِّينِيِّ، وَالغُرُورَ الوَطَنِيَّ لا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَمِرَّا إِلَى الأَبَدِ»(٢٧٤). فَقَدْ كانَ « مَفْهُومُ شُعَراءِ العُصُورِ الوُسْطَى عَنِ الإسلامِ مُسْتَنِدًا عَلَى المَصادِرِ الكَنَسِيَّةِ الَّتِي كانَ مِنْ هَمِّها أَنْ تُشَوِّهَ مُعْتَقَداته»(٢٧٥). وَيُضِيفُ «تُوماس كارلايل» : أَنَّهُ « مِنْ أَكْبَرِ العارِ : أَنْ يَصْغَى أَيُّ إِنْسانٍ مُتَمَدِّنٍ مِنْ أَبْناءِ هَذا الجِيلِ إِلَى وَهْمِ القائِلِينَ بِأَنَّ دِينَ الإِسْلامِ كَذِبٌ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ عَلَى حَقٍّ. وقد آنَ لَنا أَنْ نُحارِبَ ما يُشاعُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الأَقْوالِ السَّخِيفَةِ المُخْجِلَةِ»(٢٧٦).

وَيَقُولُ الكاتِبُ الفِرَنْسِيُّ «أناتول فرانس» : إِنَّ « أَسْوَأَ يَوْمٍ فِي التَّارِيخِ هُوَ: يَوْمُ مَعْرَكَةِ « بُواتِييه»، عِنْدَما تَراجَعَ العِلْمُ وَالفَنُّ وَالحَضارَةُ العَرَبِيَّةُ أَمامَ بَرْبَرِيَّةِ الفِرَنْجَةِ، أَلاَ لَيْتَ « شارل مارتل» قُطِعَتْ يَدُهُ وَلَمْ يَنْتَصِرْ عَلَى القائِدِ الإِسْلامِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الغافِقِيِّ»(٢٧٧).

---

٢٧٤) عماد الدين خليل- حَوْلَ إعادَةِ تَشْكِيلِ العَقْلِ المُسْلِمِ- الدَّوْحَةِ- سلسلة كتاب الأُمَّةِ- ص٩٤.

275) Meredith Jones, The conventional Saracen of the Songs of Geste, Speculum, 17 (1942), 203.

٢٧٦) تُوماس كارلايل- الأبطال- ت : محمد السباعي- مكتبة مصر- القاهرة- ١٩٩٤م- ص ٥٣.

٢٧٧) أناتول فرانس- الحياة الجَمِيلَةِ- نَقْلاً عَنْ : رَبِحْتُ مُحَمَّدًا وَلَمْ اخْسِرْ المَسِيحَ- نَقْلاً عنْ : http://saaid.net/Doat/dali/6.htm

وَيَقُولُ «رِينان» : « ما يُدْرِينا أنْ يَعُودَ العَقْلُ الإسْلامِيُّ الخَصِيبُ إلَى إبْداعِ المَدَنِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ؟ إنَّ حِقَبَ الازْدِهارِ وَالانْحِدارِ مَرَّتْ عَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ بِما فِيها أُورُوبّا المُتَعَجْرِفَةِ»[٢٧٨].

وَلَقَدْ تَحَدَّثَ المُسْتَشْرِقُ الفِرَنْسِيُّ « جاك بيرك» (١٩١٠- ١٩٩٥م) عَنْ مَوْقِفِ الغَرْبِ مِنَ الإسْلامِ : « إنَّ الإسْلامَ الَّذِي هُوَ آخِرُ الدِّياناتِ السَّماوِيَّةِ الثَّلاثِ، وَالَّذِي يَدِينُ بِهِ أَزْيَدُ مِنْ مِليارِ نَسَمَةٍ فِي العالَمِ، وَالَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الغَرْبِ جُغْرافِيًّا، وَتارِيخِيًّا. وَحَتَّى مِنْ ناحِيَةِ القِيَمِ وَالمَفاهِيمِ.. قَدْ ظَلَّ الإسلامُ، وَيَظَلُّ حَتَّى هَذِهِ السّاعَةِ، بِالنِّسْبَةِ لِلغَرْبِ : ابْنَ العَمِّ المَجْهُولَ، وَالأخَ المَرْفُوضَ.. وَالمُنْكَرَ الأبَدِيَّ.. وَالمُبْعَدَ الأبَدِيَّ.. وَالمُتَّهَمَ الأبَدِيَّ.. وَالمُشْتَبَهَ فِيهِ الأبَدِيَّ»[٢٧٩].

إنَّ هَذِهِ الشَّهادَاتِ وَغَيْرَها مِمَّا يَصْعُبُ حَصْرُهُ، كانَتْ قائمةً مِنْ حَيْثُ المَبْدأ مَنْطِقِ العَقْلِ النَّزِيهِ وَعَلَى عَدَالَةِ الرُّؤْيَةِ إلَى حَدٍّ كَبِيرٍ؛ وَلَقَدْ دَرَسَ أَصْحابُها وَعَكَفُوا عَلَى نَقْدِ المَراجِعِ والمَصادِرِ مِنْ كُلِّ المَدارِسِ والاتِّجاهاتِ... فَتَجَلَّتْ لَهُمْ حَقائقُ مُخْتَلِفَةٌ عَمَّا أَلْفَوْهُ مُنْدَرِجًا فِي التُّراثِ الأُورُوبِّي عَنِ الإسْلامِ مِنْ زِيُوفٍ وَأباطِيل... وَيُلَخِّصُ «بُول هازار» النَّتِيجَةَ النَّهائيَّةَ لِذَلِكَ الحَراكِ العِلْمِيِّ المُتَحَرِّرِ مِنْ قِيُودِ الهَوى وَسَطْوَةِ الحِقْدِ... فَيَقُولُ : « أشارَ هَؤلاءِ

---

٢٧٨) نَقْلاً عنْ : http://saaid.net/Doat/dali/6.htm

٢٧٩) نَقْلاً عنْ : حديث جاك بيرك مع حسونة المصباحي حول « العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك» ، وَذَلِكَ بتاريخ في ١٩٩٥/٦/٢٧م- وقد نُشِرَ الحُوارُ بِصَحِيفَةِ الشرق الأوسط- لندن في ٢٠٠/١١/١م.

العُلَماءُ إِلَى انَّهُ : ما كانَ لِدينٍ بِتِلْكَ الدَّرَجَةَ مِنْ الفَجاجَةِ وَالسَّذاجَةِ- كما كانَ يُشاعُ عَنْهُ : أَنْ يُبْدِيَ تِلْكَ الدَّرَجَةَ مِنَ الحَيَوِيَّةِ وَيُحْرِزُ مِثْلَ ذَلِكَ التَّقَدُّمِ. وَلَو أَنَّ النّاسَ بَدَلاً مِنْ أَنْ يُشِيعُوا أَكْذَبَ القَصَصِ وَأَبْعَدَها عَنِ الحَقِيقَةِ... لَو انَّهُمُ ذَهَبُوا إِلَى العَرَبِ أَنْفُسِهِمُ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ الحَقِيقَةِ : لَوَجَدُوا أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَتْباعَهُ كانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِصِفاتٍ فِي القَلْبِ وَالعَقْلِ تَجْعَلُهُمُ لا يَقِلُّونَ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ عَنْ أَعْظَمِ الأَبْطالِ عِنْدَ أَيٍّ مِنْ أَجناسِ العالَمِ الأُخْرَى.. والواقِعُ، أَنَّهُ كانَ فِي دِينِهِمُ مِنَ التَّناسُقِ بِقَدْرِ ما فِيهِ مِنَ السُّمُوِّ وَالجَمالِ. وَعِنْدَما اجْتاحَتْ البَرْبَرِيَّةُ وَجْهَ البَسِيطَةِ : مَنْ هُوَ الَّذِي حَمَلَ لِواءَ العَقْلِ وَحَضارَتِهِ؟ إِنَّهُمُ العَرَب..» (٢٨٠).

وَقَبْلَ أَنْ نُنْهِيَ هَذا السِّياقَ، يَحْسُنُ بِنا الاسْتِماعُ لِذَلِكَ النِّداءِ الَّذِي أَطْلَقَهُ مِدِيرُ جامِعَةِ بِرلِين الأَلْمانِيَّةِ البرُوفِيسُورُ «غريسيب» حَيْثُ يَقُولُ : «أَيُّها المُسْلِمُونَ ما دامَ كِتابُكُمُ المُقَدَّسُ عُنْوانَ نَهْضَتِكِمُ مُوجُودًا بَيْنَكُمُ، وَتَعالِيمُ نَبِيِّكُمُ مَحْفُوظَةً عِنْدَكُمُ، فارْجِعُوا إِلَى الماضِي لِتُؤَسِّسُوا المُسْتَقْبَلَ» (٢٨١). كَما أَنَّهُ اسْتِنادًا لِما نَطْوِيهِ مِنْ يَقِينٍ بِوُجُودِ عَقْلِيّاتٍ مُحْتَرَمةٍ ومُنْصِفَةٍ فِي الغَرْبِ... فَإِنَّنا نَتَطَلَّعُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الضُّغُوطِ الَّتِي يُمارِسُها كُلُّ مَنْ أَيْقَن بِسَلامَةِ المَقاصِدِ الإِسْلامِيّةِ فِي إِصْلاحِ هَذا الوُجُودِ.

---

280) Paul Hazard, The European Mind : 1680- 1715, treans. J. Lewis May (Harmondaworth penguin Books, 1964), p. 32.

٢٨١) نَقْلاً عَنْ : حَسّان شَمْسِي باشا- هَكَذا كانُوا ... يَوْم كُنا- ص ٩- www.icsfp.com

أبيض

الفَصْلُ الخامِسُ

وَمــاذا بَعْـــــد...؟!

إنَّنِي حِينَ أَكْتُبُ هَذِهِ السُّطُورَ بِطُولِها، فإنَّما أَكْتُبُها بِدافِعٍ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَجْمِيعِ الجُهُودِ الإسْلامِيَّةِ لِتَقْنِينِ رُؤيَةٍ دَقِيقَةٍ لِلتَّعامُلِ مَعَ الغَرْبِ بِمَنْهَجِيَّةٍ وَحْيَوِيَّةٍ إزاءِ تِلْكَ الرُّعُونَةِ الغرْبِيَّةِ وَالعَبَثِ وَالاسْتِفزازِ المَبْنِيِّ تارَةً عَلَى الجَهْلِ، وَتارَةً عَلَى سُوءِ التَّقْدِيرِ، وَتارَةً أُخْرَى عَلَى سُوءِ النِّيَّةِ وَخُبْثِ الطَّوِيَّةِ وَالْمُعانَدَةِ وَالاسْتِكْبارِ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ...! وَذَلِكَ بَعِيدًا عَنْ الْمُغالاةِ وَالرُّعُونَةِ وَرُدُودِ الفِعْلِ المَبْنِيَّةِ عَلَى مُجَرَّدِ العاطِفَةِ الَّتِي قَدْ تَضُرُّ بِقَضايانا الإسْلامِيَّةِ فِي الغَرْبِ أَكْثَرَ مِمَّا تَنْفَعَها...!

وَإنَّنِي مِنْ مُنْطَلَقِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ أَرَى أَنَّنا مُطالَبُونَ ابتِداءً بِتَبْدِيدِ مَخاوِفِ الغربِيِّين مِنَّا وَمِنْ دِينِنا الحَنِيفِ بِصُورَةٍ إيجابِيَّةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ فِي عُمْقِ الوَعْي الغَرْبِيِّ؛ فَلَمْ تَعُدْ مُباراةُ التَّخْوِيفِ بَينَنا وَبَيْنَ المُؤَسَّساتِ الغربيةِ المَعْنيةِ بِتَصْنِيعِ وإنتاجِ وتَسوِيقِ الخَوْفِ مِنَ الإسلامِ فَحَسْبُ، بَلْ أَصْبَحَتْ الْمُشْكِلَةُ مُرَكَّبَةً بَعْدَما أَصابَ هَذا الخَوفُ المَرَضِيُّ قِطاعاتٍ عَرِيضَةً مِنَ الْمُجْتَمَعاتِ الغربيَّةِ...! بَلْ وَأَخَذَت عَدْوى «الإِسْلامُ فُوبْيا» تنتَشِرَ بَيْنَ تَجَمُّعاتِ النَّخْبَةِ،! فَإِنَّ صحيفةِ « الجارديان» مَثلاً- الَّتِي تُوصَفُ بِأَنَّها « جَرِيدَةُ النُّخْبَةِ الْمُثَقَّفَةِ أو الطَّبَقَةِ الوُسْطَى الْمُتَعَلِّمَةِ فِي بريطانيا»- كانَتْ تُدافِعُ فِيما مَضَى عَنِ الإسْلامِ وعَنِ قَضايا الْمُسْلِمِينَ، وَكانَتْ حَرِيصَةً عَلَى إظْهارِ ما يُوصَفَ بِـ« الوَجْهِ العَقْلانِيِّ

لِلإسْلامِ» وَ« وَالوَجْهِ المُسْتَنْكِرِ لِلعُنْفِ وَالإرهاب»؛ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ، أصْبَحَت الآنَ ساحَةً فَسِيحَةً لِتَشْوِيهِ الإسلامِ وَالمُسْلِمِين...! وَهَذا فِي الواقِعِ أمرٌ غَرِيبٌ بَيْنَ مُجْتَمعاتٍ لا تُقادُ بِسَهُولَةٍ إلَى هَذا المُنْحَدَرِ الفِكْرِيِّ وَالخُلُقِيِّ وَالمَنْهَجِيِّ إلاَّ تَحْتَ ظُرُوفٍ غَيْرِ عادِيَّةٍ...! وَهُوَ ما يَعْكِسُ مِنْ جانِبٍ آخَرَ مَدَى خُطــورَةِ القَضِيَّةِ مُسْتَقْبَلاً فِي الأوْساطِ الغَربِيَّةِ...! الأمرُ الَّذِي سَيُعَسِّرُ مِنْ مَهَمَّتِنا.. وَقَدْ سَيُعَثِّرُ ذَلِكَ أيَّ جُهُودٍ عَلَى هَذا الطَّرِيقِ...بَلْ يَتَطَلَّبُ طاقَةً دَعْوِيَّةً وَعِلْمِيَّةً، وَوَعْيًا سياسِيًّا بِطَبِيعَةِ المَرْحَلَةِ وَفِقْهِ الواقِعِ العالَمِيِّ ومُتَطَلَّباتِهِ فِي المَنْظُورِ الإسْلامِيِّ....!

وَالمُلاحَظُ، أَنَّ ثَمَّةَ حَالَةً مِنَ التَّراجُعِ وَالخُمُـولِ وَالذّبُولِ... تَنتابُ الوَاقِعَ العَرَبِيَّ وَالإسلامِيَّ، بِحَيْثُ أصبحَتْ قُدْرَتُهُ مَحْدُودَةً فِي دَفْعِ ما يُكـالَ لَـهُ مِن تُهَمٍ وَتُرَّهاتٍ وَأكاذِيبَ وَافْتِراءاتٍ...؟! وَهُوَ ما يُكَرِّسَ القَناعاتِ الَّتِي تَرَىَ فِي الإسْلامِ عَدُوًّا تَجِبُ مُقاوَمَتُهُ...! وكُلّ ذَلِكَ تُعَزِّزُهُ «التَّداعِيَاتُ العَرَبِيَّةُ وَالإسلامِيَّةُ أمامَ لُغَةِ التَّهْدِيدِ الَّتِي يُطْلِقُها الغَرْبُ عَلَيْهِ مِن «إرهاب.. وتَطَرُّفٍ.. وأُصُولِيَّةٍ..»- عَلَى حَدّ ما تُصَوِّرُه وسائلُ إعلامِهِ العَامَّةُ وَمُؤسَّساتُهُ المُبَرْمَجَةِ عَلَى أيديولوجِيَّةٍ فِي كُلّ مكان»(٢٨٢).

وَمِنَ المُهِمِّ الانْتِباهُ إلَى مَدَى عَيْبِ وَخَطَورَةِ الانْطِلاقِ التَّنْظِيرِيِّ وَالدَّعْوِيِّ الإسْلامِيّ مِنْ مُجَرَّد كَوْنِنا مُتَّهَمِينَ بِالعُنْفِ وَالإرهابِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ افْتِراءاتٍ وَزِيُوفٍ ودَعَاوَى كاذِبَةٍ وأباطِيلَ ...! لأنَّ ذَلِكَ مِنْ شأنِهِ أنْ

---

٢٨٢) زكي الميلاد، تركي الرَّبِيعُو- الإِسْلام والغَرْب - مَرْجِعٌ سَابِقٌ - ص ٣١.

يَجْعَلَ مِنْ تَنْظِيراتِنا العَقَدِيَّةِ وَمَطْرُوحاتِنا الفَلْسَفِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالاسْتِراتِيجِيَّةِ – فَضْلاً عَنْ مَواقِفِنا السِّياسِيَّةِ– مُجَرَّدَ ردودِ أفعـالٍ لا يُمْكِنُ فِي غَمْراتِ مَدِّها وجَذْرِها أَنْ نَتَمَوقعُ فِي بُؤْرَةِ الوَسَطِيَّةِ الإسلامِيَّةِ... الَّتِي تُحَقِّقُ ذاتِيَّتَنا الحَضارِيَّةِ؛! بَلْ إِنَّ ذَلِكَ قَدْ يُفْقِدَنا ظِلَّنا دون أَنْ نَلْوِيَ عَلَى شيءٍ مِمَّا نَصْبُو إِلَيْهِ إِنْ كُنَّا صادِقِين فِي تَوَجُّهِنا.!

وَمِنْ ثَمَّ، فَلا يَنْبَغِي بِحالٍ وَنَحْنُ بِصَدَدِ مُواجَهَةِ تحدِّياتِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» أَنْ نُفَرِّطَ فِي شَيءٍ مِنْ ثَوابِتِنا الَّتِي أَكَّدَ القرآنُ الكريمُ عَلَيْها... وَلا أَنْ نَتَرَخَّصَ فِي أَمْرٍ معلوم بِالضَّرُورَةِ من دين الله ﷻ، بِدَعْوَى التَّبْرِير وَالتَّذَرُّعِ بِتَهْيِئَةِ أجواءِ التَّفاهُمِ وَالحُوارِ...! فَفِي أيٍّ مِنْ ذَلِكَ : انْحِرافٌ بِآلِيّات تلك المُواجَهَةِ عن مَسارِها الإنسانِيّ الجادّ الصحيح، وذهول عن ثمرتها الحقيقية الَّتِي لا تُرْتَجَى إِلاَّ فِي سِياقِ التَّصَوُّرِ الشّامِلِ لِعَقِيدةِ التَّوْحِيدِ الإِسْلامِيّة.! يقولُ تَعالَى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ هود/ ١١٢– ١١٥.

وَأَرَى مِنَ الضَّرُورَةِ أَنْ أُشِيرَ إِلَى تلك الحَالَةِ الَّتِي أَلْمَحَ إِلَيْها احَدُ الأكادِيمِيِّينَ(*)، وَالَّتِي بَدَأَتْ أَعْراضُها تَظهَرُ فِي الأوْساطِ الأكادِيمِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ حَولَ تَصَوُّرٍ جَدِيدٍ لِـ «الإِسْلامِ فُوبْيا» يُسَمَّى بِـ«New islam phobia» وَهُوَ تَصَوُّرٌ فِيما يَبْدُو بَدِيلاً تَلْفِيقِيًّا « يَعْتَمِدُ فِي مُسْتَوَى التَّحْلِيلِ عَلَى عِلْمِ الاجْتِماعِ السِّياسِيِّ، وأَنَّ هَذا المُسْتَوَى مِنَ التَّحْلِيلِ يَجْمَعُ فِي آنٍ واحدٍ بَيْنَ مَحَبَّةِ العَرَبِ وَكَراهِيَةِ الإِسْلامِ»[٢٨٣]. وَهَذا أَمْرٌ يبدُو غَيرَ مَعْقُولٍ بالنَّظَرِ إِلَى تَلازُمِ العَلاقَةِ بَيْنَ العَرُوبَةِ وَالإِسْلامِ، ! فَما سِرُّ هَذا التَّوَجُّهِ المُبْتَدَعِ العَجِيبِ حَقًّا...؟!

وَفِي تَصَوُّرِي، أَنَّ شِيوعَ ظاهِرَةِ «الإِسْلامُ فُوبْيا» فِي الغَرْبِ : قَدْ تَسَبَّبَتْ فِي حُصُولِ حالَةٍ مِنَ الحَرَجِ السِّياسِيِّ لَدَى الغَرْبِيِّين- أفرادًا وَمُؤَسَّساتٍ وَنُظُمًا وَحُكُوماتٍ- فِي سياقِ عَلاقاتِهِمُ السِّياسِيَّةِ وَتَعامُلاتِهِمُ الاقْتِصادِيَّةِ وَتَواصُلاتِهِمُ الإيديُولُوجِيَّةِ مَعَ العالَمِ العَرَبِيِّ وَالإسلامِيِّ... الأَمْرُ الَّذِي أَضَرَّ بِالمَصالِحِ الغربِيَّةِ فِي بِلدانِنا بِصُورَةٍ ما...! فَكانَ لِزامًا أَنْ تَنْشأَ حالَةٌ ذَرائِعِيَّةٌ بَدِيلَةٌ تُخَفِّفْ مِنْ ذَلِكَ الحَرَجِ بِما يُحَقِّقَ مَصْلَحَةِ الغَرْبِ، فَكانَتْ بِدْعَةُ «نِيُو إِسْلام فوبيا »؟! وَهِيَ حالَةٌ اعْتِذارِيَّةٌ خَبيثَةٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبِ «الإِسْلامِ فُوبْيا»، !

(*) هُوَ : سعيد بن سعيد العلوي- عَميدُ كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط- المغرب- وَذَلِكَ فِي مُحاضَرَةٍ له حولَ « مستقبل الإسلام فِي ضوء التحديات المعاصرة»؛ ألقاها بالمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر- يوم الأربعاء ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

٢٨٣) نقلاً عَن : سعيد بن سعيد العلوي- مستقبل الإسلام فِي ضوء التحديات المعاصرة- المرجع السابق.

وَذَلِكَ لِما تَعْكِسَهُ مِنْ رُؤىً تَفْكِيكِيَّةٍ مِنْ شأنِها تَكْرِيسُ حالَةَ الفُرْقَةِ وَالانْقِسامِ فِي الصَّفِّ العَرَبِيِّ وَالإسلامِيِّ... بِما تَخْلُقَهُ مِنْ تَيَّارٍ يَعْتَمِدُ فِي عَلاقاتِهِ مَعَ الآخَرِ مَصالِحَهُ- مَصالِحُهُ وَحَسْبِ، دُونَ الاعْتِبارِ بالمَصْلَحَةِ الحَضارِيَّةِ العُلْيا الَّتِي تُقَدَّرُ فِيها الحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ، وَتُقَدَّسُ فِيها الثَّوابِتُ العَقَدِيَّةُ، وَتُقاسُ فِيها مُجْمَلاتُ الأمورِ فِي ضَوءِ القِيَمِ الإسلامِيَّةِ الأَصِيلَةِ دونَ اعْتِدادٍ بالمَصالِحِ الخاصَّةِ وَالأهواءِ المَنْفَعِيَّةِ وَالمُساوَماتِ السِّياسِيَّةِ الرَّخِيصَةِ....!!

وَمِمَّا يَنْبَغِي ألاَّ يَغِيبَ عَنَّا، أنَّ الغَرْبَ فِي الحَقِيقَةِ، لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِ أيُّ شَكْلٍ مِنْ أشْكالِ الاسْتِغناءِ عَنِ النِّفْطِ العَرَبِيِّ، ذَلِكَ النِّفْطُ الَّذِي يَنْبَغِي ألاَّ يَتَدَيَّنَ بِالإسْلامِ!، لِكَيْلا يُشَكِّلَ عَقَبَةً فِي طَرِيقِ تَدَفُّقِهِ إلَى الغَرْبِ بانْسِيابِيَّةٍ وَأمانٍ مُطْلَقَيْنِ...! وَمِنْ ثَمَّ لا بُدَّ مِنْ تَوافُرِ النِّفْطِ تَحْتَ أيدِي أصْدقاءٍ عَرَبٍ إمّا عالَمانِيِّين أو مُسْلِمِينَ غَيْرِ مُتَدَيِّنِين أو مُسْلِمِينَ لا يُحَبِّذُونَ إقْحامَ الإسْلامِ وَالخَلْفِيَّاتِ الإسلامِيَّةِ فِي العَلاقاتِ الاقْتِصادِيَّةِ، أو مُسْلِمِينَ لَدَيْهِمْ قابِلِيَّةٌ للأدْلَجَةِ بِصُورَةٍ أو بِأُخْرَى... وَعَلَى نَحْوَ يُحَقِّقُ لَدَى الغَرْبِ مُعادَلَةَ النِّفاقِ الصَّعْبَةِ «مَحَبَّةُ العَرَبِ وَكَراهِيَّةُ الإسْلامِ!»؛ وَظَنِّي أنَّ هَذا لَنْ يَتَحَقَّقَ لِلْغَرْبِ، وَلَئِنْ تَحَقَّقَ فِي بَلَدٍ فَلَنْ يَتَحَقَّقَ فِي الآخَرِ بِإذْنِ الله ﷻ؛!

إذاً، نَحْنُ عَلَى أيَّةِ حالٍ أمامَ تَحَدٍّ حَقِيقِيٍّ، ما لَمْ نَتَصَدَّ لَهُ كافَّةً بِوَعْيٍ وبجِدٍّ ودَأبٍ وإخلاصٍ... فَلَنْ نَجْنِيَ إلاَّ مَزِيدًا مِنَ التَّفَتُّتِ وَالضَّعْفِ وَالتَّضَعْضُعِ وَالتَّراجُعِ وَالتَّخَلُّفِ عَنْ بِلُوغِ غاياتِنا الرَّبَّانِيَّةِ وأهدافِنا الحَضارِيَّةِ...!

وَالحَقِيقَةُ- مِنْ وُجْهَةِ نَظِري- أَنَّهُ لا سَبِيلَ إِلَى مُواجَهَةِ مَخاطِرِ «الإِسْلامِ فُوبْيا» إلاّ بِعِدَّةِ أمورٍ :

أولاً : كَشْفُ أوراقِ الغَرْبِ فِيما يَتَعَلَّقُ بِحَقائقِ وَطَبيعَةِ عَلاقَتِهِ بِالآخَرِ فِي صُورَةِ عَمَلٍ أكادِيمِيٍّ وَمَشارِيعَ لِلتَّفاعُلِ السِّياسِيِّ، وَذَلِكَ لِكَيْ نَضْحَى عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ الأمْرِ وُصُولاً إِلَى الهَدَفِ النَّهائِيِّ الَّذِي يكْشِفُ عَمَّنْ أجدَرَ أنْ يُخْشَى مِنْه بِمَنْطِقِ الواقِعِ وَالتّارِيخِ.

ثانِيًا : لِتَحْقِيقِ أكْبَرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنِ اطْمِئنانِ الآخَرِ لَنا، وَإِزالَةِ مَخاوِفِهِ مِنّا.. وَتَقْدِيرِهِ واحْتِرامِهِ إِيّانا : لَيْسَ إِلاَّ بِاحْتِرامِنا لِذاتِيَّتِنا المُؤمَنِةِ.. وَبِالعَضِّ عَلَى عَقِيدَتِنا وَقِيَمِ حَضَارَتِنا بِنَواجِذِنا فَحَسْبُ، بَلْ بِالعَمَلِ الجادِّ المُخْلَصِ عَلَى إعادَةِ إِنْتاجِ الفِعْلِ الحَضارِيِّ الإِسْلامِيِّ فِي صَدَى الإِشراقاتِ الرُّوحِيَّةِ وَالمادِّيَّةِ وَالأدَبِيَّةِ لِتُراثِنا الإِسْلامِيِّ الحَيِّ العَرِيقِ...! كَذَلِكَ بِنَبْذِ احْتِقارِ الآخَرِ وَازْدِرائِهِ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَضُرُّ بِقَضايانا وَمَصالِحِنا بِاعْتِبارِ هَذا الغَربِ- فِي أَسْوأ الفِرُوضِ- مَجالاً وأُفْقًا مُتَّسِعًا لِحَرَكَةِ الدَّعْوَةِ الإِسلامِيَّةِ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ... وَمِنَ الحِكْمَةِ : اسْتِغْلالُ مَدَى ما تُتِيحَهُ القَوانِينُ الغَرْبِيَّةُ مِنْ فُسْحَةٍ أمامَ تِلْكَ الحَرَكَةِ...! فَالحَقِيقَةُ، أَنَّنا أحْيانًا قَدْ نُؤخَذُ بِالغَيْرَةِ وَالحَمِيَّةِ الإِيمانِيَّةِ إِزاءَ ما يَتَّخِذَهُ الغَرْبِيُّونَ مِنْ مَواقِفَ فِيها ما فِيها مِنَ التَّعَنُّتِ وَالتَّعَصُّبِ وَالإِلْحادِ... وَما يُظْهِرُونَهُ مِنْ مَعانِي الحِقْدِ الدَّفِينِ عَلَى الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ.. وَمِنَ التَّخْوِيفِ الاسْتِفزازِيِّ الخَبِيثِ مِنَ الإِسْلامِ... بِما يَكْفِي لاسْتِفْزازِ كُلِّ مُخْلِصٍ لِدِينِهِ غَيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ..! وَإِنَّ هَوَسَ الغَرْبِ بِـ« الإِسْلامِ فُوبيا» يَأْتِي فِي

غَالِبِ الأحْوالِ مُتَجاوِزًا حُدُودَ الخَوْفِ المُجَرَّدِ إلَى المُبادَرَةِ بِالضَّرْبِ الاستِباقِيِّ الغادِرِ فِي عُمْقِنا الاسْتِراتِيجِيِّ وَالحَضارِيِّ بِصُورَةٍ بالِغَةِ الاسْتِفْزازِ!... وَقَدْ تَأْتِي رَدَّةُ فِعْلِ البَعْضِ إزاءَ ذَلِكَ : غَضَبًا وَغُلُوًّا وَتَعَصُّبًا وَانْكِفاءً عَلَى مُمارَسَةِ نَوْعٍ مِنَ العُنْفِ السِّياسِيِّ فِي بَعْضِ الدُّولِ العَرَبِيَّةِ أو المُسْلِمَةِ المُوالِيَةِ حُكُوماتُها سِياسِيًّا لِلْغَرْبِ!... فَتَقَعُ فِتْنَةٌ أُخْرَى تَحْتَ « عُنْوانِ مُقاوَمَةِ المُوالِينَ لِلْغَرْبِ»!... لَكِنَّ الحِكْمَةَ فِي كُلِّ الأحْوالِ : أوْلَى وَأجْدَى، بَلْ أجْدَرُ أنْ تَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ مُعْضِلَةِ « الإسْلامِ فُوبيا»!.

إنَّ مَسْلَكًا خارِجًا عَنْ مُقْتَضَى الحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالوَعْيِ بِمَصالِحِ الدَّعْوَةِ داخِلِيًّا وَخارِجِيًّا... مِنْ شَأنِهِ أنْ يُذْهِلَ عَنْ التَّهَيُّؤِ الاسْتِراتِيجِيِّ التَّرْبَوِيِّ وَالعِلْمِيِّ لِصَوْنِ أمانَةِ اللهِ ﷻ لَدَينا وَنَشْرِ رِسالَتِهِ وَسِيادَةِ قِيَمِهِ وإشاعَةِ مَبادِئِ وَحْيِهِ فِي دُنْيا النّاسِ أجْمَعِينَ- وَلاسِيَّما فِي الغَرْبِ الَّذِي يَبْدُو لِكُلِّ واعٍ حَصِيفٍ أكْثَرَ تَعَطُّشًا لِقِيَمِ الإسلامِ- وَلَكِنَّهُ غائبٌ الآنَ أو مُغَيَّبٌ عَنْ وَعْيِهِ بِهَذِهِ الحَقِيقَةِ الَّتِي لا مِراءَ فِيها بَيْنَ العُدولِ وَالمُنْصِفِين...!!

وَمِنْ ثَمَّ فإنَّ حَلَّ القَضِيَّةِ فِي كُلِّ الأحوَال يَنْبَغِي ألاّ يَخْرُجَ عَنْ إطارِ النَّظَرِ البَعِيدِ لِلْمَصْلَحَةِ الإسلامِيَّةِ الَّتِي يُقَرِّرُها عُلَماءُ الأُمَّةِ وَالخُبَراءُ بِمِثلِ هَذِهِ القَضايا مِنْ المُتَخَصِّصِين وَأهْلِ الرَّأيِ وَالمَشُورَةِ الإسْتِراتِيجِيَّةِ الدَّعْوِيَّةِ... وَبِما يَعُودُ عَلَى الدَّعْوَةِ بِفائدَةٍ حَقِيقِيَّةٍ؛ فَمَنْ يَدْرِي؟ فَلَرُبَّما أشْرَقَتْ شَمْسُ الصَّحْوَةِ الإسلامِيَّةِ بِنُورِ الهِدايَةِ الإنسانِيَّةِ وَالنَّهْضَةِ الحَضارِيَّةِ مِنْ جِهَةِ هَذا الآخَرِ يَوْمًا مِنَ الأيّامِ- لِمَ لا وَقَدْ بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِفَتْحِ رُوما..!

وَلِهَذا، قَدْ لا يُجْدِي الانْفِعالُ شيئًا قي سِياقِ الإصْرارِ الغَربِيِّ عَلَى إخراجِ المَشْهَدِ الإسلامِيِّ مِنْ طَوْرِ الوَسَطِيَّةِ... حَتَّى يُصَدِّقَ الغَربِيُّونَ عَلَى ما يَتوارَدَ عَلَيْهِم مِنَ الإعلامِ المُوَجَّهِ بِالافْتِراءاتِ وَالزُّيُوفِ وَالأكاذِيبِ عَنْ الإسلامِ وَالمُسْلِمِين...! وَمِنْ ثَمَّ فَإنَّ رَدَّ الفِعْلِ المُناسِبِ يَنْبَغِي أنْ يَنْطَلِقَ ابتِداءً مِنَ القناعَةِ بِأنَّ الغَرْبَ- سواءً الكَنِيسَةِ أو العالَمَانِيَّة- لَطَالَمَا يَكْرَهُ الإسلامَ كَراهِيةً تقليدِيَّةً، وَلَكِنَّ الجَدِيدَ فِيها : أنَّها تأتِي فِي ظُرُوفٍ تَشْهَدُ تَكْثِيفًا غَرْبِيًّا للتَّخْوِيفِ مِنَ الإسلامِ، فِي مُحاوَلَةٍ لاسْتِغلالِ الأحداثِ وَتَداعِياتِها فِي كَسْبِ جُولَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الصَّراعِ الحَضارِيِّ. وَلَكِنْ عَلَى الجانِبِ الآخَرِ نَجِدُ أنَّهُ مِنَ الإنْصافِ أنْ نَعْتَرِفَ بِهامِشِ الحُرِّيَّةِ النِّسْبِيَّةِ المُتاحِ لِحَرَكَةِ الدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ فِي مُجْمَلِ الأوساطِ الغَربِيَّةِ، إذِ القوانِينُ الغَرْبِيَّةُ فِي مُجْمَلِها لا تُجَرِّمُ الدَّعْوَةَ الإسلامِيَّةَ- وإنْ كانَتْ تُضايِقَها فِي بَعْضِ الأحايِين...!

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ الغَرْبَ لَمْ يُقَدِّمْ لِلْعالَمِ سِوَى الاسْتِعمارِ وَالصِّراعاتِ والحُرُوبِ الأكْثَرِ دَمَوِيَّةٍ فِي التَّارِيخِ البَشَرِيِّ؟!... وَإنَّ ما امْتَنَّ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَى الغَرْبِيِّينَ مِنْ أسْبابِ المَدَنِيَّةِ المُعاصِرَةِ لَمْ يُوَظَّفْ فِي غالِبِهِ سِوَى فِي المُعاجَزَةِ التِّقَنِيَّةِ وَالتَّعْجِيزِ السِّياسِيِّ وَالحَجْرِ الاقْتِصادِيِّ وَفَرْضِ الوِصايَةِ الحَضارِيَّةِ عَلَينا بِغَيْرِ سَبَبٍ وَدُونَ اْعتِدادٍ بِقَيَمٍ أو اعْتِبارٍ بِأخْلاقٍ أو إيمانٍ بِالتَّعَدُّدِيَّةِ وَالحُوارِ المُتَكافِئِ والشَّراكَةِ النَّزِيهَةِ!؟... عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، فَمِنْ حِكْمَةِ الدَّعْوَةِ إلَى اللهِ، وَمِنْ شِيَمِ العامِلِينَ لِدِينِ اللهِ ﷻ : التَّرَيُّثِ فِي رَفْضِ الآخَرِ بِعُجَرِهِ وَبُجَرِهِ... وَعَدَمَ التَّصْرِيحِ بِكَراهِيَّتِهِ وَسَبِّهِ وَالإسْرافِ فِي ازْدِرائِهِ... لِما

فِي ذَلِكَ مِنْ قَطْعٍ لِسُبُلِ دَعْوَتِنا هُناكَ مِنْ ناحِيَةٍ، وَقَطْعٍ للتَّواصِلِ مَعَ إخوانِ عَقِيدَتِنا فِي الغَرْبِ مِنْ ناحِيَةٍ أُخْرَى... وَلإمْكانِ تَحْقِيقِ أقْصَى فائدَةٍ مِنْ أَيَّةِ انْفِراجاتٍ قانُونِيَّةٍ غَرْبِيَّةٍ فِي نُصْرَةِ ما يُمْكِنَ تَوصِيفُهُ بـ « المَسأَلَةِ الإسلامِيَّةِ فِي الغربِ» مِنْ ناحِيَةٍ ثالِثَةٍ؛! فالْمُسْلِمُ الحَقُّ- عَلَى أَيَّةِ حالٍ يَعْرِفُ لِلنّاسِ أقدارَهُمُ، وَيَحْتَرِمُ الآخَرَ- وإنْ لَمْ يُوادَّه أو يُوَالِهِ.. ثُمَّ إنَّ الغَرْبَ، وَخاصّةً فِي عُقُودِهِ الأخِيرَةِ، قَدْ فَرَضَ نَفْسَه كَحَقِيقَةٍ لَيْسَ لِمَنْ يُرِيدُ التَّعايُشَ مَعَها أنْ يُنْكَرَها أو يَتَجاهَلَها- وَلا سِيَّما أَنَّها فِي وَضْعٍ مَدَنِيٍّ وَتِقَنِيٍّ مُتَمَيِّزٍ عَلَينا فِي هَذا الجانِبِ. كما طَرَحَ الغَرْبُ رُؤًى وَنَظَرِيّاتٍ، وإنْ لَمْ نَتَّفِقْ مَعَها بِجُمْلَتِها، فلا يُنْفَعُ إغفالُها...! وَعَلَى العاقِلِ الحَصِيفِ أنْ يَتَلَمَّسَ أسْبابَ التَّفاهُمِ مَعَ الغَرْبِ مِنْ خِلالِ إقامَةِ حِوارٍ « مع العُقلاءِ هُناكَ.. وَأنْ يُمَيِّزَ فِي سياقِ هَذا الحُوارِ بَيْنَ المُعْتَقَدِ الَّذِي لا نَقْبَلُ المَساسَ بِهِ، وَبَيْنَ أوْجِهِ المَعاشِ الَّتِي نَحْتَرِمُ ما أَصَّلَهُ الغَرْبُ فِي مَيدانِها»[٢٨٤]. بَلْ إنَّنا نَتَطَلَّعُ إلَى أنْ يُبْدِيَ الغَرْبُ تَفَهُّمًا أعْمَقَ لِعَقِيدَةِ التَّوحِيدِ الإسْلامِيَّةِ، فَلَرُبَّما تَراجَعَ عَنْ المُضِيِّ فِي نَفَقِ الكَراهِيَةِ المُظْلِمَةِ الَّتِي لا يُمكِنُ فِي خِضَمِّهِ أنْ نَسْتَشْرِفَ أيَّ أمَلٍ فِي سَعادَةِ البَشَرِيَّةِ وَهَنائها!.

إنَّنا نَتُوقُ وَنَشُوقُ إلَى مَزيدٍ مِنَ المُؤمِنِينَ بِمَبادِئِ الإسْلامِ وَالمُناصِرِينَ لِقَضاياهُ- وإنْ كانوا مِنْ غَيرِ المُسْلِمِينَ داخِلَ النَّسِيجِ الغَرْبِيّ، فَهُناكَ «جون اسبوزيتو» و « بول فندلي» و« جورج جالوي» وغَيرُهُم مِنَ المُفَكّرِين الَّذِينَ

---

٢٨٤) عبد العزيز السويل- الحوار مع الاخر- مقال- مجلة الحرس الوطنى- السعودية- العَدَد :١٦٧- ص ٦٧.

يُمْكِنُ يُقَدِّموا شيئًا لِلإسْلامِ، وَهَذا لَيْسَ عَلَى أُوُلِي التَّجَرُّدِ وَالنَّزاهَةِ وَالاسْتِقامَةِ العِلْمِيَّة بِكَبيرٍ وَلا بَعِيدٍ، وَلَيْسَ عَلَى الله ﷻ بِعَزيزٍ.!

وَعَلَى جانِبٍ آخَر، فإنَّنا نَتَطَلَّعُ إِلَى جُهُودٍ عَرَبِيَّةٍ وَإسْلامِيَّةٍ منْ خِلالِ مُنَظَّمَتَي الجامِعَةِ العَرَبِيَّةِ وَمُنَظَّمَةِ المُؤتَمَرِ الإسْلامِيِّ وَالهَيئةِ الإسْلامِيَّةِ العالَمِيَّةِ لِلتَّعْليمِ التَّابِعَةِ لِرابِطَةِ العالَمِ الإسْلامِيِّ: أنْ تُعْنَى بِصِياغَةِ تَصُوُّراتٍ وَأسُسٍ لِمَناهِجَ تَعْلِيمِيَّةٍ ذاتَ رُؤْيَةٍ إسلامِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ لِكُلٍّ مِنَ الكَوْنِ وَالحَياةِ وَالإنسانِ فِي إطارِ مَفاهِيمِ العَقِيدَةِ الإسلامِيَّةِ وَفِي ضوءِ النَّوامِيسِ الإلَهِيةِ وَالقَوانِينِ وَالسُّنَنِ الرَّبّانِيَّةِ اللازِمَةِ لِتَنْظِيمِ وُجُوهِ الحَياةِ الإنسانِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَفْقَ مُرادِ الله ﷻ!؛ مَعَ تَوْفِيرِ الكَوادِرِ الفَنِّيةِ والخِبْراتِ العِلْمِيَّةِ اللاَّزِمَةِ لإنْجازِ هَذا المَشْرُوعِ الحَضارِيِّ، الَّذِي يُعَدُّ مِنْ أفْضَلِ القُرُباتِ إلَى الله ﷻ!، وَمِنْ الفُرُوضِ العِبادِيَّةِ لِتِلْكَ المَرْحَلةِ الحَرَجةِ وَالأَشَدِّ خُطُورَةٍ فِي مَسِيرتِنا الحَضارِيَّةِ عَبْرَ التّارِيخِ!...

إنَّ العَمَلَ عَلَى تَخْلِيقِ قَنَواتٍ لِلتَّواصُلِ المُؤَسَّسِيِّ فِي المَجالاتِ المُمْكِنَةِ لِلحُوارِ مَعَ الغَرْبِ، وَبالمَنْهَجِ والطَّرِيقَةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ بِهِما مَصْلَحَةُ الدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ، وَتَنْفَتِحُ بِهِ آفاقٌ أوْسَعُ لإثْباتِ وَتَأكِيدِ الذَاتِيَّةِ المُؤمِنَةِ والتَّمْكِينِ لِكُلِّ جَهْدٍ يَكْشِفُ عَنِ المَعْدِنِ الأصِيلِ وَمَواطِنِ العَظَمَةِ والجاذِبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالقِيَمِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ لِرسالَةِ الإسْلامِ فِي الأوساطِ الغَرْبِيَّةِ بَعِيدًا عَنِ صَخَبِ المُهَرِّجِين في سِيرك الـ C. I. A وَفِتَنِ حُواةِ المُسْتَشْرِقِينَ وَمُقامَراتِ السَّاسَةِ

بادِيَ الرَّأيِ!... إنَّ العَمَلَ عَلَى إيجادِ كُلِّ ذَلِكَ : لَهُوَ مِنَ الوُجُوبِ بِمَكانٍ كَبِيـرٍ، وهُوَ امانَةٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُؤمِنٍ باللهِ واليَومِ الآخِرِ!.

إنَّ المُجْتَمَعَ الإنسانِيَّ- بِما فِيه الغَرْبُ خَاصَّةً : مُطالَبٌ اليَوْمَ أكْثَرَ مِنْ أيِّ وَقْتٍ مَضَى لِوَضْعِ حَدٍّ عاجِلٍ وَفَوْرِيٍّ لِلْحَرْبِ المُسْتَمِرَّةِ عَلَى الإسْلامِ وَرَسُولِهِ الكَرِيمِ- رَسُولِ الرَّحْمَةِ... حِفاظًا عَلَى الأمْنِ وَالسَّلْمِ الدِّوَلِيَّيْنِ، وَكَفِّ لِسانِ التَّطاوُلِ والتَّجْرِيحِ عَنْ رَمْزِ المَحَبَّةِ والمَوَدَّةِ والسَّلامِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّعادَةِ البَشَرِيَّةِ بِصُورَةٍ قاطِعَةٍ!؛ وَإلاَّ فَلَنْ يَهْنَأَ العالَمُ بِسَلامٍ طالَمَا هُوَ يُمْعِنُ فِي مُجافاةِ مَنْطِقِ الرَّحْمَةِ والعَدْلِ والإحْسانِ وَيُنابِذُ رَسُولَ اللهِ إلَى العالَمِينِ... فَأيُّ عاقِلٍ فِي هذا العالَمِ يَحْتَويهِ ضَمِيرٌ إنسانِيٌّ حَيٌّ بالإيمانِ يُمْكِنُ أنْ يُمَرِّرَ هَذا التَّشْوِيهَ وَأنْ يَقْبَلَ تِلْكَ المُغالَطاتِ الظَّالِمَةِ والانْطِباعاتِ الظَّلامِيَّةِ غَيْرِ المُبَرَّرَةِ عَنْ الإسلامِ وَرَسُولِ الإسلامِﷺ...!

إنَّ الغَرْبَ وَكُلَّ كارِهٍ لِعَقِيدَةِ الإسلامِ وَلِرَسُولِهِ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ مُدْرِكًا لِخُطُورَةِ تَشْويهِ رُمُوزِ العَدَالَةِ الإلَهِيَّةِ فِي عالَمٍ تَسْتَبِدُّ بِشُؤونِهِ طَغْمَةٌ مِنَ المُفْسِدِينَ وَالضُّــلاَّلِ وَالمُفْتَرِينَ الكاذِبِينَ... وَتَعْبَثُ بِإرادَةِ المُسْتَضْعَفِينِ فِيه قُوَى البَغْي وَالإثْمِ والعُدْوانِ... وَلا يُعْقَلُ أنْ يَكُونَ عَلَى وَعْيٍ بِمَصالِحِهِ الحَقِيقِيَّةِ إنْ كانَ حَقًّا يُحِبُّ الحَياةَ!...

وَأخِيرًا، نُقَرِّرَ بِإنَّ هَذا الخُوافَ الإسْلامِيَّ الَّذِي يَتِمُّ إنْتاجُهُ وتَسْلِيعُهُ وتَسْوِيقُهُ الآن فِي العالَمِ الغَرْبِيِّ بِأَبْواقِ الدِّعايَةِ الغَرْبِيَّةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ الخَبيثَةِ... ما هُوَ- فِي الواقِعِ إلاَّ مَحْضُ وَهْمٍ. وَإنَّ الحَقائِقَ فِي مَنطِقِ التَّجْرِيدِ بَعِيدًا عَنِ

المُزايَدات- تَنْطِقُ بِأنَّ الإسلامَ هُوَ الأمَلُ الَّذي تَتَعَلَّقُ عَلَيْهِ أمانِيُّ البَشَرِيَّةِ التّائهَةِ المُتَلَهِّفَةِ إلَى اسْتِعادَةِ قَدْرٍ مُعْتَبَرٍ مِنْ ذاتِيَّتِها الرُّوحِيَّةِ المُؤمِنَةِ الفاضِلَةِ.. فَتَتَلافَى بِهِ كَثِيرًا مِمَّا يعْتَرِضُ حَياتَها المَشْحُونَةَ بالقَلَقِ والاضطِّرابِ والتَّوَتُّرِ... وَالمُسْتَعِرَةِ بالقِيَمِ المادِّيَةِ المُتَغَوِّلة وَبِالصِّراعِ...! إنَّ الَّذِينَ يُرَوِّجونَ لِـ« الإِسْلامِ فُوبْيا» هُمُ أعداءُ الحَياةِ الحَقِيقِيُّونَ...!

كَما أنَّ هَذِهِ الدِّراسَةَ : دَعْوَةٌ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ فِي هَذا الكَوْنِ : إنَ لَمْ نَفِقْ لِهَذِهِ التَّحَرُّشاتِ الحَضارِيَّةِ غَيْرِ المَسْبُوقَةِ فِي بُهْتانِها وَافْتِراءاتِها وَخِسَّتِها وَقِلَّةِ أدَبِها وَعَدَمِ حَيائها... فَلَسَوْفَ نَصيرُ مَسْخَرَةَ الِّلئامِ.. وَمَأْدُباتٍ لِضارِيَةِ الذِّئابْ...!

وَإنَّنِي لأَقولُها عَلَى اسْتِحْياءٍ، مُعَبِّرًا عَمَّا يَجِيشُ بِصَدْرِيَ مِنْ أُمْنِياتٍ غالِياتٍ : مَتَى يَجِئُ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي نُصْبِحُ فِيهِ مِنَ القُوَّةِ المَادِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ... وَمِنَ المَنْعَةِ السِّياسِيَّةِ والاقْتِصادِيَّةِ... وَمِنَ المُمانَعَةِ الحَضارِيَّةِ... مَا يَكُونُ كَفِيلاً بِاحْتِرَامِ دِينِنا، وَتَوَقِيرِ نَبِيِّنا، وَتقْدِيرِ مَكانَتِنا، وَحِفْظِ حُقُوقِنا وَحَمْدِ سِيرَتِنا، وَرَهْبَةِ جانِبِنا... فَلا يَجْرُؤُ أحَدٌ عَلَى مُقارَبَةِ حِمانا أو التَّحَرُّشِ بِنا!...

وَإلَى أنْ يَهِلَّ ذَلِكَ اليَومُ، يَنْبَغِي أنْ نُفَعِّلَ كُلَّ طاقَةٍ، وَنُوَظِّفَ كُلَّ جَهْدٍ مُمْكِنٍ لاسْتِصْدارِ قانُونٍ دِوَلِيٍّ يُجَرِّمُ المَساسَ بِالذَّاتِ الإلَهِيَّةِ المُقَدَّسَةِ وَيُجَرِّمُ الإساءَةَ إلَى الأنْبِياءِ؛ فَهُمُ رَمْزُ التَّوحِيدِ، وَمَظَنَّةُ الاجْتِماعِ عَلَى أمْرِ الله ﷻ لِمَنْ أرادَ الاهْتِـداءَ إلَى سَواءِ السَّبِيلِ، وَابْتَغَى وَجْهَ الله بِحَقٍّ وَحَقِيقٍ مِنْ البَشَرِ!...

وَأنا هُنا لَنْ أقُولَ بِتَشْرِيعِ يُجَرِّمُ المَساسَ بِما يُسَمَّى « الأدْيانِ» وَالرِّسالاتِ وَالكُتُبِ الأُخْرَى... فَما اعْتَرَى هَذِهِ الأخِيرَةَ مِنْ شُبَهٍ وَأباطِيلَ وَأقَاوِيلَ

وافْتِراءاتٍ عَلَى اللهِ ﷻ وَرُسِلِهِ وَأنْبِيائِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ... قَدْ يَدْفَعُ الدُّعاةَ وَالعُلَماءَ الغَيُورِينَ وَالأُمَناءَ عَلَى التَّوحِيدِ الخالِصِ إلَى نَقْدِ هَذِهِ المِلَلِ وَتِلْكَ النِّحَلِ المُنْحَرِفَةِ... وَتَفْنِيدِ الكُتُبِ المُحَرَّفَةِ، وَإظْهارِ ما وَقَعَ فِيها مِنْ تَحْرِيفٍ وَما التَبَسها مِنْ تَزْيِّيفٍ وَتَخْرِيفٍ... فَنكُونُ بِذَلِكَ النَّقْضِ وَفْقًا لِما يُزْمَعُ سَنُّهُ مِنْ قَوانِينَ وَتَشْرِيعاتٍ دِوَلِيَّةٍ : أوَّلَ الخارِقِينَ لِتِلْكَ القَوانِينِ، فَنَضْحَى واقِعِينَ تَحْتَ طائلَةِ العُقُوباتِ الدِّوَلِيَّةِ... وَهَدَفًا لِرُعُونَةِ الغاوِينَ.. وَمَرْمًى لِسِهامِ الجَهَلَةِ المُبْطِلِينَ الظَّالِمِينَ مِنَ سَدَنَةِ الإثْمِ وَالبَغْيِ وَالغَشَمِ الغَرْبِيِّ... الَّذِي يُعالِجُ الحُجَّةَ بِالضَّجَّةِ... وَالحِكْمَةَ باللَّكْمَةِ... وَالنَّقْدَ بِالنَّقْضِ... وَالحَسَنَةَ بِالسَّيِّئةِ!... فَيَضِيعُ الحَقُّ وَيَظْهَرُ فِي الأرْضِ الفَسادُ!...

أبيض

الخاتمـــةُ

وَما أَوَدُّ قَوْلَهُ آخِيرًا، أنَّ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةَ وَأُورُوبّا تَضْغَطانِ بِكُلِّ قُوَّةٍ إعْلامِيَّةٍ وَدِعائيَّةٍ وَسِياسِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ عَلَى العَصَبَيْنِ العَرَبِيِّ وَالإسلامِيِّ لِتَخْلِيقِ وَتَعْمِيقِ إحْساسِ وَشُعُورِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ بِذَنْبٍ لَمْ يَقْتَرِفُوهُ، وَبِجُرْمٍ لَمْ يَرْتَكِبُوهُ، وَسَفاهاتٍ لا قِبَلَ لَهُمُ بِها... فَتَتَحَوَّلُ أَحْداثُ أَيْلُولِ ٢٠٠١م فِي اللاَّشُعُورِ المُعاصِرِ وَفِي الوَعْي التّارِيخِيِّ وَالخِبْرَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإسْلامِيَّةِ إلَى عُقْدَةٍ هُولُوكُسْتِيَّةٍ!... فَتَصِيرُ وَسِيلَةً حَيَوِيَّةً لَتَحْقِيقِ أَقْصَى قَدْرٍ مِنَ المَكاسِبِ الإسْتراتِيجِيَّةِ وَالامْتِيازاتِ السِّياسِيَّةِ وَالابْتِزازاتِ الاقْتِصادِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ وَحَتَّى التَّبْشِرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ فِي المَدَى البَعِيدِ أو القَرِيبِ عَلَى السَّواءِ!... وَقَدْ تظَلُّ الأَجْيالُ العَرَبِيَّةُ وَالمُسْلِمَةُ تَنُوءُ بِهَذا الإرْثِ الإفْكِيِّ المَرْكُومِ وَتَبُوءُ بِذَلِكَ الإثْمِ المَوهُومِ!... وَلا يُسْتَبْعَدُ مَنْ يَأْتِي مُسْتَقْبَلاً فَيُطالِبَ هَذِهِ الأَجْيالَ بِالاعْتِذارِ عَنْ تِلْكَ الكَذِبَةِ الكُبْرَى، وَيُنْسَى حَقُّنا فِي التَّعْوِيضِ عَنْ حُرُوبِهِمُ الصَّلِيبِيَّةِ الَّتِي لَمْ وَلَنْ تَنْتَهِيَ فِيما يَبْدُو!!!....

وَقَدْ لا يُدرِكُ الغَرْبُ النَّتِيجَةَ النِّهَائِيَّةَ الَّتِي يُمْكِنُ أنْ تَتَرَتَّبَ عَلَى تِلْكَ الضُّغُوطِ العُنْفُوانِيَّةِ الابْتِزازِيَّةِ المَيْسِرِيَّةِ الخَسِيسَةِ!... الَّتِي تَدْفَعُ وَسَتَدْفَعُ الغَرْبَ إلَى تَبَنِّي أَيْدِيُولُوجِيّاتٍ صِراعِيَّةٍ سَرْمَدِيَّةٍ عَلَى المُسْتَوَى الخَارِجِيِّ... وَالانْخِراطِ فِي مَزِيدٍ مِنَ العُنْفِ التَّبْرِيرِيِّ الأَحْمَقِ الَّذِي لا يَسْتَنِدُ إلَى قَرِينَةٍ صادِقَةٍ!... وَيَبْدُو أنَّ الغَرْبَ فِي ظِلِّ اسْتِمْرارِهِ فِي الاسْتِهزاء بِوُجُودِ العَرَبِ

والْمُسْلِمينَ والاسْتِخفافِ بِعُقُولِهِمُ وَمُحاوَلَةِ التَّعْمَيَةِ عَلَيْهِمُ... لَنْ تُؤَدِّي إلا إِلَى المَزِيدِ والمَزِيدِ مَنَ الكَراهِيَةِ الْمُبَرَّرَةِ... التِّي تَغْلِي بالانْتِقامِ فِي صَدْرِ كُلِّ غَيُورٍ مَعَ تَصاعُدِ مَوجاتِ هذا الاسْتِفْزازِ الذَّرائعِيِّ الاسْتِعمارِيِّ الغَرْبِيِّ الخَبيثِ لِمُجْتَمَعاتِ العَرَبِ وَالْمُسْلِمينَ!...

وَإذا كانَ مُقَدَّرًا أنْ تَحْيَا البَشَرِيَّةُ دَوْرَةً جَدِيدةً لِلحَياةِ فِي ظِلالِ الوِلايَةِ الأُورُوأمْرِيكِيَّةِ الْمُعاقَةِ حَضارِيًّا وَأخْلاقِيًّا وَسُلُوكِيًّا...! فَهَل سَتَضْحَى هَكَذا طَبيعَةُ الحَياةِ : مَيْدانًا حافِلاً بِمُتَوَالياتِ الصَّرَاعِ العَنِيفِ، وَالقتال الْمُحْتَدِمِ، وَالعِراكِ الْمُسْتَمِـرّ... وَالفِتَنِ الَّتِي لا تَنْطَفِئُ لَهَا نارٌ وَلا يَهْدَأُ لَهَا أُوارٌ وَلا يَكُفُّ عَنْها الأَشْرارُ...؟!! كَيْفَ تَسْتَـقيمُ مَسِـيرَةُ البَشَرِيَّةِ فَتَسْتَعِيـدُ مَسُوحَـها الْمُشْرِقِ بِدَعْـوَةِ السَّـلامِ وَالتَّعايُشِ وَالتَّعاوُن وَالحُوارِ وَالجُوارِ الكريم..؟ مَتى يَفِيــئُ الغربُ إِلَى مَنْطِقِ العَدْلِ وَالحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّسامُحِ وَالْمُساواةِ فِي الحُقُوقِ وَالواجِبات.. مَتَى..؟!

مَتَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَصْبَحَ مُنَاخُ الحَدِيثِ- مع كُلِّ أَسَفٍ !: مُلائِمًا حَوْلَ تَصَـادُمِ الحَضاراتِ وَنَهايَةِ التَّارِيخِ، وَراجَتْ تِلْكَ الْمَقُـولاتُ الشِّرِّيرَةُ الَّتِي تَثُورُ بَيْنَ حِينٍ وآخَرٍ حَوْلَ إمكانِيّاتِ اسْتِدعاءِ تارِيخِ الصَّلِيبِيّاتِ إِلَى الوَاقِعِ العَالَمِيّ المأزُومِ؟!... وَأصْبَحَت تَدَاعِيَاتُ هَذا الحَدِيثِ خَرْقًا لِلمَواثِيقِ.. وَتَجَاوُزًا لِلأعْرافِ.. واحْتِلالاً لِلأراضِيَ.. وَسَفْكًا لِلدِّمَاءِ.. وَغَصْبًا لِلحُقوقِ وَالْمُمْتَلَكاتِ وانْتِهاكًا لِلأعْراضِ.. وَسَلْبًا لِلخُصُوصِيّاتِ الحَضارِيَّةِ وَالثَّقافِيَّةِ.. وَضَرْبًا بِالعَقائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالقِيَمِ الأَخْلاقِيَّةِ الإنْسانِيَّةِ عُرْضَ الحائِطِ....؟!

لَقَدْ اعْتَذَرَتْ أُورُوبّا عَنِ خُرافَةِ المَحارِقِ النَّازِيَّةِ، بِلْ وَحَصُلَتْ حالَةٌ مِنَ التَّسامُحِ مَعَ الآخَرِ سَواءٌ داخِلِ النَّسَقِ الغَرْبِيِّ أو خارِجُهُ بِقَلِيلٍ... وَنَحْنُ لا نَكْرَهُ ذَلِكَ عُمومًا؛ وَلَكِنْ مِنْ حَقِّنا أيضًا أنْ يُعْتَذَرَ إلَيْنا فَيُرَدُّ اعْتِبارُنا، وَأنْ نُوَفَّى حُقُوقَنا السَّلِيبَةَ... وَأنْ تُحْتَرَمَ عَقائدُنا وَتُصانَ مُقَدَّساتُنا وَأنْ يُحْفَظَ مَقامُ نَبِيِّنا ﷺ... إنَّنا وَالحَمْدُ لله لَيْسَ لَدَينا شَيءٌ نَعْتَذِرُ عَنْهُ!؛ بَلْ إنَّنا لَنَنْتَظِرُ ذَلِكَ اليَومَ الَّذِي تَتَحَلَّى فيه أُورُوبّا وَأمْرِيكا بِالنَّزاهَةِ وَالشَّجاعَةِ الأدَبِيَّة فَتُعْلِنُ اعْتِذارَها إلَى العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ عَمَّا ارْتَكَبَهُ الغَرْبُ بِحَقِّهِمُ مِنْ مَظالِمَ وَبَشاعاتٍ اسْتِعْمارِيَّةٍ... ما يَجْدُرَ أنْ تَكُونَ هُولُوكُوسْتًا عَرَبِيًّا إسْلامِيًّا!... نُنادِي فِي ظِلِّهِ بِحُقُوقِنا التَّارِيخِيَّةِ- المادِّيَّةِ وَالأدَبِيَّةِ؟!...

كَما إنَّنا نَحْلُمُ بِذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي تَفِيءُ فِيه حُكُوماتُ العالَمِ الإسْلامِيِّ إلَى الله بِتَوبَةِ نادِمٍ عَلَى ذَلِكَ التَّقْصِيرِ المَعِيبِ فِي حُقُوقِنا الحَضارِيَّةِ الضَّائعَةِ... وَعَلَى التَّهاوُنِ إزاءَ الشَّغَبِ الغَرْبِيِّ عَلَى هُوَيَّتِنا وَتُراثِنا المَغْصُوبِ وَهَيبَتِنا المُهْدَرَةِ وَكَرامَتِنا الَّتِي صارتَ بِلا اعْتِبارٍ لَدَى كُلِّ طامِعٍ خَسِيسٍ لا يَرْجُو لله ﷻ وَقارًا!...

إنَّ مَزِيدًا مِنَ السَّلْبِيَّةِ وَمَزِيدًا مِنَ الانْفِعالِ وَالتَّشَنُّجِ وَالغَضَبِ غَيْرِ المُثْمِرِ وَرَدَّاتِ الأفْعالِ غَيْرِ العَمَلِيَّةِ لَنْ يَزِيدَ قَضايانا إلاَّ خَبالاً وَتَعْقِيدًا!... إنَّنا نُقَدِّرُ المُظاهَراتِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْ الرَّفْضِ وَالغَضَبِ... وَلَكِنْ لَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ جَدْوَى ما لَمْ يَكُنْ مُتَوَّجًا بِالاسْتِماتَةِ السِّياسِيَّةِ في إسْتِصدارِ قانُونٍ دَوْلِيٍّ يُجَرِّمُ التَّعَرُّضِ لِلرُّسُلِ وَالأنْبِياءِ وَلِعَقِيدَةِ التَّوحِيدِ بِما لا يَلِيقُ بِرُمُوزِ الرَّحْمَةِ وَالهِدايَةِ الإلَهِيَّةِ

لِلْعالَمِينَ!...إنَّ المُقاطعَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالاقْتِصادِيَّةَ تَعْبِيرٌ حَضارِيٌّ عَنِ الغَضَبِ، وَلَوْنٌ مِنْ أَلْوانِ المُقاوَمَةِ المَشْرُوعَةِ البَعِيدَةِ عَنْ مُزايَداتِ الحاقِدِينَ وَالجَهَلَةِ المُبْطِلِينَ!... وَلاسِيَّما أَنَّنا رَأَينا كَمْ هِيَ المُقاطَعَةُ مُوجِعَةٌ لأولَئِكَ الَّذِينَ لا دِينَ لَهُمْ إلاَّ « اليُورو» وَ« الدُّولارُ» وَلا إلَهَ لَهُمْ إلاَّ المَسِيحُ الدَّجالُ!.

وَإلَى جانِبِ المُقاطَعَةِ، نَتَطَلَّعُ إلَى أَنْ تَعْكِسَ الحُكُوماتُ العَرَبِيَّةُ وَالإسْلامِيَّةُ مَشاعِرَ شُعُوبِها وَعَواطِفَها الدِّينِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ تَدْعُمُ مِصْداقِيَّةَ حُسْنِ ظَنِّنا بِتِلْكَ الحُكُوماتِ!؛ فَإِنَّ تَسْيِيسَ المَواقِفِ وَالقَضايا المُتَعَلِّقَةِ بِالدِّينِ وَالعَقِيدَةِ مِنْ شَأنِها أَنْ تَضُرَّ بِمَصالِحِنا وَبِمُقَدَّساتِنا وَبِدَعْوَتِنا العالَمِيَّةِ إلَى التَّوحِيدِ والعَدْلِ والإحسانِ البِرِّ وَالمَعْرُوفِ... بَلْ مِنْ شَأنِ ذَلِكَ أَنْ يَحْرَقَ أوراقَ مَشْرُوعِنا الحَضارِيِّ الإسلامِيِّ بِرُمَّتِها!...

فَلابُدَّ إذًا مِنْ تَدْشِينِ مَرْصَدٍ لِـ« الإسلامِ فُوبيا» يُعْنَى بِتَخْلِيقِ وَتَفْعِيلِ أَسْبابُ الحِمايَةِ الذَّكِيَّةِ لِلْعَقِيدَةِ الإسْلامِيَّةِ وَلِلدِّينِ الحَقِّ وَلِمَقامِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ... وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ تَقَصِّي جُذُورَ الكَراهِيَةِ وَالنُّفُورِ الغَرْبِيِّ مِنَ الإسْلامِ والمُسْلِمِينَ وَتَحَرِّي الأسبابِ المَوضُوعِيَّةِ وَغَيْرِ المَوضُوعِيَّةِ الكامِنَةِ وَراءَ مَظاهِرِ التَّمْيِيزِ العُنْصُرِيِّ ضِدَّ المُسْلِمِينَ؟! وَتَرْتِيبِ هَيْئاتٍ ذاتَ عِنايَةٍ واخْتِصاصٍ بِفُنونِ الضَّغْطِ المُنَظَّمِ وَمُمارَسَةِ دُورِ « اللُّوبِّي» فِي مُواجَهَةِ مَساعِي التَّشْوِيهِ وَالتَّضْيِّيقِ وَالتَّخْوِيفِ الغَرْبِيِّ مِنَ الإسْلامِ وَالعَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ أو تَسْعَى لِتَهْمِيشِ الإسْلامِ مِنَ الحَياةِ السِّياسِيَّةِ وَالاجْتِماعِيَّةِ وَسائِرِ الأحْوالِ المَدَنِيَّةِ للمُسْلِمِينَ، وَالعَمَلَ عَلَى صِياغَةِ آلِيَّةٍ وَثائِقِيَّةٍ ذَاتَ أَجْهِزَةٍ تَثْقِيفِيَّةٍ حَيَوِيَّةٍ لِتِبْيانِ

مَوْقِفِ الإسْلامِ مِنَ القَضايا الإنسانِيَّةِ الَّتِي يُشَكِّلُ الإسْلامُ وَالْمُسْلِمُونَ طَرَفًا مُباشِرًا أو غَيْرَ مُباشِرٍ فِيها. وَلْيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ هَيئَةٍ عالَمِيَّةٍ ذَاتَ نُفُوذٍ دِوَلِيٍّ مُنْبَثِقَةٍ عَنْ جِهَةٍ مَوثُوقٍ بِها، كَرابِطَةِ العالَمِ الإسلامِيِّ مَثلاً.

وَإِنَّنِي هُنا أَقْتَرِحُ أَنْ يُواجَهَ هَذا الظُّلْمُ البَيِّنُ وَذَلِكَ التَّشْوِيهُ العَيِّنُ : بِرَدٍّ فِي حُدُودِ طاقاتِنا وَبِطَرِيقَةِ الحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ الَّتِي عَلَّمَنا إيّاها اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ !... لأَنَّنا لاحَظْنا بَعْضَ رَدَّاتِ الفِعْلِ فِي بَعْضِ البِلْدانِ العَرَبِيَّةِ مِنْ حَرْقٍ وَتَدْمِيرٍ لِلسِّفاراتِ وَبَعْضِ الْمُنْشآتِ الدِّينِيَّةِ غَيْرِ الإسلامِيَّةِ... وَالَّتِي بَدا مِنْ أَحْداثِها أَنَّ هُناكَ يَدًا خَفِيَّةً مَدْسُوسَةً وَسْطَ الجُمُوعِ الْمُسْلِمَةِ الغاضِبَةِ...؟ حَيْثُ تَسْهُلُ نِسْبَةُ كُلِّ فِعْلٍ سَيِّءٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَغيْرِ حَقٍّ أو قَرِينَةٍ أو بَيِّنَةٍ... ما أَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي حالٍ قَدْ طَيَّرَتْها وَسائلُ الإعلامِ الْمُغْرِضِ فِي أنحاءِ العالَمِ... لِيُقالَ بِأَنَّ هَؤلاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَطالَمَا حَدَّثْناكُمْ عَنْ «هَمَجِيَّتِهِم» وَ«خَطَرِهِمُ» وَ« وَحْشِيَّتِهِمُ» إلخ!!... الأمْرُ الَّذِي يُوَطِّدُ الاعْتِقادِ بِالصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ وَالفِكْرَةِ الْمُشَوَّهَةِ عَنِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ!، وَهُوَ ما يُكَرِّسُ الانْتِهازِيَّةَ الغَرْبِيَّةَ لِلإمْعانِ فِي الإساءَةِ وَالبَذاءةِ والتَّشْوِيهِ الحاقِدِ لِلرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ وَلِلإسلامِ وَلِلْمُسْلِمِينَ كافَّةً عَلَى نَحْوِ ما رَأينا جَمِيعًا!... فاللهُ ﷻ يَقُولُ : ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ**

أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ المائدَة/ ١٠٦– ١١٠.

قائمَةُ المَصـادِرِ وَالمَراجِـــعِ

المصـادر :

(١) القرآن الكريم.

(٢) كُتُبُ السُّنَّــة....

(٣) العهـــد القديم.

(٤) العهـــد الجديـــد.

المَراجِــــعُ العَرَبِّيَّةُ :

(٥) أحمد بن محمد النيسابوري الميداني– مجمع الأمثال– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– دار الفِكْر– بيروت– ١٩٧٢م– ط:٣.

(٦) أحمد القَديدي– الإِسْلام وصِراع الحَضَـارات– سِلْسِلَة كتاب الأُمَّـة– الدوحة–١٩٩٦م.

(٧) إدوارد سعيد– الاسْتِشْراقُ وَالمُسْتَشْرِقُونَ– ترجمة : محمد عَنانِي– درار رؤية للنشر– القاهرة–٢٠٠٥م.

(٨) أس ترتون– أهل الذمة في الإسلام– ترجمة : حسن حبشي– دار المَعارف– مصر–١٩٦٧– ط٢.

(٩) أسعد طه– آذربيجان– المختار الإسْلامِيّ– القاهرة– د.ت.

(١٠) أنتونى ناتانج– العرب تاريخ وحضارة – دار الهلال – مصر – ١٩٨٠م.

(١١) أنْوَرِ الجُنْدِيِّ– أخْطَرُ ما تَواصَى بِهِ المُسْلِمُونَ عَبْرَ الأجْيالِ– دارُ الاعْتِصامِ– القاهِرَةُ– د.ت.

(١٢) أنْوَرِ الجُنْدِيِّ– مُقَدِّماتُ العُلُومِ وَالمَناهِجِ–دارُ الأنْصارِ– القاهرة– د.ت.

(١٣) إيزاك م. ماركس– التعايش مع الخَوْف فهم القلق ومكافحته– ترجمة بإشراف:محمد عثمان نجاتي–دار الشروق– القاهرة– ٢٠٠٠م.

(١٤) إيمانويل كانط- مشروع السلام الدَّائِم- ترجمة : عثمان أمين- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٧٦- ط :٢ .
(١٥) بول كولز- العثمانيون فِي أُورُوبّا- ت عبد الرحمن عبد الله الشيخ- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣م.
(١٦) ت. كويلرنج- الشرق الأدنى.. مجتمعه وثقافته – ت: عبد الرحمن محمد أيوب- دار النشر المُتَّحِدَة- مصر- د.ت سلسلة الألف كتاب.
(١٧) جريس هالسيل- النبوءة والسياسة- الناشر للطباعة – بيروت – ١٩٩٠م – ط :٣.
(١٨) جمال حمدان- استراتيجية الاستعمار وَالتحرير- دار الهلال- مصر– ١٩٦٨م.
(١٩) جوته- الديوان الشرقي في الدِّيوان الشرقي- ترجمة : عبد الرحمن بدوي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ١٩٨٢م.
(٢٠) جوستاف لوبون– حضارة العَرَب– ت : عادل زعيتر- الهيئة المصرية العَامَّة للكتاب– ٢٠٠١م.
(٢١) جُون اسْبُوزيتو – التَّهْدِيدِ الإِسْلامِيِّ.. حقيقة أم أسطورة؟- ترجمة : عادل المعلم- دار الشُّرُوقِ- القاهرة- ١٩٩٥م.
(٢٢) حلمي خضر ساري- صورةُ العرب فِي الصحافة البريطانية- ت: عطا عبد الوهاب- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ١٩٨٨م.
(٢٣) ر. جارودي- مِنْ اجْلِ حوار بَيْنَ الحضارات- تعريب : ذوقان قرقوط- دار النفائس- بيروت – ١٩٩٠م.
(٢٤) رُوم لانْدُو- الإِسْلامُ وَالعَرَبُ- تَرْجَمَةُ : مُنِيرُ البَعْلَبَكِي- دار العلم لِلملايين- بيروت- ١٩٧٧م–ط : ٢.
(٢٥) روني مارشان- فِرَنْسا تَحْتَ خطر الإِسْلام بَيْنَ الجِهَاد وإعادة الفتح- لوزان- لاج دولوم- سِلْسِلَة «دوافع جيوسياسية»- ٢٠٠٢م.
(٢٦) زكي الميلاد، تركي الرَّبّيعـو- الإِسْلام وَالغَرْب، الحاضر وَالْمُسْتَقْبَل – دار الفِكْر – دِمَشق– ٢٠٠٠م.
(٢٧) زيغريد هونكه- الله ليس كَذلك- ترجمة : غريب محمد غريب- مؤسسة بافاريا الألمانية، دار الشروق المصرية، مجلة النور الكويتية- ١٤١٦هـ.

(٢٨) زِيغريد هُونِكَه- شَمْسُ الله تَسْطُعُ عَلَى الغَرْبِ- ترجمة :فاروق بيضون- المكتب التجاري للطباعة- بيروت- د.ت.
(٢٩) س . م . بُورا- التِّجْرِبَةُ اليونانيةُ- ترجمة : أحمد سلامة محمد السيد- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٨٩م- سلسلة الألْفِ كِتاب الثاني (٦٧).
(٣٠) سامي مسلم- صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ١٩٨٦- ط٢.
(٣١) سعيد حَوِّي- جُنْدَ الله تَخْطِيطًا- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٨٣
(٣٢) شاخت وبوزورث- تراث الإسلام- ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرين- سلسلة عالَم المعرفة(٨)- المجلس الوطني للثقفة وَالفنون وَالآداب- الكويت- ١٤٠٨هـ.
(٣٣) صمويل.ب . هنتينجتون- صدام الحضارات- ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خَلَف- الدار الجماهيرية للنشر وَالتوزيع- ليبيا- ١٩٩٩م.
(٣٤) عباس العقاد – عبقرية الصديق – دار المعارف- مصر – د.ت- ط ١٥ .
(٣٥) عبد الفتاح عبد المقصود- صليبية إلَى الأبد – الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٧٥م.
(٣٦) عبد القادر طاش- أمريكا وَالإسلام- كتاب الشَّرْق الأوسط- ١٩٩٤م.
(٣٧) عبد الله التَّلّ- جذور البلاء- المكتب الإسلامي – بيروت- ١٩٨٧م- ط٢
(٣٨) عبد الملك بن هشام- السيرة النبوية- تحقيق : عمر تدمري- دار الريان- مصر- ١٤٠٧ هـ.
(٣٩) عَبْدُ الْمُنْعِمُ النِّمْرُ- الإسْلامُ وَالمَبَادِئ الْمُسْتَورَدَةُ- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٨٤م.
(٤٠) عَطِيَّةُ فَتْحِي الوِيشِيّ – حوار الحضارات – مكتبة المنار الإسْلامِيّة – الكويت – ٢٠٠١م.
(٤١) عَطِيَّةُ الوِيشِيّ- الخُوفُ مِنَ الإسلام- دار نهضَة مَصر – القاهرة- ٢٠٠٦م.
(٤٢) عَطِيَّةُ الوِيشِيّ- الصِّراعُ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ- دار نهضَة مَصر- القاهرة- ٢٠٧م.

(٤٣) عمر فَرُّوخ، مصطفى خالدي- التبشير والاستعمار في البلاد العربية- المكتبة العصرية- بيروت- ١٩٨٦م
(٤٤) فرانسيس فُوكُوياما – نِهَايَة التَّارِيخ – ترجمة حسين الشيخ – دار العلوم العربية بيروت – ١٩٩٣م
(٤٥) كافين رايلي- الغرب وَالعالم- ت : عبد الوهاب المسيري وآخر- سلسلة عالم المعرفة- الكويت- ١٤٠٥ هـ.
(٤٦) كِرين بِرِنْتِن-أفكار ورجال- ترجمة: محمود محمود- مؤسسة فرانكلين للطباعة وَالنشر- نيويورك- ١٩٦٥م .
(٤٧) لجنة التاريخ في المدارس الحكومية الدينية- من جيل إلى جيل: دروس في التاريخ- وزارة المعارف- تل أبيب-١٩٩٤م.
(٤٨) لِيُو تُولستُوي- حِكَم النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ- ترجمة : سليم قبعين- مصرية للنشر والتوزيع- القاهرة-١٩٨٧م.
(٤٩) مجموعة من الباحثين- صورة العرب وَالإسلام فِي المناهج الدراسية حول العالم – سلسلة كتاب المعرفة(١٢)- السعودية-١٤٢٤هـ.
(٥٠) مَجْمُوعَةٍ مِنْ الخُبَرَاءِ الصَّهاينَةِ بِعُنْوانِ : العودة إلى الصحراء- ترجمة : محمد حمزة غنايم- مركز أوغاريت للنشر والترجمة- القدس- ٢٠٠٤م.
(٥١) محمد أسد- الإِسْلام عَلَى مفترق الطرق – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٨٤م.
(٥٢) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل وَالملوك- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- ط : دار المعارف- مصر- د.ت.
(٥٣) محمد البَهِيّ- الفِكْرُ الإسْلامِيُّ الحَدِيثُ وَصِلَتُهُ بالاستِعمارِ الغَرْبِيِّ- مكتبة وهبة- القاهرة- ١٩٨٥م .
(٥٤) محمد رضا محرم- تحديث العقل السِّياسِيّ الإسْلامِيّ- دار الفِكْر للدراسات وَالنشر- القاهرة – ١٩٩٨م.
(٥٥) محمد سعيد رمضان البوطي – هَذِهِ مُشْكِلاتنا – دار الفارابي – دمشق- د. ت.
(٥٦) محمد عرفة- الخَطَر النووي- مطابع دار الكتاب العربي – مصر –١٣٨٢هـ.
(٥٧) محمد عمارة-الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء- دار الشروق- القاهرة- ٢٠٠٥م.

(٥٨) محمد محمد حسين- الاتِّجاهاتُ الوَطَنشيَّةُ فِي الأدَبِ المُعاصِرِ- مكتبة الآداب- القاهرة- ١٩٥٦م.
(٥٩) مراد هوفمان – الإِسْلام كبديل – دار الشروق – مصر – ١٩٩٢م.
(٦٠) مصطفى حِلمي - الفِكْر الإِسْلامِيّ فِي مُواجَهَةِ الغزو الثَّقافِيّ- دار الدعوة – الإسكندرية – ١٩٩٦م.
(٦١) منير شفيق- قضايا التنمية وَالاستقلال فِي الصِّراعِ الحضاري- دار الناشر- بيروت- ١٩٩٢م- ط٢.
(٦٢) نجيب الكيلاني - الإِسْلامِيَّة وَالقوى المُضَادّة – مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٨٦م.
(٦٣) نسمة أحمد البطَرِيق – التليفزيون وَالمُجْتَمَع وَالهوية الثَّقافِيَّة- الهيئة المصرية العَامَّة للكتاب – ١٩٩٩ م.
(٦٤) نَعُوم تَشُومِسْكِي- حُقُوقُ الإنسانِ وَالسِّياسَةِ الخارِجِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ- ترجمة : عُمَرُ الأَيُّوبِيُّ- مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت- ١٩٨٤م
(٦٥) هانس بيتر مارتين، وهارلد شومان- فخ العَوْلَمَة- ت : عدنان عباس علي- سِلْسِلَة عَالَمَ المعرفة- الكويت- ١٤١٩ هـ.
(٦٦) هنري كيسنجر- العقيدة الإستراتيجية الأمريكية ودبلوماسية الولايات المتحدة- ترجمة: حازم طالب مشتاق- بغداد- دار واسط- ١٩٨٧م.
(٦٧) و. ج بري – نمو الحضارة – ت: لويس اسكندر ، مُراجَعة : علي أدهم- سلسلة الألف كتاب(٣٣٥) – مؤسسة روز اليوسف– القاهرة- ١٩٦١م.

المراجـــع الأجنبية

(68) Bernard Lewis, « communism and Islam»in: Walter Zeev Laqueur, ed., the Midle east in Transition: studies in Contemporary History (New York : Free port, 1971, p. 311
(69) Francois THUAL, Repores geopolitiques, Documentation, Frncaise, 1995
(70) Kissinger H. Nuclear Weapons and Foreign policy. N.Y., 1957.
(71) Laurence E. Browne, The prospects of Islam,London, 1944.
(72) Military Intelligence Division. war Department, D. C. Islam : A threat to world stability. Washington, On 26 January 1946.

(73) Peter Malcolm holt, Studies in the History of the Near East,London : Frank Cass, 1973.
(74) Sari J. Nasir, The Arabs and the English,London :Longman, 1976.
(75) W . Montgomery Watt, The influence of Islam on medieval Europe, Edina 6 uR 9h, 1972.
(76) W. Montgomery Watt, L'influence de l'Islam sur l'Europe medievale, Ed. Librairie orientaliste Paul Genthner, Paris, 1974.
(77) Zahra Dickson Freeth and H. V. F Winstone, Explorers of Arabia from the Renaissance to the End of Victorian Era,London; Boston: Allen and Unwin; New York : Holmes and Meier, 1978.

الدوريات العربية

(٧٨) جريدة الوطن – السعودية.

(٧٩) جريدة الاتحاد الإماراتية .

(٨٠) جريدة الأهرام القاهرية.

(٨١) جريدة البيان الإماراتية .

(٨٢) جريدة الحياة اللندنية.

(٨٣) جريدة الرائد الهندية.

(٨٤) جريدة السفير اللبنانية.

(٨٥) جريدة الطليعة البحرينية.

(٨٦) جريدة العَالَم الإِسْلامِيّ.

(٨٧) صحيفة التجديد المغربية.

(٨٨) صحيفة الجيل المصرية.

(٨٩) صحيفة الحوار المتمدن.

(٩٠) صحيفة الدستور الأردنية.

(٩١) صحيفة النهار اللبنانية.

(٩٢) صَحِيفَةِ الوَطَنِ السَّعُودِيَّةِ.

(٩٣) مجلة الأزهر المصرية.

(٩٤) مَجَلَّةِ البَيانِ اللندنِيَّةِ- العدد ١٩٦.

(٩٥) مَجَلَّة الفيصل.

(٩٦) مَجَلَّة المُجْتَمَع الكويتية.

(٩٧) مَجَلَّةِ المُسْتَقْبَلِ العربي- العدد : ٢٩٥

(٩٨) مجلة النبأ – بيروت .

(٩٩) مجلة الوسط اللندنية.

(١٠٠) مَجَلَّة الوسط- اللندنية.

(١٠١) مجلة أهلاً وسهلاً – العدد ٤٣.

(١٠٢) مجلة كلية الدعوة الإِسْلامِيّة- ليبيا.

(١٠٣) مجلة مستقبل العالم الإِسْلامِيّ- مالطا.

(١٠٤) مِنْبَرِ الإسلامِ- المِصْرِيَّةِ- عَدد أبْرِيل ١٩٧٣م.

(١٠٥) نشرة :المقتطف الثَّقافِيّ- المركز الاستشاري للدراسات- بيروت.

(١٠٦) نِيويُورك صَن- الأمْرِيكِيَّةِ- ٢٠٠٤/٥/١١م.

المواقع الاليكترونية

(107) http://ar.danielpipes.org
(108) http://dk.danielpipes.org
(109) http://nosra.islammemo.cc
(110) http://thawra.alwehda.gov.sy
(111) http://www.albiladnewspaper.com
(112) http://www.aljaml.com
(113) http://www.aljazeera.net
(114) http://www.al-moharer.net
(115) http://www.almotamar.com
(116) http://www.amin.org
(117) http://www.egypty.com
(118) http://www.madinacenter.com
(119) http://www.masyaf.com
(120) http://www.nysol.se/Arabic
(121) http://www.shrooq2.com
(122) http://www.swissinfo.org/ara
(123) trif.nashiri.net
(124) www.alali.net
(125) www.alarabnews.com
(126) www.almostaqbal.com
(127) www.almostaqbal.com
(128) www.alwelayah.net
(129) www.bbcarabic.com
(130) www.darislam.com
(131) www.ebaa.net
(132) www.icsfp.com
(133) www.islamonline.net
(134) www.islamonline.net
(135) www.islamtoday.net
(136) www.jeel-libya.com
(137) www.kantakji.com
(138) www.kefaya.org
(139) www.knntv.net/arabic
(140) www.mondiploar.com
(141) www.montada.showthread
(142) www.pollingreport.com
(143) www.pollingreport.com.
(144) www.qudsway.net

(145) www.rassid.com
(146) www.tharwaproject.com
(147) www.w3.org

ندوات ومؤتمرات :

(١٤٨) مؤتمر «حوار الحَضَـارات»، انعقد فِي العاصمة اليمنية « صنعاء » فِي منصف عام ٢٠٠٤م.

مَراجِعٌ أُخــرَى :

(١٤٩) قناة الجزيرة الفضائية القطرية – بتاريخ السبت ٧/ ١٠/ ١٤٢٢هـ الموافق ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠١م.
(١٥٠) قناة الجزيرة – قطر – ٣/ ١/ ١٤٢٤هـ. الموافق ٦/ ٣/ ٢٠٠٣.
(١٥١) قناة « العربية» الفضائية–حلقة مِن برنامج: مَشاهِدُ وآراء– ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٤.
(١٥٢) قناة فوكس الإخبارية Fox Newss– آب أغسطس ٢٠٠٢م.

أبيض

سيـــرةٌ ذاتيَّـــــة للمؤلف

الاســـم / عطية فتحي عطية رزق الويشي .

الشهـــرة / عطية الويشي .

النشأة والإقامـة / دفرية – م . م كفر الشيــخ .

تاريـخ الميـــلاد / ٢٥ / ٧ / ١٩٦٤م.

- كاتب وَأحَدُ المُشْتَغِليـــن بِهُمُوم الفِكْرِ الإسـلامِيِّ وَمُشْكِـلاتِ الحَضارَةِ وَقَضايا فَلْسَفَةِ التَّارِيخِ.
- باحث أكاديمي بقسم التاريخ والحَضارَةِ كلية الآداب – جامعة بنها.
- صاحِبُ إسهاماتٍ تَاسِيسِيَّةٍ فِي التَّنْظِيرِ لِلمَشْرُوعِ الحَضارِيِّ الإسلامِيِّ... وَهُوَ بِصَدَدِ إنجازِ مَشْرُوع فِكْرِيٍّ يدور مَوضُوعُــه حول « فقه التَّدافُــع ».

المؤلفــات /

- حــوار الحضارات– مكتبة المنار الإسلامية - الكويت - ٢٠٠١ .
- أحكام الوقف .. وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي – الأمانة العامة للأوقاف - الكويت- ٢٠٠٢ .
- واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات– دار نهضة مصر- سلسلة التنوير الإسلامي- ٢٠٠٣.
- الخوف من الإسلام- دار نهضة مصر – القاهرة- ٢٠٠٦م.
- التَّطَوُّرُ المُؤَسَّسِي لقطاع الأوقاف في البلدان الإسلامية- الأمانة العامة للأوقاف - الكويت- ٢٠٠٦ .
- الصِّـــرَاع في الفِكْـر الغَـربي – دار نهضة مصر – القاهرة- ٢٠٠٧م.
- الإخوان فوبيا... سطور في النقد الذاتي للحركة الإسلامية- نهضة مصر- ٢٠٠٧م
- المُعْجَـم الموسوعي لِمُصْطَلَحَــات العمل الخيــري – مخطوط.
- تَرنيمــة الغُرُبــاء- ملحَمَــةٌ شعرِيَّةٌ.
- التَّغْرِيبَــة العَرَبِيَّــة (ديوان شعر بالفُصْحــى) . (مخطوط).

منـــــــــــابر النشر / - جريدة العالم الإسلامي السعودية. مجلة البيان اللندنية. مجلة الجندي المسلم السعودية. مجلة الرابطة السعودية. مجلة القافلة السعودية.مجلة الحرس الوطني السعودية. - مجلة المنار الكويتية. مجلة الوعي الإسلامي الكويتية. مجلة منار الإسلام الإماراتية. وأكتب أحياناً في مجلات: المجتمع الكويتية، والتوباد السعودية؛ والهداية البحرينية؛ والعربي الكويتية ، والعالِمِ السعودية وَغيرًها...

- أسهم في تحرير معجم البابطين لشعراء العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.
- تُرْجِمَت بَعْضُ الدِّراساتِ وَنُشِرَتْ بِمَجَلَّةِ الـ « Foreign Affairs» الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية.
- أُجْرِيَتْ مَعَهُ أحادِيثٌ إذاعِيَّةٌ حولَ قضايا مُخْتَلِفَةٍ... مثلُ : الـ B . B .C – وَعِـدَّةِ قَنواتٍ فَضائيَّةٍ- فضلاً عَنْ المُداخلات...

العضـــوية / عضو رابطـة الأدب الإسلامي العالَمِيَّـة .

الجوائـــــز / الجائزة الدولية لِدِراســات الوقف.

العنـــــوان / مصـــر – كفر الشيــخ – الرمز البريدي / ٣٣٥١١ – ص . ب : ٨٠ .

الهـــاتــف / ٠٤٧٣٢٤٠٢٧٠ النَّقَّال/ ٠١٠٧٣٧٣٩٦٢

فهرســـت الموضــوعات

هذا الكتاب

على الرغم من أن مسألة التخويف من الإسلام قديمة نسبياً - من حيث ظروفها وملابساتها... بيد أنها لم تشحن في العقلية الغربية بصورة مركزة ومكثفة على هذا النحو الأسوأ من نوعه في التاريخ إلا في أواخر القرن العشرين؛

فلقد كانت ثلة من المعنيين بالشؤون الإستراتيجية في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما المفكرون والفلاسفة غير الحزبيين، غير مبتهجة بنهاية «الحرب الباردة»، كما أنهم لم يحفلوا كثيراً باطروحات الكُتَّاب التي تدلل على مدى الزهو والانتشاء الساذج نتيجة الإحساس الغامر ببلوغ العالم نهاية التاريخ على متن الليبرالية الحرة..! فراحوا يبحثون عن عدو جديد تكتمل به ثانية حلقات مسلسل الصراع في الفكر الغربي.!

ولعله من الملاحظ أن هناك إصراراً عجيباً- من جانب غالبية الساسة والمفكرين والكتاب والصحفيين ورجال الكنيسة... على تعميق القناعات الغربية بأن الإسلام دين تطرف وعنف وإرهاب... دين غير قادر على التلاقي والتعايش والتسامح والحوار، وغير ذلك من الافتراءات التي أعانهم عليها قوم من بني جلدتنا مع كل أسف ومرارة!...

فأي شكل يمكن أن يفيده الغرب من تلك الهجمة التخويفية الشرسة المنظمة على دين أحوج ما تكون الإنسانية إلى قيمه الروحية وإشعاعاته الحضارية... بعيداً عن دورة التعصب والأنانية التي يتقلب في حمأتها العالم الغربي المعاصر...؟!

ردمد ٢٤٣٤ ـ ١٣١٩ ISSN







